سِلْسِلَةُ الرَّسَائِلِ الشَّاذُلِيَّة

(٨)

مَوْقِفُ الوَهَّابِيَّةِ

مِنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرِ البَرِيَّة

الأُسْتَاذُ الدُّكتُوْر

عَلِي مِقْدَادِي الحَاتِمِي

مَوْقِفُ الوَهَّابِيَّةِ مِنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرِ البَرِيَّةِ

مَوْقِفُ الوَهَّابِيَّةِ مِنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرِ البَرِيَّة

تأليف : الأُستَاذُ الدُّكتُور عَلِي مِقْدَادِي الحَاتِمِي

الطبعة الأولى : ٢٠١٩م


بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَى :

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]

وَقَالَ تَعَالَى :

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]

وَقَالَ تَعَالَى :

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ وتُعَزِّرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً﴾ [الفتح:٨-٩]

❁❁❁ المُقَدِّمَةُ ❁❁❁

إنَّ الحمد لله نحمده ونستغفره ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنـــا ومن سيِّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هـــادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك لـــه ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، قال تعالى : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** [آل عمران: ١٠٢] ، وقال سبحانه : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** [النساء: ١] ، وقال : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾** [الأحزاب: ٧٠ – ٧] ، أمَّا بعد :

فمن المعلوم أنَّ الوهَّابيَّة حركة دينيَّة ترتبط بمؤسسها محمَّد بن عبد الوهَّاب النَّجدي الذي قام في القرن الثَّاني عشر الهجري بإحياء ما دفنه علماءُ الأُمَّة من أفكار ومعتقدات ابن تيمية التي خالف فيها جمهور الأُمَّة المحمَّدية في القرن الثَّامن الهجري ، والتي انتهت في ذلك الزَّمان بسجنه وموته في السِّجن ...

ومن المعلوم أنَّ ابن تيمية هو الإمام المرجوع إليه عند الوهَّابيَّة ، ومعلومٌ أنَّه دخل السِّجن عدَّة مرَّات بسبب أقواله الشَّاذة التي خالف فيها مجموع الأُمَّة ... فقد سُجن بداية ولفترة قصيرة في دمشق عام (٦٩٣هـ) ، ثمَّ سُجن في القاهرة عام (٧٠٥هـ) ، والسَّبب فيها كلامه المتعلِّق بـ مَسْأَلَةِ الْعَرْشِ ، وَمَسْأَلَةِ الْكَلَامِ ، وَفِي مسألة النُّزول ، ثمَّ سُجن لفترة قصيرة في عام (٧٠٧هـ) ، بسبب تأليفه لكتاب الاستغاثة ، ثمَّ سُجنَ مرَّة أُخرى في نفس العام ، وأُخرى عام (٧٠٩هـ) ، وسجن للمرَّة السَّادسة عام (٧٢٠هـ) ، وأخيراً سُجن في عام (٧٢٦هـ) ، وبقي في السِّجن حتى توفِّي فيه عام (٧٢٨هـ) ...

أمَّا ابن عبد الوهَّاب الذي تشرَّب أفكار ابن تيمية ... فقد وُلد في عام (١١١٥هـ) ، وتوفِّي عام (١٢٠٦هـ) ، وكان والده يتفرَّس فيه الشَّر ، ويُحذِّر النَّاس منه ، فقد جاء في ترجمة عبد الوهَّاب والد محمَّد بن عبد الوهَّاب ، التي ذكرها الإمام محمَّد بن عبد الله النَّجدي الحنبلي مفتي الحنابلة بمكَّة (١٢٩٥هـ) في كتابه : " السُّحُبُ الوَابلةُ عَلى ضَرَائِح الحَنابِلة " : " وهو والد محمَّد صاحب الدَّعوة التي انتشر شررها في الآفاق ، لكن بينهما تباين مع أنَّ محمَّداً لم يتظاهر بالدَّعوة إلَّا بعد موت والده ، وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عمَّن عاصر الشَّيخ عبد الوهَّاب هذا أنَّه كان غضبان على ولده محمَّد لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته ، ويتفرَّس فيه أن يحدث منه أمر ، فكان يقول للنَّاس : يا ما ترون من محمَّد من

الشَّر ، فقدَّر الله أن صار ما صار ، وكذلك ابنه سليمان أخو الشَّيخ محمَّد كان منافياً له في دعوته ، وردَّ عليه ردَّاً جيِّداً بالآيات والآثار ، لكون المردود عليه لا يقبل سواهما ، ولا يلتفت إلى كلام عالم متقدِّماً أو متأخِّراً كائناً من كان غير الشَّيخ تقي الدِّين بن تيمية وتلميذه ابن القيِّم ، فإنَّه يرى كلامهما نصَّاً لا يقبل التَّأويل ، ويصول به على النَّاس ، وإن كان كلامهما على غير ما يفهم ، وسمَّى الشَّيخ سليمان ردَّه على أخيه : " فصلُ الخطاب في الرَّدّ على محمَّد بن عبد الوهَّاب " وسلَّمه الله من شرِّه ومكره مع تلك الصَّولة الهائلة التي أرعبت الأباعد ، فإنَّه كان إذا باينه أحدٌ وردَّ عليه ولم يقدر على قتله مجاهرة ، يُرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السُّوق ليلاً لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله !!! وقيل : إنَّ مجنوناً كان في بلدة ومن عادته أن يضرب من واجهه ولو بالسَّلاح ، فأمر محمَّد أن يُعطى سيفاً ويدخل على أخيه الشَّيخ سليمان وهو في المسجد وحده ، فأُدخل عليه فلمَّا رءاه الشَّيخ سليمان خاف منه فرمى المجنون السَّيف من يده وصار يقول : يا سليمان لا تخف إنَّك من الآمنين ويكرِّرها مراراً ، ولا شكَّ أنَّ هذه من الكرامات "(١) .

وبسبب ما صرَّح به مُحمَّد بن عبد الوهَّاب من اعتقادات كفَّر على ضوئها من ليس على فكره ومعتقده ومنهجه ، بل واستباح دمه وماله ... كان شقيقه سليمان بن عبد الوهّاب أوَّل من ردَّ عليه في كتابه الطيِّب : " الصَّواعق الإلهيَّة في الرَّدِّ على الوهَّابيَّة " .

واسم الوهَّابيَّة إذا أُطلق لا يُراد به إلَّا الفرقة التي أنشأها محمَّد بن عبد الوهَّاب حيث نُسبت إليه ، ومع ذلك رأينا البعض يُنكر هذه التَّسمية تزلُّفاً ...

فالحقّ أنَّ اسم " الوهَّابيَّة " اسم خلعوه هُم على أنفسهم وارتضوا به وإن كان البعض منهم لا يقبل بل يرفض التَّسمية بالوهَّابية ، فقد قال المدعو مسعود النَّدوي : " إنَّ من أبرز الأكاذيب على دعوة شيخ الإسلام !! تسميتها بالوهَّابيَّة ، ولكنَّ أصحاب المطامع حاولوا من هذه التّسمية أن يثبتوا أنَّها دين خارج عن الإسلام . واتَّحد الإنجليز والأتراك والمصريُّون فجعلوها شبحاً مخيفاً ، بحيث كلَّما قامت أيّ حركة إسلاميَّة في العالم الإسلامي ... ورأى الأوربيُّون فيها خطراً على مصالحهم ، ربطوا حبالها بالوهَّابيَّة النَّجديَّة ... "(٢) .

---

(١) انظر : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (ص٢٧٥-٢٧٦).

(٢) انظر : محمَّد بن عبد الوهاب ، مصلح مظلوم ومفترى عليه ، مسعود الندوي (ص٩٩) .

وقال المدعو عبدالعزيز بن ريس الريِّس : " ... فألصق به الأعداء من المنتسبين للإسلام وغيرهم كالإنجليز لقب " الوهَّابيَّة " لينفِّروا النَّاس من دعوته دعوة الحق دعوة الأنبياء والمرسلين " (١) .

وقال المدعو أبو ربيع محسن بن عوض بن أحمد القليصي الهاشمي : " قال العلَّامة عبدالرَّحمن بن حسن رحمه الله : " إنَّ لقب " الوهَّابيَّة " : لقبٌ لم يختره أتباع الدَّعوة لأنفسهم ، ولم يقبلوا إطلاقه عليهم ، لكنَّه أطلق من قبل خصومهم ، تنفيراً للنَّاس منهم ، وإيهاماً للسَّامع أنَّهم جاءوا بمذهب خاص، يخالف المذاهب الإسلاميَّة الأربعة الكبرى ، واللقب الذي يرضونه ويتسمَّون به هو : " السَّلفيُّون " ودعوتهم : " الدَّعوة السَّلفيَّة "(٢) ...

وفي المُقـــــابلِ رأينا جمهورهم يُصرِّح بالتَّسمية باسم الوهَّابيَّة ... وأحبُّوها ، ودافعوا عنها في كُتبهم ومجالس عِلمهم ...

فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة" : " ... وصار بعض النَّاس يسمع بنا معاشر الوهَّابيَّة ، ولا يعرف حقيقة ما نحن عليه " .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " الرَّدّ على من أنكر على أهل الدَّعوة الوهَّابيَّة إنكارهم الشِّرك " .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " فأبيتم هذا كلَّه ، وقلتم هذا دين الوهَّابيَّة ، ونعم هو ديننا بحمد الله " .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " فلذلك الوهَّابيَّة ، يسمُّون مذهبهم : عقيدة السَّلف " .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " ومن محاسن الوهَّابيَّة : أنَّهم أماتوا البدع ومحوها " (٣) .

وقال المدعو أحمد بن حجر بن محمَّد بن حجر بن أحمد بن حجر بن طامي بن حجر بن سند بن سعدون آل بوطامي البنعلي (١٤٢٣هـ) ، وهو يتكلَّم عن أحد أُمراء الهند واسمه السيِّد أحمد : " فلمَّا التقى بالوهَّابيِّين في مكَّة اقتنع بصحَّة ما يدعون إليه ، وأصبح من دعاة المذهب ، الذين تملَّكهم الإيمان ، وسيطرت عليهم العقيدة ... وبعد مرحلة من الجهاد استطاع هؤلاء المسلمون الوهَّابيُّون أن يقيموا الدَّولة الإسلاميَّة على أساس من المبادئ الوهَّابيَّة ، بجهة البنجاب ، تحت حكم الدَّاعية السيِّد أحمد ، ولم تلبث هذه الدَّولة طويلاً ، حتى قضى عليها الاستعمار الإنكليزي في العقد الرَّابع من القرن التَّاسع عشر. ولكنَّ

---

(١) انظر : التعليقات العلمية التقريبية على القواعد الأربع وثلاثة الأصول التوحيدية (ص١) .

(٢) انظر : الفتاوي والمقالات المهمة في بدعية (الاحتفال بالمولد النبوي) (ص٢٥) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٥٦٦) ، (١٠/ ٥١١) ، ١٢/ ٢٦٧) ، (١٦/ ٣٢٨) ، (١٦/ ٣٥٣) بالترتيب .

الدَّعوة الوهَّابيَّة ظلَّت قائمة هناك على يد خلفاء السيِّد أحمد من بعده ، ولم يستطع المستعمرون أن ينالوا منها . ولا يزال الكثيرون من سكَّان هذه المناطق يدينون بالإسلام على المذهب الوهَّابي !!! وفي سومطرة ابتدأت الدَّعوة الوهَّابيَّة سنة (١٨٠٣م) على يد أحد الحجَّاج من أهل الجزيرة ، وكان قد عاد من الحج في نفس السنَّة ، بعد أن التقى بالوهَّابيِّين ، واطَّلع على صحَّة ما يدعون إليه ، فلمَّا عاد إلى وطنه ابتدأ دعوته ، ثمَّ تطوَّرت الحركة إلى حروب طاحنة بين المسلمين والوهَّابيِّين !!! الذين أصبحوا قوَّة كبيرة في سومطرة ، وبين غير المسلمين من سكانها الأصليِّين ، حتى رأت حكومة الاستعمار الهولنديَّة سنة (١٨٢١م) أن تناهض هذه الحركة القويَّة ، محافظة على كيانها ونفوذها هناك " (١) .

فانظر يا رعاك الله إلى أن انتشار الوهَّابيَّة في بلاد أندونيسيا المُسلمة أدَّى إلى نشوب حروب طاحنة بين الوهَّابيَّة وغيرهم من المسلمين ، لأنَّهم جاءوا بما لا تعهده الأجيال ، ولم يُعرف في أوساط المسلمين من قبل ، وهكذا هم على الدَّوام يعتقدون أنَّهم وحدهم فقط من يعرف الدِّين والتَّوحيد ، بل يجزمون أنَّهم وحدهم على الحقِّ بل على الإيمان ومن سواهم كافرٌ مُشرك ... كما بيَّنته في كتابي : " تَكْفِيْرُ الَوَهَّابِيَّة لِعُمُوْمِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّة " ...

وهذا هو صنيعهم في كلِّ بلد دخلوه ، وفي كلِّ مكانٍ حلُّوا فيه ... إنَّهم سبب فُرقةٍ واختلاف وفتنة وشقاق ونزاع وفوضى في أغلب الأوطان التي دخلوها ... مع العلم أنَّ الأمن في الأوطان مطلوب من الجميع ... وقد أمر الله تعالى بالاجتماع ونهى عن الفُرقة والاختلاف المبنيّ على العصبيَّة والهوى ، قال تعالى : **﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾** [الأنفال: ٤٦] ، وقال : **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾** [آل عمران: ١٠٣] ، ونهى عن الفساد والإفساد في الأرض ، ونعى على المفسدين فقال : **﴿وَإِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ﴾** [البقرة: ٢٠٥] ، فالواجب على المسلم أن يسعى حثيثاً لجمع الكلمة ورصِّ الصُّفوف وتوحيدها ، لأنَّ الشَّارع الحكيم أمر بذلك ...

وكتب الدُّكتور محمَّد بن خليل حسن هرّاس (١٣٩٥هـ) كتاباً بعنوان : " الحركة الوهَّابيَّة " ردَّ فيه على الدُّكتور محمَّد البهي في نقده للوهَّابيَّة .

وكتب المدعو : محمَّد حامد الفقي كتاباً بعنوان : " أثر الدَّعوة الوهَّابيَّة في الإصلاح الدِّيني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها " ...

---

(١) انظر : محمَّد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه (ص٧٨-٧٩) .

وكتب الدُّكتور محمَّد الشّويعر كتاباً بعنوان : " تصحيح خطأ تاريخي حول الوهَّابيَّة " ...

وقال الشَّيخ عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن بن محمَّد بن عبد الوهَّاب آل الشَّيخ (١٢٩٣هـ) : " ... فأبيتم علينا هذا كلّه ، وقلتم : هذا دين الوهَّابيَّة ، ونعم ، هو ديننا بحمد الله " [١] .

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز (١٤٢٠هـ) : " الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله الذي تنسب إليه الوهَّابيَّة ، هو رجل قام في النِّصف الثَّاني من القرن الثَّاني عشر ، يدعو النَّاس إلى ما قاله الله ورسوله ، يدعو النَّاس إلى عقيدة السَّلف الصَّالح ، من أتباع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسَّير على منهج أصحابه في الأقوال والأعمال ، وهو حنبلي المذهب ، ولكنَّه وفَّقه الله لدعوة النَّاس إلى إصلاح العقيدة ، وترك الشِّرك بالله عزَّ وجلَّ !!! وترك البدع والخرافات التي قام بها وتخلَّق بها المتصوِّفة !!! أو أصحاب الكلام !!! فهو يدعو إلى عقيدة السَّلف الصَّالح ، في العمل وفي العقيدة ، وينهى عمَّا عليه أهل الكلام من بدع ، وما عليه بعض الصُّوفيَّة الذين خرجوا عن طريق الصَّواب إلى البدع !! فليس له مذهب يخالف مذهب أهل السنَّة والجماعة ، بل هو يدعو إلى مذهب أهل السنَّة والجماعة فقط ، فإذا دعوت أحداً إلى التَّوحيد ونهيته عن الشِّرك فقالوا الوهَّابيَّة ، قل نعم أنا وهَّابي وأنا محمَّدي أدعوكم إلى طاعة الله وشرعه ، أدعوكم إلى توحيد الله ، فإذا كان من دعا إلى توحيد الله وهَّابيَّاً فأنا وهَّابي ... " .

والحقّ أنَّ الوهَّابيَّة جعلت السَّلف الصَّالح شمَّاعة علَّقوا عليها ما يريدون من عقائد وأفكار ، تماماً كما صنع من قبل ابن تيمية ... لأن البحث والاستقراء أثبت أنَّ العديد العديد من الأفكار التي يعتقدها هؤلاء لا تمتُّ بأدنى صلة للسَّلف الصَّالح ، بل ولا إلى الإسلام والحقِّ والصَّواب ... وقد ذكرنا العديد منها في غير هذا الكتاب من كُتبنا ...

وقال أيضاً : " فالوهَّابيَّة هم هذا ، الوهَّابيَّة دعاة إلى توحيد الله " .

وقال أيضاً : " أمَّا الوهَّابيَّة فهم أتباع الشَّيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان بن علي التَّميمي رحمه الله ، فهو إمام مشهور ... " [٢] .

---

[١] انظر : عيون الرسائل والأجوبة على المسائل (٢/ ٩٦٣) وانظر : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام (الجزء الثالث) (١/ ٤٤١) .

[٢] انظر : فتاوى نور على الدرب(٣/ ١٥٣) (٣/ ١٥٤) ، (١/ ٢٤) ، بالترتيب .

وقال أيضاً : " ... وليست الوهَّابيَّة حسب تعبير الكاتب بدعاً في إنكار مثل هذه الأمور البدعيَّة ، بل عقيدة الوهَّابيَّة : هي التَّمسُّك بكتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والسَّير على هديه ، وهدي خلفائه الرَّاشدين ، والتَّابعين لهم بإحسان ، وما كان عليه السَّلف الصَّالح ، وأئمَّة الدِّين والهدى ، أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله ، وإثبات صفات كماله ونعوت جلاله ، التي نطق بها الكتاب العزيز ، وصحَّت بها الأخبار النَّبويَّة ، وتلقَّتها صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقبول والتَّسليم . يثبتونها ويؤمنون بها ويمرُّونها كما جاءت ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ويتمسَّكون بما درج عليه التَّابعون ، وتابعوهم من أهل العلم والإيمان والتَّقوى ، وسلف الأمَّة وأئمَّتها " .

وجاء في مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز : " س : هل صحيح أنَّ الوهَّابيَّة تناصب آل البيت العداء ، وأنَّها تنتقص من سيد الخلق ، وما حقيقة الدَّعوة الوهَّابيَّة ؟ ولماذا تحارب بهذا الشَّكل ؟

ج : الوهَّابيَّة منسوبة إلى الشَّيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله (١٢٠٦هـ) ، وهو الذي قام بالدَّعوة إلى الله سبحانه في نجْد ، وأوضح للنَّاس حقيقة التَّوحيد والشِّرك ، ودعا النَّاس إلى توحيد الله وإفراد العبادة له سبحانه ، وترك التعلُّق على أصحاب القبور ، ممَّن يسمُّون بالأولياء ، ودعاؤهم من دون الله والاستغاثة بهم والاستعاذة بهم والنَّذر لهم " .

وجاء فيها أيضاً : " كما أنَّ الوهَّابيَّة يسيرون على منهج السَّلف الصَّالح من الصَّحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان في العقيدة والقول والعمل ، ويبغضون من خالف سيرتهم ، وخرج عن نهجهم من سائر الطَّوائف ، وهذا هو الحقُّ الذي يجب على كلِّ مسلم أن يسير عليه ، ويعتقده ويدعو إليه ، كما قال الله سبحانه : **﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَّ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَّ كَثِيراً﴾** [الأحزاب: ٢١] (١) .

وقال الشَّيخ محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين (١٤٢١هـ) : " ... وأمَّا ما ذكره من مجادلة الطَّالب له ، وقول بعضهم : إنَّه رجل وهَّابي ، وإنَّ الوهَّابيَّة لا يقرُّون المدائح النَّبويَّة ، وما إلى ذلك ، فإنَّنا نخبره وغيره بأنَّ الوهَّابيَّة – ولله الحمد – كانوا من أشدِّ النَّاس تمسُّكاً بكتاب الله وسنَّة رسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ومن أشدِّ النَّاس تعظيماً لرسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – واتِّباعاً لسنَّته ، ويدلّك على هذا أنَّهم كانوا

---

(١) انظر : مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (١/ ٢٢٨) ، (٩/ ٢٣٠) ، (٩/ ٢٣١) ، بالترتيب .

حريصين دائماً على اتِّباع سُنَّة الرَّسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – والتَّقيُّد بها ، وإنكار ما خالفها من عقيدة ، أو عمل قولي أو فعلي " .

وجاء في مجموع فتاوى ورسائل الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين أيضاً : " وأمَّا قول السَّائل : بأنَّ من فعل هذا كان وهَّابيَّاً ، فإنِّي أبلغ السَّامعين جميعاً بأنَّ الوهَّابيَّة ليست مذهباً مستقلاً أو مذهباً خارجاً عن المذاهب الإسلاميَّة ، بل إنَّها حركة لتجديد ما اندثر من الحقّ !!! وخفي على كثير من النَّاس ، فهم في عقيدتهم متَّبعون للسَّلف ، وفي مذهبهم في الفروع مقلِّدون للإمام أحمد – رحمه الله – ولا يعني ذلك أنَّه إذا تبيَّن الصَّواب لا يدعون من قلَّدوه ، بل هم إذا تبيَّن لهم الصَّواب ، ذهبوا إليه وإن كان مخالفاً لمن قلَّدوه ؛ لأنَّهم يؤمنون بأنَّ المقلَّد عرضة للخطأ ، ولكنَّ النَّصوص الشَّرعيَّة ليس فيها خطأ .

وبهذا تبيَّن أنَّ هذه الدَّعوى التي يقصد بها التَّشويه لا حقيقة لها ، وأنَّ الوهَّابيَّة ما هي إلَّا حركة لتجديد ما اندثر من علم السَّلف في شريعة الله سبحانه وتعالى ، وهي لا تخلو أن تكون دعوة سلفيَّة محضة كما يعرف ذلك من تتبَّعها بعلم وإنصاف " (١) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " ما هي الوهَّابيَّة ؟ السُّؤال الثَّاني من الفتوى رقم (٩٤٥٠) :

س٢: ما هي الوهَّابيَّة ؟

ج٢: الوهَّابيَّة : لفظة يُطلقها خصوم الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله على دعوته إلى تجريد التَّوحيد من الشِّركيَّات ، ونبذ جميع الطُّرق إلَّا طريق محمَّد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومرادهم من ذلك : تنفير النَّاس من دعوته وصدِّهم عمَّا دعا إليه ، ولكن لم يضرها ذلك ، بل زادها انتشاراً في الآفاق وشوقاً إليها ممَّن وفَّقهم الله إلى زيادة البحث عن ماهيَّة الدَّعوة وما ترمي إليه وما تستند عليه من أدلَّة الكتاب والسنَّة الصَّحيحة فاشتدَّ تمسُّكهم بها ، وعضُّوا عليها ، وأخذوا يدعون النَّاس إليها ولله الحمد . وبالله التَّوفيق ، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وَسَلَّم (٢) .

وألَّف إمامهم سليمان بن سحمان كتاباً بعنوان : " الهديَّة السَّنيَّة والتُّحفة الوهَّابيَّة النَّجديَّة" ، جاء فيه : " جواب أهل السُّنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشِّيعة والزَّيديَّة ، وهو ردٌّ على بعض علماء الزَّيديَّة فيما اعترض به على دعوة التَّوحيد الوهَّابيَّة " .

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (٣/ ٦٠) ، (١٣/ ١٤٣) ، بالترتيب .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، المؤلف : اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٢٥٥.

وجاء فيه أيضاً : فصل الاحتجاج بالمُرْسَل وردّ دعوى تكفير الوهَّابيَّة لمن خالفهم مطلقاً (١).

وجاء في كتاب " المورد العذب الزُّلال في كشف شُبه أهل الضَّلال " فصلٌ بعنوان : " من يقاتل الوهَّابيَّة ومن يُكَفِّرون " ، وفصل آخر بعنوان " الوهَّابيَّة لا يكفِّرون إلَّا بما أجمع العلماء على أنَّه كفر " (٢) .

وفي كلامه عن ابن جرجيس قال إمامهم عبد الرَّحمن بن حسن بن محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي (١٢٨٥هـ) : " وادَّعى أنَّ الوهَّابيَّة تكفِّر الأمَّة المحمَّديَّة " (٣) .

وكلام ابن جرجيس حقٌّ لا مرية فيه ، وليس بعد الحقِّ إلَّا الضَّلال ، وقد بيَّنت ووضَّحت ذلك في كتابي :" تكفير الوهَّابيَّة لعموم الأمَّة المحمَّديَّة " ، ومن خلال النَّقل من كتبهم هم أنفسهم ...

وجاء في كتاب " صيانة الإنسان عن وسوسة الشَّيخ دحلان " : " عُلم ممَّا أجملناه أنَّ قواعد الجهل التي بنى عليها الشَّيخ أحمد دحلان ردَّه على الوهَّابيَّة " .

وجاء فيه أيضاً : " ... ذكره السيِّد العلَّامة مولانا السيِّد صديق حسن سلَّمه الله تعالى في كتابه " إتحاف النُّبلاء " ما كان عليه الوهَّابيَّة من الاتِّباع والاجتهاد في الأصول والفروع " (٤) .

وقال إمامهم سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النَّجدي : " ولو جهد أعداء الله ممَّن خالف الوهَّابيَّة أن يستدركوا على الوهَّابيَّة في أصول الدِّين وفروعه أنَّهم استدلُّوا على ما يذهبون إليه بحديث موضوع أو ضعيف لا يصحّ الاحتجاج به لما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، فضلاً من الله ونعمة والله ذو الفضل العظيم " (٥) .

قلت : بل استدرك العلماء على الوهَّابيَّة بمئات المصنَّفات ... لا بالحديث الموضوع بل بالقرآن العظيم المسطَّر بلغة العرب التي سلخوا منها المجاز ... فأنكروا المجاز في القرآن ، وبنوا على ما توهَّموا عقائد كفَّروا من خالفها ... وهنا لا يسعنا إلَّا أن نقول لابن سحمان : " مَادِحُ نَفْسه يُقْرِئُكَ السَّلام " .

---

(١) انظر : جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية ، الجزء الرابع ، القسم الأول) ، (ص٤٧ ، ص١٠٣ بالترتيب) .

(٢) انظر : المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية ، الجزء الرابع، القسم الأول) (ص٣٠٠ ، ٣٠٦ بالترتيب) .

(٣) انظر : كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس (ص٢٩) .

(٤) انظر : صيانة الإنسان عن وسوسة الشَّيخ دحلان (ص١١ ، ص٤٧٣ بالترتيب) .

(٥) انظر : الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية (ص١٩٧) .

وقال إمامهم سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النَّجدي – أيضاً – : " فمذهب الوهَّابيَّة هو مذهب أهل السُّنَّة المحضة ، كالإمام أحمد وذويه ... " .

وقال أيضاً : " نعم قد اشتملت عقيدة الوهَّابيَّة على إثبات الوجه واليد كما ثبت ذلك في الكتاب والسنَّة وأقوال أئمَّة السَّلف ، كما هو معروف مشهور في عقائدهم ، وفيما صنَّفوه من الرَّدّ على الجهميَّة وغيرهم من أهل البدع .

وأمَّا لفظ الجهة ، وجعله سبحانه وتعالى جسماً فهذا من الكذب على الوهَّابيَّة ... " .

وقال أيضاً : " وهذا أيضاً من الكذب على الوهَّابيَّة ، فإنَّهم كانوا على مذهب أحمد بن حنبل ... وهذا أيضاً كذب على الوهَّابيَّة ، فإنَّهم لا يكفِّرون المسلمين " .

وقال أيضاً : " فأمَّا كون الوهَّابيَّة أبت إلَّا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه ، واستقراراً وعلواً فوقه : فنعم ، وبذلك أنزل الله كتبه وأرسل رسله ".

وقال أيضاً : " فالحمد لله الذي أخذ بنواصي الوهَّـــابيَّة فلم يسلكوا طريقة هؤلاء المغضوب عليهم والضَّالين !!! " .

وقال أيضاً : " ... بل الوهَّابيَّة يضعون الآيات القرآنيَّة في معانيها الصَّحيحة ، ويسيرون على منهاج أئمَّة التَّفسير ، ولا يؤوِّلونها على ما يوافق أهواءهم " .

وقال أيضاً : " هذا كذبٌ عليهم ، وما علمنا أحداً قال بهذا من الوهَّابيَّة " (١) .

وفي الكتاب السَّابق أقرَّ صاحب الكتاب الوهَّابي بتسميتهم بالوهَّابيَّة ...

أمَّا المسائل التي نفاها عن الوهَّابيَّة ... فإنِّي أظنُّه كان نعساً أو نائماً عند كتابته ما كتب ...والعكسُ بعكسِ ما قال ... فهم يكفِّرون الأمَّة بالجُملة ، ويقولون بالجِسميَّة والجهة لله تعالى ، وليسوا أبداً على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ويقولون باستقرار الله تعالى على عرشه ، ولا يضعون الآيات القرآنيَّة في معانيها الصَّحيحة ، وهم يؤوِّلونها على ما يوافق أهواءهم ، عصبيَّة للمنهج واتِّباعاً للهوى ...

---

(١) انظر : الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق (ص٢٠٥ ، ص٢٠٩ ، ص٢١١ ، ص٢١٥ ، ص٣٠١ ، ص٣٥٧ ، ص٣٥٩ ، بالترتيب).

وقال إمامهم سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النَّجدي : " وأمَّا الوهَّابيَّة فهم يعلمون ويعتقدون أنَّ الإله هو الذي تألّهه القلوب محبَّة وإجلالاً وتعظيماً وخوفاً ورجاءً وتوكُّلاً ... " .

وقال أيضاً : " قدَّمنا حقيقة مذهب الوهَّابيَّة وبينَّا أصوله بالأدلَّة الشَّرعيَّة والبراهين العقليَّة " .

وقال أيضاً : " وأمَّا انتساب الوهَّابيَّة إلى مذهب أحمد فنعم " .

وقال أيضاً : " وإذا كان هذا هو معتقد الوهَّابيَّة فأيّ عيب يوجَّه إليهم ؟!! وأي بيان أوضح من هذا البيان " .

وقال أيضاً : " وكذلك ما ينسبونه عن الوهَّابيَّة من الأكاذيب التي يشنِّعون بها وينفِّرون بها النَّاس عن الدُّخول في دين الله ورسوله ظلماً وعدواناً "(١).

وقال المدعو أبو سهل محمَّد بن عبد الرَّحمن المغراوي : " قال رحمه الله – يقصد محمَّد البشير الإبراهيمي (١٣٨٥هـ) – : " أنَّهم موتورون لهذه الوهَّابيَّة التي هدمت أنصابهم ومحت بدعهم فيما وقع تحت سلطانهم من أرض الله ، وقد ضجَّ مبتدعة الحجاز فضجَّ هؤلاء لضجيجهم ، والبدعة رحم ماسة ، فليس ما نسمعه هنا من ترديد كلمة (وهَّابي) تُقذف في وجه كلّ داعٍ إلى الحقِّ إلَّا نواحاً مُردَّداً على البدع التي ذهبت صرعى لهذه الوهَّابيَّة " (٢) .

وجاء في مجموعة الرَّسائل والمسائل النَّجديَّة قولهم : " الرَّدّ على فِرية : أنَّ الوهَّابيَّة يُلزمون النَّاس تكفير آباءهم وأجدادهم ... " (٣) .

فالوهَّابيَّة اسم خلعه أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب على أنفسهم مُرتضين ومُقرِّين به ، وهي في حقيقتها فتنة دهماء ألَّمت بالمسلمين ، أذكاها وزاد من أُوارها المستعمر البغيض ، حتى فعلت من الأفاعيل ما يشيب لهوله الوليد ، وانتسابها للسَّلف الصَّالح مجرَّد انتساب اسم لا انتساب منهج وعقيدة ، لأنَّ أفاعيلهم التي

---

(١) انظر : كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام وبراءة الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب (ص٩١ ، ص٩٣ ، ص١١١ ، ص١١٨ ، ص٢٥٣ بالترتيب) .

(٢) انظر : موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٩/ ٤٦٢) .

(٣) انظر : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (الجزء الرابع ، القسم الثاني) (١/ ٨٣٥) .

فعلوها منذ نشأتهم تدلُّ دلالة قطعيَّة على أنَّهم لم يسيروا قط على منهج السَّلف الصَّالح ، بل إنَّ الكثير من عقائدهم وأفاعيلهم وممارساتهم لا تدلَّ البتَّة على منهج الإسلام وروحه وشريعته ... (١) .

ومن المعلوم أنَّ المُستقرئ لكتب الوهَّابيَّة وكذا الكُتب المعتمدة عندهم يجد أنَّهم أساؤوا لمقام ومكانة سيِّد الخلق سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى أنَّ الإنسان ليعلم يقيناً أنَّ في قلوبهم شيء منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... فقد مَنَعوا الاحتفال بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنكروا على من يتوسَّل إلى الله تعالى به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واعتبروا التَّوسُّلَ به إلى الله تعالى شركاً أو سبيلاً يؤدِّي إلى الشِّرك ، ولأجل ذلك هدموا ما طالته أيديهم من آثاره عليه الصّلاة والسَّلام ، ولا يُبقوا منها إلَّا القليل القليل ... ومنعوا من شدِّ الرِّحال لزيارة القبر الشَّريف ، واعتبروا السَّفر لزيارته معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ، لأنَّ زيارة القبر الشَّريف عندهم بدعة ، وأنَّ السُّنَّة هي زيارة المسجد النَّبوي، مع أنَّ المسجد لم يشرف إلَّا به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكيف لا وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلق على الإطلاق ... وقد نصَّ على ذلك غير واحدٍ من أهل العلم :

قال الإمام الشَّافعي أبو عبد الله محمَّد بن إدريس بن العبَّاس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكِّي (٢٠٤هـ) : " النَّاسُ عِبَادُ اللهِ فَأَوْلَاهُمْ أَنْ يَكُونَ مُقَدَّمًا أَقْرَبُهُمْ بِخِيَرَةِ اللهِ لِرِسَالَتِهِ وَمُسْتَوْدَعِ أَمَانَتِهِ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَخَيْرِ خَلْقِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٌ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ " (٢) .

قال أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ) : " وَلَا خِلَاف أَنَّ مَوْضع قَبْرِه أَفْضَل بِقَاع الْأَرْض " (٣) .

وقال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) في شرحه لحديث : " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ ": " وَهَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ لِتَفْضِيلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ لِأَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْآدَمِيِّينَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْآدَمِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ " (٤)

---

(١) انظر كتابنا : وهَّابيَّة لا سلفيَّة .

(٢) انظر : الأم (٤/ ١٦٧) .

(٣) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المساة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء (٢٩١) .

(٤) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٥/ ٣٧) .

وقال الإمام ابن تيمية الحرَّاني (٧٢٨هـ) : " فَإِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَهُ مِنْ الْفَضَائِلِ الَّتِي مَيَّزَهُ اللهُ بِهَا عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ مَا يَضِيقُ هَذَا الْمَوْضِعُ عَنْ بَسْطِهِ " (١) .

وقال الإمام السَّخاوي (٩٠٢هـ) : " ... وأفضليَّتها على مكَّة وقد ذهب لكلٍّ من القولين جماعة مع الإجماع على أفضليَّة البُقعة التي ضمَّته حتَّى على الكعبة المفضَّلة على أصل المدينة بل على العرش فيما صرَّح به ابن عقيل من الحنابلة.

ولا شكَّ أنَّ مواضع الأنبياء وأرواحهم أشرف ممَّا سواها من الأرض والسَّماء ، والقبر الشَّريف أفضلها لما تتنزَّل عليه من الرَّحمة والرِّضوان والملائكة التي لا يعملها إلَّا مانحها ولساكنه عند الله من المحبَّة والاصطفاء ما تقصر العقول عن إدراكه " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) : " قال القاضي عياض بعد حكاية الخلاف: ولا خلاف أنَّ موضع قبره- صلى الله عليه وسلم- أفضل بقاع الأرض انتهى.

ولا ريب أنَّ نبيّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل المخلوقات، فليس في المخلوقات على الله تعالى أكرم منه، لا في العالم العلويّ ولا في العالم السُّفليّ كما تقدَّم في الباب الأوَّل من الخصائص " (٣) .

وقال الإمام الرَّمْلي (٩٥٧هـ) : " وَمَحَلُّ التَّفَاضُلِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ قَبْرِ النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَمَّا هُوَ فَأَفْضَلُ بِالْإِجْمَاعِ كَمَا نَقَلَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ قَالَ ابْنُ قَاضِي شُهْبَةَ قَالَ شَيْخِي وَوَالِدِي وَقِيَاسُهُ أَنْ يُقَالَ إنَّ الْكَعْبَةَ الْمُشَرَّفَةَ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ بِقَاعِ الْمَدِينَةِ قَطْعًا مَا عَدَا مَوْضِعَ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ وَبَيْتَ خَدِيجَةَ الَّذِي بِمَكَّةَ أَفْضَلُ مَوْضِعٍ مِنْهَا بَعْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قَالَهُ الْمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي إيضَاحِهِ الْمُخْتَارِ اسْتِحْبَابُ الْمُجَاوَرَةِ بِمَكَّةَ إلَّا أَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِ الْوُقُوعُ فِي الْأُمُورِ الْمَحْذُورَةِ وَقَوْلُهُ، وَأَمَّا هُوَ فَأَفْضَلُ بِالْإِجْمَاعِ قَالَ شَيْخُنَا وَأَفْضَلُ مِنْ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمِنْ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَمِنْ الْجَنَّةِ " (٤) .

وقال الإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (٩٧٣هـ) : " ... وَهِيَ كَبَقِيَّةِ الْحَرَمِ أَفْضَلُ الْأَرْضِ عِنْدَنَا وَعِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ لِلْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ الْمُصَرِّحَةِ بِذَلِكَ وَمَا عَارَضَهَا بَعْضُهُ ضَعِيفٌ وَبَعْضُهُ مَوْضُوعٌ

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٣١٣) .

(٢) انظر : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (١/ ٢٠) .

(٣) انظر : سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٣٥٣) .

(٤) انظر : حاشية الرملي الكبير ضمن كتاب أسنى المطالب في شرح روض الطالب (١/ ٤٧٤) .

كَمَا بَيَّنْته فِي الْحَاشِيَةِ وَمِنْهُ خَبَرُ «إنَّهَا أَيْ الْمَدِينَةَ أَحَبُّ الْبِلَادِ إلَى اللَّهِ تَعَالَى» فَهُوَ مَوْضُوعٌ اتِّفَاقًا، وَإِنَّمَا صَحَّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ نِزَاعٍ فِيهِ فِي مَكَّةَ إلَّا التُّرْبَةُ الَّتِي ضَمَّتْ أَعْضَاءَهُ الْكَرِيمَةَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَهِيَ أَفْضَلُ إجْمَاعًا حَتَّى مِنْ الْعَرْشِ " (١) .

وقال الإمام ملَّا علي القارّي (١٠١٤هـ) : " أجمعوا على أنَّ أفضل البلاد مكَّة والمدينة زادهما الله شرفًا وتعظيمًا، ثمَّ اختلفوا بينهما أي في الأفضل منهما، وفي تفاوت ما بينهما ، وكان الأولى أن يقول : اختلفوا في أيّهما أفضل ، فقيل: مكَّة أفضل من المدينة، وهو مذهب الأئمَّة الثَّلاثة وهو المرويُّ عن بعض الصَّحابة، وقيل: المدينة أفضل من مكَّة، وهو قول بعض المالكيَّة ومن تبعهم من الشَّافعيَّة، قيل : وهو المروي عن بعض الصَّحابة ، ولعلَّ هذا مخصوصٌ بحياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بالنِّسبة إلى المهاجرين من مكَّة (وقيل بالتَّسوية بينهما) هذا قول مجهول لا منقول ولا معقول ، وكأنَّ قائله نظر إلى مجرَّد المعارضة بين أفعال الأئمَّة (والخلاف (أي الاختلاف المذكور محصور (فيما عدا موضع القبر المُقدَّس) وكذا في غير البيت المستأنس ، فإنَّ الكعبة أفضل من المدينة ما عدا الضَّريح الأقدس بالاتِّفاق ، وكذا الضَّريح أفضل من المسجد الحرام بلا خلاف ، بل قال الجمهور(فما ضمَّ أعضاؤه الشَّريفة فهو أفضل بقاع الأرض بالإجماع أي بالاتِّفاق النَّقلي أو بالإجماع السُّكوتي (حتَّى من الكعبة) أي عند بعضهم ، (ومن العرش) أي أيضاً (على ما صرَّح به بعضهم) ، فقد نقل القاضي عياض وغيره الإجماع على تفضيل ما ضمّ الأعضاء الشَّريفة حتَّى على الكعبة المنيفة ، وأنَّ الخلاف فيما عداه ، ونقل عن ابن عقيل الحنبلي أنَّ تلك البُقعة أفضل من العرش ، وقد وافقه السَّادة البكريُّون على ذلك " (٢) .

وقال الإمام زي عبد الرَّؤوف المناوي القاهري (١٠٣١هـ) : " والخلاف فيما عدا الكعبة فهي أفضل من المدينة اتفاقاً خلا البقعة التي ضمَّت أعضاء الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهي أفضل حتى من الكعبة ، كما حكى عياض الإجماع عليه " (٣) .

وقال الإمام البهُوتى الحنبلى (١٠٥١هـ) : " قَالَ فِي الْفُنُونِ: الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ مِنْ مُجَرَّدِ الْحُجْرَةِ فَأَمَّا وَالنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا فَلَا وَاَللَّهِ وَلَا الْعَرْشُ وَحَمَلَتُهُ وَالْجَنَّةُ ؛ لِأَنَّ بِالْحُجْرَةِ جَسَدًا لَوْ وُزِنَ بِهِ لَرَجَحَ " (١) .

---

(١) انظر : تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٤/ ٦٤) .

(٢) انظر : المسلك المقسط في المنسك المتوسّط ، علي القاري (ص٢٨٧-٢٨٨) ، مطبعة الترقي ، مكة المكرمة ، ١٣٢٨هـ .

(٣) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (٦/ ٢٦٤) .

وقال الإمام النفراوي الأزهري المالكي (١١٢٦هـ) : " وَلَكِنْ وَقَعَ الِاخْتِلَافُ فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ بَعْدَ الِاتِّفَاقِ عَلَى أَنَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ دُونَهُمَا فِي الْفَضْلِ، فَالَّذِي ذَهَبَ إلَيْهِ مَالِكٌ أَنَّ الْمَدِينَةَ أَفْضَلُ وَوَافَقَهُ عَلَى هَذَا أَكْثَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَحْمَدُ فِي أَشْهَرِ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ: إنَّ مَكَّةَ أَفْضَلُ.

قَالَ خَلِيلٌ: وَالْمَدِينَةُ أَفْضَلُ، ثُمَّ مَكَّةُ أَفْضَلُ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمَسَاجِدِ الْمَنْسُوبَةِ لَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَمَسْجِدِ قُبَاءَ وَمَسْجِدِ الْفَتْحِ، وَمَسْجِدِ الْعِيدِ، وَمَسْجِدِ ذِي الْحُلَيْفَةِ وَغَيْرِهَا، اُنْظُرْ التَّتَّائِيَّ وَالْأُجْهُورِيَّ فِي شَرْحِهِ عَلَى خَلِيلٍ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: وَالتَّفْضِيلُ مَبْنِيٌّ عَلَى كَثْرَةِ الثَّوَابِ الْمُتَرَتِّبِ عَلَى الْعَمَلِ فِيهِمَا، وَالْخِلَافُ الْمَذْكُورُ بَيْنَ الْأَئِمَّةِ فِي غَيْرِ قَبْرِ الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِقِيَامِ الْإِجْمَاعِ عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ عَلَى سَائِرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَعَلَى الْكَعْبَةِ وَعَلَى الْعَرْشِ كَمَا نَقَلَهُ السُّبْكِيُّ لِضَمِّهِ أَجْزَاءِ الْمُصْطَفَى الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَعَلَّ مَعْنَى فَضْلِ الْقَبْرِ عَلَى غَيْرِهِ أَنَّهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنْ غَيْرِهِ، لا لِمَا قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ فِي تَفْضِيلِ الْمَسَاجِدِ عَلَى بَعْضِهَا فَافْهَمْ " (٢) .

وقال الإمام البُجَيْرَمِيّ (١٢٢١هـ) : " قَالَ الرَّمْلِيُّ فِي شَرْحِهِ: وَمَكَّةُ أَيْ وَكَذَا بَقِيَّةُ الْحَرَمِ أَفْضَلُ الْأَرْضِ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ النِّزَاعَ كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرُهُ، وَأَفْضَلُ بِقَاعِهَا الْكَعْبَةُ الْمُشَرَّفَةُ ثُمَّ بَيْتُ خَدِيجَةَ بَعْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، نَعَمْ التُّرْبَةُ الَّتِي ضَمَّتْ أَعْضَاءَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ مَا مَرَّ حَتَّى مِنْ الْعَرْشِ " (٣) .

وقال الإمام ابن عابدين (١٢٥٢هـ) : " قَالَ فِي اللُّبَابِ: وَالْخِلَافُ فِيمَا عَدَا مَوْضِعَ الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ، فَمَا ضَمَّ أَعْضَاءَهُ الشَّرِيفَةَ فَهُوَ أَفْضَلُ بِقَاعِ الْأَرْضِ بِالْإِجْمَاعِ. اهـ. قَالَ شَارِحُهُ: وَكَذَا أَيْ الْخِلَافُ فِي غَيْرِ الْبَيْتِ: فَإِنَّ الْكَعْبَةَ أَفْضَلُ مِنْ الْمَدِينَةِ مَا عَدَا الضَّرِيحَ الْأَقْدَسَ وَكَذَا الضَّرِيحُ أَفْضَلُ مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. وَقَدْ نَقَلَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَغَيْرُهُ الْإِجْمَاعَ عَلَى تَفْضِيلِهِ حَتَّى عَلَى الْكَعْبَةِ، وَأَنَّ الْخِلَافَ فِيمَا عَدَاهُ. وَنُقِلَ عَنْ ابْنِ عَقِيلٍ الْحَنْبَلِيِّ أَنَّ تِلْكَ الْبُقْعَةَ أَفْضَلُ مِنْ الْعَرْشِ، وَقَدْ وَافَقَهُ السَّادَةُ الْبَكْرِيُّونَ عَلَى ذَلِكَ. وَقَدْ صَرَّحَ التَّاجُ الْفَاكِهِيُّ بِتَفْضِيلِ الْأَرْضِ عَلَى السَّمَوَاتِ لِحُلُولِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِهَا، وَحَكَاهُ بَعْضُهُمْ عَلَى الْأَكْثَرِينَ لِخَلْقِ

---

(١) انظر : دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات (١/ ٥٦٧-٥٦٨) .

(٢) انظر : الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٤٢٢) .

(٣) انظر : تحفة الحبيب على شرح الخطيب (حاشية البجيرمي على الخطيب) (١/ ٧٢) .

الْأَنْبِيَاءِ مِنْهَا وَدَفْنِهِمْ فِيهَا وَقَالَ النَّوَوِيُّ: الْجُمْهُورُ عَلَى تَفْضِيلِ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُسْتَثْنَى مِنْهَا مَوَاضِعُ ضَمِّ أَعْضَاءِ الْأَنْبِيَاءِ لِلْجَمْعِ بَيْنَ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ) : " ... وَمَحَلُّ الْخِلَافِ فِي غَيْرِ الْمَوْضِعِ الَّذِي ضَمَّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ الْكَعْبَةِ وَالسَّمَاءِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَيَلِيهِ الْكَعْبَةُ فَهِيَ أَفْضَلُ مِنْ بَقِيَّةِ الْمَدِينَةِ اتِّفَاقاً " (٢) .

ومع ذلك كلِّه وغيره الكثير من أقوال أهل العلم رأينا الشَّيخ ابن عثيمين يتنكَّر لما أجمعت عليه الأمَّة من كونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلق ، فيقول : " المشهور عند كثير من العلماء إطلاق هذه العبارات أنَّ محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلق كما قال الناظم:

وأفضل الخلق على الإطلاق نبيّنا فمل عن الشِّقاق

لكن الأحوط والأسلم أن نقول: محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد ولد آدم، وأفضل البشر، وأفضل الأنبياء، أو ما أشبه ذلك اتِّباعاً لما جاء به النَّص، ولم أعلم إلى ساعتي هذه أنَّه جاء أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلق مطلقاً في كلِّ شيء.

وأمَّا الاستدلال بالآية: **﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** [النحل:٨] ففي غير محلِّه؛ لأنَّ هذه الآية في المركوبات قال الله تعالى: **﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** [النحل:٨] أي: ممَّا تركبون، وهو -أيضاً- يخلق ما لا نعلم من غير ما نركب، لكن الاستدلال بهذه الآية على أنَّ الله يخلق خلقاً خيراً من محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه نظر، إنَّما الأسلم أنَّ الإنسان في هذه الأمور يتحرَّى ما جاء به النَّص.

مثلاً لو قال قائل: هل فضل الله بني آدم عموماً على جميع المخلوقات؟ قلنا: لا؛ لأنَّ الله تعالى قال: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾** [الإسراء:٧٠] لم يقل: على كلِّ من خلقنا، فمثل هذه الإطلاقات ينبغي على الإنسان أن يتقيَّد فيها بما جاء به النَّص فقط ولا يتعدَّى.

والحمد لله، نحن نعلم أنَّ محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النَّبيِّين، وأشرف الرُّسل وأفضلهم وأكرمهم عند الله عزَّ وجلَّ، وأدلَّة ذلك من القرآن والسُّنَّة الصَّحيحة معروفة مشهورة، وأمَّا ما لم يرد به

---

(١) انظر : رد المحتار على الدر المختار (٢/ ٦٢٦) .

(٢) انظر : منح الجليل شرح مختصر خليل (٣/ ١٣٣) .

دليل صحيح فإنَّ الاحتياط أن نتورَّع عنه، أمَّا كون هذه من عبارات الصُّوفيَّة أو غير الصُّوفيَّة فلا أدري، لكنَّه مشهور عند كثير من العلماء، تجدهم يقولون: إنَّ محمَّداً أشرف الخلق " [1] ...

وقد أدَّت مواقفهم السَّلبيَّة من خير البريَّة إلى جملة من النَّتائج الخطيرة ، منها :

أوَّلاً : تجرؤ الرّعاع الجهلة من أتباعهم على مقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... كما سترى ... وبالتَّالي ضعفت العلاقة بين المسلم وبين النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والتي يجب أن تكون قائمة على مبدأ الإجلال والتَّعظيم والتَّوقير والتَّبجيل ...

ثانياً : عدم التَّهيُّب من تكفير المُخالفين الذين يحتفلون بالمولد النَّبوي ، ويتوسَّلون إلى الله تعالى به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبالصَّالحين وتبديعهم وإخراجهم من ربقة الدِّين ...

ثالثاً : انتشار البغضاء والحقد والاستخفاف بالآخرين ممَّن هم ليسوا على طريقتهم ومنهجهم ... وقد عانينا كما عانى الكثيرون من مثل هذا السُّلوك السَّلبيّ المُشين الذي لا ينم عن أخلاق الإسلام البتَّة ... ولدرجة أنَّ بعضهم ما كان يُبادر الآخرين بالسَّلام وربَّما لو طُرح عليه السَّلام لا يردُّه ...

رابعاً : صرْفُ جهود علماء الأمَّة إلى قضايا هامشيَّة أثقلت منهم الكواهل في الرَّدِّ على ترَّهاتهم وأوهامهم وخزعبلاتهم ...

فلأجل الإحاطة بالأُطُر العريضة التي تُبيِّنُ موقفهم من سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء هذا الكتاب الذي اشتمل على مُقدِّمة وأحد عشر مبحثاً ، وعلى النَّحو التالي :

المُقَدِّمَةُ : ....

المَبْحَثُ الأوَّلُ : حَرَّمُوا شَدُّ الرَّحْلِ لِزِيَارَةِ قَبْرِ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

المَبْحَثُ الثَّانِي : حَرَّمُوا التَّبَرُّكُ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِآثَارِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ انْتِقَالِهِ إِلَى الرَّفِيْقِ الأَعْلَى .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : حَرَّمُوا الإحْتِفَالُ بِالْمُوْلِدِ النَّبَوِيِّ .

المَبْحَثُ الرَّابعُ : حَرَّمُوا التَّوسُّلَ إِلَى الله تَعَالَى بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

المَبْحَثُ الخَامِسُ : أَنْكَرُوا رُؤيَتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اليَقَظَة .

المَبْحَثُ السَّادِسُ : اعْتَبَرُوا قَبْرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَنَماً ، وَأَنَّ وُجُوْدَ القبَّة الخَضْرَاءِ عَلَى قَبْرِهِ بِدْعَة ، وَجُمْلَة مِنْ فَتَاوِيْهِمْ بِحَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام .

---

[1] انظر : لقاء الباب المفتوح (٥٣/ ١٢) .

المَبْحَثُ السَّابِعُ : حَكَمُوا بِكُفْرِ وَالِدَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

المَبْحَثُ الثَّامِنُ : هَدَمُوا الآثَارِ المُتَعَلِّقَةِ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

المَبْحَثُ التَّاسِعُ : مَنَعُوا تَسْوِيْدُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّشَهُّد فِي الصَّلَاة .

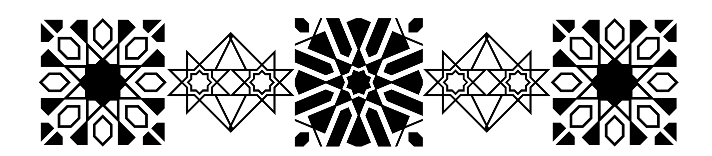
المَبْحَثُ العَاشِرُ : أَنْكَرُوا تَسْمِيَةَ المَدِيْنَة بِالمُنَوَّرَةِ وَسَمُّوْهَا بِالمَدِيْنَةِ النَّبَوِيَّة .

المَبْحَثُ الحَادِي عَشَر : حَرَّمُوا كِتَابَةَ اسْمِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَانِبِ اسْمِ الجَلَالَةِ (الله) .

المَبْحَثُ الثَّانِي عَشَر : غَيَّروا صِيْغَةِ السَّلَام عَليْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التَّشهُّد من : السَّلام عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبي وَرَحْمَةُ اللهَّ وَبَرَكَاتُهُ ، إِلَى صِيْغَةِ : السَّلَامُ عَلَى النَّبي .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوْبُ إِلَيْكَ ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْن

Dr.alimig59@yahoo.com



المَبْحَثُ الأَوَّلُ

حَرَّمُوا شَدَّ الرَّحْل لِزِيَارَةِ قَبْرِ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من المعلوم أنَّ زيارة قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَّة من السُّنن ، مُجمَعٌ عليها ، ومرغَّب فيها ، حتى أنَّ الحجَّاج كانوا ولا زالوا إذا قضوا حجَّهم توجَّهوا لزيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وحتى المعتمرين ... يدفعهم الشَّوق والمحبَّة لزيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيقطعون آلاف الكيلومترات ، ويُنفقون نفيس المال ، لزيارة قبره الشَّريف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والدُّعاء بحضرته ، والتَّوسُّل إلى الله تعالى به ... ولم يُخالف في ذلك إلَّا نفرٌ يسير ، جعلوا من شدِّ الرِّحال لزيارته بدعة ومعصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ...

فقد جاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " السُّؤال الثَّالث من الفتوى (٤٢٣٠) :

س٣: هل تجوز نيَّة السَّفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصَّالحين مثل نبيِّنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره ، وهل هذه الزِّيارة شرعيَّة أم لا ؟

ج٣: لا يجوز شدُّ الرِّحال لزيارة قبور الأنبياء والصَّالحين وغيرهم ، بل هو بدعة ، والأصل في ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى " (١) .

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ " (١) .

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٦٠ برقم ١١٨٩) ، مسلم (٢/ ١٠١٤ برقم ١٣٩٧) ، الطيالسي المسند (٢/ ٥٨٥ برقم ١٤٤٥) ، الحميدي في المسند (٢/ ٣٣٠ برقم ٧٥٠) ، أحمد في المسند (٦/ ٣٩٧ برقم ٢٧٧٧٢) ، الدارمي (٢/ ٨٩١ برقم ١٤٦١) ، الفاكهي في أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه (٢/ ٩٢ برقم ١٢٠٧) ، ابن ماجة (١/ ٤٥٢ برقم ١٤٠٩) ، الترمذي (١/ ٤٣٠ برقم ٣٢٦ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) ، ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٢٢٢ برقم ٩٧٧) ، البزار (١/ ٢٩١ برقم ١٨٧) ، النسائي في السنن الصغرى (٢/ ٣٧ برقم ٧٠٠) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/ ٥٢ برقم ٥٧٧) ، ابن حبان (٤/ ٤٩٦ برقم ١٦١٧) ، الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٣٤٦ برقم ٢١٨٧) ، المعجم الصغير (١/ ٢٩١ برقم ٤٨٢) ، المعجم الكبير (١٢/ ٣٣٧ برقم ١٣٢٨٣) ، مسند الشاميين (٢/ ٣٠٨ برقم ١٤٠٠) ، أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٣٠٨) ، ابن عساكر في معجم الشيوخ (١/ ٢٩٥ برقم ٣٤٨) ، البيهقي في معرفة السنن والآثار (٧/ ٣٤٧ برقم ٥٨٤٦) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (٢/ ٣٨٨ برقم ١١٦٠) ، السنن الكبرى (٥/ ٤٠١ برقم ١٠٢٦٣) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٤١٨ برقم ١٥٥٤٣) .

وأمَّا زيارتهم دون شدِّ رحال فسُنَّة ؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " زُوْرُوا القُبُوْرَ فَإِنَّها تُذَكِّرُكُم الآخِرَة " . خرَّجه مسلم في صحيحه (٢) .

وبالله التَّوفيق . وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم .

اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء (٣) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " السُّؤال السَّابع من الفتوى رقم (١٠٧٦٨) :

س٧: هل يلزم الحجَّاج من رجال ونساء زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والبقيع ، وأُحُد ، وقباء ، أم الرِّجال فقط ؟

ج٧: لا يلزم الحجَّاج رجالاً ونساء زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا البقيع ، بل يحرم شدُّ الرِّحال إلى زيارة القبور مطلقاً ، ويحرم ذلك على النِّساء ولو بلا شدِّ رحال ؛ لقول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى" . متَّفق عليه ، ولأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لعن زائرات القبور " (٤) ، ويكفي النِّساء أن يصلين في المسجد النَّبويِّ ، ويكثرن من الصَّلاة والسَّلام على الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد وغيره .

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٤٣ برقم ١٧١٨) ، ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٨ برقم ٥٢) ، أحمد في المسند (٦/ ١٤٦ برقم ٢٥٦٤١) ، أبو عوانة في المستخرج (٤/ ١٧١ برقم ٦٤١٠) ، الدارقطني في السنن (٥/ ٤٠٦ برقم ٤٥٣٧) ، البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١/ ١٨٠ برقم ١٩٢) ، الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري في المسند (١/ ٣٩ برقم ٤٩) ، ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣١١ برقم ١٤٧) .

(٢) لم يخرجه مسلم بهذا اللفظ ، وإنما خرَّجه بلفظ : " فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ " انظر صحيح مسلم (٢/ ٦٧١ برقم ٩٧٦) ، وأخرجه باللفظ الذي ذكرته اللجنة الدَّائمة : ابن ماجة (١/ ٥٠٠ برقم ١٥٦٩) .

(٣) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى (١/ ٤٣٠-٤٣١) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٧١ برقم ٢٠٣٠) ، قال الأرنؤوط : " حسن لغيره دون ذِكر السُرج، وهذا إسناد ضعيف، أبو صالح: واسمه باذام، وهو مولى أم هانئ، ضعيف ضعفه أبو حاتم والنسائي والعقيلي وابن عدي وابن الجارود وأبو أحمد الحاكم وابن حبان وغيرهم، وأخطأ ابن حبان، فجزم في "صحيحه" (٣١٧٩) أنه: ميزان البصري الثقة المأمون، ولم يتابَع. وسيأتي ذكر شواهده والكلام عليه عند الحديث (٢٦٠٣) .

وأخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٣٧٦ و٣/ ٣٤٤ عن وكيع، بهذا الإسناد.

وأخرجه الحاكم ١/ ٣٧٤ من طريق يحيى القطان، به.

وأخرجه الطيالسي (٢٧٣٣) ، وأبو داود (٣٢٣٦) ، والحاكم ١/ ٣٧٤، والبيهقي ٤/ ٧٨ من طرق عن شعبة، به.

وأخرجه ابن ماجه (١٥٧٥) ، والترمذيَ (٣٢٠) ، والنسائي ٤/ ٩٤-٩٥، وابن حبان (٣١٧٩) و (٣١٨٠) ، والبغوي (٥١٠) من طريق عبد الوارث بن سعيد، عن محمَّد بن جحادة، به.

وبالله التَّوفيق . وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم .

اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء [١] .

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ) : " ... وقد وردت أحاديث صحيحة في الحثِّ على زيارة القبور عامَّة للعبرة والاتِّعاظ والدُّعاء للميت . أمَّا الأحاديث الواردة في زيارة قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصَّة فكلُّها ضعيفة كما تقدَّم [٢] ، بل قيل إنَّها موضوعة ، فمن رغب في زيارة القبور أو في زيارة قبر الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام زيارة شرعيَّة للعبرة والاتِّعاظ ، والدُّعاء للميِّت ، والصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والتَّرضِّي عن صاحبيه من دون أن يشدّ الرِّحال لها ، وينشئ سفراً لذلك ، فزيارته مشروعة ، ويرجى له فيها الأجر .

وأمَّا من شدَّ لها الرِّحال أو زارها يرجو بركتها والانتفاع بها ، أو جعل لزيارتها مواعيد خاصَّة فزيارته مبتدعة !!! لم يصح فيها نصٌّ ، ولم تعرف عن سلف هذه الأمَّة ، بل وردت النُّصوص بالنَّهي عنها كحديث : " لا تشدُّ الرِّحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى " رواه البخاري ومسلم ، وحديث : " لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ " رواه محمَّد بن

---

[١] انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى (١/ ٤٣١) .

[٢] ابداً الكلام ليس صحيحاً ... فبمجموع الأحاديث الواردة في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام يحصل القوة ... قال أبو الحسنات محمَّد عبد الحي اللكنوي في التعليق الممجد على موطأ محمد:

" قوله: وما يستحب من ذلك، أي من زيارة قبره اختلف فيه بعد ما اتفقوا على أن زيارة قبره (صلى الله عليه وسلم) من أعظم القربات وأفضل المشروعات ومن نازع في مشروعيته فقد ضل وأضل، فقيل: إنه سنة ذكره بعض المالكية وقيل: إنه واجب وقيل قريب من الواجب، وهو في حكم الواجب مستدلا بحديث "من حج ولم يزرني فقد جفاني" أخرجه ابن عدي والدارقطني وغيرهما وليس بموضوع كما ظنه ابن الجوزي وابن تيمية بل سنده حسن عند جمع وضعيف عند جمع وقيل: إنه مستحب بل أعلى المستحبات وقد ورد في فضله أحاديث فمن ذلك "من زار قبري وجبت له شفاعتي". أخرجه الدارقطني وابن خزيمة وسنده حسن، وفي رواية الطبراني "من جاءني زائرا لا تعلمه حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا". وعند ابن أبي الدنيا عن أنس: من زارني محتسبا كنت له شفعيا وشهيدا. وأكثر طرق هذه الأحاديث وأن كانت ضعيفة لكن بعضها سالم عن الضعف القادح وبالمجموع يحصل القوة كما حققه الحافظ ابن حجر في "التلخيص الحبير" والتقي السبكي في كتابه "شفاء السقام في زيارة خير الأنام" وقد أخطأ بعض معاصريه وهو ابن تيمية حيث ظن أن الأحاديث الواردة في هذا الباب كلها ضعيفة بل موضوعة وقد ألفت في هذا البحث رسائل على رغم أنف المعاند الجاهل حينما ذهب بعض أفاضل عصرنا إلى مكة ورجع من غير زيارة مع استطاعته وألف ما لا يليق ذكره فالله يصلحنا ويصلحه ويوفقنا ويوفقه" انظر : موطأ الإمام مالك مع التعليق الممجد على موطأ محمَّد ، عبد الحي اللكنوي (٣/ ٤٨١-٤٨٢) ، دار السنة والسيرة ، بومباي ، دار القلم ، دمشق .

عبد الواحد المقدسي رحمه الله في كتابه " الأحاديث المختارة " ، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم " (١) .

وما قاله ابن باز وابن عثيمين وغيرهم من المتمسلفة هو بعض ممَّا علَّمهم إيَّاه ابن تيمية ، لأنَّهم لايحيدون عمَّا قاله قيْد أُنملة (٢) ...

فَقَد صَرَّح ابن تيمية بأنَّ السَّفر لزيارة قبر نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا غيره من الأنبياء والصَّالحين ، غلط ... فيقول : " ... وَهَذَا ظَنَّ أَنَّ السَّفَرَ إلَى زِيَارَةِ نَبِيِّنَا كَالسَّفَرِ إلَى غَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَهُوَ غَلَطٌ مِنْ وُجُوهٍ :

أَحَدُهَا: أَنَّ مَسْجِدَهُ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَالسَّفَرَ إلَيْهِ مَشْرُوعٌ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ ؛ بِخِلَافِ غَيْرِهِ .

وَالثَّانِي : أَنَّ زِيَارَتَهُ كَمَا يُزَارُ غَيْرُهُ مُمْتَنِعَةٌ ، وَإِنَّمَا يَصِلُ الْإِنْسَانُ إلَى مَسْجِدِهِ وَفِيهِ يَفْعَلُ مَا شُرِعَ لَهُ .

الثَّالِثُ : أَنَّهُ لَوْ كَانَ قَبْرُ نَبِيِّنَا يُزَارُ كَمَا تُزَارُ الْقُبُورُ لَكَانَ أَهْلُ مَدِينَتِهِ أَحَقَّ النَّاسِ بِذَلِكَ ، كَمَا أَنَّ أَهْلَ كُلِّ مَدِينَةٍ أَحَقُّ بِزِيَارَةِ مَنْ عِنْدَهُمْ مِنْ الصَّالِحِينَ ، فَلَمَّا اتَّفَقَ السَّلَفُ وَأَئِمَّةُ الدِّين عَلَى أَنَّ أَهْلَ مَدِينَتِهِ لَا يَزُورُونَ قَبْرَهُ ،

---

(١) انظر : مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (١٧/٤١٨-٤١٩) ، والحديث أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (٢/ ٤٩ برقم ٤٢٨، وقال : فِي إِسْنَاده لين) .

(٢) من المعلوم أن محمَّد بن عبد الوهاب لا يحيد عما قاله ابن تيمية قيد أنمله وكذا أتباعه من المتمسلفة ... قال مفتي الحنابلة بمكة المتوفى سنة ١٢٩٥ هـ الشَّيخ محمَّد بن عبد الله النجدي الحنبلي في كتابه "السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة" في ترجمة والد محمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان ما نصّه : "وهو والد محمَّد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الافاق، لكن بينهما تباين مع أن محمدًا لم يتظاهر بالدعوة إلا بعد موت والده، وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عمّن عاصر الشَّيخ عبد الوهاب هذا أنه كان غضبان على ولده محمَّد لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته ويتفرس فيه أن يحدث منه أمر، فكان يقول للناس: يا ما ترون من محمَّد من الشر، فقدّر الله أن صار ما صار، وكذلك ابنه سليمان أخو الشَّيخ محمَّد كان منافيًا له في دعوته ورد عليه ردًا جيدا بالآيات والآثار لكون المردود عليه لا يقبل سواهما ولا يلتفت إلى كلام عالم متقدمًا أو متأخرا كائنا من كان غير الشَّيخ تقي الدِّين بن تيمية وتلميذه ابن القيم فإنه يرى كلامهما نصّا لا يقبل التأويل ويصول به على الناس وإن كان كلامهما على غير ما يفهم، وسمى الشَّيخ سليمان رده على أخيه "فصل الخطاب في الرد على محمَّد بن عبد الوهاب" وسلّمه الله من شرّه ومكره مع تلك الصولة الهائلة التي أرعبت الأباعد، فإنه كان إذا باينه أحد ورد عليه ولم يقدر على قتله مجاهرة يرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السوق ليلا لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله، وقيل إن مجنونًا كان في بلدة ومن عادته أن يضرب من واجهه ولو بالسلاح، فأمر محمَّد أن يعطى سيفًا ويدخل على أخيه الشَّيخ سليمان وهو في المسجد وحده، فأدخل عليه فلما رءاه الشَّيخ سليمان خاف منه فرمى المجنون السيف من يده وصار يقول: يا سليمان لا تخف إنك من الآمنين ويكررها مرارا، ولا شك أن هذه من الكرامات ". انظر : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ،محمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي (ص٢٧٥-٢٧٦) ، مكتبة الإمام أحمد ،ط١ ، ١٩٨٩م .

بَلْ وَلَا يَقِفُونَ عِنْدَهُ لِلسَّلَامِ إذَا دَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَخَرَجُوا . وَإِنْ لَمْ يُسَمَّى هَذَا زِيَارَةً بَلْ يُكْرَهُ لَهُمْ ذَلِكَ عِنْدَ غَيْرِ السَّفَرِ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ مَالِكٌ وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ الْبِدَعِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ صَدْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَفْعَلُونَهُ : عُلِمَ أَنَّ مَنْ جَعَلَ زِيَارَةَ قَبْرِهِ مَشْرُوعَةً كَزِيَارَةِ قَبْرِ غَيْرِهِ ، فَقَدْ خَالَفَ إجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ " [1] .

واعتبر ابن تيمية زيارة قبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيارة بدعيَّة ، فقال : " وَأَمَّا الزِّيَارَةُ الْبِدْعِيَّةُ فَهِيَ الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا أَنْ يُطْلَبَ مِنْ الْمَيِّتِ الْحَوَائِجُ أَوْ يُطْلَبَ مِنْهُ الدُّعَاءُ وَالشَّفَاعَةُ أَوْ يُقْصَدُ الدُّعَاءُ عِنْدَ قَبْرِهِ لِظَنِّ الْقَاصِدِ أَنَّ ذَلِكَ أجوب لِلدُّعَاءِ . فَالزِّيَارَةُ عَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ كُلِّهَا مُبْتَدَعَةٌ لَمْ يَشْرَعْهَا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا فَعَلَهَا الصَّحَابَةُ لَا عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا عِنْدَ غَيْرِهِ ، وَهِيَ مِنْ جِنْسِ الشِّرْكِ وَأَسْبَابِ الشِّرْكِ " [2] .

وقال أيضاً : " وأمَّا الزِّيارة المبتدعة التي هي من جنس زيارة المشركين ، فمقصودهم بها طلب الحوائج من الميِّت أو الغائب " [3] .

هذا ما قاله ابن تيمية ، وهو فيما قال يُنكر أن يكون أحدٌ من العلماء قال بالتَّوسُّل في حالٍ من الأحوال .... وزاد ضغثاً على إبالة فزعم أنَّ التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين بعد موتهم عند قبورهم من أعظم أنواع الشِّرك !!! فقال : " فَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ مِنْ خِطَابِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ عِنْدَ قُبُورِهِمْ وَفِي مَغِيبِهِمْ وَخِطَابِ تَمَاثِيلِهِمْ ، هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الْمَوْجُودِ فِي الْمُشْرِكِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَفِي مُبْتَدِعَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَحْدَثُوا مِنْ الشِّرْكِ وَالْعِبَادَاتِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ تَعَالَى " [4] .

فابن تيمية الذي سُجن بإجماع من حضر من علماء الأُمَّة بسبب شذوذه وطامَّاته وأوابده التي ما سبقه إليها أحدٌ من العالمين ، ومات في السِّجن ... يَعتبر ويُصرِّح بأنَّ التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين من أعظم أنواع الشِّرك ، وأنَّه – أي التَّوسُّل – من العبادات المُستحدثة المُبتدعة التي لم يأذن بها الله ...

وهو بهذا يجعل المتوسِّلين بل يجعل عموم الأُمَّة من أُولئك المشركين الذين استحدثوا وابتدعوا عبادات لم يأذن بها الله تعالى ... وكلامه هذا يصبُّ في مصبِّ : " رمتني بدائها وانسلَّت " ، لأنَّ ابن تيمية هو من قال

---

[1] انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٤٣) .

[2] انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٦٦) ، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٣٤-٣٥) .

[3] انظر : الردُّ على المنطقيين (ص٥٣٦) .

[4] انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٥٩) ، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٥) .

وابتدع في العقيدة !!! أقوالاً لا ولم ولن يأذن بها الله تعالى ، بل هي من الطامَّات العقديَّة التي هي من بنات أفكاره ، أخذ بعضها من سموم الفلاسفة وتبنَّاها ، وتابعه عليها المتمسلفة في أيَّامنا هذه ، وقد ذكر طامَّاته العقديَّة وغير العقديَّة غير واحد من العلماء ، ومن ذلك :

قال الإمام أبو الحسن تقيُّ الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) : " ... وَهَذَا الرَّجُلُ كُنْت رَدَدْت عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ فِي إنْكَارِهِ السَّفَرَ لِزِيَارَةِ الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَفِي إنْكَارِهِ وُقُوعَ الطَّلَاقِ إذَا حُلِفَ بِهِ ، ثمَّ ظَهَرَ لِي مِنْ حَالِهِ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَيْسَ مِمَّنْ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي نَقْلٍ يَنْفَرِدُ بِهِ لِمُسَارَعَتِهِ إلَى النَّقْلِ لِفَهْمِهِ ، كَمَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، وَلَا فِي بَحْثٍ يُنْشِئُهُ لِخَلْطِهِ الْمَقْصُودَ بِغَيْرِهِ وَخُرُوجِهِ عَنْ الْحَدِّ جِدّاً ، وَهُوَ كَانَ مُكْثِراً مِنْ الْحِفْظِ ، وَلَمْ يَتَهَذَّبْ بِشَيْخٍ ، وَلَمْ يُرْتَضْ فِي الْعُلُومِ ، بَلْ يَأْخُذُهَا بِذِهْنِهِ مَعَ جَسَارَتِهِ وَاتِّسَاعِ خَيَالٍ وَشَغَبٍ كَثِيرٍ ، ثمَّ بَلَغَنِي مِنْ حَالِهِ مَا يَقْتَضِي الْإِعْرَاضَ عَنْ النَّظَرِ فِي كَلَامِهِ جُمْلَةً .

وَكَانَ النَّاسُ فِي حَيَاتِهِ اُبْتُلُوا بِالْكَلَامِ مَعَهُ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ ، وَحُبِسَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَوُلَاةِ الْأُمُورِ عَلَى ذَلِكَ ثمَّ مَاتَ " (١) .

وبسبب متابعة الجهَّال والعوام له ، سارع علماء عصره إلى الرَّدِّ عليه وإبطال دعاويه ، ومحاججته ومناظرته ، فألجموه الحُجَّة ، وأقاموا عليه المحجَّة ، ومن هؤلاء الصِّيد الأفذاذ الأساطين : الإمام تقيُّ الدِّين علي ابن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) ، فقد قال ما نصّه : " أمَّا بعد ، فإنَّه لَمَّا أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد ، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد ، بعد أن كان مستتراً بتبعيَّة الكتاب والسُّنة ، مظهراً أنَّه داعٍ إلى الحقِّ هادٍ إلى الجنَّة ، فخرج عن الاتباع إلى الابتداع ، وشذَّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع ، وقال بما يقتضي الجسميَّة والتَّركيب في الذَّات المقدَّس ، وأنَّ الافتقار إلى الجزء ليس بمُحال ، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى ، وأنَّ القرآن مُحدَث تكلَّم الله به بعد أن لم يكن ، وأنَّه يتكلَّم ويسكت ، ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات ، وتعدَّى في ذلك إلى استلزام قِدَم العالم ، والتزامه بالقول بأنَّه لا أوَّل للمخلوقات ، فقال بحوادث لا أوَّل لها ، فأثبت الصِّفة القديمة حادثة ، والمخلوق الحادث قديماً ، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملَّة من الملل ، ولا نِحلة من النِّحل ، فلم يدخل في فرقة من الفِرَق الثَّلاث والسَّبعين التي افترقت عليها الأُمَّة ، ولا وقفت به مع أُمَّة من الأُمم هِمَّة ، وكلّ ذلك وإن كان كُفراً شنيعاً ممَّا تَقِلُّ جملته بالنِّسبة لما أحدث في الفروع ، فإنَّ

(١) انظر : فتاوى السبكي (٢/ ٢١٠) .

متلقِّي الأصول عنه وفاهم ذلك منه هم الأقلُّون ، والدَّاعي إليه من أصحابه هم الأرذلون ، وإذا حُوقِقوا في ذلك أنكروه ، وفرُّوا منه كما يفرُّون من المكروه ... " (١) .

وقال عنه الإمام صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصَّفدي (٧٦٤هـ) : " انفرد بمسائل غريبة ، ورجَّح فيها أقوالاً ضعيفة عند الجمهورُ معيبة . كاد منها يقع في هُوَّة ، ويسلم منها لما عنده من النيَّة المرجوَّة ، والله يعلم قصده ، وما يترجَّح من الأدلَّة عنده ، وما دمَّر عليه شيء كمسألة الزِّيارة ، ولا شنَّ عليه مثلها إغارة ، دخل منها إلى القلعة مُعتقَلاً ، وجفاه صاحبه وقلا ، وما خرج منها إلَّا على الآلة الحدبا ، ولا درج منها إلَّا إلى البقعة الحدبا " (٢) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " ... وَاتَّفَقَ الشَّيخ نصر المنبجي كَانَ قد تقدَّم فِي الدَّولة لاعتقاد بيبرس الجاشنكير فِيهِ ، فَبَلغهُ أَنَّ ابْن تَيْمِية يَقع فِي ابْن الْعَرَبِيّ ، لِأَنَّهُ كَانَ يعْتَقد أَنَّه مُسْتَقِيم ، وَأَنَّ الَّذِي ينْسب إِلَيْهِ من الِاتِّحَاد أَو الْإِلْحَاد من قُصُور فهم من يُنكر عَلَيْهِ ، فَأرْسل يُنكر عَلَيْهِ ، وَكتب إِلَيْهِ كتاباً طَوِيلاً ، وَنسبه وَأَصْحَابه إِلَى الِاتِّحَاد الَّذِي هُوَ حَقِيقَة الْإِلْحَاد ، فَعظم ذَلِك عَلَيْهِم ، وأعانه عَلَيْهِ قوم آخَرُونَ ضبطوا عَلَيْهِ كَلِمَات فِي العقائد مُغيرَة ، وَقعت مِنْهُ فِي مواعيده وفتاويه ، فَذكرُوا أَنَّه ذكر حَدِيث النُّزُول فَنزل عَن الْمِنْبَر دَرَجَتَيْنِ ، فَقَالَ : كنزولي هَذَا ، فنُسب إِلَى التَّجسيم . وردِّه على من توسَّل بِالنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَو اسْتَغَاثَ ، فأشخص من دمشق فِي رَمَضَان سنة خمس وَسَبْعمائة ، فَجرى عَلَيْهِ مَا جرى ، وَحبس مرَاراً ، فَأَقَامَ على ذَلِك نَحْو أَربع سِنِين أَو أَكثر ، وَهُوَ مَعَ ذَلِك يشغل ويُفتي إِلَى أَن اتّفق أَنَّ الشَّيخ نصراً قَامَ على الشَّيخ كريم الدِّين الآملي شيخ خانقاه سعيد السُّعَدَاء ، فَأخْرجهُ من الخانقاه ، وعَلى شمس الدِّين الْجَزرِي ، فَأخْرجهُ من تدريس الشَّريفيَّة ، فَيُقَال : أَنَّ الآملي دخل الْخلْوَة بِمصْر أَرْبَعِينَ يَوْماً فَلم يخرج حَتَّى زَالَت دولة بيبرس ، وخمل ذكر نصر ، وَأطلق ابْن تَيْمِية إِلَى الشَّام ، وافترق النَّاس فِيهِ شيعاً ، فَمنهمْ من نسبه إِلَى التَّجسيم لما ذكر فِي العقيدة الحمويَّة والواسطيَّة وَغَيرهمَا من ذَلِك ، كَقَوْلِه : أَنَّ الْيَد ، والقدم ، والسَّاق ، وَالْوَجْه صِفَات حَقِيقِيَّة لله ، وَأَنَّه مستوٍ على الْعَرْش بِذَاتِهِ ، فَقيل لَهُ : يلْزم من ذَلِك التَّحيُّز والانقسام ، فَقَالَ : أَنا لَا أسلِّم أَنَّ التحيُّز والانقسام من خَواص الْأَجْسَام ، فألزم بِأَنَّهُ يَقُول بتحيُّز فِي ذَات الله .

---

(١) انظر : الدرّة المضية في الردِّ على ابن تيمية (ص٩٩-١٠٠) ، مطبوع ضمن التوفيق الربَّاني في الردِّ على ابن تيمية الحراني لجماعة من العلماء .

(٢) انظر : أعيان العصر وأعوان النصر (١/ ٢٣٥) .

وَمِنْهُم من ينْسبهُ إِلَى الزَّندقة لقَوْله : أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُستغاث بِهِ ، وَأَنَّ فِي ذَلِك تنقيصاً ومنعاً من تَعْظِيم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ أَشدّ النَّاس عَلَيْهِ فِي ذَلِك النُّور الْبكْرِيّ ، فَإِنَّهُ لما عقد لَهُ الْمجْلس بِسَبَب ذَلِك ، قَالَ بعض الْحَاضِرين يُعَزَّر ، فَقَالَ الْبكْرِيّ : لَا معنى لهَذَا القَوْل ، فَإِنَّهُ إِن كَانَ تنقيصاً يُقتل ، وَإِن لم يكن تنقيصاً لَا يُعَزَّر .

وَمِنْهُم من ينْسبهُ إِلَى النِّفَـــاق لقَوْله فِي عَليٍّ مَا تقدَّم ، وَلقَوْلـــه : إِنَّه كَانَ مخذولاً حَيْثُ مَا توجَّه ، وَأَنَّه حاول الْخلَافَة مرَاراً فَلم ينلها ، وَإِنَّمَا قَاتل للرِّئاسة لَا للدِّيانة . وَلقَوْله : إِنَّه كَانَ يحبُّ الرِّئَاسَة ، وَأَنَّ عُثْمَان كَانَ يحبُّ المَال . وَلقَوْله : أَبُو بكر أسلم شَيخاً يدْرِي مَا يَقُول ، وَعليٌّ أسلم صَبيَّاً ، وَالصَّبِيُّ لَا يَصحُّ إِسْلَامه على قَول ... " (١) .

وقال الإمام محمَّد بخيت المطيـعي الحنفي (١٣٥٤هـ) مفتي الدِّيار المصريَّة : " ... ولَمَّا أن تظاهر قومٌ في هذا العصر بتقليد ابن تيمية في عقائده الكاسدة ، وتعضيد أقواله الفاسدة ، وبثِّها بين العامَّة والخاصَّة ، واستعانوا على ذلك بطبع كتابه المسمَّى بالواسطيَّة ونشره ، وقد اشتمل هذا الكتاب على كثيرٍ ممَّا ابتدعه ابن تيمية مخالفاً في ذلك الكتاب والسُّنَّة وجماعة المسلمين ، فأَيقظوا فتنةً كانت نائمة " (٢) .

وقال الشَّيخ عبد الرَّحمن خليفة بن فتح الباب الحنَّاوي (١٣٦٤هـ) : " هذه المسائل التي يُثيرها اليوم جماعة أنصار السُّنَّة أُثيرت قديماً ، وفرغ العلماء من الرَّدِّ عليها ، وهم مُقلِّدون فيها لابن القيِّم وشيخه تقي الدِّين ابن تيمية وطوائف من الحنابلة ، والعجب لهؤلاء يقلِّدون نفراً من العلماء انفردوا بمقالات وآراء وافقوا فيها الحشويَّة والكرَّاميَّة ، وخالفوا فيها جميع المسلمين سلفاً وخلفاً ... " (٣) .

وبسبب مقالات ابن تيمية التي خالف فيها الأُمَّة ، شنَّع عليه العلماء حتى حكم البعض بتكفيره ، ورفض الكثيرون نعته بشيخ الإسلام ، حتى قال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الْعَلَاء أَبُو عبد الله البُخَارِيّ العجمي الْحَنَفِيّ (٨٤١هـ) : " أنَّ من أطلق على ابن تيمية شيخ الإسلام ، فهو بـهذا

---

(١) انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١٨٠-١٨٢) .

(٢) انظر : تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد (ص١٣) .

(٣) انظر : المشبِّهة والمجسِّمة (ص١٢-١٣) .

الإطلاق كافر " [1] ، والمعنى : أنَّ من اطَّلع على أقواله واعتقاداته وطامَّاته ومخالفاته ... ومع ذلك وصفه بـهذا اللقب فهو كافر ...

ومن طامَّاته التي ما سبقه إليها أحد من العالمين : تحريمه السَّفر لزيارة قبر سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال الإمام ابن حجر العسقلاني : " وَالْحَاصِل : إِنَّهُم الزموا بن تيميه بِتَحْرِيم شدِّ الرَّحل إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْكَرْنَا صُورَةَ ذَلِكَ ، وَفِي شَرْحِ ذَلِكَ مِنَ الطَّرَفَيْنِ طُولٌ ، وَهِيَ مِنْ أبشع الْمَسَائِل المنقوله عَن بن تَيْمِيَةَ " [2] .

فما قاله ابن تيمية كلام خطير لا يقوله إلَّا من كان في قلبه شيء من سيِّد ولد آدم عليه الصَّلاة والسَّلام ، مع أنَّ علماء الأمَّة أجمعوا على استحباب زيارة قبره الشَّريف ، وَأنَّها فَضِيلَةٌ مُرَغَّبٌ فيها ، بأَبِي هو وأُمِّي ، قال القاضي عياض : " وَزِيَارَةُ قَبْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْمُسْلِمِينَ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا ، وَفَضِيلَةٌ مُرَغَّبٌ فيها " [3] .

وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع العلماء على استحباب زيارة قبره الشَّريف ، قال الدكتور البُوطي : " واعلم أنَّ زيارة مسجده وقبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من أعظم القُرُبات إلى الله عزَّ وجلَّ ، أجمع على ذلك جماهير المسلمين في كلِّ عصر إلى يومنا هذا . لم يخالف في ذلك إلَّا ابن تيمية غفر الله له ، فقد ذهب إلى أنّ زيارة قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير مشروعة . ودليل ما أجمع عليه المسلمين من دونه عدَّة وجوه :

الوَجْهُ الأَوَّلُ : مشروعيَّة زيارة القبور عموماً واستحبابها ، وقد ذكرنا فيما سبق أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يذهب كلّ ليلة إلى البقيع يسلِّم على أهله ، ويدعو ويستغفر لهم ، ثبت ذلك في الصَّحيح . والأحاديث الثَّابتة في تفصيل ذلك كثيرة . ومعلوم أنَّ قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داخل في عموم القبور ، فيسري عليه حكمها .

الوَجْهُ الثَّاني : ما ثبت من إجماع الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم على زيارة قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والسَّلام عليه كلَّما مرُّوا على الرَّوضة الشَّريفة ، روى ذلك الأئمَّة الأعلام وجماهير العلماء بمن فيهم ابن تيمية رحمه الله .

---

[1] انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/ ٢٩٢) .

[2] انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٦٦) .

[3] انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٩٤) .

الوَجْهُ الثَّالثُ : ما ثبت من زيارة كثير من الصَّحابة قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، منهم بلال رضي الله عنه ، رواه ابن عساكر بإسناد جيِّد ، وابن عمر فيما رواه مالك في الموطَّأ ، وأبو أيُّوب فيما رواه أحمد ، دون أن يؤثر عنهم أو عن أحد منهم أيّ استنكار أو نقد لذلك .

الوَجْهُ الرَّابعُ : ما رواه أحمد رضي الله عنه بسند صحيح أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خرج يودِّع معاذ بن جبل إلى اليمن قال له : " يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا وَلَعَلَّكَ أَنَ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا، وَقَبْرِي " (١) ، فكلمة (لعلَّ) تأتي في أعمّ الأحوال للرَّجاء ، وإذا دخلت (أن) على خبرها تمخَّضت للعرض والرَّجاء . فالجملة تنطوي بصريح البيان على توصية معاذ بأن يعرِّج عند رجوعه إلى المدينة على مسجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبره ليسلم عليه .

إذا تبيَّن هذا ، فاعلم أنَّه لا وجه لما انفرد به ابن تيمية رحمه الله من دفع هذه الأوجه كلّها في غير ما دافع ، والقول بأنَّ زيارة قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمل غير مشروع ! ..

وجملة ما اعتمده ابن تيمية في ذلك ، قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تشدُّ الرِّحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى " ، وقوله : " لعنَ اللهُ اليهودَ ، اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد " (٢) ، وقوله : " لا تجعلوا قبري عيداً " (١) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٦/ ٣٧٦ برقم ٢٢٠٥٣) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح. أبو المغيرة: هو عبد القدوس بن الحجاج الخولاني، وصفوان: هو ابن عمرو بن هرم السَّكْسَكي.

وأخرجه البزار في "مسنده" (٢٦٤٧) من طريق أبي المغيرة، بهذا الإسناد.

ولم يذكر فيه قوله: "إن أولى الناس بي ... إلخ" وزاد قوله: "لا تبك يا معاذ فإن البكاء من الشيطان" وستأتي هذه الزيادة بعد حديث.

وأخرجه ابن حبان (٦٤٧) ، والطبراني في "الكبير" ٢٠/ (٢٤١) من طريق أبي المغيرة، به. وفيه: "إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بي، وإن أولى الناس بي المتقون، من كانوا وحيث كانوا ... "

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٧٤ برقم ١٨٨٤) ، قال الأرنؤوط : " إِسناده صحيح على شرط الشيخين. عبد الأعلى: هو ابن عبد الأعلى البصري السامي.

وأخرجه عبد الرزاق (١٥٨٨) و (٩٧٥٤) و (١٥٩١٧) عن معمر، بهذا الإسناد. ومن طريق عبد الرزاق أخرجه أبو عوانة ١/ ٣٩٩، وابن حبان (٦٦١٩) .

وأخرجه ابن سعد ٢/ ٢٥٨ عن الواقدي، والبخاري (٣٤٥٣) ، والنسائي ٢/ ٤٠-٤١ من طريق عبد إدله بن المبارك، كلاهما عن معمر، به.

وأخرجه الدارمي ١/ ٣٢٦، والبخاري (٤٣٥) و (٤٤٤٣) و (٥٨١٥) ، ومسلم (٥٣١) ، والبيهقي في "السنن" ٤/ ٨٠، وفي "الدلائل" ٧/ ٢٠٣، والبغوي (٣٨٢٥) من طرق عن الزهري، به " .

وليس في شيء من هذه الأحاديث الثَّلاثة ما يصلح أن يكون مستنداً لما انفرد به .

١ - فقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " لا تُشدُّ الرِّحال ... " إلخ استثناء مُفرغ كما هو معلوم ، والمستثنى منه محذوف ، وإنَّما يقدَّر المستثنى من جنس المستثنى منه ، وإلَّا كان استثناء منقطعاً ، وهو استثناء مجازي ، ولا يجوز إضمار المجاز إلَّا عند الضَّرورة التي لا تصلح معها الحقيقة .

فتقدير الحديث : لا تشدُّ الرِّحال إلى المساجد إلَّا إلى ثلاثة منها... إلخ ، فالمستثنى منه هو المساجد ، والمعنى أنَّ جميع المساجد في الفضل سواء ، إلَّا هذه المساجد الثَّلاثة ، فلا وجه لتفضيل بعضها على البعض في زيارة أو اعتكاف أو نحو ذلك . وعملاً بهذا الحديث قال الفقهاء : إنَّه لو نذر الاعتكاف وسمَّى مسجداً معيَّناً غير هذه المساجد الثَّلاثة ، لم يجب عليه قصد ذلك المسجد بخصوصه ولم يسنّ ، بل يغنيه أن يعتكف في أي مسجد من مساجد الدُّنيا .

أمَّا حديثنا فهو عن زيارة قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو ليس داخلاً لا في المستثنى ولا في المستثنى منه ، فالحديث بمعزل عن أيِّ إشارة إليه ، وهو كما لو قلت : لا يجوز أن تشدَّ الرِّحال إلى زيارة الأرحام أو إلى العلماء لنتعلَّم منهم ، لحديث : " لا تشدُّ الرِّحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد... إلخ !! ..

ثمَّ إنَّنا نسأل بعد هذا : أفيفهم ابن تيمية من كلمة (شدّ الرِّحال) معناها الحقيقي ، أم المعنى المجازي الذي هو القصد والعزم على الشَّيء ؟

فإن كان يفهم منها المعنى الحقيقي ، فينبغي ألَّا تحرم زيارة غير هذه المساجد الثَّلاثة من المساجد الأخرى إلَّا إذا شدّ لذلك رحلاً ثمَّ مضى إليه بواسطة الرَّحل ، قربت المسافة أو بعدت ، فإن سعى إليه بوسيلة أخرى غير شدِّ الرِّحال لم يعد ذلك حراماً ، وهل يقول عاقل بذلك ؟

وإن كان يفهم من الكلمة معناها المجازي - وإنَّما المعنى المجازي لها هو الاتِّجاه إلى الشَّيء لا يقصد غيره - فإنَّ عمَلَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعارضه ويردُّه . فقد كان صلوات الله عليه يزور مسجد قباء في كلِّ أسبوع ، وفي رواية : " كلّ يوم سبت " ، وقد كان مسجد قباء خارج المدينة .

والخلاصة ، أنَّ المستثنى منه في الحديث هو المساجد ، وزيارة الأرحام والقبور والأشخاص والمعالم غير داخلة في المستثنى منه ، فلا شأن للحديث بها . ومعنى الحديث : إنَّ أولى المساجد بالاهتمام للتَّوجُّه إليها من مسافات بعيدة هذه المساجد الثَّلاثة .

---

(١) أخرجه البزار (٢/ ١٤٧ برقم ٥٠٩) .

٢- وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لعنَ اللهُ اليهودَ اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ، لا شأن له بموضوع الزِّيارة إطلاقاً . إذ هو نهي عن اتِّخاذ قبور الأنبياء وما حولها مصلًّى على نحو ما مرَّ بيانه قريباً ، تعلم هذا من قوله (مساجد) إذ المساجد أماكن الصَّلاة . ولو استقام أن يكون مجرَّد زيارة القبر اتخاذاً له مسجداً ، لكان من مقتضى ذلك أن يكون النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جعل من البقيع كلِّه مسجداً له ، إذ كان يزوره دائماً .

٣- أمَّا قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تجعلوا قبري عيداً " ، فإنَّما معناه : لا تتَّخذوا لزيارة قبري وقتاً معيَّناً لا يُزار إلَّا فيه ، كما هو شأن العيد ، كما فسَّره بذلك الحافظ المنذري وغيره من علماء الحديث ، ولا مانع أن يُضاف إليه أيضاً النَّهي عن إظهار الصَّخب ، واللهو ، ومظاهر الزِّينة عنده ، على نحو ما يكون في الأعياد . أمَّا أن تدلَّ الكلمة على النَّهي عن زيارة قبره ، فإنَّها عن ذلك بمعزل ، وما كان النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لينهى النَّاس عن اتِّخاذ قبره عيداً بهذا المعنى المزعوم ، ثمَّ يعمد هو فيتَّخذ من البقيع في كلِّ يوم عيداً ! ... " [١] .

وورد في الأثر : " أنَّ بلالاً رضي الله عنه رأى في منامه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول : ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن لك أن تزورني يا بلال ؟ قال : فانتبه حزيناً ، وجاء خائفاً ، فركب راحلته وقصد المدينة ، فأتى قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجعل يبكي عنده ويمرِّغ وجهه عليه . وأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما فجعل يضمُّهما ويقبِّلهما ، فقالا : يا بلال نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذِّن به لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السَّحر ، ففعل ، وعلا سطح المسجد فوقف موقفه الذي كان يقف فيه ، فلمَّا أن قال : الله أكبر الله أكبر ارتجَّت المدينة ، فلمَّا أن قال : أشهد أن لا إله إلَّا الله ازدادت رجَّتها ، فلمَّا أن قال : أشهد أنَّ محمداً رسول الله ، خرجن العواتق من خدورهنَّ ، وقالوا : بُعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال : فما رؤي يوماً أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك اليوم " [٢] .

والأثر صحَّحه غير واحد من العلماء ، منهم : الذَّهبي ، والسَّمهودي ، والشَّوكاني ، والصَّالحي ، والزّرقاني ... ، وغيرهم كثير [٣] .

---

[١] انظر : فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (ص٣٤٧-٣٤٩) .

[٢] انظر : شرف المصطفى (٣/ ١٩٦) ، تاريخ دمشق ، ابن عساكر ، (٧/ ١٣٧) .

[٣] انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٥/ ٧٧٣) ، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٣٥٥) ، نيل الأوطار (٥/ ١١٤) ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٣٥٩) ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٥/ ٧١) ، بالترتيب .

وقد ذكر أهل العلم في كتبهم باباً خاصَّاً بعنوان : " فصلٌ في زيارة قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، ... وقد قام المتمسلفة بتحريف هذا الفصل الموجود في بعض الكتب ككتاب " الأذكار " للإمام يحيى بن شرف الدِّين النَّووي ، وذلك في طبعة دار الهدى بالرِّياض سنة (١٤٠٩هـ) ، بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط الشَّامي ، حيث استبدلوا عنوان : " فصل في زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ليصبح بعنوان : " فصل في زيارة مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مع حذف عدَّة أسطرٍ من أوَّل الفصل وأخره ، وكذا حذف قصَّة العُتبي التي ذكرها الإمــــام النَّووي بكـــاملها . وهذا عبثٌ واعتداء جائر على المؤلِّف وكتابه ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ...

مع العلم أنَّ عقلاء الحنابلة لم يشذُّوا في هذا الباب عن جمهور الأمَّة ... قال الإمام نصير الدِّين محمَّد بن عبد الله السَّامري الحنبلي (٦١٦هـ) في كتابه : " المستوعب " : " باب زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وإذا قدم مدينة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استحبَّ له أن يغتسل لدخولها ، ذكره ابن البنَّا . ثمَّ يأتي مسجد الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول عند دخوله : بسم الله ، اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد ، وافتح لي أبواب رحمتك ، وكفَّ عني أبواب عذابك ، الحمد لله الذي بلَّغنا هذا المشهد ، وجعلنا لذلك أهلاً ، والحمد لله ربِّ العالمين . ويقدِّم رِجْله اليمنى في الدُّخول ، ثمَّ يأتي حائط القبر ... وسئل أحمد رحمه الله عمَّن يتمسَّح بقبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : ما أعرف هذا ، أهل العلم كانوا لا يمسُّونه ، ويقومون ناحية فيسلِّمون ، وكذا كان ابن عمر يفعل... فيقف ناحية ، ويجعل القبر تلقاء وجهه ، والقبلة خلف ظهره ، والمنبر عن يساره ، ويقف ممَّا يلي طرف جدار القبر ممَّا يلي المنبر فيقول : السَّلام عليك يا رسول الله ، السَّلام عليك أيُّها النَّبي ورحمة الله وبركاته ، اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد - إلى آخر ما يقوله في المشهد الأخير - اللهمَّ أعط محمَّدًا الوسيلة والفضيلة والدَّرجة الرَّفيعة ، والمقام المحمود الذي وعدته إيَّاه ، إنَّك لا تخلف الميعاد . اللهمَّ صلِّ على روحه في الأرواح ، وجسده في الأجساد ، كما بلَّغ رسالتك ، وتلا آياتك ، وصدع بأمرك حتى أتاه اليقين . اللهمَّ إنَّك قلت في كتابك لنبيِّك عليه السَّلام : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾**[النساء : ٦٤] ، وإنِّي قد أتيتك تائباً مستغفراً ، فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته . اللهمَّ إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيِّ الرَّحمة ، يا رسول الله ، إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّي ليغفر لي ذنوبي . اللهمَّ إنِّي أسألك بحقِّه أن تغفر لي ذنوبي " (١) .

---

(١) انظر : المستوعب (١/ ٥٢٤-٥٢٥) .

وقال الإمام أبو محمَّد موفَّق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثمَّ الدِّمشقي الحنبلي ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) : " فَصْلٌ زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، فَصْلٌ : وَيُسْتَحَبُّ زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ لِمَا رَوَى الدَّارَقُطْنِيّ ، بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " مَنْ حَجَّ ، فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي ، فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي " . وَفِي رِوَايَةٍ : " مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي " (١) . رَوَاهُ بِاللَّفْظِ الْأَوَّلِ سَعِيدٌ . حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ . وَقَالَ أَحْمَدُ ، فِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللهَّ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ قُسَيْطٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي ، إلَّا رَدَّ اللهُّ عَلَيَّ رُوحِيٍّ ، حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ " (٢) : وَإِذَا حَجَّ الَّذِي لَمْ يَحُجَّ قَطُّ -

---

(١) قال الأستاذ المحقِّق محمود سعيد ممدوح : أخرجه الدارقطني في سننه (٢ / ٢٧٨) ، والدولابي في الكنى والأسماء (٢ / ٦٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣ / ٤٩٠) ، والخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم (١ / ٥٨١) ، وابن الدبيثي في الذيل على التاريخ (٢ / ١٧٠) ، وابن النجار في تاريخ المدينة (ص ١٤٢) ، والعقيلي في الضعفاء (٤ / ١٧٠) ، وابن عدي في الكامل (٦ / ٢٣٥٠) ، والسبكي في شفاء السقام (ص ٢ - ١٤) جميعهم من طرق عن موسى بن هلال العبدي ، عن عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عمر كلاهما عن نافع عن ابن عمر به مرفوعاً . وهذا الإسناد حسن سواء قال موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر أو عن أخيه عبد الله بن عمر أو عنهما . وقد صحَّحه عبد الحق الإشبيلي ، وصححه أو حسنه السبكي في شفاء السقام ، والسيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ، وآخرون ممَّن تأخروا عنه . وقد أعلَّ هذا الحديث بعللٍ لا يصح منها شيء لكن لا بد من ذكرها ثمَّ الجواب عليها بدون تكلف إن شاء الله تعالى ... انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة ، محمود سعيد ممدوح ، (ص٢٨٠) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٦/ ٤٧٧ برقم ١٠٨١٥) ، قال الأرنؤوط : " إسناده حسن، أبو صخر- وهو حميد بن زياد الخراط- حسن الحديث، روى له مسلم، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين. حيوة: هو ابن شريح.

وأخرجه أبو داود (٢٠٤١) ، والبيهقي ٥/ ٢٤٥ من طريق عبد الله بن يزيد المقرىء، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (٣١١٦) عن بكر بن سهل الدمياطي، عن مهدي بن جعفر الرملي، عن عبد الله بن يزيد الِإسكندراني، عن حيوة بن شريح، به. وعبد الله بن يزيد الِإسكندراني لم نجد له ترجمة، ولعله المقرئُ والمكي نفسه، وإنما وهم في نسبته شيخ الطبراني بكر بن سهل الدمياطي، أو شيخه مهدي الرملي، فكلاهما تكلم في حفظه، والله أعلم. وانظر ما سلف برقم (٨٨٠٤) .

قال السندي: معنا: إلا أردُ عليه سلامه، لأن الله رد على روحي، حتى أقدر على رد سلامه عليه لذلك، ففيه حذف المعلَّل، وهو قوله: "أرد عليه سلامه" بإقامة علته مقامه. والحذف بإقامة العلة مقام المحذوف كثير، ومنه قوله تعالى: (وإن كَذبُوك فقد كُذَبَتْ رسل من قبلك ...) [فاطر: ٤] ، أي: فلا تحزن، فقد كذبت رسل من قبلك " .

وقال الإمام ابن تيمية : " وهذا الحديث على شرط مسلم " (انظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص٣٢٤) ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٩هـ .

يَعْنِي مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ الشَّامِ - لَا يَأْخُذُ عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ، لِأَنِّي أَخَافُ أَنْ يَحْدُثَ بِهِ حَدَثٌ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَقْصِدَ مَكَّةَ مِنْ أَقْصَرِ الطُّرُقِ ، وَلَا يَتَشَاغَلَ بِغَيْرِهِ . وَيُرْوَى عَنْ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كُنْت جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللهَّ ، سَمِعْت اللهَّ يَقُولُ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء : ٦٤] .

وَقَدْ جِئْتُك مُسْتَغْفِراً لِذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِك إلَى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُــــهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُــودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنِي ، فَنِمْت ، فَرَأَيْت النَّبِي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُتْبِيُّ ، الحَقْ الْأَعْرَابِيَّ ، فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ قَدْ غَفَرَ لَهُ .

وقال الإمام المناوي : " قال في الأذكار والرياض : إسناده صحيح وقال ابن حجر: رواته ثقات " (انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (٥/ ٤٦٧) ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثمَّ المناوي القاهري ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ .

وقال المحقق محمود سعيد ممدوح : " أخرجه أحمد (٢/ ٥٢٧) ، وأبو داود (٢/ ٢٩٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٥)، وفي حياة الأنبياء (ص١١) ، وفي الشعب (٢/ ٢١٧)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٣٥٣) . جميعهم من طريق أبي صخر حميد بن زياد، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، إِلَّا رَدَّ اللهُ عليَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ " .

أبو صخر حميد بن زياد قال عنه أحمد وابن معين: لا بأس به ، ووثقه الدارقطني ، وابن حبان ، وقال البغوي : مدني صالح الحديث .

وقال ابن عدي : وهو عندي صالح الحديث ، ووثقه ابن شاهين .

وضعفه يحيى بن معين في رواية وكذا النسائي .

وذكره الذهبي في جزء "من تكلم فيه ، وهو موثق" (ص٧٣) .

ثم وثقه من اتفق الأئمة على قبول توثيقه والعمل بمقتضاه، فقد أخرج له مسلم في صحيحه .

فالرجل حسن الحديث على الأقل ، فلا تلتفت لتشغيب ابن عبد الهادي، فإنه جعل الاختلاف في إسم وكنية الراوي سبباً لرد حديثه،

ولو كان الاختلاف في الاسم والكنية سبباً لتضعيف الراوي لفتح باب جديد لتضعيف الرواة ، وعند ذلك فللعقلاء أن يقولوا : رحمة الله على الحديث وعلومه، فكم من راوٍ حتلف في اسمه وكنيته، وهو ثقة، وكم من راوٍ اتفق على إسمه وكنيته وهو ضعيف .

والحاصل أن حميد بن زياد حسن الحديث .

أما يزيد بن عبد الله بن قسيط فقد احتج به الجماعة ، ووثقه النسائي وبن حبان ، وابن عبد البر ، وغيرهم، وقال ابن معين : لا بأس به .

فالحديث حسن بهذا الإسناد . والله أعلم " انظر : رفه المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة (ص٣٥٥-٣٥٦) ، محمود سعيد ممدوح ، المكتبة الازهرية للتراث ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .

وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَنْ يُقَدِّمَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى ، ثمَّ يَقُولَ : بِسْمِ اللهِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمَّد وَعَلَى آلِ محمَّد ، وَاغْفِرْ لِي ، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِك . وَإِذَا خَرَجَ ، قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ . وَقَالَ : وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ . لِمَا رُوِيَ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِي اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَّمَهَا أَنْ تَقُولَ ذَلِكَ ، إذَا دَخَلَتْ الْمَسْجِدَ . ثمَّ تَأْتِي الْقَبْرَ فَتُوَلِّي ظَهْرَكَ الْقِبْلَةَ ، وَتَسْتَقْبِلُ وَسَطَهُ ، وَتَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا النَّبي وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ ، وَخِيرَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَشْهَدُ أَنَّك قَدْ بَلَّغْت رِسَالَاتِ رَبِّك ، وَنَصَحْت لِأُمَّتِك ، وَدَعَوْت إلَى سَبِيلِ رَبِّك بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَعَبَدْت اللهَ حَتَّى أَتَاك الْيَقِينُ ، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْك كَثِيراً ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى ، اللَّهُمَّ اجْزِ عَنَّا نَبِيَّنَا أَفْضَلَ مَا جَزَيْت أَحَداً مِنْ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْته ، يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخَرُونَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمَّد وَعَلَى آلِ محمَّد ، كَمَا صَلَّيْت عَلَى إبْرَاهِيمَ وَآلِ إبْرَاهِيمَ ، إنَّك حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَبَارِكْ عَلَى محمَّد وَعَلَى آلِ محمَّد ، كَمَا بَارَكْت عَلَى إبْرَاهِيمَ وَآلِ إبْرَاهِيمَ ، إنَّك حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ إنَّك قُلْت وَقَوْلُك الْحَقُّ **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾** [النساء : ٦٤] . وَقَدْ أَتَيْتُك مُسْتَغْفِراً مِنْ ذُنُوبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِك إلَى رَبِّي ، فَأَسْأَلُك يَا رَبِّ أَنْ تُوجِبَ لِي الْمَغْفِرَةَ ، كَمَا أَوْجَبْتهَا لِمَنْ أَتَاهُ فِي حَيَاتِهِ ... " (١) .

ومع كلِّ ما سبق بيانه ، أبى ابن تيمية إلَّا أن يُشجِّع أتباعه ومريديه لهجران القبر الشَّريف ، فقد أرشدهم وأفتاهم بأنَّ السَّلام على الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصَّلاة يُغنِيْ عن الإتيان إلى القبر للسَّلام عليه ، لأنَّ إتيانه بعد الصَّلاة مرَّة بعد مرَّة يُعتبر ذريعة لاتِّخاذه عيداً ووثناً يُعبد من دون الله تعالى !!! وفي ذلك يقول ابن تيمية : " وَأَمَّا إتْيَانُ الْقَبْرِ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ ، فَقَدْ اسْتَغْنَوْا عَنْهُ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ وَعِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ ، وَفِي إتْيَانِهِ بَعْد الصَّلَاةِ مَرَّةً بَعْد مَرَّةٍ ذَرِيعَةً إلَى أَنْ يُتَّخَذَ عِيداً وَوَثَناً " (٢) .

ويحضرني في هذا المقام ما قاله أحد طلَّابي من المتمسلفة ، حيث قال : " من فَضْلِ الله عليه أنَّه اعتمر ولم يزُرْ قبر محمَّد " . نعم قبر محمَّد ، ولم يقل : صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، في الوقت الذي لا ينطقون فيه اسم ابن تيمية إلَّا وينعتونه بشيخ الإسلام ... فإلى الله المشتكى من قوم حُدثاء الأسنان ، سُفهاء الأحلام ، يقولون من خير

(١) انظر : المغني (٣/ ٤٧٨-٤٨٠) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤١٧) .

قــول البــريَّة ، يقتــلون أهل الإسلام ويدعون أهــل الأوثان ، غزيرو اللحيــة ، مقصِّرين الثِّيــاب ، محلِّقيــن الرُّؤوس ، يُحسنون القــيل ويسيئون الفعــل ، يدعون إلى كتاب الله ، وليسوا مــنه في شيء ...

وفي كلامه السَّابق يزعم ابن تيمية ويفتري أنَّ المؤمنين قد استغنوا !!! عن إتيان القبر للسَّلام عليه بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ ، مع أنَّ وفود الحُجَّاج والمعتمرين تصل في كلِّ عام إلى عشرات الملايين الذين يصرُّون على تكحيل عيونهم بإثمد رؤية قبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم ولن يستغنوا عن زيارته ، كما زعم وادَّعى ابن تيمية ، ومعه سائر من يدَّعون السَّلفيَّة ...

ولم يكتف ابن تيمية بذلك ، بل تعدَّاه إلى الزَّعم بأنَّه لا فائدة شرعيَّة في معرفة قبور الأنبياء ، لأنَّ معرفتها – كما زعم – سبيل للصَّلاة والدُّعاء عندها ، وفي ذلك يقول ابن تيمية : " وَلَكِنْ لَيْسَ فِي مَعْرِفَةِ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ بِأَعْيَانِهَا فَائِدَةٌ شَرْعِيَّةٌ ، وَلَيْسَ حِفْظُ ذَلِكَ مِنْ الدِّين ، وَلَوْ كَانَ مِنْ الدِّين لَحَفِظَهُ اللهُ كَمَا حَفِظَ سَائِرَ الدِّين ، وَذَلِكَ أَنَّ عَامَّةَ مَنْ يَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ إنَّمَا قَصْدُهُ الصَّلَاةُ عِنْدَهَا ، وَالدُّعَاءُ بِهَا ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ الْبِدَعِ الْمَنْهِيِّ عَنْهَا " (١) .

فمن خلال النَّصِّ السَّابق نجد أنَّ ابن تيمية يدعو لشحن النَّاس كي لا يزوروا قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّه لا توجد ثمَّة فائدة من الزِّيارة ، لأنَّ الزَّائر لا يقصد بزيارته إلَّا البدع المنهيِّ عنها ، كما أنَّه لا فائدة شرعيَّة أيضاً في معرفة قبور الأنبياء بأعيانها ، وقد سبق له أن اعتبر زيارة قبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ، بل إنَّ ابن تيمية لم يستحب أن يسكن أحد بجوار قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد قال : " وَلَا اسْتَحَبَّ هُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَلَا عُلَمَاءِ أُمَّتِهِ أَنْ يُجَاوِرَ أَحَدٌ عِنْدَ قَبْرٍ ، وَلَا يَعْكُفَ عَلَيْهِ ، لَا قَبْرِهِ الْمُكَرَّمِ وَلَا قَبْرِ غَيْرِهِ ، وَلَا أَنْ يَقْصِدَ السُّكْنَى قَرِيباً مِنْ قَبْرٍ أَيَّ قَبْرٍ كَانَ " (٢) .

ويكفي في الرَّدِّ عليه أن نسوق ما رواه ابن حبَّان وغيره بسندهم عَنْ أَبِي مُوسَى ، قَالَ : أَتَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيّاً فَأَكْرَمَهُ ، فقَالَ لَهُ : " ائْتِنَا " ، فَأَتَاهُ ، فقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " سَلْ حَاجَتَكَ " ، قَالَ : نَاقَةٌ نَرْكَبُهَا ، وَأَعْنُزٌ يَحْلِبُهَا أَهْلِي ، فقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ " ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَالَ : " إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ ، ضَلُّوا الطَّرِيقَ ، فقَالَ : مَا هَذَا ؟ فقَالَ عُلَمَاؤُهُمْ : إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقاً مِنَ اللهَّ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا ، قَالَ : فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ ؟ قَالَ

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٤٤) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٣٤) ، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (٢/ ٤٧) .

: عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَتْهُ ، فقَالَ : دُلِّينِي عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ ، قَالَتْ : حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي ، قَالَ : وَمَا حُكْمُكِ ؟ قَالَتْ : أَكُونُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ ، فَكَرِهَ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : أَنْ أَعْطِهَا حُكْمَهَا ... " (١) .

فالنَّصُّ السَّابق يردُّ على ما زعمه ابن تيمية من أنَّه لا فائدة في معرفة قبور الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام ، وقد وضَّح النَّصُّ وبرهن على أنَّ معرفة عجوز بني إسرائيل لقبر سيِّدنا يوسف عليه السَّلام تكفَّلت بدخولها الجنَّة ، كرامة لها من الله تعالى ...

أمَّا عن عدم استحباب ابن تيمية مجاورة قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهذه مصيبة وطامَّة ، لأنَّ مجاورة الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي ممَّا تشرئب له قلوب محبِّيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال الخطيب البغدادي : " حَدَّثَنِي أَبُو يعلى محمَّد بْن الحسين بْن محمَّد بْن الفراء الحنبلي ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو طاهر بْن أَبِي بكر ، قَالَ : حكى لي والدي عَنْ رجل كان يختلف إِلَى أَبِي بكر بْن مالك أنه قيل له : أين تحب أن تدفن إذا مت ؟ فقال : بالقطيعة ، وإن عَبْد الله بْن أَحْمَد بْن حَنْبَل مدفون بالقطيعة ، وقيل له ، يَعْنِي لعبد الله ، في ذلك ، قَالَ : وأظنه كان أوصى بأن يدفن هناك ، فقَالَ : قد صحَّ عندي أنَّ بالقطيعة نبيَّاً مدفوناً ، ولأن أكون في جوار نبي أحبّ إليَّ من أن أكون في جوار أَبِي " (٢) .

ويحضرني في هذا المقام قصيدة لمواطن يعيش بقُرب الحرم المدني صدر أمرٌ بإزالة بيته من جوار مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتَّوسعة ، فأنشد قصيدة مؤثِّرة يصف حاله ، وحُقّ له أن يبكي فراق جوار سيِّد الخلق محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... يقول شاعر المدينة المنَّورة :

ولمَّا رأيت الرّقم فوق جدارها ... وأيقنت أنّ الهدم أصبح ساريا
بعثت إليكم بالبريد رسالتي ... وأرفقتها شرحاً عن الدّار وافيا
وأخليتها والعين تذرف دمعها ... والإبن يصرخ والبنات بواكيا
فإن جاءت الآلات تهدم منزلي ... وأصبح بنياني على الأرض هاويا
فلا ترفعوا ذاك الرُكام بقسوة ... ستلقون قلبي تحته كان باقيا

---

(١) أخرجه ابن حبَّان في الصحيح (٢/ ٥٠٠ برقم ٧٢٣) ، الهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (ص٦٠٣ برقم ٢٤٣٥) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٧٠ برقم ١٧٣٤٨ ، وقال : وَرِجَالُ أَبِي يَعْلَى رِجَالُ الصَّحِيحِ) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٣) .

فمَن لي بجـــار يشرح الصّدر ذكره ... ومَن لي بدار كـــان للخير دانيا

فإن كنت تبكي إن سمعت مصيبتي ... فإنّي سأبقى طيلـــة العمر باكيا

سلامٌ على دار الرّســـول وأهلها ... فقدصرت بعد القُـرب بالدّارنائيا

وردّ عليه الشّاعر عبدالله عقلان ، فقال :

أيا صاحب الدّار التي جاء ذكرها ... بطيبة والأشـــواق تهفو دوانيا

قرأت لك الأبيـــات حين رسلتها ... ففاضت دموع العين عبر القوافيا

فدارك يا هذا بوصفـــك جنّة ... وقلبك فيها رغـــم بعدك باقيا

ألا ليت من قامـــوا بهذا ترفّقوا ... وراعوا حنيناً في فؤادك خافيا

أما علموا أنّ القلـــوب منازل ... وأعظمهـــا ما كان لله صافيا

وما علموا أنّ الجوار معـــادن ... وجيرة خير الخلق أسمى الأمانيا

ففي ذكره للنّفس أُنس وراحـــة ... وفي قربه تغلـــوا دياراً خواليا

فصلّ وسلّم يا إلهـــي على النّبي ... محمّد خير الخلق للنّـاس هاديا

ولك أن تستغرب وتتعجَّب معي يا قارئي من تلامذة ابن تيمية ومحبِّيه ، حين صرَّحوا باستحباب مجاورة وزيارة قبر شيخهم ابن تيمية ، وفي ذلك يقول أحدهم :

قد أودع الْقَبْر الشَّريف علومـــه ... عجبـــاً لوسع الْقَبْر بحراً سَائِلاً

قد كَانَ لَا يحْتَـاج طَالب علمه ... كثر السُّؤَال وَلَيْسَ يلقـــى سَائِلاً

قد كَانَ ركناً فِي المواعظ جملَـــة ... بحراً عميقـــاً إن أردْت مسائلاً

وإذا رآك يكـــون حقاً بادياً ... لَك بِالسَّلَامِ مواردا ومســـائلاً

يَا ربّ فارحمـــه وبلَّ ثراه بالغيـ ... ـث الْكَرِيم معـــاوداً ومواصلاً

يارب وَافْعل ذَا بِكُـــل موادد ... ومجاور قبر الإِمَام مؤمّـــلاً

يارب وارحمنـــا وكلّ مشيِّع ... صلى عَلَيْهِ أَو أَتَاهُ مُقبـــلا (١)

وما معنى أن يمنع ابنُ تيمية من الدُّعاء عند القبر الشَّريف ويعتبره بدعة ... قال ابن تيمية : " وَلَا يَقِفُ عِنْدَ الْقَبْرِ لِلدُّعَاءِ لِنَفْسِهِ ، فَإِنَّ هَذَا بِدْعَةٌ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ يَقِفُ عِنْدَهُ يَدْعُو لِنَفْسِهِ " .

---

(١)انظر : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ص٤٧١) .

وقال ابن تيمية في موضعٍ آخر : " بَلْ نَصَّ أَئِمَّةُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُوقَفُ عِنْدَهُ لِلدُّعَاءِ مُطْلَقاً ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي " كِتَابِ الْمَبْسُوطِ " ، وَذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ . قَالَ مَالِكٌ : لَا أَرَى أَنْ يَقِفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَدْعُوَ ؛ وَلَكِنْ يُسَلِّمُ وَيَمْضِي " (١) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " قصد القبور للدُّعاء عندها أو لها ، فإنَّ الدُّعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم إلى نوعين :

أحدهما : أن يحصل الدُّعاء في البقعة بحكم الاتِّفاق ، لا لقصد الدُّعاء فيها ، كمن يدعو الله في طريقه ويتَّفق أن يمرَّ بالقبور أو من يزورها ، فيسلِّم عليها ، ويسأل الله العافية له وللموتى ، كما جاءت به السُّنَّة ، فهذا ونحوه لا بأس به .

الثَّاني : أن يتحرَّى الدُّعاء عندها بحيث يستشعر أنَّ الدُّعاء هناك أجوب منه في غيره ، فهذا النَّوع منهيٌّ عنه إمَّا نهي تحريم أو تنزيه ، وهو إلى التَّحريم أقرب " .

وقال أيضاً : " وما أحفظ - لا عن صاحب ولا تابع ، ولا عن إمام معروف - أنَّه استحبَّ قصد شيء من القبور للدُّعاء عنده ، ولا روى أحد في ذلك شيئاً ، لا عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا عن الصَّحابة ، ولا عن أحد من الأئمَّة المعروفين . وقد صنَّف النَّاس في الدُّعاء وأوقاته وأمكنته ، وذكروا فيه الآثار ، فما ذكر أحد منهم في فضل الدُّعاء عند شيء من القبور حرفاً واحداً - فيما أعلم -، فكيف يجوز - والحال هذه - أن يكون الدُّعاء عندها أجوب وأفضل ، والسَّلف تنكره ولا تعرفه ، وتنهى عنه ولا تأمر به " (٢) .

ويقول أيضاً : " وَكَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصِدُ الدُّعَاءَ عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ؛ لَا قَبْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا قَبْرِ الْخَلِيلِ وَلَا غَيْرِهِمَا. وَلِهَذَا ذَكَرَ الْأَئِمَّةُ كَمَالِكٍ وَغَيْرِهِ أَنَّ هَذَا بِدْعَةٌ " (٣) .

فابنُ تيمية يزعم فيما نقلنا عنه في النُّصوص السَّابقة أنَّ الوقوف للدُّعاء عند القبر الشَّريف بِدْعَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ يفعل ذلك ، ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصِدُ الدُّعَاءَ عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ، وكذا لم يتحرَّى أحدٌ منهم الدُّعاء عند أيٍّ من قبور الأنبياء ...

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٦/ ١٤٧) ، (٢٧/ ١١٧) ،بالترتيب .

(٢) انظر : انظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص٣٣٦-٣٣٧) ، (ص٣٦٨-٣٦٩)، بالترتيب .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ١١٠) .

وتابع ابن تيمية في القول ببدعيَّة الدُّعاء عند القبر الشَّريف تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة الذي قال : " ومن المحال أن يكون دعاء الموتى ، أو الدُّعاء بهم ، أو الدُّعاء عندهم ، مشروعاً وعملاً صالحاً ، ويصرف عنه القرون الثَّلاثة المفضَّلة بنصِّ رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، ثمَّ يرزقه الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون .

فهذه سُنَّة رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم في أهل القبور بضعاً وعشرين سنة ، حتَّى توفَّاه الله تعالى ، وهذه سُنَّة خلفائه الرَّاشدين ، وهذه طريقة جميع الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان ، هل يمكن بشر على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح ، أو حسن ، أو ضعيف ، أو منقطع : أنَّهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها ، وتمسَّحوا بها ، فضلاً أن يُصلُّوا عندها ، أو يسألوا الله بأصحابها ، أو يسألوهم حوائجهم . فليوقفوا على أثر واحد : أو حرف واحد من ذلك ، بلى ، يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك ، وكلَّما تأخَّر الزَّمان وطال العهد ، كان ذلك أكثر ، حتَّى لقد وجد في ذلك عدَّة مصنَّفات ليس فيها عن رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، ولا عن خلفائه الرَّاشدين ، ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك ، بلى فيها من خلاف ذلك كثير " (١) .

والغريب في الأمر أنَّ ابن تيمية تناقض مع نفسه في هذه المسألة ، فذكر أنَّ المؤمن قد يقصد بعض الأماكن للصَّلاة فيها أو للدُّعاء لما يحسُّه في داخله من الخشوع واجتماع القلب فيها دون غيرها من الأماكن ، فقال : " والمؤمن قد يتحرَّى الصَّلاة أو الدُّعاء في مكان دون مكان لاجتماع قلبه فيه وحصول خشوعه فيه ، لا لأنَّه يرى أنَّ الشارع فضَّل ذلك المكان كصلاة الذي يكون في بيته ونحو ذلك .

فمثل هذا إذا لم يكن منهيَّاً عنه لا بأس به ، ويكون ذلك مستحبَّاً في حقِّ ذلك الشَّخص لكون عبـــادته فيه أفضل ، كما إذا صلَّى القوم خلف إمام يحبُّونه كـــانت صلاتهم أفضل من أن يصلُّوا خلف من هم له كارهون " (٢) ...

وعلى كلِّ حال فابن تيمية يعتبر الدُّعاء عند القبر الشَّريف بدعة ، وكلامه في هذا الباب باطل عاطل ، تردُّه الرِّوايات الصَّحيحة الصَّريحة عن الصَّحابة الكرام ، وأنَّهم فعلوا وتحرَّوا ما اعتبره ابن تيمية بدعة ، بل إنَّ ابن تيمية ذكر في كتابه الاقتضاء ، فقال : " وذكر أبو علي الخرقي في قصص من هجره أحمد : أنَّ بعض هؤلاء

(١) انظر : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢٠٢-٢٠٣) .

(٢) انظر : الإخنائية (أو الرد على الإخنائي) (ص٣٠٧) .

المهجورين كان يجيء إلى عند قبر أحمد ويتوخَّى الدُّعاء عنده ، وأظنُّه ذكر ذلك المروزي . ونقل عن جماعات بأنَّهم دعوا عند قبور جماعات من الأنبياء والصَّالحين من أهل البيت وغيرهم فاستجيب لهم الدُّعاء ، وعلى هذا عمل كثير من النَّاس .

وقد ذكر المتأخِّرون المصنِّفون في مناسك الحج إذا زار قبر النَّبي صلَّى الله عليه و سلَّم ، فإنَّه يدعو عنده . وذكر بعضهم : أنَّ من صلَّى عليه سبعين مرَّة عند قبره ودعا استجيب له ، وذكر بعض الفقهاء في حجَّة من يجوِّز القراءة على القبر : أنَّها بقعة يجوز السَّلام والذِّكر والدُّعاء عندها ، فجازت القراءة عندها كغيرها . وقد رأى بعضهم منامات في الدُّعاء عند قبر بعض الأشياخ وجرّب أقوام استجابة الدُّعاء عند قبور معروفة كقبر الشَّيخ أبي الفرج الشِّيرازي المقدسي وغيره .

وقد أدركنا في أزماننا وما قاربها من ذي الفضل عند النَّاس علماً وعملاً من كان يتحرَّى الدُّعاء عندها ، والعكوف عليها ، وفيهم من كان بارعاً في العلم ، وفيهم من له عند النَّاس كرامات " (١) .

ويؤكِّد ما ذكره ابن تيمية هنا ما جاء في صحيح البخاري : " حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي اللَّيْثُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيُّ ، أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ الأَنْصَارِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي ، وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي فَإِذَا كَانَتِ الأَمْطَارُ سَالَ الوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي ، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " ، قَالَ عِتْبَانُ : فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَذِنْتُ لَهُ ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ البَيْتَ ، ثمَّ قَالَ : " أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ " قَالَ : فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَبَّرَ ، فَقُمْنَا فَصَفَّنَا فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثمَّ سَلَّمَ ... " (٢) .

فهذا الصَّحابي الجليل رضي الله عنه دعا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيته ليصلِّي فيه كي يتبرَّك بالموضع الذي صلَّى فيه النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام ، وقد أجابه الرَّسول إلى دعوته ولم ينكر عليه.....

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص٣٤٢) .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٩٢ برقم ٤٢٥) ، مسلم (١/ ٤٥٥ برقم ٣٣) .

قال الإمام ابن بطَّال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩هـ) في كلامه على الحديث السَّابق : " قال المهلَّب : وفيه التبرُّك بمصلَّى الصَّالحين ومساجد الفاضلين . وفيه : أنَّه من دُعي من الصَّالحين إلى شيء يتبرَّك به منه ، فله أن يجيب إذا أمن الفتنة من العجب " (١) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " وَفِي حَدِيثِ عِتْبَانَ هَذَا فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ ... وَمِنْهَا : التَّبَرُّكُ بِالصَّالِحِينَ ، وَآثَارِهِمْ ، وَالصَّلَاةُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي صَلَّوْا بِهَا ، وَطَلَبُ التَّبْرِيكِ مِنْهُمْ " (٢) .

وقال الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) في شرحه للحديث : " ... وَفِيهِ التَّبَرُّكُ بِالْمَوَاضِعِ الَّتِي صَلَّى فِيهَا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ وَطِئَهَا ، وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ : أَنَّ مَنْ دُعِيَ مِنَ الصَّالِحِين ليتبرَّك بِهِ أَنه يُجيب إِذَا أَمِنَ الْفِتْنَةَ " (٣) .

وروى الشَّيخان بسندهما عن يزيد بن أبي عبيد ، قال : كنت آتي مع مسلمة بن الأكوع ، فيصلِّي عند الاسطوانة التي عند المصحف ، فقلت : يا أبا مسلم ، أراك تتحرَّى الصَّلاة عند هذه الأسطوانة ؟ قال : فإنِّي رأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحرَّى الصَّلاة عندها (٤) .

قال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) : " وفي هذا أنَّه لا بأس بإدامة الصَّلاة في موضع واحد إذا كان فيه فضلٌ " (٥) .

قلت : وهل هناك فضلٌ أعظم من أن يُلامس الإنسان بحرِّ وجهه مكاناً مَّسه وجهُ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يتبرَّك بذلك ...؟

قال الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) : " والأسطوانة المذكورة حقَّق لنا بعض مشايخنا أنَّها المتوسّطة في الرَّوضة المكرَّمة ، وأنَّها تُعرف باسطوانة المهاجرين ، قال : وروي عن عائشة : أنَّها كانت تقول : لو عرفها النَّاس لاضطربوا عليها بالسِّهام . وأنها أسرَّتها إلى ابن الزُّبير ، فكان كثير الصَّلاة عندها . ثمَّ وجدتُ ذلك في تاريخ المدينة لابن النَّجار ، وزاد : أنَّ المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها " (٦) .

---

(١) انظر : شرح صحيح البخاري (٢/ ٧٧) .

(٢) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٥/ ١٦١) .

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٥٢٢) .

(٤) أخرجه البخاري (١/ ١٠٦ برقم ٥٠٢) ، مسلم (١/ ٣٦٤ برقم ٥٠٩) ، أحمد في المسند (٤/ ٤٨ برقم ١٦٦٣١) ، البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٨٥ برقم ٣٤٧١) .

(٥) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (٤/ ٢٢٦) .

(٦) انظر : فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، (١/ ٥٧٧) ، دار الفكر ، بيروت .

قلت : ولا يكون الاضطراب عليها والاجتماع عندها من قِبل النَّاس إلَّا لطلب بركة ذلك الموضع الذي كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثرُ من الصَّلاة فيه .

قال الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) : " ومحصِّل ذلك أنَّ ابن عمر كان يتبرَّك بتلك الأماكن ، وتشدُّده في الاتِّباع مشهور ، ولا يُعارض ذلك ما ثبت عن أبيه أنَّه رأى النَّاس في سفر يتبادرون إلى مكان فسأل عن ذلك ، فقالوا : قد صلَّى فيه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : من عرضت له الصَّلاة فليصلِّ وإلَّا فليمض ، فإنَّما هلك أهل الكتاب لأنَّهم تتبَّعوا آثار أنبيائهم فاتَّخذوها كنائس وبيعاً ، لأنَّ ذلك من عمر محمولٌ على أنَّه كره زيارتهم لمثل ذلك بغير صلاة أو خشي أن يشكل ذلك على من لا يعرف حقيقة الأمر فيظنّه واجباً ، وكلا الأمرين ، مأمون من ابن عمر .

وقد تقدَّم حديث عتبان وسؤاله النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أن يصلِّي في بيته ليتَّخذه مصلًّى وإجابة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ذلك ، فهو حجَّة في التَّبرُّك بآثار الصَّالحين " (١) .

وروى أحمد ، والنَّسائي ، وغيرهما بسندهم عن عاصم الأحول عن أبي مجلز أنَّ أبا موسى كان بين مكَّة والمدينة ، فصلَّى العشاء ركعتين ثمَّ قام فصلَّى ركعة أوتر بها فقرأ بمائة أية من النِّساء ثمَّ قال : ما ألوت أن أضع قدمي حيث وضع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدميه ، وأنا أقرأ بما قرأ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) ، فقد روى مالك وغيره بسندهم عَنْ عَبْدِ الله بْنِ دِينَارٍ ؛ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ يَقِفُ عَلَى قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيُصَلِّي عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ (٣) .

وروى الطَّبراني وغيره بسندهم عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ ، قَالَ : رَأَيْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ عِنْدَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ يَدْعُو ، فَجَاءَ مَرْوَانُ فَأَسْمَعَهُ كَلَاماً ، فَقَالَ أُسَامَةُ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ (٤) .

---

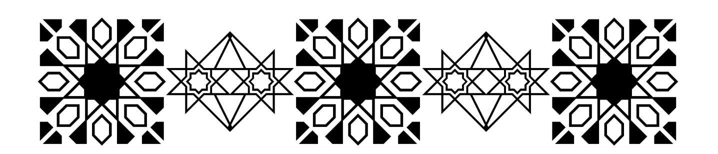
(١) انظر : فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، (١/ ٥٦٩) ، دار الفكر ، بيروت .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣١٩ برقم ١٩٩٩٨) ، النسائي في السنن الكبرى (١/ ٤٤٦ برقم ١٤٢٤) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧ برقم ٤٧٨٨) ، الطيالسي في المسند (١/ ٤١٣ برقم ٥١٤) .

(٣)أخرجه مالك (٢/ ٢٣١ برقم ٥٧٤) ، البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٤٠٣ برقم ١٠٢٧٢) .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٦٦ برقم ٤٠٥) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ١٠٥ برقم ١٣١٦) .

وروى البيهقيُّ بسنده عن عَبْدُ الله بْنُ مُنِيبِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي أُمَامَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : " رَأَيْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أَتَى قَبْرَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَقَفَ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ افْتَتَحَ الصَّلَاةَ ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمَّ انْصَرَفَ " [١] ...



[١] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٣ برقم ٣٨٦٧) .

المَبْحَثُ الثَّانِي

حَرَّمُوا التَّبَرُّكُ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِآثَارِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ انْتِقَالِهِ إِلَى الرَّفِيْقِ الأَعْلَى

التَّبرُّك مصدر تبرَّك يتبرَّك تبرُّكاً ، وهو طلب البركة ، والتَّبرُّك مأخوذ من البركة ، ومادّتها الزِّيادة والنَّماء...، قال ابن فارس : قال الخليل : البَرَكة من الزِّيادة والنَّماء . والتَّبريك : أن تَدعُوَ بالبَرَكة " [١] .

فالتَّبرُّك هو طلب الزِّيادة والنَّماء والتماس الخير من المتبرَّك به ، ويقصد به التَّيمُّن ، تقول : تبرَّكت به ، أي : تيمَّنت به [٢] .

فمن عظَّم نبيَّاً أو وليَّاً أو صالحاً ، وتبرَّك به أُثيب على تبرُّكه ذلك ، لأنَّ الدَّافع لتعظيمه لهؤلاء هو قُرب منزلتهم من الله تعالى ، فعاد الأمر إلى محبَّة الله ، وتعظيمه ، والتماس الخير منه سبحانه .

ومن عظَّم الحجر الأسود بتقبيله ، واستلامه ، والتَّبرُّك به ... وكذا من عظَّم مقام إبراهيم عليه السَّلام ، وصلَّى فيه تبرُّكاً به ، كان مُثاباً على ذلك ، لأنَّ الدَّافع لذلك هو الاستجابة للأمر والاتِّباع .

فالتَّبرُّك ليس إلَّا توسُّلاً إلى الله سبحانه وتعالى بذلك المتبرَّك به ، سواء أكان أثراً أو مكاناً أو شخصاً .

أمَّا الأعيان فلاعتقاد فضلها وقربها من الله سبحانه وتعالى ، مع اعتقاد عجزها عن جلب خير أو دفع شرٍّ إلَّا بإذن الله .

وأمَّا الآثار فلأنَّها منسوبة إلى تلك الأعيان ، فهي مشرَّفة بشرفها ، ومكرَّمة ومعظَّمه ومحبوبة لأجلها .

وأمَّا الأمكنة فلا فضل لها لذاتها من حيث هي أمكنة ، وإنَّما لما يحلُّ فيها ويقع من خير وبركة ، كالصَّلاة ، والصِّيام ، وجميع أنواع العبادات ممَّا يقوم به عباد الله الصَّالحون ، إذ تتنزَّل فيها الرَّحمات ، وتحضرها الملائكة ، وتغشاها السَّكينة ، وهذه هي البركة التي تطلب من الله في الأماكن المقصودة لذلك .

وهذه البركة تطلب بالتَّعرُّض لها في أماكنها ، بالتَّوجه إلى الله تعالى ودعائه واستغفاره ، وتذكُّر ما وقع في تلك الأماكن من حوادث عظيمة ، ومناسبات كريمة ، تحرِّك النُّفوس ، وتبعث فيها الهمَّة والنَّشاط للتَّشبُّه بأهلها أهل الفلاح والصَّلاح [٣] .

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٣٠) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (١٠/ ١٣١) ، لسان العرب (١/ ٢٠٠) ،المفردات القرآنية (ص٤١) .

(٣) انظر : مفاهيم يجب أن تصحح (ص٢١٩) .

وقد دأب الصَّحابة الكرام على التَّبرُّك بسيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وبألوان عديدة من التَّبرُّك ... فقد تبرَّكوا بجسده الشَّريف ، وكذا بما مسَّته يده ، وقدمه ، وأصابعه ، وفمه ... وقد أقرَّهم الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك ، بل أمرهم وأشار إليهم بذلك ...

وبعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبرَّكوا بآثاره من غير نكير فكان إجماعاً ، وبيان ذلك في المسائل التَّالية :

أَوَّلاً : التَّبرُّكُ بِمَسِّ جِلْدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

حرص الصَّحابة الكرام على مسِّ أيِّ موضع من جسده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتقبيله ، من ذلك : ما رواه أبو داود وغيره عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ، رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ وَكَانَ فِيهِ مِزَاحٌ بَيْنَا يُضْحِكُهُمْ فَطَعَنَهُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَاصِرَتِهِ بِعُودٍ فَقَالَ : أَصْبِرْنِي فَقَالَ : " اصْطَبِرْ " ، قَالَ : إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصاً وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ ، " فَرَفَعَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَمِيصِهِ ، فَاحْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ " ، قَالَ : إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهَّ " (١) .

فهذا الصَّحابي الجليل كان شديد الحرص على أن يمسَّ جسدُه جسدَ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبرُّكاً به ، وقد أقرَّه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على فعله ، ولم يُنكر عليه .....

ثَانِياً : التَّبرُّكُ بِمَسِّ يَدِهِ الشَّرِيفَة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

روى البخاري بسنده عَنِ أَبِي جُحَيْفَةَ ، قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالهَاجِرَةِ إِلَى البَطْحَاءِ ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ ، وَالعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ ، قَالَ شُعْبَةُ وَزَادَ فِيهِ عَوْنٌ ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي جُحَيْفَةَ ، قَالَ : كَانَ يَمُرُّ مِنْ وَرَائِهَا المَرْأَةُ ، وَقَامَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ يَدَيْهِ فَيَمْسَحُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ ، قَالَ : فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِي فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ المِسْكِ " (٢) .

وروى أحمد بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الأَسْوَدِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : حَجَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ ، قَالَ : فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةَ الصُّبْحِ أَوِ الْفَجْرِ ، قَالَ : ثُمَّ انْحَرَفَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٥٦ برقم ٥٢٢٤) ، الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٠٥ برقم ٥٥٦) ، البغوي في شرح السنة ، (١٠/ ١٦٩) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ٢٧٦ برقم ١٤٧١) ، البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٦٤ برقم ١٣٥٨٦) . والكشح هو ما بين الخارة والضُّلوع ...

(٢) أخرجه البخاري ، (٤/ ١٨٨ برقم ٣٥٥٣) .

جَالِساً ، وَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلَيْنِ مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ لَمْ يُصَلِّيَا مَعَ النَّاسِ ، فَقَالَ : ائْتُونِي بِهَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ قَالَ : فَأُتِيَ بِهِمَا تَرْعَدُ فَرَائِصُهُمَا ، فَقَالَ : مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تُصَلِّيَا مَعَ النَّاسِ ؟ قَالاَ : يَا رَسُولَ الله إِنَّا كُنَّا قَدْ صَلَّيْنَا فِي الرِّحَالِ . قَالَ : فَلاَ تَفْعَلاَ ، إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فِي رَحْلِهِ ، ثُمَّ أَدْرَكَ الصَّلاَةَ مَعَ الإِمَامِ ، فَلْيُصَلِّهَا مَعَهُ ، فَإِنَّهَا لَهُ نَافِلَةٌ . قَالَ : فَقَالَ أَحَدُهُمَا : اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ الله . فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ، قَالَ : وَنَهَضَ النَّاسُ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَهَضْتُ مَعَهُمْ ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَشَبُّ الرِّجَالِ وَأَجْلَدُهُ . قَالَ : فَمَا زِلْتُ أَزْحَمُ النَّاسَ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا إِمَّا عَلَى وَجْهِي أَوْ صَدْرِي ، قَالَ : فَمَا وَجَدْتُ شَيْئاً أَطْيَبَ وَلاَ أَبْرَدَ مِنْ يَدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : وَهُوَ يَوْمَئِذٍ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ (١) .

وجاء في رواية ثانية عند أحمد : ثُمَّ ثَارَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ بِيَدِهِ يَمْسَحُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ ، قَالَ : فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَمَسَحْتُ بِهَا وَجْهِي ، فَوَجَدْتُهَا أَبْرَدَ مِنَ الثَّلْجِ ، وَأَطْيَبَ رِيحاً مِنَ الْمِسْكِ (٢) .

وورد في الصِّحاح أنَّ الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا يرسلون بأوانيهم وفيها الماء ، فيغمس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده فيها ، يلتمسون بركته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من ذلك ما رواه مسلم في صحيحه بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : " كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلَّى الغداة ، جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها ، فربَّما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها " (٣) .

قال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) : " ... في هذه الأحاديث ..... صبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المشقَّة في نفسه لمصلحة المسلمين ، وإجابته من سأله حاجة أو تبريكاً بمسِّ يده ، وإدخالها في الماء كما ذكروا ، وفيه التَّبرُّكُ بآثار الصَّالحين ، وبيان ما كانت الصَّحابة عليه من التَّبرُّك بآثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتبرُّكهم بإدخال يده الكريمة في الآنية ......" (٤) .

ثَالِثَاً : التَّبَرُّكُ بِالأَمَاكِنِ الفَاضِلَةِ التِيْ صَلَّى فِيْهَا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٦١ برقم ١٧٦١٥) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٦١ برقم ١٧٦١٦) .

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٨١٢برقم ٢٣٢٤) ، البيهقي في شعب الإيمان ، (٣/ ٢٤ برقم ١٣٦١) ، البغوي في شرح السنة (١٣/ ٢٤٤ برقم ٣٦٧٧)

(٤) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٨٢) .

روى البخاري بسنده أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ الأَنْصَارِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي ، وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي ، فَإِذَا كَانَتِ الأَمْطَارُ سَالَ الوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي ، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " ، قَالَ عِتْبَانُ : فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَذِنْتُ لَهُ ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ البَيْتَ ، ثمَّ قَالَ : " أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ " ، قَالَ : فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَـــــةٍ مِنَ البَيْتِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَبَّرَ ، فَقُمْنَا فَصَفَّنَا فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثمَّ سَلَّمَ ... " (١) .

فهذا الصَّحابي الجليل رضي الله عنه دعا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيته ليصلِّي فيه ، وليتبرَّك بالموضع الذي صلَّى فيه النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام ، وقد أجابه الرَّسول إلى دعوته ولم ينكر عليه ....

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث : " ... وَفِيهِ التَّبَرُّكُ بِالْمَوَاضِعِ الَّتِي صَلَّى فِيهَا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ وَطِئَهَا ، وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ : أَنَّ مَنْ دُعِيَ مِنَ الصَّالِحِين ليتبرَّك بِهِ أَنه يُجِيب إِذَا أَمِنَ الْفِتْنَةَ " (٢)

وقال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) : " وفي حديث عتبان فوائد كثيرة .... ومنها : التَّبرُّك بالصَّالحين وآثارهم ، والصَّلاة في المواضع التي صلُّوا بها ، وطلب التَّبريك منهم (٣) .

وروى البخاري بسنده عن يَزِيدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ ، قَالَ : كُنْتُ آتِي مَعَ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ فَيُصَلِّي عِنْدَ الأُسْطُوَانَةِ الَّتِي عِنْدَ الْمُصْحَفِ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا مُسْلِمٍ ، أَرَاكَ تَتَحَرَّى الصَّلاَةَ عِنْدَ هَذِهِ الأُسْطُوَانَةِ ، قَالَ : فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَرَّى الصَّلاَةَ عِنْدَهَا " (٤) .

قلت : وهل هناك فضل أعظم من أن يلامس الإنسان بِحَرِّ وجهه مكاناً مسَّه وجه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يتبرَّك بذلك ...؟

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٩٢ برقم ٤٢٥) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٥٢٢) .

(٣) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (٥/ ١٦١) .

(٤) أخرجه البخاري (١/ ١٠٦ برقم ٥٠٢) .

قال الحافظ ابن حجر : " والأسطوانة المذكورة حقَّق لنا بعض مشايخنا أنَّها المتوسِّطة في الرَّوضة المكرَّمة ، وأنَّها تعرف باسطوانة المهاجرين ، قال : وروي عن عائشة أنَّها كانت تقول : لو عرفها النَّاس لاضطربوا عليها بالسِّهام ، وأنَّها أسرَّتها إلى ابن الزُّبير ، فكان كثير الصَّلاة عندها . ثمَّ وجدت ذلك في تاريخ المدينة لابن النَّجَّار ، وزاد : أنَّ المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها " (١) .

قلت : ولا يكون الاضطراب عليها والاجتماع عندها من قبل النَّاس إلَّا لطلب بركة ذلك الموضع الذي كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر من الصَّلاة فيه .

ويندرج هذا الحكم على جميع الصَّالحين ، وهو ما فهمه أهل العلم ، قال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقيِّ الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمته للإمام النَّووي : " ... وَأَنا إِذا أردْت أَن أجمل تفاصيل فَضله ، وأدلُّ الْخلق على مبلغ مِقْدَاره ، بمختصر القَوْل وفصله ، لم أَزْد على بَيْتَيْنِ أنشدنيهما من لَفظه لنَفسِهِ الشَّيخ الإِمَام ، وَكَانَ من حَدِيثهمَا أَنه أَعنِي الْوَالِد رَحمَه الله لَمَّا سكن فِي قاعة دَار الحَدِيث الأشرفيَّة فِي سنة اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعين وَسَبْعمائة كَانَ يخرج فِي اللَّيْل إِلَى إيوانها ليتهجَّد تجاه الْأَثر الشَّريف ، ويمرِّغ وَجهه على الْبسَاط ، وَهَذَا الْبسَاط من زمَان الْأَشْرَف الْوَاقِف ، وَعَلِيهِ اسْمه ، وَكَانَ النَّوَوِيّ يجلس عَلَيْهِ وَقت الدَّرْس ، فأنشدني الْوَالِد لنَفسِهِ :

وَفِي دَار الحَدِيث لطيف معنى على بسط لَهَا أصبــــو وآوي
عَسى أَنِّي أمسَّ بحرِّ وَجْهــــي مَكَاناً مَسَّـــه قدمُ النَّواوي (٢)

وقال الإمام أبو الحسين ابن أبي يعلى ، محمَّد بن محمَّد (٥٢٦هـ) ، في ترجمة علي بْن محمَّد بْن بشار أَبُو الحسن الزَّاهد العارف : " ... وتوفِّي لسبع خلون من شهر ربيع الأوَّل سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، ودفن بالعقبة قريباً من النّجمي ، وقبره الآن ظاهر يتبرَّك النَّاس بزيارته " (٣) .

وقال أيضاً في ترجمة أَبُو جَعْفَر عبد الخالق بْن عيسى بْن أَحْمَد بن محمَّد بْنِ عِيسَى بْن أَحْمَد بْن موسى بْن محمَّد بن إبراهيم بْن عَبْدِ اللهَّ بْن معبد بْن العباس بْن عبد المطَّلب (٤٧٠هـ) : " وحفر لَهُ بجنب قبر إمامنا أَحْمَد ، فدفن فِيهِ وأخذ النَّاس من تراب قبره الكثير تبرُّكاً به . ولزم النَّاس قبره ليلاً ونهاراً مدَّة طويلة ، ويقرأون ختمات

---

(١) انظر : فتح الباري (١/ ٥٧٧) .

(٢) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٣٩٦) .

(٣) انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ٦٣) .

، ويكثرون الدُّعاء . ولقد بلغني أنَّه ختم عَلَى قبره فِي مدَّة شهور ألوف ختمات ، وكثرت المنامات من الصَّالحين بالرُّؤى الصَّالحة لَهُ ... " (١) .

وفي كلامه عن فتح أذربيجان ، قال الإمام ابن عساكر (٥٧١هـ) : " ... افتتحها ، يعني : أذربيجان البراء بن عازب ، فهي مختلطة منها عنوة ومنها صلح ، ويقال : افتتحها سلمان بن ربيعة الباهلي في زمن عثمان ، ويقال : بل الوليد افتتحها ثمَّ بعث الوليد من فور ذلك سلمان بن ربيعة ، فمات ببلنجر ، فقبره اليوم يستسقون به .

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم ، أنا رشأ بن نظيف ، أنا أبو محمَّد المصري ، نا أحمد بن مروان ، نا أبو بكر بن أبي الدُّنيا ، نا ابن سعد ، نا محمَّد بن عمر الأسلمي ، نا أبو بكر بن أبي سبرة ، عن الفضيل بن أبي عبد الله بن دينار الأسلمي أنَّ سلمان بن ربيعة الباهلي غزا بلاد التُّرك في خلافة عثمان بن عفان ، فقتل بالانجر ، فجعل أهل تلك النَّاحية عظامه في تابوت ، فإذا احتبس عنهم القطر أخرجوه فاستسقوا به ، وقال في ذلك ابن جمانة الباهلي الشَّاعر :

إنَّ لنـــــــــــا قبرين قبر بالانجر ... وقبراً بأعلى الصِّيـــــــــن يا لك من قبر
فهذا الذي بالصِّين عمَّت فتوحـــــه ... وهذا الذي بالتُّرك يسقـــــــى به القطر

القبر الذي بالصِّين قبر قتيبة بن مسلم " (٢) .

وقال الإمام ابن عساكر : " أخبرني أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري ، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، أنا أبو عبد الرَّحمن محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسى قراءة عليه ، قال : سمعت محمَّد بن عبد الله بن شاذان ، يقول : سمعت أبا القاسم بن صدقة ، يقول : سمعت علي بن عبد العزيز الطلحي ، يقول : قال لي الرَّبيع : إنَّ الشَّافعي خرج إلى مصر وأنا معه ، فقال لي : يا ربيع خذ كتابي هذا فامض به وسلمه إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل وائتني بالجواب ، قال الرَّبيع : فدخلت بغداد ومعي الكتاب ، فلقيت أحمد بن حنبل صلاة الصُّبح فصلَّيت معه الفجر ، فلمَّا انفتل من المحراب سلَّمت إليه الكتاب ، وقلت له : هذا كتاب أخيك الشَّافعي من مصر ، فقال : أحمد نظرت فيه ، قلت : لا ، فكسر أبو عبد الله الختم وقرأ الكتاب وتغرغرت عيناه بالدُّموع ، فقلت : إيش فيه يا أبا عبد الله ، قال : يذكر أنَّه رأى النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم ، فقال له : اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، واقرأ عليه منِّي السَّلام ، وقل : إنَّك ستُمتحن وتُدعى إلى خلق القرآن فلا

---

(١) انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤١) .

(٢) انظر : تاريخ دمشق (٢١/ ٤٧٤) .

تجبهم ، فسيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة ، قال الرَّبيع : فقلت : البشارة ، فخلع أحمد قميصه الذي يلي جلده ودفعه إليَّ فأخذته وخرجت إلى مصر ، وأخذت جواب الكتاب ، فسلَّمته إلى الشَّافعي ، فقال لي الشَّافعي : يا ربيع إيش الذي دفع إليك ، قلت : القميص الذي يلي جلده ، قال الشَّافعي : ليس نفجعك به ، ولكن بله وادفع إليَّ الماء حتى أشركك فيه " (١) .

وفي كلامه عن أمِّ حرام بنت ملحان الأنصاريَّة ، قال الإمام ابن عساكر : " أم حرام بنت ملحان الأنصاريَّة خالة أنس بن مالك ، كانت تحت عبادة بن الصَّامت ، وخرجت معه في بعض غزوات البحر ، وماتت بالشَّام ، وقُبرت بقبرس ، وَقَصَتهَا بغلتها فماتت ، وأهل الشَّام يستسقون بها ، يقولون : قبر المرأة الصَّالحة " (٢) .

وقال الإمام أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (٥٧٨هـ) ، في ترجمة نصر بن الحسن بن أبي القاسم بن أبي حاتم بن الأشعث التنكتي الشَّاشي : " أخبرنا القاضي الشَّهيد أبو عبد الله محمَّد بن أحمد رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : قرأت على أبي على حسين بن محمَّد الغسَّاني ، قال : أخبرني أبو الحسن طاهر بن مفوز والمعافري ، قال : أنا أبو الفتح وأبو الليث نصر بن الحسن التّنكتي المقيم بسمرقند قدم عليهم بلنسية عام أربعة وستِّين وأربع مائة . قال : قحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام ، قال : فاستسقى النَّاس مراراً فلم يُسقوا . قال : فأتى رجل من الصَّالحين معروف بالصَّلاح مشهور به إلى قاضي سمرقند ، فقال له : إنِّي قد رأيت رأياً أعرضه عليك . قال : وما هو ؟ قال : أرى أن تخرج ويخرج النَّاس معك إلى قبر الإمام محمَّد بن إسماعيل البخاري رحمه الله وقبره بخرتنك وتستسقوا عنده فعسى الله أن يسقينا ، قال : فقال القاضي نعم ما رأيت . فخرج القاضي وخرج النَّاس معه واستسقى القاضي بالنَّاس ، وبكى النَّاس عند القبر وتشفَّعوا بصاحبه ، فأرسل الله السَّماء بماءٍ عظيم غزير ، أقام النَّاس من أجله بخرتنك سبعة أيَّام أو نحوها لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر وغزارته ، وبين خرتنك وسمرقند ثلاثة أميال أو نحوها " (٣) .

وقال الإمام ابن الخرَّاط (٥٨١هـ) : " ... وَيسْتَحب لَك رَحِمك الله أَن تقصد بميِّتك قُبُور الصَّالِحين ، ومدافن أهل الْخَيْر ، فتدفنه مَعَهم ، وتنزله بإزائهم ، وتسكنه فِي جوارهم ، تبرُّكاً بهم ، وتوسُّلاً إِلَى الله تَعَالَى بقربهم ، وَأَن تجتنب بِهِ قُبُور من سواهُم مِمَّن يخَاف التَّأذي بمجاورته ، والتَّألُّم بمشاهدته ، فقد روي عَن النَّبي

---

(١) انظر : تاريخ دمشق (٥/ ٣١١) .

(٢) انظر : تاريخ دمشق (٧٠/ ٢١٧) .

(٣) انظر : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (١/ ٦٠٣) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٦٩) .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ : " إِنَّ الميِّت يتَأَذَّى بالجار السُّوء كَمَا يتَأَذَّى بِهِ الْحَيّ ... " (١) ، وحديث تأذِّي الميِّت بجار السُّوء ذكره العجلوني في " كشف الخفاء " ، وقال : " ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال في المقاصد : رواه أبو نعيم والخَليلي من حديث سليمان بن عيسى عن أبي هريرة مرفوعاً ، وسليمان متروك بل اتُّهم بالوضع ، ولكن لم يزل عمل السَّلف والخلف على هذا انتهى ، وممَّا يشهد له ما أخرجه ابن عساكر عن علي أمرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين ، فإنَّ الموتى يتأذّون بالجار السُّوء كما يتأذَّى به الأحياء " (٢) .

وقال الإمام ابن الجوزي (٥٩٧هـ) : " وكان هبة الله بن عبد الوارث يحكي عن والدته فاطمة بنت علي قالت : سمعت أبا عبد الله محمَّد بن أحمد المعروف بابن أبي زرعة الطَّبري ، قَالَ : سافرت مع أبي إلى مكَّة ، فأصابتنا فاقة شديدة ، فدخلنا مدينة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبتنا طاويين ، وكنت دون البالغ ، فكنت أجيء إلى أبي وأقول : أنا جائع . فأتى بي أبي إلى الحضرة ، وقال : يا رسول الله ، أنا ضيفك الليلة . وجلس فلمَّا كان بعد ساعة رفع رأسه وجعل يبكي ساعة ، ويضحك ساعة . فقال : رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضع في يدي دراهم ، ففتح يده فإذا فيها دراهم وبارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز وكنَّا ننفق منها " (٣) .

وقال أيضاً في ترجمة أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي : " ... وتوفِّي ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين ، وقبره ظاهر يتبرَّك النَّاس به ، رحمه الله " (٤) .

وقال أيضاً في ترجمة علي بن محمَّد بن بشَّار أبو الحسن : " ... ودفن يوم الخميس بمشرعة السَّاج من الجانب الغربى ببغداد ، وقبره اليوم ظاهر يتبرَّك به " (٥) .

وقال الإمام ابن نقطة الحنبلي البغدادي (٦٢٩هـ) ، في ترجمة عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع أبو محمَّد المقدسي الحافظ (٦٠٠هـ) : " ... وقبره بالقرافة يُتبرَّك به " (٦) .

---

(١) انظر : العاقبة في ذكر الموت (١/ ٢١٩-٢٢٠) .

(٢) انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (١/ ٧٢). قلت : وقد رواه الطبراني في : جزء فيه ما انتقى أبوبكر أحمد بن موسى ابن مردويه على أبي القاسم الطبراني من حديثه لأهل البصرة (ص٢٩٩ برقم ١٣٨) .

(٣) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١٦/ ٣١٤) .

(٤) انظر : صفة الصفوة (١/ ٥١٥) .

(٥) انظر : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٦/ ١٩٨-١٩٩) .

(٦) انظر : التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (١/ ٣٧٠) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقيِّ الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة عُثْمَان بن عبد الرَّحمن بن مُوسَى بن أبي نصر الْكرْدِي الشَّهرزوري : " ... فدفنوه بِطرف مَقَابِر الصُّوفِيَّة ـ وقبره على الطَّرِيق فِي طرفها الغربي ظَاهر يُزار ويتبرَّك بِهِ ، قيل : وَالدُّعَاء عِنْد قَبره مُستجاب " (١) .

وقال الإمام الذَّهبي (٧٤٨هـ) ، في ترجمة ابْنُ زِيْرَكَ محمَّد بنُ عُثْمَانَ بنِ أَحْمَدَ القُوْمَسَانِيُّ : " وَقَبرُهُ يُزَار ، وَيُتَبَرَّكُ بِهِ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الله بن سعيد السَّلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشَّهير بلسان الدِّين ابن الخطيب (٧٧٦هـ) ، في ترجمة علي بن أحمد بن خلف بن محمَّد بن الباذش الأنصاري : " ... ودفن بمقبرة باب البيرة ، وازدحم النَّاس على نعشه ، وكانت جنازته حافلة ، وتفجَّع النَّاس على قبره ، وقبره مشهور ، يتبرَّك به النَّاس " (٣) .

وقال الإمام ابن الجزري (٨٣٣هـ) ، في ترجمة إسماعيل بن محمَّد بن عبد الله التَّستري (٧٤٨هـ) : " ... شيخ القرَّاء العلَّامة الأوحد ، الأستاذ ، المقرئ ، النَّحوي ، الأصولي ، الشَّافعي ، برع في القراءات ، والأصول ، والعربيَّة ، وكان شيخ القراءات بالمدرسة الفاضليَّة مشهوراً بحسن القراءة ، وجودة الأداء ، انتفع به جماعة ، قرأ القراءات وأجادها على الشطنوفي والصَّايغ وجماعة ، وأخذ العربيَّة عن جماعة ، وصحب القونوي ، وأخذ عنه العربيَّة والأصول وغير ذلك ، وكان والده من كبار الأولياء مدفون بتستر ، ينعت بالشَّيخ تاج الدِّين البناكتي ، يُزار ويُتبرَّك به " (٤) .

وقال الإمام طاش كبري زادة (٩٦٨هـ) عن الشَّيخ العارف بالله قره جه أحمد : " ... أتى بلاد الرُّوم وتوطَّن في موضع قريب من اقحصار ، وقبره هناك مشهور يُتبرَّك به ويُزار ، ويُستجاب عنده الدُّعاء ، ويستشفي به المريض ، وذلك مشهور في بلادنا عند الخواصِّ والعوام ، قدَّس الله سرَّه " (٥) .

وقال الإمام ابن العماد (١٠٨٩هـ) ، عن علي بن حميد أبو الحسن الذّهلي : " ... وقبره يُزار ، ويُتبرَّك به " (١) .

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٧٧١هـ) ، (٨/ ٣٢٨) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٣٤).

(٣) انظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٤/ ٧٨) .

(٤) انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٦٨) .

(٥) انظر : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية (١/ ١٢) .

وقال أيضاً في ترجمة السيِّد أحمد البخاري العارف بالله تعالى الشَّريف الحسيني : " ... وتوفِّي بقسطنطينيَّة ، ودفن عند مسجده ، وقبره يُزار ، ويُتبرَّك به " (٢) .

وروى الشَّيخان أيضاً عدداً من الآثار عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يتحرَّى الأماكن التي رأى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلِّي فيها ، فيصلِّي فيها (٣) .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " ومحصّل ذَلِك أَنَّ بن عُمَرَ كَانَ يَتَبَرَّكُ بِتِلْكَ الْأَمَاكِنِ وَتَشَدُّدُهُ فِي الِاتِّبَاعِ مَشْهُورٌ ، وَلَا يُعَارِضُ ذَلِكَ مَا ثَبَتَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ رَأَى النَّاسَ فِي سَفَرٍ يَتَبَادَرُونَ إِلَى مَكَانٍ ، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالُوا : قَدْ صَلَّى فِيهِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ مَنْ عُرِضَتْ لَهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وَإِلَّا فَلْيَمْضِ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ لِأَنَّهُمْ تَتَبَّعُوا آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ فَاتَّخَذُوهَا كَنَائِسَ وَبِيَعاً ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عُمَرَ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ كَرِهَ زِيَارَتَهُمْ لِمِثْلِ ذَلِكَ بِغَيْرِ صَلَاةٍ أَوْ خَشِيَ أَنْ يُشْكِلَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ فَيَظُنَّهُ وَاجِباً ، وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ مَأْمُونٌ من بن عُمَرَ . وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ عِتْبَانَ وَسُؤَالُهُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ لِيَتَّخِذَهُ مُصَلًّى وَإِجَابَةُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ذَلِكَ ، فَهُوَ حُجَّةٌ فِي التَّبَرُّك بآثار الصَّالِحين " (٤) .

وروى النَّسائي والبيهقي بسندهما عن عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ ، أَنَّ أَبَا مُوسَى ، كَانَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَصَلَّى الْعِشَاءَ رَكْعَتَيْنِ ، ثمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَةً أَوْتَرَ بِهَا ، فَقَرَأَ فِيهَا مِائَةَ آيَةٍ مِنَ النِّسَاءِ ، ثمَّ قَالَ : مَا أَلَوْتُ أَنْ أَضَعَ قَدَمَيَّ حَيْثُ وَضَعَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَمَيْهِ ، وَأَنْ أَقْرَأَ بِمَا قَرَأَ بِهِ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٥) .

وروى النَّسائي أيضاً بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ ، سَأَلَتْ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتِيَهَا فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهَا ، فَتَتَّخِذَهُ مُصَلًّى ، فَأَتَاهَا ، فَعَمَدَتْ إِلَى حَصِيرٍ فَنَضَحَتْهُ بِمَاءٍ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَصَلَّوْا مَعَهُ " (٦) .

---

(١) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥/ ٢٢٤) .

(٢) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ١٥٢) .

(٣) انظر صحيح البخاري (١/ ١٠٤ برقم ٤٨٣ فما بعده) ، صحيح مسلم (٢/ ٩٨١ برقم ١٢٥٧ فما بعده) .

(٤) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٥٦٩) .

(٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٢/ ١٦٤ برقم ١٤٢٨) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧ برقم ٤٧٨٨) .

(٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١/ ٤٠٣ برقم ٨١٨) .

فالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم أنَّها ما دعته للصَّلاة في بيتها إلا من أجل التَّبرُّك بموضع صلاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومع ذلك أجابها إلى طلبها وأقرَّها ...

رَابِعَاً : التَّبرُّك بِمَا مَسَّتْهُ يَدُهُ وَأَصَابِعُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

التَّبرُّك بالمواضع التي مسَّتها يد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثابت عن عدد من الصَّحابة ، بل ثبت أنَّ الصَّحابة كانوا يطلبون منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو لأبنائهم ، فكان يمسح على رؤوسهم ويدعو لهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من ذلك ما أخرجه أحمد ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ ، مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ ، حَدَّثَنَا ذَيَّالُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ حَنْظَلَةَ بْنَ حِذْيَمٍ جَدِّي ، أَنَّ جَدَّهُ حَنِيفَةَ ، قَالَ لِحِذْيَمٍ : اجْمَعْ لِي بَنِيَّ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُوصِيَ ، فَجَمَعَهُمْ ... وفيه : قَالَ حَنْظَلَةُ : فَدَنَا بِي إِلَى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنَّ لِي بَنِينَ ذَوِي لِحًى ، وَدُونَ ذَلِكَ ، وَإِنَّ ذَا أَصْغَرُهُمْ ، فَادْعُ اللهَ لَهُ ، فَمَسَحَ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : بَارَكَ اللهُ فِيكَ ، أَوْ بُورِكَ فِيهِ .

قَالَ ذَيَّالٌ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ حَنْظَلَةَ ، يُؤْتَى بِالإِنْسَانِ الْوَارِمِ وَجْهُهُ ، أَوِ بِالْبَهِيمَةِ الْوَارِمَةِ الضَّرْعُ ، فَيَتْفُلُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَيَقُولُ : بِسْمِ اللهِ ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَيَقُولُ عَلَى مَوْضِعِ كَفِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَمْسَحُهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ ذَيَّالٌ : فَيَذْهَبُ الْوَرَمُ (١) .

ومن شدَّة حرصهم رضوان الله عليهم على الجزء الممسوح عليه من شعر الرَّأس ، كانوا لا يجزُّونه ، بل تركوه يسترسل حتى بلغ الأرض ، ومن ذلك ما رواه الطَّبراني في الكبير والحاكم في المستدرك بسندهما عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ مَجْزَأَةَ ، أَنَّ أَبَا مَحْذُورَةَ ، كَانَتْ لَهُ قُصَّةٌ فِي مُقَدَّمِ رَأْسِهِ ، إِذَا قَعَدَ أَرْسَلَهَا ، فَتَبْلُغُ الْأَرْضَ ، فَقَالُوا لَهُ : أَلَا تَحْلِقُهَا ؟ فَقَالَ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ عَلَيْهَا بِيَدِهِ ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَحْلِقَهَا حَتَّى أَمُوتَ ، فَلَمْ يَحْلِقْهَا حَتَّى مَاتَ " (٢) .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : كَانَتْ لِي ذُؤَابَةٌ ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي : لَا أَجُزُّهَا ، كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُدُّهَا ، وَيَأْخُذُ بِهَا (٣) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٦٧ برقم ٢٠٩٤١) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٧٦ برقم ٦٧٤٦) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٥٨٩ برقم ٦١٨١) .

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٨٤ برقم ٤١٩٦) ، ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ٢٣٦ برقم ٢٢٢٦) ، الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٤٩ برقم ٧١٢) ، البيهقي في الآداب (ص٢٣٢ برقم ٥٦٨) ، شعب الإيمان (٨/ ٤٤٢ برقم ٦٠٦٦) ، البغوي في شرح السنة (١٢/ ١٠١) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٥/ ١٨٩ برقم ١٨١٠) .

قال الإمام الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " وَقَدْ كَانَ ثَابِتُ البُنَانِيُّ إِذَا رَأَى أَنَس بنَ مَالِكٍ أَخَذَ يَدَهُ ، فَقَبَّلَهَا ، وَيَقُوْلُ : يَدٌ مَسَّتْ يَدَ رَسُوْلِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَنَقُوْلُ نَحْنُ إِذْ فَاتَنَا ذَلِكَ : حَجَرٌ مُعْظَّمٌ بِمَنْزِلَةِ يَمِيْنِ اللهِ فِي الأَرْضِ مَسَّتْهُ شَفَتَا نَبِيِّنَا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لاَثِماً لَهُ .

فَإِذَا فَاتَكَ الحَجُّ ، وَتَلَقَّيْتَ الوَفْدَ ، فَالْتَزِمِ الحَاجَّ ، وَقَبِّلْ فَمَهُ ، وَقُلْ : فَمٌ مَسَّ بِالتَّقْبِيْلِ حَجَراً قَبَّلَهُ خَلِيْلِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (١) .

وروى مسلم بسنده عن أبي أيُّوب أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ عَلَيْهِ ... فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَاماً فَإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ فَيَتَتَبَّعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ ... " (٢) .

قال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) : " قَوْلُهُ : " فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَاماً ، فَإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ فَيَتَتَبَّعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ " ، يَعْنِي : إِذَا بَعَثَ إِلَيْهِ فَأَكَلَ مِنْهُ حَاجَتَهُ ثُمَّ رَدَّ الْفَضْلَةَ أَكَلَ أَبُو أَيُّوبَ مِنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَرُّكًا فَفِيهِ التَّبَرُّكُ بِآثَارِ أَهْلِ الْخَيْرِ فِي الطَّعَامِ وَغَيْرِهِ " (٣) .

خَامِسَاً : التَّبرُّكُ بِالمَوْضِعِ الذِيْ لاَمَسَهُ فَمُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

روى أحمد بسنده وغيره بسندهم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ وَفِي الْبَيْتِ قِرْبَةٌ مُعَلَّقَةٌ ، فَشَرِبَ مِنْ فِيهَا وَهُوَ قَائِمٌ قَالَ : فَقَطَعَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ فَمَ الْقِرْبَةِ فَهُوَ عِنْدَنَا (٤) .

فأمُّ سليم رضي الله عنها ما قطعت فم القِربة إلَّا لأنَّه لامسه فمُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان منها ذلك الفعل للاحتفاظ بذلك الجزء المقطوع للتَّبرُّك بأثره ...

سَادِسَاً : التَّبرُّكُ بِشَعْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

ثبت في الصِّحاح أنَّ الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا يتبرَّكون بشعره في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرَّهم على ذلك ...

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٢٣ برقم ٢٠٥٣) .

(٣) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤/ ١٠) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١١٩ برقم ١٢٢١٢) ، ١٩٩٨م ، بن أبي شيبة في المصنف (٥/ ١٠٣ برقم ٢٤١٣٠) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٧/ ٢٩٥ برقم ٢٧٥٠) .

فَعَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَلَقَ رَأْسَهُ كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ مِنْ شَعَرِهِ (١) .

قال الحافظ ابن حجر في تعليقه على الحديث : وفيه التَّبرُّك بشعره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وجواز اقتنائه (٢) .

وكان الصَّحابة رضوان الله عليهم يحرصون أشدَّ الحرص على اقتناء شعره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ففي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : " لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْحَلاَّقُ يَحْلِقُهُ ، وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ ، فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلاَّ فِي يَدِ رَجُلٍ " (٣) .

قال الإمام النَّووي معلِّقاً عليه : " وَفِيهِ التَّبَرُّكُ بِآثَارِ الصَّالِحِينَ ، وَبَيَانُ مَا كَانَتِ الصَّحَابَةُ عَلَيْهِ مِنَ التَّبَرُّكِ بِآثَارِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَبَرُّكِهِمْ بِإِدْخَالِ يَدِهِ الْكَرِيمَةِ فِي الْآنِيَةِ ، وَتَبَرُّكِهِمْ بِشَعْرِهِ الْكَرِيمِ ، وَإِكْرَامِهِمْ إِيَّاهُ أَنْ يَقَعَ شَيْءٌ مِنْهُ إِلَّا فِي يَدِ رَجُلٍ سَبَقَ إِلَيْهِ " (٤) .

وروى الإمام أحمد بسنده محمَّد ابْنَ سِيرِينَ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : لَمَّا حَلَقَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ بِمِنًى ، أَخَذَ شِقَّ رَأْسِهِ الأَيْمَنَ بِيَدِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ نَاوَلَنِي ، فَقَالَ : يَا أَنَسُ ، انْطَلِقْ بِهَذَا إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ مَا خَصَّهَا بِهِ مِنْ ذَلِكَ تَنَافَسُوا فِي الشِّقِّ الآخَرِ ، هَذَا يَأْخُذُ الشَّيْءَ ، وَهَذَا يَأْخُذُ الشَّيْءَ .

قَالَ محمَّد : فَحَدَّثْتُهُ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيَّ ، فَقَالَ : لأَنْ يَكُونَ عِنْدِي مِنْهُ شَعَرَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ أَصْبَحَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ وَفِي بَطْنِهَا (٥) .

قال الإمام الذَّهبي (٧٤٨هـ) معلِّقـــاً على هذا الأثر : " هَذَا القَوْلُ مِنْ عَبِيْدَةَ هُوَ مِعْيَارُ كَمَالِ الحُبِّ ، وَهُوَ أَنْ يُؤْثِرَ شَعْرَةً نَبَوِيَّةً عَلَى كُلِّ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ بِأَيْدِي النَّاسِ .

وَمِثْلُ هَذَا يَقُوْلُهُ هَذَا الإِمَامُ بَعْدَ النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِخَمْسِيْنَ سَنَةً ، فَمَا الَّذِي نَقُوْلُهُ نَحْنُ فِي وَقْتِنَا لَوْ وَجَدْنَا بَعْضَ شَعْرِهِ بِإِسْنَادٍ ثَابِتٍ ، أَوْ شِسْعَ نَعْلٍ كَانَ لَهُ، أَوْ قُلاَمَةَ ظُفْرٍ ، أَوْ شَقَفَةً مِنْ إِنَاءٍ شَرِبَ فِيْهِ .

فَلَوْ بَذَلَ الغَنِيُّ مُعْظَمَ أَمْوَالِهِ فِي تَحْصِيْلِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَهُ ، أَكُنْتَ تَعُدُّهُ مُبَذِّراً أَوْ سَفِيْهاً ؟ كَلاَّ . فَابْذُلْ مَا لَكَ فِي زَوْرَةِ مَسْجِدِهِ الَّذِي بَنَى فِيْهِ بِيَدِهِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ عِنْدَ حُجْرَتِهِ فِي بَلَدِهِ ، وَالْتَذَّ بِالنَّظَرِ إِلَى أُحُدِهِ وَأَحِبَّهُ ، فَقَدْ

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٤٥ برقم ١٧١) .

(٢) انظر : فتح الباري (١/ ٢٧٤) .

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٨١٢ برقم ٢٣٢٥) .

(٤) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٥/ ٨٢) .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٥٦ برقم ١٤٧٢٠).

كَانَ نَبِيُّكَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يُحِبُّه ، وَتَمَلَّأْ بِالحُلُوْلِ فِي رَوْضَتِهِ وَمَقْعَدِهِ ، فَلَنْ تَكُوْنَ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُوْنَ هَذَا السَّيِّدُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ وَوَلَدِكَ وَأَمْوَالِكَ وَالنَّاسِ كُلِّهِم .

وَقَبِّلْ حَجَراً مُكَرَّماً نَزَلَ مِنَ الجَنَّةِ ، وَضَعْ فَمَكَ لاَثِماً مَكَاناً قَبَّلَهُ سَيِّدُ البَشَرِ بِيَقِيْنٍ ، فَهَنَّأَكَ اللهُ بِمَا أَعْطَاكَ ، فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ مَفْخَرٌ .

وَلَوْ ظَفِرْنَا بِالمِحْجَنِ الَّذِي أَشَارَ بِهِ الرَّسُوْلُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِلَى الحَجَرِ ثُمَّ قَبَّلَ مِحْجَنَهُ ، لَحُقَّ لَنَا أَنْ نَزْدَحِمَ عَلَى ذَلِكَ المِحْجَنِ بِالتَّقْبِيْلِ وَالتَّبْجِيْلِ .

وَنَحْنُ نَدْرِي بِالضَّرُوْرَةِ أَنَّ تَقْبِيْلَ الحَجَرِ أَرْفَعُ وَأَفْضَلُ مِنْ تَقْبِيْلِ مِحْجَنِهِ وَنَعْلِهِ " (١) .

وَرَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُه بسندهم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى مِنًى ، فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا ، ثمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِنًى وَنَحَرَ ، ثمَّ قَالَ لِلْحَلَّاقِ خُذْ وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ ، ثمَّ الْأَيْسَرِ ، ثمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ (٢) .

وورد في الصَّحيح أنَّ الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا إذا ما حَزَبهُم أمرٌ تبرَّكوا بشَعْرِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكانوا يجعلون شعْره في قدح من ماء ثمَّ يشربونه ، فيشفون بإذن الله تعالى...

فقد روى البخاري ، قال : حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَوْهَبٍ ، قَالَ : أَرْسَلَنِي أَهْلِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ – وَقَبَضَ إِسْرَائِيلُ ثَلاَثَ أَصَابِعَ مِنْ قُصَّةٍ – فِيهِ شَعَرٌ مِنْ شَعَرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ إِذَا أَصَابَ الإِنْسَانَ عَيْنٌ أَوْ شَيْءٌ بَعَثَ إِلَيْهَا مِخْضَبَهُ ، فَاطَّلَعْتُ فِي الجُلْجُلِ ، فَرَأَيْتُ شَعَرَاتٍ حُمْراً (٣) .

قال الإمام الكرماني (٧٨٦هـ) : كان عند أمِّ سلمة شعرات من شعر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمر في شيء مثل جلجلة ، وكان النَّاس عند مرضهم يتبرَّكون بها ، ويستشفون من بركتها ، فتارة يجعلونها في قدح من الماء فيشربون الماء الذي هي فيه ، وتارة يجعلونها في إجانة من الماء ، فيجلسون في الماء الذي فيه تلك الجلجلة التي فيها الشَّعر ، وكان لأهل عثمان إجانة كبيرة لائقة بالجلوس فيها ، فكان يبعث بها إليها عند الحاجة إليها " (٤) .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢) .

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٩٤٧ برقم ١٣٠٥) ، البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٦٨ برقم ٩٤٠٠) ، البغوي في شرح السنة (٧/ ٢٠٥ برقم ١٩٦٢) .

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ١٦٠ برقم ٥٨٩٦) .

(٤) انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢١/ ١١٣) .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : " وَالْمُرَادُ : أَنَّهُ كَانَ مَنِ اشْتَكَى أَرْسَلَ إِنَاءً إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، فَتَجْعَلُ فِيهِ تِلْكَ الشَّعَرَاتِ ، وَتَغْسِلُهَا فِيهِ ، وَتُعِيدُهُ ، فَيَشْرَبُهُ صَـــاحِبُ الْإِنَاءِ أَوْ يَغْتَسِلُ بِهِ اسْتِشْفَاءً بِهَا ، فَتَحْصُلُ لَهُ بَرَكَتُهَا " (١) .

والرِّوايات في حرص الصَّحابة والتَّابعين على اقتناء شعره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتَّبرُّك به كثيرة ، من ذلك ما رواه الحاكم وغيره بسندهم عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه ، أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَقَدَ قَلَنْسُوَةً لَهُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ ، فَقَالَ : اطْلُبُوهَا فَلَمْ يَجِدُوها ، فَقَالَ : اطْلُبُوهَا ، فَوَجَدُوهَا فَإِذَا هِي قَلَنْسُوَةٌ خَلَقَةٌ ، فَقَالَ خَالِدٌ : اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ ، فَابْتَدَرَ النَّاسُ جَوَانِبَ شَعْرِهِ ، فَسَبَقْتُهُمْ إِلَى نَاصِيَتِهِ فَجَعَلْتُهَا فِي هَذِهِ الْقَلَنْسُوَةِ ، فَلَمْ أَشْهَدْ قِتَالاً وَهِيَ مَعِي إِلَّا رُزِقْتُ النَّصْرَ " (٢) .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا احْتُضِرَ مُعَاوِيَةُ ، قَالَ : إِنِّيْ كُنْتُ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى الصَّفَا ، وَإِنِّي دَعَوْتُ بِمِشْقَصٍ ، فَأَخَذْتُ مِنْ شَعْرِهِ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا أَنَا مِتُّ ، فَخُذُوا ذَلِكَ الشَّعْرَ ، فَاحْشُوا بِهِ فَمِي وَمَنْخِرِي " (٣) .

وروى ابن الجوزي بسنده عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : رأيتُ أبي يأخذ شَعرة من شَعْر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيضعها على فِيْهِ ويُقبِّلها ، وأحسب أنِّي رأيتُه يضعها على عينه ، ويغمِسها في الماء ، ثمَّ يشربه يَستشفي به ، ورأيته قد أخذ قَصْعة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فغسلها في حُبِّ الماءِ ، ثمَّ شرب فيها . ورأيته غير مرَّة يشرب ماءَ زَمزم يستشفي به ، ويمسحُ به يديه ووجهه (٤) .

وقال الإمام الذَّهبي : " قال الخلاَّل : أَعطَى بَعْضُ وَلَدِ الفَضْلِ بنِ الرَّبِيْعِ أَبَا عَبْدِ اللهِ – وَهُوَ فِي الحَبْسِ – ثَلاَثَ شَعرَاتٍ ، فَقَالَ : هَذِهِ مِنْ شَعْرِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَأَوْصَى أَبُو عَبْدِ اللهِ عِنْدَ مَوْتِـــهِ أَنْ يُجعَلَ عَلَى كُلِّ عَيْنٍ شَعرَةٌ ، وَشَعرَةٌ عَلَى لِسَانِهِ ، فَفُعِلَ ذَلِكَ بِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ " (٥) .

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٥٣) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٠٤ برقم ٣٨٠٤) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٣٣٨ برقم ٥٢٩٩) ، البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٤٩) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٨) .

(٤) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٢٥٥) ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، (١١/ ٢١٢).

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٣٧) .

وفي ترجمته للإمام البخاري نقل الإمام الذَّهبي عن محمَّد الوَرَّاقُ : دَخَلَ أَبُو عَبْدِ الله بِفِرَبْر الحَمَّامَ ، وَكُنْتُ أَنَا فِي مَشْلَحِ الحَمَّامِ ، أَتعَاهَدُ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ ، فَلَمَّا خَرجَ نَاوَلْتُهُ ثِيَابَهُ ، فلبِسَهَا ، ثمَّ نَاوَلْتُهُ الخُفَّ ، فَقَالَ : مَسِسْتَ شَيْئاً فِيهِ شعرُ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

فَقُلْتُ : فِي أَيِّ مَوْضِعٍ هُوَ مِنَ الخُفِّ ؟ فَلَمْ يُخْبِرْنِي . فتوهَّمْتُ أَنَّهُ فِي سَاقِهِ بَيْنَ الظِّهَارَةِ وَالبِطَانَةِ " [1] .

سَابِعاً : التَّبرُّكُ بِرِيْقِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

روى الشَّيخان بسندهما عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ ، قَالَتْ : فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ ، فَأَتَيْتُ المَدِينَةَ فَنَزَلْتُ قُبَاءً ، فَوَلَدْتُ بِقُبَاءٍ ، ثمَّ أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ ، ثمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا ، ثمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ حَنَّكَهُ بِالتَّمْرَةِ ، ثمَّ دَعَا لَهُ فَبَرَّكَ عَلَيْهِ . وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الإِسْلاَمِ ، فَفَرِحُوا بِهِ فَرَحاً شَدِيداً ، لِأَنَّهُمْ قِيلَ لَهُمْ : إِنَّ اليَهُودَ قَدْ سَحَرَتْكُمْ فَلاَ يُولَدُ لَكُمْ " [2] .

قال الإمام النَّووي : "وفي هذا الحديث فوائد ... ومنها : التَّبرُّك بآثار الصَّالحين ، وريقهم ، وكلِّ شيء منهم " [3] .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي ، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ ، فَقُبِضَ الصَّبِيُّ ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ ، قَالَ : مَا فَعَلَ ابْنِي ، قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ : هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ العَشَاءَ فَتَعَشَّى ، ثمَّ أَصَابَ مِنْهَا ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ : وَارُوا الصَّبِيَّ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : " أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : " اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا " ، فَوَلَدَتْ غُلاَماً ، قَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ : احْفَظْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَى بِهِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَرْسَلَتْ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ ، فَأَخَذَهُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : " أَمَعَهُ شَيْءٌ ؟ " قَالُوا : نَعَمْ ، تَمَرَاتٌ ، فَأَخَذَهَا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَضَغَهَا ، ثمَّ أَخَذَ مِنْ فِيْهِ ، فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ وَحَنَّكَهُ بِهِ ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهَّ " [4] .

---

[1] انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٥٣) .

[2] أخرجه البخاري (٧/ ٨٤ برقم ٥٤٦٩) ، مسلم (٣/ ١٦٩١ برقم ٢١٤٦) .

[3] انظر : صحيح مسلم بشرح (١٤/ ١٢٤) .

[4] أخرجه البخاري (٧/ ٨٤ برقم ٥٤٧٠) ، البيهقي في شعب الإيمان (١١/ ١١٥ برقم ٨٢٦٤) .

وروى الطَّبراني بسنده عن أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ الْخَزْرَجِيِّ قَالَ : وَلَهُ بِئْرٌ بِالْمَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا بِئْرُ بُضَاعَةَ قَدْ بَصَقَ فِيهَا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهُوَ يُبْشِرُ بِهَا وَيَتَيَمَّنُ بِهَا ... " (١) .

وروى البخاري في قصَّة الحديبية حديثاً طويلاً ، وفيه كلام عروة بن مسعود مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وفيه : ثمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنَيْهِ ، قَالَ : فَوَاللهَّ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : أَيْ قَوْمِ ، وَاللهَّ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ ، وَكِسْرَى ، وَالنَّجَاشِيِّ ، وَاللهَّ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّداً ، وَاللهَّ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ (٢) .

قال الحافظ ابن حجر معلِّقاً على الحديث : " وَفِيهِ طَهَارَةُ النُّخَامَةِ ، وَالشَّعْرِ الْمُنْفَصِلِ ، وَالتَّبَرُّكُ بِفَضَلَاتِ الصَّالِحِينَ الطَّاهِرَةِ " (٣) .

ثَامِناً : التَّبرُّكُ بِدَمِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

روى الحاكم بسنده عن الْهِنْدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ مَاعِزٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللهَّ بْنِ الزُّبَيْرِ يُحَدِّثُ ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ ، أَنَّهُ أَتَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحْتَجِمُ ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ : يَا عَبْدَ اللهَّ ، اذْهَبْ بِهَذَا الدَّمِ فَأَهْرِقْهُ حَيْثُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ ، فَلَمَّا بَرَزْتُ عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَدْتُ إِلَى الدَّمِ فَحَسَوْتُهُ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَا صَنَعْتَ يَا عَبْدَ اللهَّ ؟ قَالَ : جَعَلْتُهُ فِي مَكَانٍ ظَنَنْتُ أَنَّهُ خَافٍ عَلَى النَّاسِ ، قَالَ : فَلَعَلَّكَ شَرِبْتَهُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : وَمَنْ أَمَرَكَ أَنْ تَشْرَبَ الدَّمَ ؟ وَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ ، وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ " (٤) .

---

(١) أخرجه الطبراني (١٩/ ٢٦٣ برقم ٥٨٥) .

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٩٣ برقم ٢٧٣١) .

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥/ ٣٤١) .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٦٣٨ برقم ٦٣٤٣) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٩/ ٣٠٩) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣٢٩) .

وروى الطَّبراني في الأوسط بسنده عَنْ رُبَيْح بْنِ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، أَنَّ أَبَاهُ مَالِكَ بْنَ سِنَانٍ لَمَّا أُصِيبَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ يَوْمَ أُحُدٍ ، مَصَّ دَمَ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَازْدَرَدَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَشْرَبُ الدَّمَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَشْرَبُ دَمَ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " خَالَطَ دَمِي بِدَمِهِ ، لَا تَمَسُّهُ النَّارُ " (١) .

قلت : وما شرب هؤلاء الصَّحابة دمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا للتَّبرُّك بما انفصل منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد أقرَّهم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك ، ولم يُعنِّفهم ...

تَاسِعاً : التَّبرُّكُ بِعَرَقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : كَانَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا ، وَلَيْسَتْ فِيهِ ، قَالَ : فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا ، فَأُتِيَتْ فَقِيلَ لَهَا : هَذَا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ فِي بَيْتِكِ ، عَلَى فِرَاشِكِ ، قَالَ فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدِيمٍ ، عَلَى الْفِرَاشِ ، فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا ، فَفَزِعَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : " مَا تَصْنَعِينَ ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ " ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا ، قَالَ : " أَصَبْتِ " (٢) .

وعَنِ ابْنِ سِيْرِيْنَ ، عَنِ أُمِّ سُلَيْمٍ ، قَالَتْ : كَانَ رَسُوْلُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقِيْلُ فِي بَيْتِي ، وَكُنْتُ أَبْسُطُ لَهُ نِطْعاً ، فَيَقِيْلُ عَلَيْهِ ، فَيَعْرَقُ ، فَكُنْتُ آخُذُ سُكّاً ، فَأَعْجِنُهُ بِعَرَقِهِ .

قَالَ ابْنُ سِيْرِيْنَ : فَاسْتَوْهَبْتُ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ مِنْ ذَلِكَ السُّكِّ ، فَوَهَبَتْ لِي مِنْهُ .

قَالَ أَيُّوْبُ : فَاسْتَوْهَبْتُ مِنْ محمَّد مِنَ ذَلِكَ السُّكِّ ، فَوَهَبَ لِي مِنْهُ ، فَإِنَّهُ عِنْدِي الآنَ .

قَالَ : وَلَمَّا مَاتَ محمَّد ، حُنِّطَ بِذَلِكَ السُّكِّ " (٣) .

وأخرج الطَّبراني بسنَدِهِ عن سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِّ ، إِنِّي زَوَّجْتُ ابْنَتِي ، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تُعِينَنِي بِشَيْءٍ ، فَقَالَ : " مَا عِنْدِي مِنْ شَيْءٍ ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ غَدًا فَتَعَالَ فَجِئْنِي بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةِ الرَّأْسِ وَعُودِ شَجَرٍ ، وَآيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَنْ أَجِيفَ نَاحِيَةَ الْبَابِ " ، قَالَ : فَأَتَاهُ بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةِ الرَّأْسِ وَعَودِ شَجَرٍ ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الْعِرْقَ مِنْ ذِرَاعَيْهِ حَتَّى

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٩/ ٤٧) .

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١١٥ برقم ٢٣٣١) ، أحمد في المسند (٣/ ٢٢١ برقم ١٣٣٤٣) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٠٧) .

امْتَلَأَتِ الْقَارُورَةُ ، فَقَالَ : " خُذْ ، وَأْمُرْ بِنْتَكَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَطَيَّبَ أَنْ تَغْمِسَ هَذَا الْعُودَ فِي الْقَارُورَةِ وَتطَيَّبَ بِهِ " ، قَالَ : فَكَانَتْ إِذَا تَطَيَّبَتْ شَمَّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ رَائِحَةَ ذَلِكَ الطِّيبِ ، فَسُمُّوا بَيْتَ الْمُطَيِّبِينَ " (١) .

وقد عقَّب الحافظ ابن حجر على ما جاء في قصَّة أمِّ سليم فقال : " وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ : اطِّلَاعُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فِعْلِ أُمِّ سُلَيْمٍ ، وَتَصْوِيبُهُ ، وَلَا مُعَارَضَةَ بَيْنَ قَوْلِهَا : إِنَّهَا كَانَتْ تَجْمَعُهُ لِأَجْلِ طِيبِهِ ، وَبَيْنَ قَوْلِهَا لِلْبَرَكَةِ ، بَلْ يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ لِلْأَمْرَيْنِ مَعاً " (٢) .

عَاشِراً : التَّبَرُّكُ بِمَاءِ وُضُوْئِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

روى الشَّيخان بسندهما عن أبي جُحَيْفَةَ ، قال : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالهَاجِرَةِ ، فَأُتِيَ بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ فَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ " (٣) .

قال الحافظ ابن حجر وقوله : " يأخذون من فضل وضوئه " كَأَنَّهُمُ اقْتَسَمُوا الْمَاءَ الَّذِي فَضَلَ عَنْهُ ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونُوا تَنَاوَلُوا مَا سَالَ مِنْ أَعْضَاءِ وُضُوئِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٤) .

قلت : وما أخذوا فضل وضوئه وما سال عن أعضائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا ليتبرَّكوا به ..

ولشدَّة حرص الصَّحابة رضوان الله عليهم على ماء وضوئه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كادوا يقتتلون على وضوئه ، فقد جاء في حديث صلح الحديبية أنَّ عروة بن مسعود رضي الله عنه ، قال عن الصَّحابة الكرام : " وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ " (٥) .

وجاء في الصَّحيح أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرشد أصحابه إلى الحرص على التَّبرُّك بماء وضوئه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ....

فقد روى الشَّيخان بسندهما عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجِعْرَانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ ، وَمَعَهُ بِلالٌ فَأَتَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : أَلاَ تُنْجِزُ لِي مَا وَعَدْتَنِي ؟ فَقَالَ لَهُ : " أَبْشِرْ " ، فَقَالَ : قَدْ أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ أَبْشِرْ ، فَأَقْبَلَ عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلاَلٍ كَهَيْئَةِ الغَضْبَانِ ،

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ١٩٠ برقم ٢٨٩٥) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (١١/ ١٨٥ برقم ٦٢٩٥) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٧٢) .

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٤٩ برقم ١٨٧) .

(٤) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٢٩٥) .

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١٩٣ برقم ٢٧٣١) .

فَقَالَ : " رَدَّ الْبُشْرَى ، فَاقْبَلاَ أَنْتُمَا " ، قَالاَ : قَبِلْنَا ، ثمَّ دَعَا بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ وَمَجَّ فِيهِ ، ثمَّ قَالَ : " اشْرَبَا مِنْهُ ، وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا وَأَبْشِرَا " . فَأَخَذَا الْقَدَحَ فَفَعَلاَ ، فَنَادَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ : أَنْ أَفْضِلاَ لِأُمِّكُمَا ، فَأَفْضَلاَ لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً (١) .

وَعَنْ طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ : وَفَدْنَا عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا وَدَّعَنَا أَمَرَنِي فَأَتَيْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَحَسَا مِنْهَا ، ثمَّ مَجَّ فِيهَا ثَلاَثًا ، ثمَّ أَوْكَأَهَا ، ثمَّ قَالَ : اذْهَبْ بِهَا وَانْضَحْ مَسْجِدَ قَوْمِكَ وَأْمُرْهُمْ يَرْفَعُوا بِرُؤُوسِهِمْ أَنْ رَفَعَهَا اللهُ ، قُلْتُ : إِنَّ الأَرْضَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ بَعِيدَةٌ وَإِنَّهَا تَيْبَسُ ، قَالَ : فَإِذَا يَبِسَتْ فَمُدَّهَا (٢) .

قال الإمام الطِّيبي في شرحه للحديث : " وفيه جواز التَّبرُّكُ بماء زمزم ونقله إلى البلاد الشَّاسعة ، وعليه يُحمل التَّبرُّك بما بقي من فضل طعام العلماء والمشايخ وشرابهم وخرقهم " (٣) .

وقال السيِّد محمَّد بن علوي المالكي : " وهذا الحديث من الأصول المعتبرة المشتهرة الدالَّة على مشروعيَّة التَّبرُّك به وبآثاره ، وبكلِّ ما هو منسوب إليه ، فإنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ وضوئه ثمَّ جعله في إناء ثمَّ أمرهم أن يأخذوه معهم ، إجابة لطلبهم ، وتحقيقاً لمرادهم ، فلا بدَّ أن هناك سرَّاً قويَّاً متمكِّناً في نفوسهم دفعهم إلى طلب هذا الماء بخصوصه ، والمدينة مملوءة بالمياه ، بل وبلادهم مملوءة بالماء ، فَلِمَ هذا التَّعب والتَّكلُّف في حمل قليل من الماء من بلد إلى بلد مع بُعد المسافة وطول السَّفر وحرارة الشَّمس ؟

نعم كلُّ ذلك لم يهمّهم ، لأنَّ المعنى الذي يحمله هذا الماء يهون عليهم كل مشقة ، ألا وهو التَّبرُّك به وبآثاره وبكلِّ ما هو منسوب إليه ، وهو لا يوجد في بلدهم ولا يتوافر على كلِّ حال عندهم ، ويتأكد تأييده لهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضاه عن فعلهم بجوابه لهم لَّما قالوا : أنَّ الماء ينشف لشدَّ الحرِّ ، إذ قال لهم : " مدُّوه من الماء " ، فبَّين لهم أنَّ بركته التي حلَّت في الماء لا تزال باقية مهما زادوا فيه ، فهي مستمرَّة متَّصلة " (٤) .

وروى البخاري بسنده عَنْ محمَّد بْنِ الْمُنْكَدِرِ ، قَالَ : سَمِعْتُ جَابِراً يَقُولُ : جَاءَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي ، وَأَنَا مَرِيضٌ لاَ أَعْقِلُ ، فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ ، فَعَقَلْتُ ... (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٥٧ برقم ٤٣٢٨) ، مسلم (٤/ ١٩٤٣ برقم ٢٤٩٧) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٣ برقم ١٦٤٠٢) .

(٣) انظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٢/ ٢٨٢) .

(٤) انظر : مفاهيم يجب أن تصحح (ص٢٢١-٢٢٢) .

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٥٠ برقم ١٩٤) .

قال النَّووي في تعليقه على هذا الحديث : " وفيه التَّبرُّك بآثار الصَّالحين ، وفضل طعامهم وشرابهم ، ونحوهما ، وفضل مؤاكلتهم ومشاربتهم ونحو ذلك ، وفيه ظهـور آثار بركـة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) .

حَادِيْ عَشَر : التَّبرُّكُ بِمَلَابِسِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

روى البخاري بسنده عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ ، قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا البُرْدَةُ ؟ فَقِيلَ لَهُ : نَعَمْ ، هِيَ الشَّمْلَةُ مَنْسُوجٌ فِي حَاشِيَتِهَا ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهَّ إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا ، فَأَخَذَهَا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجاً إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، اكْسُنِيهَا . فَقَالَ : " نَعَمْ " . فَجَلَسَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَجْلِسِ ، ثمَّ رَجَعَ ، فَطَوَاهَا ثمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ القَوْمُ : مَا أَحْسَنْتَ ، سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ ، لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لاَ يَرُدُّ سَائِلاً ، فَقَالَ الرَّجُلُ : وَاللهَّ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ ، قَالَ سَهْلٌ : فَكَانَتْ كَفَنَهُ " (٢) .

قال الحافظ ابن حجر: " ورد في الحديث من الفوائد : ... التَّبرُّك بآثار الصَّالحين " (٣) .

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، قَالَ : " أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كِسَاءً مُلَبَّداً ، وَقَالَتْ : فِي هَذَا نُزِعَ رُوحُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، وَزَادَ سُلَيْمَانُ ، عَنْ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، قَالَ : أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ : إِزَاراً غَلِيظاً مِمَّا يُصْنَعُ بِاليَمَنِ ، وَكِسَاءً مِنْ هَذِهِ الَّتِي يَدْعُونَهَا المُلَبَّدَةَ (٤) .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ ، مَوْلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أنها أَخْرَجَتْ إِلَيَّ جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ كِسْرَوَانِيَّةٍ لَهَا لِبْنَةُ دِيبَاجٍ ، وَفَرْجَيْهَا مَكْفُوفَيْنِ بِالدِّيبَاجِ ، فَقَالَتْ : هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتَّى قُبِضَتْ ، فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا ، وَكَانَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُهَا ، فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا (٥) .

فهاهم الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم يجعلون جبَّته سبيلاً للعلاج ، حيث يعمدون إلى غسل جبَّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويجعلون من غسالتها سبيلاً للاستشفاء ، وتبرُّكهم بجبَّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كان بعد وفاته....

---

(١) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١١/ ٥٥) .

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٦١ برقم ٢٠٩٣) .

(٣) انظر : فتح الباري (٣/ ١٤٤) .

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ٨٣ برقم ٣١٠٨) .

(٥) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٤١ برقم ٢٠٦٩) .

وكان الصَّحابة رضوان الله عليهم ومَنْ بعدهم حريصين على اقتناء آثاره النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومن ضمنها بردته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حتى أنَّ خلفاء بني العبَّاس اشتروها بمئات الدَّنانير ، وما ذلك إلَّا لينعموا ببركة صاحبها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال الإمام ابن كثير (٧٧٤هـ) : قَالَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ : وَأَمَّا الْبُرْدُ الَّذِي عِنْدَ الْخُلَفَاءِ ، فَقَدْ رُوِّينَا عَنْ مُحَمَّد بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ فِي قِصَّةِ تَبُوكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَعْطَى أَهْلَ أَيْلَةَ بُرْدَهُ مَعَ كِتَابِهِ الَّذِي كَتَبَ لَهُمْ أَمَاناً لَهُمْ ، فَاشْتَرَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّد بِثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ - يَعْنِي بِذَلِكَ أَوَّلَ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَهُوَ السَّفَّاحُ رَحِمَهُ اللهُ - ، وَقَدْ تَوَارَثَ بَنُو الْعَبَّاسِ هَذِهِ الْبُرْدَةَ خَلَفاً عَنْ سَلَفٍ ، كَانَ الْخَلِيفَةُ يَلْبَسُهَا يَوْمَ الْعِيدِ عَلَى كَتِفَيْهِ ، وَيَأْخُذُ الْقَضِيبَ الْمَنْسُوبَ إِلَيْهِ (صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ) فِي إِحْدَى يَدَيْهِ ، فَيَخْرُجُ وَعَلَيْهِ مِنَ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ مَا يَصْدَعُ بِهِ الْقُلُوبَ ، وَيَبْهَرُ بِهِ الْأَبْصَارَ " [١] .

ثَانِي عَشَر : التَّبرُّكُ بِنَعْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عقد الإمام البخاري باباً في صحيحه ، سمَّاه : بَابُ مَا ذُكِرَ مِنْ دِرْعِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَصَاهُ ، وَسَيْفِهِ ، وَقَدَحِهِ ، وَخَاتَمِهِ ، وَمَا اسْتَعْمَلَ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ قِسْمَتُهُ ، وَمِنْ شَعَرِهِ ، وَنَعْلِهِ ، وَآنِيَتِهِ مِمَّا يَتَبَرَّكُ أَصْحَابُهُ وَغَيْرُهُمْ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وذلك ضمن كتاب (فرض الخمس) [٢] .

قلت : وفي قول البخاري (مِمَّا يَتَبَرَّكُ أَصْحَابُهُ وَغَيْرُهُمْ بَعْدَ وَفَاتِهِ) ما يشير إلى أنَّ الصَّحابة وغيرهم تبرَّكوا بعصاه وبنعله ... صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ...

ثمَّ ذكر عدداً من الأحاديث التي ساقها ضمن هذا الباب ، منها : " عَنْ عِيسَى بْنُ طَهْمَانَ ، قَالَ : أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَنَسٌ نَعْلَيْنِ جَرْدَاوَيْنِ لَهُمَا قِبَالاَنِ ، فَحَدَّثَنِي ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ بَعْدُ ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُمَا نَعْلاَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٣] .

وقد بالغ النَّاس في المحافظة على أثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أنَّهم حفظوها وحافظوا عليها في أماكن خاصَّة ، وكانت من ضمن ما يتبرَّك به.....

---

[١] انظر : البداية والنهاية (٦/ ٨) .

[٢] انظر : صحيح البخاري (٤/ ٨٢) .

[٣] أخرجه البخاري (٤/ ٨٣ برقم ٣١٠٧) .

ذكر الحافظ الذَّهبي في ترجمة شدَّاد بن أوس أنَّ نعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوْجاً ، خَلَّفَهَا شَدَّادٌ عِنْدَ وَلَدِهِ ، فَصَارَتْ إِلَى محمَّد بنِ شَدَّادٍ ، فَلَمَّا أَنْ رَأَتْ أُخْتُهُ خَزْرَجٌ مَا نَزَلَ بِهِ وَبِأَهْلِهِ جاءتْ ، فَأَخذَتْ فَرْدَ النَّعْلَيْنِ ، وَقَالَتْ : يَا أَخِي ، لَيْسَ لَكَ نَسْلٌ ، وَقَدْ رُزِقْتُ وَلَداً ، وَهَذِهِ مَكْرُمَةُ رَسُوْلِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أُحِبُّ أَنْ تُشْرِكَ فِيْهَا وَلَدِي . فَأَخَذَتْهَا مِنْهُ " (١) .

وقال الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ) : " وَاشْتُهِرَ فِي حُدُودِ سَنَةِ سِتِّمِائَةٍ وَمَا بَعْدَهَا عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ التُّجَّارِ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ أَبِي الْحَدْرَدِ ، نَعْلٌ مُفْرَدَةٌ ذَكَرَ أَنَّهَا نَعْلُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَامَهَا الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مُوسَى بْنُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ مِنْهُ بِمَالٍ جَزِيلٍ فَأَبَى أَنْ يَبِيعَهَا ، فَاتَّفَقَ مَوْتُهُ بَعْدَ حِينٍ ، فَصَارَتْ إِلَى الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ الْمَذْكُورِ ، فَأَخَذَهَا إِلَيْهِ وَعَظَّمَهَا ، ثمَّ لَمَّا بَنَى دَارَ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةَ إِلَى جَانِبِ الْقَلْعَةِ ، جَعَلَهَا فِي خِزَانَةٍ مِنْهَا ، وَجَعَلَ لَهَا خَادِماً ، وَقَرَّرَ لَهُ مِنَ الْمَعْلُومِ كُلَّ شَهْرٍ أربعون دِرْهَماً ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ إِلَى الْآنَ فِي الدَّارِ الْمَذْكُورَةِ " (٢) .

ثَالِثُ عَشَر : التَّبرُّكُ بِقَصْعَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قال القاضي عياض (٥٤٤هـ) : " وَحَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ عَنْ شَيْخِهِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمَأْمُونِ ، قال : كانت عِنْدَنَا قَصْعَةٌ مِنْ قِصَاعِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... فَكُنَّا نَجْعَلُ فِيهَا الْمَاءَ لِلْمَرْضَى فَيَسْتَشْفُونَ بِهَا ... وَأَخَذَ جَهْجَاهُ الْغِفَارِيُّ الْقَضِيبَ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِيَكْسِرَهُ عَلَى رُكْبَتِهِ فَصَاحَ النَّاسُ بِهِ ، فَأَخَذَتْهُ فِيهَا الْآكِلَةُ فَقَطَعَهَا وَمَاتَ قَبْلَ الْحَوْلِ (٣) .

فقد تبرَّكوا بقصعة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من خلال جعل الماء فيها ، ثمَّ سقي ما فيها من الماء للمرضى ، وكان الله تعالى يكتب لهم الشِّفاء بذلك ...والمقصود بالقضيب : عصا من عصي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت بيد عثمان ، تناولها جهجاه بن قيس الغفاري الكناني الصَّحابي من يد عثمان وهو يخطب ، فكسرها ، فأخذته الأكلة في ركبته ، فمات قبل الحوْل .

رَابِعُ عَشَر : التَّبرُّكُ بِقَدَحِهِ وَبِفَضْلِ شُرْبِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٣) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (٦/ ٧) .

(٣) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٦٣٨) .

أخرج الشَّيخان بسندِهِما عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : أُتِيَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدَحٍ ، فَشَرِبَ مِنْهُ ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ أَصْغَرُ القَوْمِ ، وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ ، فَقَالَ : يَا غُلاَمُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ ، قَالَ : مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَداً يَا رَسُولَ اللهِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ (١) .

ومن المعلوم أنَّ الإيثار خلقٌ إسلاميٌّ رفيعٌ ، جاء ذكره في الكتاب العزيز ، ومع ذلك لم تسمح نفس ذلك الغلام بأن يؤثر الأشياخ بفضل شُرب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل خصَّ بها نفسه ، وأقرَّه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يعنِّفه ، لأنَّ مثل هذه الواقعة قد لا تتكرَّر بالنِّسبة لذلك الغلام الذي كان بشوق شديد للتَّبرُّك بفضل شرب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ....

وفي صحيحه فتح الإمام البخاري باباً سمَّاه : (بَابُ الشُّرْبِ مِنْ قَدَحِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآنِيَتِه) ضمن كتاب الأشربة ، روى فيه حديثين هما :

الحَدِيْثُ الأَوَّلُ : عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : ذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةٌ مِنَ العَرَبِ ، ، وفيه : فَأَقْبَلَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ حَتَّى جَلَسَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، ثُمَّ قَالَ : "اسْقِنَا يَا سَهْلُ " ، فَخَرَجْتُ لَهُمْ بِهَذَا القَدَحِ فَأَسْقَيْتُهُمْ فِيهِ ، فَأَخْرَجَ لَنَا سَهْلٌ ذَلِكَ القَدَحَ فَشَرِبْنَا مِنْهُ ، قَالَ : ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ بَعْدَ ذَلِكَ فَوَهَبَهُ لَهُ (٢) .

قال الحافظ ابن حجر : قوله : " بَابُ الشُّرْبِ مِنْ قَدَحِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، أي : تبرُّكاً به " (٣) .

وقال أيضاً: " وفي الحديث التَّبسُّط على الصَّاحب ، واستدعاء ما عنده من مأكول ومشروب ، وتعظيمه بدعائه بكنيته ، والتَّبرُّك بآثار الصَّالحين " (٤) .

وقال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) : " قَوْلُهُ : " فَأَخْرَجَ لَنَا سَهْلٌ ذَلِكَ الْقَدَحَ فَشَرِبْنَا مِنْهُ قَالَ ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَوَهَبَهُ لَهُ " ، يَعْنِي : الْقَدَحَ الَّذِي شَرِبَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَذَا فِيهِ التَّبَرُّكُ بِآثَارِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وما مسَّه أو لبسه أو كان مِنْهُ فِيهِ سَبَبٌ ، وَهَذَا نَحْوُ مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ ، وَأَطْبَقَ السَّلَفُ وَالخَلَفُ عَلَيْهِ مِنَ التَّبَرُّكِ بِالصَّلَاةِ فِي مُصَلَّى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرَّوْضَةِ الْكَرِيمَةِ ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩ برقم ٢٣٥١) .

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ١١٣ برقم ٥٦٣٧) .

(٣) انظر : فتح الباري (١٠/ ٩٩) .

(٤) انظر : فتح الباري (١٠/ ١٠٠) .

وَدُخُولِ الْغَارِ الَّذِي دَخَلَهُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَمِنْ هَذَا : إِعْطَاؤُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا طَلْحَةَ شَعْرَهُ لِيَقْسِمَهُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَإِعْطَاؤُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِقْوَةً لِتُكَفَّنَ فِيهِ بِنْتُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، وَجَعَلَهُ الْجَرِيدَتَيْنِ عَلَى الْقَبْرَيْنِ ، وَجَمَعَتْ بِنْتُ مِلْحَانِ عَرَقَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَمَسَّحُوا بِوُضُوئِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَلَّكُوا وُجُوهَهُمْ بِنُخَامَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَشْبَاهُ هَذِهِ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ في الصَّحيح ، وكلُّ ذلك واضح لاشكَّ فِيهِ " (١) .

وقال الإمام رشيد أحمد الكنكوهي (١٣٢٣هـ) : " وممَّا يدلُّ عليه استيهاب عمر بن عبد العزيز هذا القدح من سهل ، لأنَّه إنَّما استوهبه منه لكونه في الأصل للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأجل التَّبرُّك به ، وهذا شيء ظاهر لا يخفى " (٢) .

الحَدِيْثُ الثَّاني : عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ ، قَالَ : رَأَيْتُ قَدَحَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَكَانَ قَدْ انْصَدَعَ فَسَلْسَلَهُ بِفِضَّةٍ ، قَالَ : وَهُوَ قَدَحٌ جَيِّدٌ عَرِيضٌ مِنْ نُضَارٍ ، قَالَ : قَالَ أَنَسٌ : لَقَدْ سَقَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْقَدَحِ أَكْثَرَ مِنْ كَذَا وَكَذَا (٣) .

وقال الحافظ ابن حجر : " قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ : وَأَنَا رَأَيْتُ الْقَدَحَ وَشَرَّبْتُ مِنْهُ . وَذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ فِي مُخْتَصَرِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ رَأَى فِي بَعْضِ النُّسَخِ الْقَدِيمَةِ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبُخَارِيُّ : رَأَيْتَ هَذَا الْقَدَحَ بِالْبَصْرَةِ وَشَرِبْتُ مِنْهُ " (٤) .

كما روى البخاري تعليقاً قول أَبِي بُرْدَةَ : قَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ : أَلاَ أَسْقِيكَ فِي قَدَحٍ شَرِبَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ (٥) .

فانظر إلى الصَّحابي الجليل ابن سلام كيف يرغِّب إلى أبي بردة إن يسقيه من قدح شرب فيه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وما ذلك إلَّا ليحظى الشَّارب بخير وبركة الشُّرب من قدحٍ شرب فيها الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...

---

(١) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٣/ ١٧٨-١٧٩) .

(٢) انظر : لامع الدراري في شرح البخاري (٩/ ٤٦٥) .

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ١١٣ برقم ٥٦٣٨) .

(٤) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ١٠٠) .

(٥) أخرجه البخاري (٧/ ١١٣) .

وروى أحمد في المسند بسنده عن حَجَّاجُ بْنُ حَسَّانَ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ وَفِيهِ ثَلاَثُ ضِبَابِ حَدِيدٍ ، وَحَلْقَةٌ مِنْ حَدِيدٍ ، فَأُخْرِجَ مِنْ غِلاَفٍ أَسْوَدَ ، وَهُوَ دُونَ الرُّبُعِ وَفَوْقَ نِصْفِ الرُّبُعِ ، فَأَمَرَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَجُعِلَ لَنَا فِيهِ مَاءٌ ، فَأُتِينَا بِهِ فَشَرِبْنَا وَصَبَبْنَا عَلَى رُؤُوسِنَا وَوُجُوهِنَا ، وَصَلَّيْنَا عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) .

فانظر إلى الصَّحابة والتَّابعين كيف تبرَّكوا بالإناء الذي شرب فيه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكيف أنَّهم صبُّوا الماء على رؤوسهم تبرُّكاً به....

خَامِسُ عَشَر : التَّبرُّكُ بِقَبْرِهِ وَبِمَنْبَرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فقد جاء في الصِّحاح أنَّ الخليفة الرَّاشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ، حين أدركته الوفاة بعدما طعن ، أرسل ولده عبد الله إلى السيِّدة عائشة رضي الله عنها يستأذنها في أن يدفن بجوار صاحبيه : سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه أبي بكر الصِّديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، لدرجة أنَّ عبد الله حين رجع بعدما استأذن السيِّدة عائشة رضي الله عنها ، نسي الفاروق جراحه وآلامه وابتدر ولده بالسُّؤال : ما لديك يا عبد الله ، وعندما أخبره ولده عبد الله بموافقتها على طلبه قال : ما كان شيء أهمّ إليَّ من ذلك المضجع ...

فقد روى البخاري بسنده عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ، اذْهَبْ إِلَى أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، فَقُلْ : يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَلَيْكِ السَّلاَمَ ، ثمَّ سَلْهَا ، أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيَّ ، قَالَتْ : كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي فَلَأُوثِرَنَّهُ اليَوْمَ عَلَى نَفْسِي ، فَلَمَّا أَقْبَلَ ، قَالَ : لَهُ مَا لَدَيْكَ ؟ قَالَ : أَذِنَتْ لَكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، قَالَ : " مَا كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ المَضْجَعِ ، فَإِذَا قُبِضْتُ فَاحْمِلُونِي ، ثمَّ سَلِّمُوا ، ثمَّ قُلْ : يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَادْفِنُونِي ، وَإِلَّا فَرُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ " (٢) .

قال الحافظ ابن حجر : " وَفِيهِ الحِرْصُ عَلَى مُجَاوَرَةِ الصَّالِحِينَ فِي الْقُبُورِ ، طَمَعاً فِي إِصَابَةِ الرَّحْمَةِ إِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ ، وَفِي دُعَاءِ مَنْ يَزُورُهُمْ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ " (٣) .

فحرص سيِّدنا عمر رضي الله عنه على أن يدفن في جوار الحبيب ليس إلا لتناله بركة سيِّد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فبركته ميتاً كبركته حيَّاً ، وبركته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تنقطع ، بانتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ...

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٨٧ برقم ١٢٩٧٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٣ برقم ١٣٩٢) .

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٢٥٨) .

والتَّبرُّك بقبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منقول عن غير واحد من الصَّحابة رضوان الله عليهم ، فقد روى أحمد وغيره بسندهم عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي صَالِحٍ ، قَالَ : أَقْبَلَ مَرْوَانُ يَوْماً فَوَجَدَ رَجُلاً وَاضِعاً وَجْهَهُ عَلَى الْقَبْرِ ، فَقَالَ : أَتَدْرِي مَا تَصْنَعُ ؟ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ أَبُو أَيُّوبَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، جِئْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ آتِ الْحَجَرَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لاَ تَبْكُوا عَلَى الدِّين إِذَا وَلِيَهُ أَهْلُهُ ، وَلَكِنْ ابْكُوا عَلَيْهِ إِذَا وَلِيَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ (١) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤٢٢ برقم ٢٣٩٨٣) ، ١٩٩٨م ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٥٦٠ برقم ٨٥٧١ ، وقال : ذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ، ووافقه الذهبي) ، وفي تخريجه لأحاديث التَّوسُّل والزِّيارة أفاض الأستاذ محمود سعيد ممدوح في الردِّ على من ضعَّف هذا الحديث ، فقال في كتابة : " المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة " (ص ٢٣٤-٢٣٦) : عبد الملك بن عمرو هو القيسي أبو عامر العقدي، ثقة احتج به الجماعة وكثير بن زيد، حسن الحديث .

وداود بن أبي صالح قال عنه الذهبي في الميزان (٢/ ٩) : " لا يعرف " ، وسكت عنه ابن أبي حاتم الرازي (الجرح والتعديل ٣/ ٤١٦) .

وذكره الحافظ ابن حجر تمييزاً ، وقال في التقريب : " مقبول " .

فإذا تشدَّدت وأعرضت عن تصحيح الحاكم وموافقة الذهبي له لأنَّ التَّصحيح هو توثيق للراوي ، فهذا الإسناد فيه ضعف يسير يزول بالمتابعة ، وداود بن أبي صالح تابعه المطلب بن عبد الله بن حنطب فيما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٨٩) ، والأوسط (١/ ١٩٩) ، وأبو الحسن يحيى بن الحسن في أخبار المدينة (كما في شفاء السقام ص ١٥٢) .

والمطلب بن عبد الله بن حنطب صدوق ويدلِّس ، ومثله يصلح للمتابعة صرَّح بالسَّماع أو لم يصرِّح ، أدرك أبا أيوب أو لم يدركه ، فغاية هذا الإسناد أنه فيه انقطاع يسير ، قد زال بالمتابعة المتقدِّمة . وبهذه المتابعة يثبت الحديث ويصير من قسم الحسن لغيره ، والله أعلم ...

أمَّا الألباني فكان ولا بدَّ أن يضعِّف الحديث ، فماذا فعل في تضعيفه ؟

اقتصر على رواية أحمد والحاكم التي فيها داود بن أبي صالح وضعَّف الحديث به ، وهذا قصور ، وقد علمت وجود متابع لداود بن أبي صالح .

ثم أخطأ على الحافظ العلم نور الدِّين الهيثمي ، فقال الألباني : وذهل عن هذه العلَّة -(أي داود بن أبي صالح)- الحافظ الهيثمي فقال في المجمع ٥/ ٢٤٥ : رواه أحمد ، والطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه كثير بن زيد، وثقه أحمد وغيره ، وضعَّفه النسائي وغيره . وخطأ الألباني أنه اعتبر الجودة ذهولاً ، ذلك أنَّ الحافظ الهيثمي عندما نظر لاسنادي أحمد والطبراني وجد متابعاً لداود بن أبي صالح ، وهو المطلب بن عبدالله بن حنطب ، فلم يجد ما يستحق الكلام عليه إلا كثير بن زيد فبين أنه مختلف ، ومثله يحسن حديثه . فحصر الهيثمي ، الكلام على كثير بن زيد هو الصَّواب .

ومنشأ خطأ الألباني هو عدم وقوفه على المتابعة ، وهو قصور بلا شك .

وبيان هذا القصور أنه عندما علم تخريج الطبراني للحديث كان ينبغي المسارعة والبحث عن إسناد الطبراني فيه ، وهذا هو مسلك المحدثين الناقدين ، وأما الاقتصار على طريق واحد للحديث ثمَّ تضعيف الألباني له مع وجود طريق آخر فهو خطأ بلا ريب . ولعمل الألباني هذا نظائر في كتبه . والحديث فيه التجاء أحد الصَّحابة رضي الله تعالى عنهم إلى القبر الشَّريف .

فالتزام القبر ثابت عن الصَّحابي الجليل أبي أيُّوب الأنصاري رضي الله عنه ، بل إنَّه أنكر على من أنكر عليه التزامه قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ووصف المنكر عليه بأنَّه ليس من أهل العلم .

قال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " قال أبو بكر الأثرم : قلت لأبي عبد الله ، يعني أحمد بن حنبل : قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمسُّ ويتمسَّح به ؟ فقال : ما أعرف هذا ، قلت له : فالمنبر ، فقال : أمَّا المنبر فنعم ، قد جاء فيه ، قال أبو عبد الله : شيء يروونه ، عن ابن أبي فديك ، عن ابن أبي ذئب ، عن ابن عمر أنَّه مسح على المنبر ، قال : ويروونه عن سعيد بن المسيّب في الرُّمَّانة ، قلت : ويروون عن يحيى بن سعيد أنَّه حين أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر فمسحه ودعا ، فرأيته استحسنه ، ثمَّ قال : لعلَّه عند الضَّرورة والشَّيء . قيل لأبي عبد الله : إنَّهم يلصقون بطونهم بجدار القبر . وقلت له : رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسُّونه ، ويقومون ناحية فيسلِّمون ، فقال أبو عبد الله : نعم ، وهكذا كان ابن عمر يفعل ، ثمَّ قال أبو عبد الله بأبي هو وأمِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فقد رخَّص أحمد وغيره في التَّمسُّح بالمنبر والرُّمَّانة التي هي موضع مقعد النَّبي صلَّى الله عليه و سلَّم ويده ، ولم يرخِّصوا في التَّمسُّح بقبره . وقد حكى بعضُ أصحابنا رواية في مسح قبره ، لأنَّ أحمد شيَّع بعض الموتى ، فوضع يده على قبره يدعو له " (١) .

قلت : والرِّواية التي أشار إليها ابن تيميه ، وأنَّ أحمد شيَّع بعض الموتى ... ذكرها القاضي أبو يعلى ، محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن خلف المعروف بـ ابن الفرَّاء (٤٥٨هـ) في كتابه : " المسائل الفقهيَّة من كتاب الرِّوايتين والوجهين " ، فقال : " مسألة : واختلفت في وضع اليد على القبر على روايتين : قال محمَّد بن حبيب البزَّار : كنت مع أبي عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل في جنازة ، فأخذ يدي وقمنا ناحية ، فلما فرغ النَّاس وانقضى الدَّفن ، جاء إلى القبر وأخذ بيدي وجلس ووضع يده على القبر ، وقال : اللهمَّ إنَّك قلت في كتابك : **﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾**[الواقعة: ٨٨ – ٩٦] . اللهمَّ إنَّا نشهد أنَّ هذا فلان ابن فلان ما كذَّب بك ، ولقد كان يؤمن بك وبرسولك ، اللهمَّ فاقبل شهادتنا له ، ودعا وانصرف " (٢) .

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، (٢/ ٢٤٤-٢٤٥) .

(٢) انظر : المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين (١/ ٢١٤) .

وفي ترجمة محمَّد بن المنكدر(١٣٠هـ) نقل الإمام الذَّهبي عن مُصْعَبُ بنُ عَبْدِ الله : حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيْلُ بنُ يَعْقُوْبَ التَّيْمِيُّ ، قَالَ : كَانَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ يَجْلِسُ مَعَ أَصْحَابِه ، فَكَانَ يُصِيْبُه صُمَاتٌ ، فَكَانَ يَقُوْمُ كَمَا هُوَ حَتَّى يَضَعَ خَدَّهُ عَلَى قَبْرِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ثُمَّ يَرْجِعُ .

فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّهُ يُصِيْبُنِي خَطَرٌ ، فَإِذَا وَجَدْتُ ذَلِكَ ، اسْتَعَنْتُ بِقَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَكَانَ يَأْتِي مَوْضِعاً مِنَ المَسْجِدِ يَتَمَرَّغُ فِيْهِ ، وَيَضطَجِعُ ، فَقِيْلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي هَذَا المَوْضِعِ " [١] .

ونقل الإمام الذَّهبيُّ عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ : أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ مَسَّ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قُلْتُ : كَرِهَ ذَلِكَ لأَنَّهُ رَآهُ إِسَاءَةَ أَدَبٍ ، وَقَدْ سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ مَسِّ الْقَبْرِ النَّبَوِيِّ وَتَقْبِيلِهِ ، فَلَمْ يَرَ بِذَلِكَ بَأْساً ، رَوَاهُ عَنْهُ وَلَدُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ .

فَإِنْ قِيلَ : فَهَلا فَعَلَ ذَلِكَ الصَّحَابَةُ ؟ قِيلَ : لأَنَّهُمْ عَايَنُوهُ حَيّاً ، وَتَمَلَّوْا بِهِ وَقَبَّلُوا يَدَهُ ، وَكَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وُضُوئِهِ ، وَاقْتَسَمُوا شَعْرَهُ الْمُطَهَّرَ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ ، وَكَانَ إِذَا تَنَخَّمَ لا تَكَادُ نُخَامَتُهُ تَقَعُ إِلا فِي يَدِ رَجُلٍ فَيُدَلِّكُ بِهَا وَجْهَهُ ، وَنَحْنُ فَلَمَّا لَمْ يَصِحْ لَنَا مِثْلُ هَذَا النَّصِيبِ الأَوْفَرِ تَرَامَيْنَا عَلَى قَبْرِهِ بِالالْتِزَامِ وَالتَّبْجِيلِ وَالاسْتِلامِ وَالتَّقْبِيلِ ، أَلا تَرَى كَيْفَ فَعَلَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ ؟ كَانَ يُقَبِّلُ يَدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَيَضَعُهَا عَلَى وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ : يَدٌ مَسَّتْ يَدَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " [٢] .

" وَهَذِهِ الأُمُورُ لا يُحَرِّكُهَا مِنَ الْمُسْلِمِ إِلا فَرْطُ حُبِّهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ هُوَ مَأْمُورٌ بِأَنْ يُحِبَّ اللهَّ وَرَسُولَهُ أَشَدَّ مِنْ حُبِّهِ لِنَفْسِهِ ، وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَمِنْ أَمْوَالِهِ ، وَمِنَ الْجَنَّةِ وَحُورِهَا ، بَلْ خَلْقٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّونَ أَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ أَكْثَرَ مِنْ حُبِّ أَنْفُسِهِمْ " [٣] .

فالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أجاز تقبيل قبر النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَكذا رمَّانة المنبر ، وَمَسّ الحُجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ ، وأنَّه لا بأس بذلك ، في الوقت الذي استغرب فيه ابن تيمية هذا الصَّنيع من أحمد . فإذا كان ابن تيمية صادقاً في متابعة السَّلف فلماذا أشاح بوجهه عمَّا قاله الإمام أحمد ؟ ولماذا لم يلتزمه ؟ أم أنَّ الاتِّباع مجرَّد كلام ليل يمحوه النَّهار ؟ ولماذا لم يمعن ابن تيمية النَّظر في صنيع الإمام أحمد حين غسل قميصاً للإمام

---

[١] انظر : سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٨-٣٥٩) .

[٢] انظر : معجم الشيوخ الكبير (١/ ٧٣) .

[٣] انظر : معجم الشيوخ الكبير (١/ ٧٣) .

الشَّافعي وشربَ الماء الذي غسله به ؟ وماذا سيصنع الإمام أحمد بن حنبل لو وجد قميصاً للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أو قميصاً لأبي بكر أو عمر أو غيرهما من الصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين ...

قال الإمام العيني (٨٥٥هـ) : " وَقَالَ شَيخنَا زين الدِّين : ... وَأما تَقْبِيل الْأَمَاكِن الشَّرِيفَة على قصد التَّبَرُّك ، وَكَذَلِكَ تَقْبِيل أَيدي الصَّالِحين وأرجلهم فَهُوَ حسن مَحْمُود بِاعْتِبَار الْقَصْد وَالنِّيَّة ، وَقد سَأَلَ أَبُو هُرَيْرَة الْحسن ، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ ، أَن يكْشف لَهُ الْمَكَان الَّذِي قبله ، رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ سرَّته، فَقبله تبرُّكاً بآثاره وَذريته ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقد كَانَ ثَابت الْبنانِيّ لَا يدع يَد أنس ، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ ، حَتَّى يقبّلهَا ، وَيَقُول : يَد مسَّت يَد رَسُول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ أَيْضاً : وَأَخْبرنِي الْحَافِظ أَبُو سعيد ابْن العلائي ، قَالَ : رَأَيْت فِي كَلَام أَحْمد بن حَنْبَل فِي جُزْء قديم عَلَيْهِ خطّ ابْن نَاصِر وَغَيره من الْحفاظ ، أَن الإِمَام أَحْمد سُئِلَ عَن تَقْبِيل قبر النَّبِي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتقبيل منبره ، فَقَالَ : لَا بَأْس بذلك ، قَالَ : فأريناه للشَّيْخ تَقِيّ الدِّين بن تَيْمِية فَصَارَ يتعجَّب من ذَلِك ، وَيَقُول : عجبت أَحْمد عِنْدِي جليل يَقُوله ؟ هَذَا كَلَامه أَو معنى كَلَامه ؟ وَقَالَ : وَأي عجب فِي ذَلِك ، وَقد روِّينَا عَن الإِمَام أَحْمد أَنَّه غسل قَمِيصاً للشَّافِعِيّ وَشرب المَاء الَّذِي غسله بِهِ ، وَإِذا كَانَ هَذَا تَعْظِيمه لأهل الْعلم فَكيف بمقادير الصَّحَابَة ؟ وَكَيف بآثار الْأَنْبِيَاء ، عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام ؟ وَلَقَد أحسن مَجْنُون ليلى حَيْثُ يَقُول :

أمرُّ على الدِّيار ديار ليلـــــى	أقبِّل ذَا الْجِـــدَار وَذَا الْجِدَار
وَمَا حبُّ الدِّيار شغفن قلبـــــي	وَلَكِن حبُّ من سكـــــن الدِّيارا

وَقَالَ الْمُحب الطَّبَرِيّ : وَيُمكن أَن يستنبط من تَقْبِيل الْحجر واستلام الْأَركان جَوَاز تَقْبِيل مَا فِي تقبيله تَعْظِيم الله تَعَالَى ، فَإِنَّهُ إِن لم يرد فِيهِ خبر بالنَّدب لم يرد بِالْكَرَاهَةِ . قَالَ : وَقد رَأَيْت فِي بعض تعاليق جدي مُحَمَّد بن أبي بكر ، عَن الإِمَام أبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي الصَّيف : أَنَّ بَعضهم كَانَ إِذا رأى الْمَصَاحِف قبلهَا ، وَإِذا رأى أَجزَاء الحَدِيث قبلهَا ، وَإِذا رأى قُبُـــور الصَّالِحين قبلهَا ، قَالَ : وَلَا يبعد هَذَا ، وَالله أعلـــم فِي كلِّ مَا فِيهِ تَعْظِيم لله تَعَالَى " (١) .

وفي شرحه لباب " من لم يستلم إلا الرُّكنين اليمانيين " من صحيح البخاري ، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : " اسْتَنْبَطَ بَعْضُهُمْ مِنْ مَشْرُوعِيَّةِ تَقْبِيلِ الْأَرْكَانِ جَوَازَ تَقْبِيلِ كُلِّ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ مِنْ آدَمِيٍّ

(١) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩/ ٢٤١) .

وَغَيْرِهِ ، فَأَمَّا تَقْبِيلُ يَدِ الْآدَمِيِّ ، فَيَأْتِي فِي كِتَابِ الْأَدَبِ ، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَنُقِلَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ تَقْبِيلِ مِنْبَرِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقْبِيلِ قَبْرِهِ فَلَمْ يَرَ بِهِ بَأْساً " (١) .

ونقل الذَّهبيُّ عن البخاري في ترجمته له أنَّه صنَّف كِتَابَ " التَّارِيْخ " إِذْ ذَاكَ عِنْدَ قَبْرِ رَسُوْلِ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي اللَّيَالِي الْمُقْمِرَةِ ، وَقَلَّ اسْمٌ فِي التَّارِيْخِ إِلاَّ وَلَهُ قِصَّةٌ ، إِلاَّ أَنِّي كَرِهْتُ تطويلَ الكِتَابِ " (٢) .

وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ : سَمِعْتُ عَبْدَ القُدّوسِ بنَ هَمَّامٍ يَقُوْلُ : سَمِعْتُ عِدَّةً مِنَ المَشَايِخِ ، يَقُوْلُوْنَ : حَوَّلَ محمَّد بنُ إِسْمَاعِيْلَ تَرَاجِمَ جَامِعِهِ بَيْنَ قَبْرِ رَسُوْلِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْبَرِهِ ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكُلِّ تَرْجَمَةٍ رَكْعَتَيْنِ (٣) .

وقال القاضي عياض : " وَعَنِ ابْنِ قُسَيْطٍ ، وَالْعُتْبِيِّ : كَانَ أَصْحَابُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خلا المسجد جسُّوا رُمَّانَةَ الْمِنْبَرِ الَّتِي تَلِي الْقَبْرَ بِمَيَامِنِهِمْ ثمَّ اسْتَقْبَلُوا الْقِبْلَةَ يَدْعُونَ (٤) .

وقال القاضي عياض أيضاً : " ورؤي ابْنُ عُمَرَ وَاضِعاً يَدَهُ عَلَى مَقْعَدِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمِنْبَرِ ثمَّ وضعها على وجهه (٥) .

وفي ترجمة الإمام أحمد بن حنبل ، قال الإمام الذَّهبيُّ : " ... أَيْنَ الْمُتَنَطِّعُ الْمُنْكِرُ عَلَى أَحْمَدَ ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ عَبْدَ الله سَأَلَ أَبَاهُ عَمَّنْ يَلمَسُ رُمَّانَةَ مِنْبَرِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَيَمَسُّ الحُجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ ، فَقَالَ : لاَ أَرَى بِذَلِكَ بَأْساً . أَعَاذنَا اللهُ وَإِيَّاكُم مِنْ رَأْيِ الخَوَارِجِ وَمِنَ البِدَعِ (٦) .

ومع كلِّ ما سبق بيانه ، لم يسلم من مُدَّعي السَّلفيَّة أحدٌ ممَّن ليس على شاكلتهم ، حتى الصَّحابة لم يسلموا من لسان الإمام ابن تيمية ، كما في كتابه : " اقتضاء الصِّراط المستقيم " ، حيث اعترض على عبد الله بن عمر تتبُّعه للأماكن التي صلَّى فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتحرَّاها لأجل الصَّلاة فيها ، فقال : " فأمَّا قصد الصَّلاة في تلك البقاع التي صلَّى فيها اتِّفاقاً ، فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصَّحابة ... وتحرِّي هذا ليس

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٤٧٥) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٠) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٤) .

(٤) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢٠٠) .

(٥) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٢٧) .

(٦) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٢) .

من سنَّة الخلفاء الرَّاشدين ، بل هو ممَّا ابتدع ، وقول الصَّحابي إذا خالفه نظيره ، ليس بحجَّة ، فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصَّحابة ؟

أيضاً : فإنَّ تحرِّي الصَّلاة فيها ذريعة إلى اتِّخاذها مساجد ، والتَّشبُّه بأهل الكتاب ممَّا نُهينا عن التَّشبُّه بهم فيه ، وذلك ذريعة إلى الشِّرك بالله !!! " (١) .

فابن تيمية يصف الصَّحابي الجليل ابن عمر رضي الله عنهما بالمبتدع ، لأنَّه كان يتتبَّع الأماكن التي صلَّى فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتحرَّاها لأجل الصَّلاة فيها ، مع أنَّه ثبت عن الصَّحابة الكرام أنَّهم تبرَّكوا بالكعبة ، فاستلموها ، ومسحوا بأيديهم على وجوههم تبرُّكاً...

فعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي محمَّد بْنُ الْمُرْتَفِعِ ، أَنَّهُ رَأَى ابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَعُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِذَا اسْتَلَمَا مَسَحَا وُجُوهَهُمَا بِأَيْدِيهِمَا " (٢) .

وعن عوَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ : أَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنَّا يُقَالُ لَهُ حُمَيْدُ بْنُ حِبَّانٍ قَالَ : رَأَيْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ إِذَا اسْتَلَمَ الرُّكْنَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى خَدِّهِ " (٣) .

وعَنْ مَعْمَرٍ قَالَ : لَمْ أَرَ أَحَداً يَسْتَلِمُ إِلَّا وَهُوَ يُقَبِّلُ يَدَهُ ، وَأَدْرَكْنَا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ ، قَالَ : وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَيُّوبَ كَثِيراً مِمَّا يَمْسَحُ عَلَى وَجْهِهِ بِيَدِهِ إِذَا اسْتَلَمَ بَعْدَ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَهُ " (٤) .

وعَنْ سَعْدِ بْنِ حَمَّادٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي مُوسَى ابْنِ أَبِي الْفُرَاتِ ، أَوْ فُلَانُ بْنُ أَبِي الْفُرَاتِ قَالَ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ ، ثُمَّ يُقَبِّلُ يَدَهُ ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهَا وَجْهَهُ " (٥) .

فهؤلاء الصَّحابة الكرام ما تبرَّكوا بالرُّكن ومسحوا بأيديهم على وجوههم إلَّا بعد أنَّ رأوا الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل ذلك ، فقد روى النَّسائي وغيره بسندهم عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِذَا اسْتَلَمَ الرُّكْنَ الْيَمَانِى قَبَّلَهُ وَوَضَعَ خَدَّهُ الأَيْمَنَ عَلَيْهِ " (٦) .

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٧٨–٢٧٩) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤١ برقم ٨٩٣٠) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤٢ برقم ٨٩٣١) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤٢ برقم ٨٩٣٢) .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤٢ برقم ٨٩٣٣) .

(٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي (٥/ ٧٦ برقم ٩٥٠٣) ، انظر : مُصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٤٠ برقم ١٥٦١٨) .

قال الإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " ... وَاسْتَحَبَّ بَعْضُهُمْ تَقْبِيلَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ أَيْضاً فَائِدَةٌ أُخْرَى اسْتَنْبَطَ بَعْضُهُمْ مِنْ مَشْرُوعِيَّةِ تَقْبِيلِ الْأَرْكَانِ : جَوَازَ تَقْبِيلِ كُلِّ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ مِنْ آدمِيٍّ وَغَيْرِهِ ، فَأَمَّا تَقْبِيلُ يَدِ الْآدَمِيِّ فَيَأْتِي فِي كِتَابِ الْأَدَبِ ، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَنُقِلَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ تَقْبِيلِ مِنْبَرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقْبِيلِ قَبْرِهِ فَلَمْ يَرَ بِهِ بَأْساً ، وَاسْتَبْعَدَ بَعْضُ أَتْبَاعِهِ صِحَّةَ ذَلِك ، وَنقل عَن بن أَبِي الصَّيْفِ الْيَمَانِيِّ أَحَدِ عُلَمَاءِ مَكَّةَ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ جَوَازَ تَقْبِيلِ الْمُصْحَفِ ، وَأَجْزَاءِ الْحَدِيثِ ، وَقُبُورِ الصَّالِحِين ، وَباللهَّ التَّوْفِيق " (١) .

وقال الإمام العيني (٨٥٥هـ) نقلاً عن شيخه الإمام زين الدِّين أبو الفضل عبد الرَّحيم العراقي الشَّافعي (٨٠٦هـ) : " وَأَمَّا تَقْبِيل الْأَمَاكِن الشَّرِيفَة على قصد التَّبَرُّك ، وَكَذَلِكَ تَقْبِيل أَيدي الصَّالِحِين وأرجلهم فَهُوَ حسن مَحْمُود بِاعْتِبَار الْقَصْد وَالنِّيَّة ، وَقد سَأَلَ أَبُو هُرَيْرَة الْحسن ، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ ، أَن يكْشف لَهُ الْمَكَان الَّذِي قبله ، رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ سرَّته ، فَقبله تبركاً بآثاره وَذريَّته ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقد كَانَ ثَابت الْبنانِيّ لَا يدع يَد أنس ، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ ، حَتَّى يقبلهَا ، وَيَقُول : يَد مسَّت يَد رَسُول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ أَيْضاً : وَأَخْبرنِي الْحَافِظ أَبُو سعيد ابْن العلائي قَالَ : رَأَيْت فِي كَلَام أَحْمد بن حَنْبَل فِي جُزْء قديم عَلَيْهِ خطّ ابْن نَاصِر وَغَيره من الْحفاظ ، أَن الإِمَام أَحْمد سُئِلَ عَن تَقْبِيل قبر النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتقبيل منبره ، فَقَالَ : لَا بَأْس بذلك ، قَالَ : فأريناه للشَّيْخ تَقِيّ الدِّين بن تَيْمِية فَصَارَ يتعجب من ذَلِك ، وَيَقُول : عجبت أَحْمد عِنْدِي جليل يَقُوله ؟ هَذَا كَلَامه أَو معنى كَلَامه ؟ وَقَالَ : وَأي عجب فِي ذَلِك وَقد روينَا عَن الإِمَام أَحْمد أَنه غسل قَمِيصاً للشَّافِعِيّ وَشرب المَاء الَّذِي غسله بِهِ ، وَإِذا كَانَ هَذَا تَعْظِيمه لأهل الْعلم فَكيف بمقادير الصَّحَابَة ؟ وَكَيف بآثار الْأَنْبِيَاء ، عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام " (٢) .

وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى مسألة ذكرها الإمام العيني ، وهي تَقْبِيل أَيدي الصَّالِحِين وأرجلهم ، وهذا أمر فعله السَّلف الصَّالح ، فقد أخرج الطَّبراني بسنده عن يَحْيَى بْنُ الْحَارِثِ الذِّمَارِيُّ قَالَ : لَقِيتُ وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ ، فَقُلْتُ : بَايَعْتَ بِيَدِكَ هَذِهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقُلْتُ : أَعْطِنِي يَدَكَ أُقَبِّلُهَا ، فَأَعْطَانِيهَا ، فَقَبَّلْتُهَا " (٣) .

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٤٧٥) .

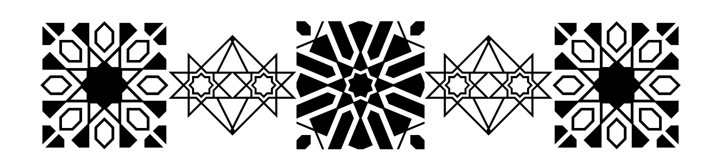
(٢) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩/ ٢٤١) .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٩٤ برقم ٢٢٦) .

وذكر الإمام أبو العبَّاس ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد ، محب الدِّين الطَّبري (٦٩٤هـ) في كتابه : " الرِّياض النَّضرة في مناقب العشرة " عن أبي رجاء العطاردي ، قال : دخلتُ المدينة فرأيت النَّاس مجتمعين ، ورأيت رجلاً يقبِّل رأس رجل ، وهو يقول : أنا فداؤك ولولا أنت لهلكنا ، فقلت : من المقبِّل ، ومن المقبَّل ؟ قالوا : ذاك عمر يقبِّل رأس أبي بكر في قتاله أهل الرِّدَّة ، إذ منعوا الزَّكاة حتى أتوا بها صاغرين " (١) .

ولم يزل العلماء يقبِّلون أيدي الصَّالحين ، من غير نكير ، فقد ذكر الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) كلاماً للإمام الفضيل بن عياض (١٨٧هـ) ، جاء في آخره : " فَقَبَّلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ (١٨١هـ) جَبْهَتَهُ ، وَقَالَ : يَا مُعَلِّمَ الْخَيْرِ مَنْ يُحْسِنُ هَذَا غَيْرُكَ " (٢) .

ولَمَّا كانت حرمة المؤمن عند الله تعالى أعظم من حرمة الكعبة المشرَّفة ، فما المانع من التَّبرُّك والتَّوسُّل به إلى الله تعالى ؟!!! ولذلك ... يجب على من ادَّعوا السَّلفيَّة أن يعودوا إلى رشدهم ، ويفكِّروا في أمرهم ، فيكفُّوا عن تكفير الأمَّة وتبديعها وتفسيقها ، ولا يقلِّدوا في دينهم الرِّجال ، فالحقُّ لا يعرف بالرِّجال بل الرِّجال هم الذين يعرفون بالحقِّ ، والحقُّ أحقُّ أ يُتَّبع ... فإنَّهم إن فعلوا ذلك بان لهم الحقُّ من الباطل ، وعلموا يقيناً أنَّ ابن تيمية ومعه من سار على منهجه خالفوا الأُمَّة في أمور عديدة ...



(١) انظر : الرياض النضرة في مناقب العشرة (١/ ١٤٨) .

(٢) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٩١) .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

حَرَّمُوا الإحْتِفَالُ بِالمُوْلِدِ النَّبَوِيِّ

الإحتفال بمولد خير الورى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنَّة طيِّبة حسنة ، دأبت الأمَّة على القيام بها محبَّة وإجلالاً منها لسيِّد ولد آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... ومع ذلك أثار المتمسلفون شبهات عديدة حول الاحتفال بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حكموا من خلالها ببدعيَّة الاحتفال بميلاد الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ... ولذلك لا بدَّ في البداية من ذكر بعض فتاويهم في هذا الباب ثمَّ نعمد بعدها إلى ذكر ما تضمَّنه كلامهم من شبهات ، ونختم بالرَّدِّ عليها ... وسنقتصر هنا على بعض فتاوى ابن باز ، لأنَّ كلامه هو لسان حال الجميع ...

جاء في فتاوى نور على الدَّرب : " حكم الاحتفال بمولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

س: يوجد لدينا في جميع البلاد في مصر أنَّهم يحتفلون بمولد سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فما حكم ذلك ؟

ج: هذه المسألة قد وقعت في بلدان كثيرة من بلدان المسلمين ، كثير من المسلمين يحتفلون بالمولد النَّبويِّ ، ورغم وجود ذلك في بلاد كثيرة فهو بدعة ، فالبدع لا تنقلب سُنناً لكثرة الفاعلين لها ، سواء كان في المغرب أو في المشرق ، أو في مصر أو في غير ذلك ، الاحتفال بالموالد من البدع التي أحدثها الشِّيعة ، وتبعهم عليها بعض أهل السنَّة ، وذكر بعض المؤرِّخين أنَّ أوَّل من أحدثها الفاطميُّون ، بنو عبيد بن القدَّاح ، المعروفون الذين ملكوا مصر والمغرب ، في القرن الرَّابع والخامس ، هم أوَّل من أحدثوا في القرن الرَّابع موالد للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وللحسن والحسين وفاطمة ولحاكمهم ، ثمَّ وقع بعد ذلك الاحتفال بالموالد بعدهم ، فهو بدعة بلا شكٍّ ؛ لأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المعلم المرشد ، وأصحابه هم أفضل النَّاس بعد الأنبياء ، وهو قد بلغ البلاغ المبين ، ولم يحتفل بمولده عليه الصَّلاة والسَّلام ، ولا أرشد إلى ذلك ، ولا احتفل به أصحابه ، وهم أفضل النَّاس ، وأحبُّ النَّاس للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا التَّابعون لهم بإحسان ، في القرون المفضَّلة الثَّلاثة ، فعلم أنَّه بدعة ، وهو وسيلة للغلوِّ والشِّرك ، ووسيلة للغلوِّ في الأنبياء والصَّالحين ، فإنَّهم قد يعظِّمونهم بالغلوِّ والمدائح ، التي فيها الشِّرك بالله ، الشِّرك الأكبر ، كوصفهم لهم بأنَّهم يعلمون الغيب ، أو أنَّهم يدعون من دون الله أو يستغاث بهم أو ما أشبه ذلك ، فيقعون في هذا الاحتفال في أنواع من الشِّرك ، وهم لا يشعرون أو قد يشعرون ، فالواجب ترك ذلك ، وليست الاحتفالات بالمولد دليلاً على حبِّ المحتفلين للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعلى اتباعهم له ، وإنَّما الدَّليل والبرهان على ذلك ، هو اتِّباعهم لما جاء به عليه الصَّلاة والسَّلام ، هذا هو الدَّليل على

حبِّ الله ورسوله ، الحبّ الصَّادق ، كما قال عزَّ وجلَّ : **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [آل عمران: ٣١] ، فمن كان يحبُّ الله ورسوله ، فعليه باتِّباع الحقِّ بأداء فرائض الله ، وترك محارم والوقوف عند حدود الله ، والمسارعة إلى مراضي الله ، والحذر من كلِّ ما يغضب الله عزَّ وجلَّ ، هذا هو الدَّليل ، وهذا هو البرهان ، وهذا هو الذي كان عليه أصحاب الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعهم بإحسان ، أمَّا الاحتفالات بالموالد للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أو للشَّيخ عبد القادر الجيلاني ، أو للبدوي أو لفلان وفلان ، فكلُّه بدعة ، وكلُّه منكر يجب تركه ؛ لأنَّ الخير في اتِّباع الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واتباع أصحابه والسَّلف الصَّالح ، والشرُّ في الابتداع والاختراع ، ومخالفة ما عليه السَّلف الصَّالح ، هذا هو الذي يجب ، وهذا هو الذي أفتي به ، وهذا هو الحقُّ الذي عليه سلف الأمَّة ، ولا عبرة لمن خالف ذلك وتأوَّل في ذلك ، فإنَّما هدم الدِّين في كثير من البلدان ، والتبس أمره على النَّاس ، بسبب التَّأويل ، والتَّساهل ، وإظهار البدع ، وإماتة السنَّة ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ، والله المستعان " [١] .

وجاء في فتاوى نور على الدَّرب :

" س : هل يجوز الاحتفال بالمولد النَّبويِّ نرجو منكم التَّوجيه ؟

ج : لقد سبق منا جوابات كثيرة في هذا البرنامج وفي غيره ، وكتبنا في هذا كتابات كثيرة ، فهذا الاحتفال بالمولد بدعة ، الاحتفال بالمولد بدعة عند أهل العلم ، عند أهل التَّحقيق بدعة !!! الاحتفال بمولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره ، فلا يجوز الاحتفال بالموالد ، لا بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا بغيره من الأنبياء ، والأخيار فما يفعله النَّاس بمولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو البدوي أو الشَّيخ عبد القادر أو الحسن أو الحسين أو غيرهم كلُّه بدعة لا يجوز .

والواجب الترضِّي عنهم ، واتِّباع طريقهم الطيِّب ، والإكثار من الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واتِّباع سبيله ، والحثّ على سنَّته ، وتعليم دينه ، والقيام بحقِّه من طاعة أمره ، وترك نهيه ، والسَّير على منهاجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هذا هو الواجب على المؤمن قال تعالى : **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾** [آل عمران: ٣١] ، ما قال : فاتخذوا مولداً لي ، احتفلوا بي ، قال : **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾** [آل عمران: ٣١] ، فعلامة المحبَّة : اتِّباعه ، وطاعة أوامره ، وترك نواهيه ، أمَّا إقامة الموالد والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان ،

---

[١] انظر : فتاوى نور على الدرب ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣/ ٤٣-٤٥) .

فهذا لا يجوز ، بل هو من وسائل الشِّرك ، كثير من هؤلاء الذين يتَّخذون الموالد يقعون في الشِّرك في دعاء النَّبي والاستغاثة به ، وبعضهم يقع في بدعة التَّوسُّل بجاهه وبحقه ، وهذا لا يجوز .

أمَّا التَّوسُّل بمحبَّته والإيمان به ، لا بأس ، اللهمَّ إنِّي أسألك بمحبَّة نبيِّك ، والإيمان بنبيِّك أن تغفر لي ، هذا لا بأس به ، أمَّا التَّوسُّل بجاه النَّبي أو بحقِّ النَّبي هذا بدعة ، ليس عليه دليل ، بل هو من البدع ، والتَّوسُّل بمحبَّته ، والإيمان به ، والسَّير على منهاجه ، هذا توسُّلٌ شرعيٌّ ، فالمقصود أنَّ الاحتفال بالموالد من البدع ، سواء كان ذلك بمولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بمولد غيره من الأنبياء أو الصَّالحين أو الصَّحابة أو غيرهم ، كلُّه من البدع ، وهكذا الاحتفال بليلة النِّصف من شعبان أو بليلة تسع وعشرين من رجب يسمُّونها ليلة الإسراء والمعراج ، هذه بدعة أو الاحتفال بأول ليلة من رجب أوَّل ليلة جمعة من رجب يسمُّونها صلاة الرَّغائب بدعة ، المقصود أنَّ الاحتفال بما لم يشرعه الله ، يتقرَّب به إلى الله ، هذا من البدع ، ما فعله النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أصدق النَّاس ، وأنصح النَّاس، علَّم الأمَّة كلَّ خير ، ودعاها إلى كلِّ خير ، ولم يحتفل بمولده في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مكث في المدينة عشر سنين ، وهو رئيس المؤمنين وأميرهم ، ليس له معارض ، ولم يحتفل بمولده عليه الصَّلاة والسَّلام ثمَّ الصِّدِّيق بعده ثمَّ عمر ثمَّ عثمان ثمَّ علي ثمَّ الخلفاء بعدهم ، ما احتفلوا بالمولد ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، فجميع القرون المفضَّلة لم يحدِثوا الموالد ، إنَّما أحدثها الرَّافضة الفاطميُّون في القرن الرَّابع ثمَّ تابعهم بعض المسلمين جهلاً منهم وعدم بصيرة " [١] .

وجاء في فتاوى نور على الدَّرب : " س : ما رأيكم في الاحتفال بمولد النَّبي الشَّريف ، ولقد تكرَّر في قول النّاس : إنَّ بعض العلماء أجازوه ، ويقومون به ، أفيدونا عن هذا ، جزاكم الله خيراً ؟

ج : الاحتفال بالمولد ليس له أصل ، لكونه من البدع التي أحدثها النَّاس في القرن الرَّابع وما بعده ، ومشهور أنَّ أوَّل من أحدثه الطَّائفة المشهورة الذين يقال لهم الفاطميُّون ، وهم حكام المغرب ومصر في المائة الرَّابعة والخامسة ، أحدثوه في المائة الرَّابعة باسم عليّ ، والحسن ، والحسين ، وفاطمة ، واسم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واسم حاكمهم ، ثمَّ انتشر بعدهم ، ولم يكن هذا في القرون المفضَّلة ، ولا في عهد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلهذا ذكر المحقِّقون من أهل العلم أنه بدعة لقول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من عمل عملاً ليس

---

[١] انظر : فتاوى نور على الدرب ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣/ ٦١-٦٢) .

عليه أمرنا فهو ردٌّ " ، ولقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " (1) ، يعني : فهو مردودٌ ، ولا عبرة بمن يفعلونه اليوم وكثرتهم !!! لأنَّهم توارثوا هذا عن أسلافهم ، والقاعدة التي درج عليها العامَّة والكفرة ، قبل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله سبحانه : **﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾** [الزخرف: ٢٣] ، فليس في اتِّباع الآباء حجَّة ، إذا كان عملهم ليس على أساس متين ليس على دليل ، كما أنَّ أعمال الكفَّار ليست حجَّة ، ولهذا أنكر الله عليهم ذلك ، وأمرهم باتِّباع النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يجعل لهم عذراً في اتِّباع أسلافهم ، بل عابهم على ذلك ، فأنت أيُّها المؤمن كذلك ليس لك أن تتَّبع أباك ولا جدك ، ولا أهل بلدك إلا فيما شرعه الله ، أمَّا ما نهى الله عنه فليس لك أن تتَّبعهم ولو كثروا ، فلو أنَّ أهل بلدك صاروا يشربون الخمر ، فليس لك أن تفعله معهم ، ولو كانوا يزنون كذلك ، ولو كانوا يعقُّون والديهم ، ليس لك أن تفعل مثلهم ، فهكذا إذا فعلوا البدع ليس لك أن تتَّبعهم ، بل تدعو لهم بالهداية ، تنصحهم وتوجِّههم إلى الخير ، ولا تفعل معهم ما حرَّم الله من البدعة ، كما أنَّك لا يجوز لك أن تفعل معهم الزِّنى ، أو الخمر أو العقوق أو الرِّبا ، أو ما أشبه ذلك " (2) .

وقد تضمَّن كلام ابن باز السَّابق شُبُهات عديدة ، منها :

١ .أنَّ الاحتفال بميلاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البدع التي أحدثها النَّاس في القرن الرَّابع وما بعده ، ومشهور أنَّ أوَّل من أحدثه الطَّائفة المشهورة الذين يقال لهم الفاطميُّون ...

٢ .أنَّ الاحتفال بميلاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن في القرون المفضَّلة ، ولا في عهد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلهذا ذكر المحقِّقون من أهل العلم أنَّه بدعة لقول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ "

٣ .أنَّه لا عبرة بمن يفعلونه اليوم وكثرتهم !!! لأنَّهم توارثوا هذا عن أسلافهم ...

والحقيقة أنَّ الشُّبهات التي أثارها ابن باز هي لسان حال جميع المتمسلفة ، وقد رددت على أغلب شبهاتهم في كتاب : " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوَسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن " ، والحمد لله تعالى ...

---

(1) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٧٠ برقم ٢٦٨٦٠) ، مسلم (٣/ ١٣٤٣) ، ابن ماجه (١/ ٧ برقم ١٤) ، ابن حبَّان في الصحيح (١/ ٢٠٨ برقم ٢٦) ، الدارقطني في السنن (٥/ ٤٠٢ برقم ٤٥٣٤) ، الشهاب القضاعي في المسند (١/ ٢٣١ برقم ٣٥٩) ، البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٥٢ برقم ٢٠٥٣٦) ، السنن الصغير ، (٤/ ١٣١ برقم ٣٢٥٣) .

(2) انظر : فتاوى نور على الدرب ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣/ ٥٦-٥٧) .

وللرَّدِّ على ما زعمه ابن باز بأنَّ الاحتفال بميلاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البدع التي أحدثها النَّاس في القرن الرَّابع وما بعده ، وأنَّ أوَّل من أحدثه الطَّائفة المشهورة الذين يقال لهم الفاطميُّون ... أقول :

ما قاله ابن باز هنا ما هو إلَّا شنشنةٌ نعرفها من أخزم ، اعتدنا عليه من مثله ، لأنَّ الأحاديث الشَّريفة ذكرت أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أوَّل من احتفل بمولده ، فقد سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صوم يوم الاثنين ، فقال : " ذاك يوم ولدت فيه " (١) .

والحديث الشَّريف يُشير إلى أنَّ صيامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليوم الاثنين كان من أجل ولادته فيه ، وعليه فالصَّوم فيه هو من أجل شكر الله تعالى على منته ونعمائه التي من أعظمها ولادة خاتم أنبيائه ورسله ، وهل يصنعُ المحتفلون بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير ألوان من الشُّكر لله تعالى على ما منَّ به من مولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك اليوم العظيم ؟!!! مع العلم أنَّ الاحتفال بمولده قد يأخذ أشكالاً عديدة ، فقد يكون الاحتفال بالصَّوم شكراً لله تعالى على نعمة الإسلام التي انبلج فجرها بولادة خير الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام ، وقد يكون بالاجتماع على محبَّته بذكر شمائله وخصائصه والاستماع إلى سيرته ، وقد يكون بإطعام الطَّعام ، وكذا بأيِّ وسيلة فيها تحبيب النَّاس وترغيبهم بالإسلام والسَّير على هدي وسنن خير الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام ...

قال الإمام محمَّد بن علوي المالكي : " إنَّ أوَّل المحتفلين بالمولد هو صاحب المولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما جاء في الحديث الصَّحيح الذي رواه مسلم : لما سئل عن صيام يوم الأثنين ، قال : " ذاك يوم ولدت فيه " ، فهذا أصحُّ وأصرح نصٍّ في مشروعيَّة الاحتفال بالمولد النَّبوي الشَّريف . ولا يلتفت لقول من قال : أنَّ أوَّل من احتفل به الفاطميُّون ، لأنَّ هذا إمَّا جهلٌ ، وإمَّا تعامي عن الحقِّ " (٢) .

ثمَّ إنَّ الأمَّة استحبَّت الاحتفال بميلاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لدرجة أنَّ العلماء سطَّروا في مشروعيَّته واستحبابه عشرات بل مئات من الكتب ، كدليل على أنَّ الأُمة تستحبُّ وتُجيز الاحتفاء والاحتفال

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٩٦ برقم ٢٢٥٩٠) ، القاهرة ، مسلم (٢/ ٨١٩ برقم ١١٦٢) ، البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٤٧٣ برقم ٨٣٩٩) ، السنن الصغير (٢/ ١١٧ برقم ١٤١٠) ، دلائل النبوة (١/ ٧٢) ، الطيالسي في المسند ، (١/ ٥١٥ برقم ٦٣٦) ، عبد الرزاق في المصنف (٤/ ٢٩٥ برقم ٧٨٦٥) ، البغوي في شرح السنة (٦/ ٣٥٣ برقم ١٧٩٧) ، الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (١/ ٣٤٣ برقم ١٢١١) ، النسائي في السنن الكبرى (٣/ ٢١٤ برقم ٢٧٩٠) ، ابن خزيمة في الصحيح (٣/ ٢٩٨ برقم ٢١١٧) ، أبو عوانة في المستخرج (٢/ ٢٢٩ برقم ٢٩٤٩) ، ابن حبَّان في الصحيح (٨/ ٤٠٤ برقم ٣٦٤٢) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٥١) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (١/ ١٣٣ برقم ١٤٤) .

(٢) انظر : حول الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف (ص١٦) .

بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يُخالف في ذلك إلَّا من جعلوا السَّلف شمَّاعة علَّقوا عليها مصائبهم وطامَّاتهم ... ومن تلك المؤلَّفات :

١. الإبريز الدَّاني في مولد سيِّدنا محمَّد العدناني : الشَّيخ محمَّد نووي بن عمر بن عربي بن علي الجاوي (١٣١٥هـ) .

٢. إثبات المحسّنات في تلاوة مولد سيِّد السَّادات : محمَّد فوزي بن عبد الله الرُّومي الشَّهير بمفتي أدرنة (١٣١٨هـ) .

٣. الاحتفال بالمولد النَّبوي : الدكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي .

٤. الاحتفال بالمولد النَّبوي بين المؤيِّدين والمعارضين : عبد الله الحسيني المكِّي الهاشمي .

٥. ارتشاف الطَّرب في مولد سيِّد العجم والعرب : محمَّد بن أحمد بن علي ، ابن جابر الهوَّاري (٧٨٠هـ) .

٦. إسعاف الرَّاغبين بمولد سيِّد المرسلين : عبد الصَّمد بن التِّهامي بن المدني جلون نزيل طنجة (١٩٣٣م) .

٧. إسعاف ذوي الوفا بمولد النَّبي المصطفى : محمَّد بن محمَّد ، الغربي الخلوتي (١١٩١هـ) .

٨. أشرف الأنام في مولد مصباح الظَّلام : عبد الوهَّاب بن علي بن عبد الكافي ، السُّبكي (٧٧١هـ) .

٩. اقتناص الشَّوارد من موارد الموارد في شرح مولد ابن حجر الهيتمي : محمَّد بن محمَّد المنصوري الشَّافعي الشَّهير بالخيَّاط .

١٠. أكمل الدُّر المنظَّم في مولد النَّبي المعظَّم : أبو العبَّاس بن أحمد (٦٧٧هـ) .

١١. الأنوار ومفتاح السُّرور والأفكار في مولِّد النَّبي المختار : أبو الحسن أحمد بن عبد الله البكري .

١٢. بشائر الأخبار في مولد المختار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السيِّد محمَّد ماضي أبو العزائم .

١٣. بغية العوام في شرح مولِّد سيِّد الأنام : الشَّيخ محمَّد نووي بن عمر بن عربي بن علي الجاوي (١٣١٥هـ)

١٤. بغية العوام في شرح مولِّد سيِّد الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام لابن الجوزي : محمَّد نوير بن عمر بن عربي بن علي النَّووي أبو عبد المعطي الجاوي الفقيه (١٣١٥هـ) .

١٥. بلوغ المأمول في الاحتفاء والاحتفال بمولد الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : عيسى بن عبدالله بن مانع الحميري .

١٦. بلوغ القصد والمرام بقراءة مولِّد خير الأنام : محمَّد بن محمَّد الحجوجي (١٩٥٠م) .

١٧ . بلوغ المرام لبيان ألفاظ مولد سيِّد الأنام ، وهو شرح على مولد الشَّيخ أحمد بن قاسم المالكي الشَّهير بالحريري : أبو الفوز أحمد المرزوقي المالكي ابن محمَّد رمضان الحسيني .

١٨ . بهجه السَّامعين والنَّاظرين بمولد سيِّد الأوَّلين والآخرين : نجم الدِّين محمَّد بن أحمد بن علي الغيطي (٩٨١هـ) .

١٩ . البيان النَّبوي عن فضل الاحتفال بمولد النَّبي : الدكتور محمود أحمد الزِّين .

٢٠ . البيان والتَّعريف في ذكرى المولد النَّبوي الشَّريف : محمَّد بن علوي المالكي الحسني .

٢١ . تاريخ الاحتفال بالمولد النَّبوي : حسن السَّندوبي .

٢٢ . تأليف به مولد خير الأنام : إبراهيم بن عبدالقادر بن أحمد ، الرِّياحي (١٢٦٦هـ) .

٢٣ . تأنيس أرباب الصَّفا في مولد المصطفى : السيِّد علي بن إبراهيم بن محمَّد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصَّنعاني الأديب الزَّيدي (١٢٣٦هـ) .

٢٤ . التَّجلِّيات الحقيَّه في مولد خير البريَّه : محمَّد بن ناصر الدِّين الأداوي (١٢٤٠هـ) .

٢٥ . تحرير الكلام في القيام عن ذكر مولد سيِّد الأنام : أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي شهاب الدِّين المكِّي الشَّافعي (٨٩٩هـ) .

٢٦ . تحفة الأخبار في مولد المختار : الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني .

٢٧ . تحفة البشر على مولد ابن حجر : الشَّيخ إبراهيم ابن محمَّد الباجوري الشَّافعي المصري (١٢٧٦هـ) .

٢٨ . تحفة العاشقين وهديَّة المعشوقين في شرح تحفة المؤمنين في مولد النَّبي الأمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السيِّد محمَّد راسم بن علي رضا بن سليمان الحنفي المولوي (١٣١٦هـ) .

٢٩ . تحفه الأسماع لمولد أحسن الخلق والطِّباع : محمود حمزه الحسيني (١٣٠٥هـ) .

٣٠ . تحفه البشر على مولد ابن حجر : إبراهيم بن محمَّد بن أحمد الباجوري (١٢٧٧هـ) .

٣١ . تحفه ذوي العرفان في مولد سيِّد ولد عدنان : عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني ، النَّابلسي (١١٤٣هـ)

٣٢ . تذكرة أهل الخير في المولد النَّبوي : محمَّد شاكر بن علي بن حسن ، السَّالمي العقاد (١٢٠٢هـ) .

٢٩ . ترويح الفؤاد بمولد خير العباد : عبدالسَّلام بن إبراهيم بن إبراهيم ، اللقَّاني (١٠٧٨هـ) .

٣٠ . التَّعريف بالمولد الشَّريف : الحافظ شمس الدِّين محمَّد بن محمَّد الجزري (٨٣٣هـ) .

٣١ . تقرير البيلي على المولد النَّبوي لابن حجر : أحمد بن موسى بن أحمد ، البيلي (١٢١٣هـ) .

٣٢. تقريرات على بهجة السَّامعين (مختصر المولد النَّبوي للمدابغي) : عبد الرَّحمن بن محمَّد ، النّحراوي الأجهوري المقري (١٢١٠هـ) .

٣٣. تقييدات على مولد المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (حاشيه الشنَّاوي على مختصر المولد النَّبوي للمدابغي) : علي بن عبدالقدُّوس ، الشنَّاوي .

٣٤. تكمله الدُّر المنظَّم في مولد النَّبي المعظَّم : محمَّد بن احمد بن محمَّد ، العزفي (توفي بعد ٧٦٢هـ) .

٣٥. تنوير العقول في أحاديث مولد الرَّسول : الشَّيخ العارف بالله محمَّد بن مصطفى بن أحمد الحسيني البرزنجي الشَّافعي القادري الشَّهير بمعروف (١٢٥٤هـ) .

٣٦. التَّنوير في مولد السِّراج المنير ، أبو الخطَّاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية الكلبي (٦٣٣هـ) .

٣٧ . الجامع المختار في مولد المختار : محمَّد بن أبي بكر عبد الله بن محمَّد الحافظ شمس الدِّين القيس الشَّافعي الشَّهير بابن ناصر الدِّين الدِّمشقي (٨٤٢هـ) .

٣٨ . الجمع الزَّاهر المنير في ذكر مولد البشير النَّذير : محمَّد بن نصوح الأسكداري الخلوتي من أحفاد الشَّيخ شعبان القسطموني (١١٣٠هـ) .

٣٩. الجواهر السنيَّه في مولد خير البريَّه ، أو حاشية الشّنواني على مولد المدابغي : محمَّد بن علي بن منصور ، الشَّنواني (١٢٣٣هـ) .

٤٠ . حاشية على مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن حجر والغيطي والهدهدي : محمَّد بن عبادة بن بري الصُّوفي المالكي المعروف بالعدوي (١١٩٣هـ) .

٤١ . حاشية على مولد النَّبي للمدابغي : عبد الرَّحمن بن محمَّد النَّحراوي المصري الشَّهير بالمقرِّي (١٢١٠هـ)

٤٢ . حاشيه أبي النَّصر على المولد النَّبوي للمدابغي : أبي النَّصر عبدالرَّحمن ، الشَّافعي .

٤٣ . حاشيه السّجاعي على مختصر المولد النَّبوي للمدابغي من المولد النَّبوي للغيطي : أحمد بن أحمد بن محمَّد ، السّجاعي (١١٩٧هـ) .

٤٤ . حاشيه الطَّرابلسي على المولد النَّبوي للمدابغي : مصطفى بن قاسم بن عبدالله ، الطَّرابلسي (ت بعد ١٢١٤هـ) .

٤٥ . حاشيه حجازي العدوي على المولد النَّبوي لابن حجر : حجازي بن عبداللطيف ، العدوي (ت بعد ١٢١١هـ) .

٤٦. حاشيه سويدان الدمليجي على مولد ابن حجر : عبد الله بن علي بن عبد الرَّحمن سويدان الدمليجي (١٢٣٤هـ) .

٤٧. حاشيه على مولد البشير النَّذير للدَّردير ، إبراهيم بن محمَّد بن أحمد الباجوري (١٢٧٧هـ) .

٤٨. حاشيه محمَّد الأمير الصَّغير على مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للدَّردير ، أو التُّحفه السّنيَّه في الكلام على مولد خير البريَّه : محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، الأمير الصَّغير (ت بعد ١٢٥٣هـ) .

٥٠. حاشيه محمَّد الخضري على مولد محمَّد البهائي ، أو التِّرياق المسلسل في مولد النَّبي المرسل : محمَّد بن مصطفى بن حسن ، الخضري (١٢٨٧هـ) .

٥١. حاشيه محمَّد قش الغرقي على المولد النَّبوي لابن حجر : محمَّد بن يوسف بن إبراهيم ، محمَّد قش الزَّكي (١٢٣٢هـ) .

٥٢. الحجج الدامغة والبراهين السَّاطعة في جواز الاحتفال بالمولد النَّبوي الشَّريف : الشَّيخ حامد أحمد بابكر .

٥٣. حجة المنذرين على تنطُّع المنكرين : أحمد بن عبد الواحد بن المواز (١٩٢٢م) ، ردَّ بها على من نهى عن القيام لولادة الرَّسول عليه السَّلام .

٥٣. حسن المقصد في عمل المولد : الحافظ جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) .

٥٤. حصول الفرج وحلول الفرح في مولد من أنزل عليه ألم نشرح : السيِّد محمود بن عبد المحسن الحسيني القادري الأشعري الشَّافعي مدني الأصل الدِّمشقي المعروف بابن الموقع (١٣٢١هـ) .

٥٥. حول الاحتفال بالمولد النَّبوي الشَّريف : محمَّد بن السيِّد علوي بن السيِّد عبَّاس المالكي الحسني .

٥٦. خلاصة الكلام في الاحتفال بمولد خير الأنام : عبد الله بن الشَّيخ أبو بكر بن سالم .

٥٧. خلاصة الكلام في مولد المصطفى عليه الصَّلاة والسَّلام : رضوان العدل بيبرس .

٥٨. الخيرات الحسان ، أو بستان الأزهار في مولد المختار : محمود بن عبَّاس بن سليمان ، الشَّهرزوري العبدلاني (١١٧٣هـ) .

٥٩. الدُّر الثَّمين في مولد سيد الأوَّلين والآخرين : محمَّد بن حسن بن محمَّد ، السَّمنودي المنير (١١٩٩هـ) .

٦٠. الدُّر المنظَّم شرح الكنز المطلسم في مولد النَّبي المعظَّم : أبو شاكر عبد الله شلبي .

٦١. الدُّر المنظَّم في المولد النَّبوي : محمَّد بن عثمان اللؤلؤي (٨٦٧هـ) .

٦٢. الدُّر المنظَّم في بيان حكم مولد النَّبي الأعظم : محمَّد عبد الحقِّ بن شاه محمَّد بن يار (١٣٣٣هـ) .

٦٣. الدُّر المنظَّم في مولد النَّبي الأعظم : أبو العبَّاس أحمد ابن معد بن عيسى الاقليشى الأندلسي (٥٥٠هـ) .

٦٤. الدُّر المنظم في مولد النَّبي المعظم : أبو القاسم محمَّد بن عثمان اللؤلؤي الدِّمشقي (٨٦٧هـ) ، ثمَّ اختصره وسمَّاه : اللفظ الجميل بمولد النَّبي الجليل .

٦٥. الدُّر النَّظيم في مولد النَّبي الكريم : الإمام سيف الدِّين أبي جعفر عمر بن أيُّوب بن عمر الحميرى التُّركماني الدِّمشقي الحنفي المحدِّث المعروف بابن طغرو بك .

٦٦. الدُّرة السَّنيَّة في مولد خير البريَّة : خليل بن كيكلدي أبو سعيد الدِّمشقي الشَّافعي مدرِّس الصَّلاحيَّة بالقدس (٧٦١هـ) .

٦٧. ربيع العشَّاق في ذكر مولد صاحب البراق : عبد الرَّحمن بن أحمد الزَّيلعي الصُّومالي .

٦٨. ربيع القلوب في مولد النَّبي المحبوب : العربي بن عبد الله التّهامي الوزَّاني الحسلي الرّباطي (١١٩٢هـ) .

٦٨. ردٌّ على إنكار القيام عند ذكر المولد النَّبوي : محمَّد بن أحمد الزّموري الرَّافعي (١٣٦٠هـ) .

٦٩. رسالة في المولد النَّبوي : أحمد المحضار (١٣٠٤هـ) .

٧٠. رسالة في المولد النَّبوي : محمَّد الجونفوري (١٠٨٣هـ) .

٧١. رساله في استحسان المولد النَّبوي : أبو بكر بن أبي القاسم بن أحمد ، ابن الأهدل (١٠٣٥هـ) .

٧٢. رساله في السِّيرة ومولد النَّبي : محمَّد بن أحمد بن علي ، ابن جابر الهوَّاري (٧٨٠هـ) .

٧٣. الرَّوائح الزَّكيَّة في مولد خير البريَّة : الشَّيخ عبدالله الحبشي الهرري .

٧٤. الزَّهر الفائق في مولد أشرف الخلائق : أحمد بن محمَّد بن علي ، السُّحيمي القلعاوي (١١٧٧هـ) .

٧٥. زين الفرح بميلاد النَّبي : محمَّد بن سليمان بن سعد ، الكافيجي (٨٧٩هـ) .

٧٦. درر البحار في مولد المختار : أحمد بن عبد الرَّحمن بن عبد الكريم ، ابن مكيَّة (٩٠٧هـ) .

٧٧. السَّانحات الأحمديَّة والنَّفثات الرُّوعيَّة في مولد خير البريَّة : محمَّد بن عبد الكبير الكتَّاني .

٧٨. السَّجع الرَّائق في مولد الحبيب الفائق : أحمد بن محمَّد بن أحمد ، ابن زيد (٨٧٠هـ) .

٧٩. سرور الأبرار في مولد النَّبي المختار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عبد الفتَّاح بن عبد القادر بن صالح الدِّمشقي أبو الفتح الخطيب الشَّافعي (١٣٠٥هـ) .

٨٠. سمط جوهر في المولد النَّبوي : أحمد علي (١٣٠٠هـ) .

٨١. الشَّاهد المنجي للمولد البرزنجي : نظم الشَّيخ عبدالله محمَّد صالح الخزرجي .

٨٢. شرح المولد النَّبوي : عبد الله بن علي بن عبد الرَّحمن سويدان الدمليجي (١٢٣٤هـ) .

٨٣. شرح على مولد النَّجم الغيطي : علي بن عبد القادر النبتيني الحنفي (١٠٦١هـ) .

٨٤. شرح قصَّة المولد النَّبوي ، أو بلوغ المرام ببيان ألفاظ مولد سيِّد الأنام : أبو الفوز أحمد بن محمَّد بن رمضان الحسيني المرزوقي (ت بعد ١٢٨١هـ) .

٨٥. شرح مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أو شرح المنشليلي على المولد النَّبوي للمدابغي : علي بن عبدالرزَّاق المنشليلي (ت بعد ١٢١٠هـ) .

٨٦. شروق الأنوار في المولد المختار : عبدالفتَّاح بن محمَّد بن عبدالله الخطيب (١٢٩٣هـ) .

٨٧. ضوء الظَّلام في مدح الأنام ، أحمد العيَّاشي (١٣٦٣هـ) .

٨٧. طل الغمامة في مولد سيِّد تهامة الغرناطي : أحمد بن علي بن سعيد الأندلسي الغرناطي المالكي (٦٧٣هـ)

٨٨. العذب الشَّهي المورد في تعظيم شهر المولد : محمَّد الحسن بن أحمد الخديم .

٨٨. عرف التَّعريف بالمولد الشَّريف : محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، ابن الجزري (٨٣٣هـ) .

٨٩. العطيَّة المحمديَّة في قصة خير البريَّة : أحمد بن أحمد النَّجَّاري الدّمياطي الحفناوي .

٩٠. عقد الجوهر في مولد صاحب الحوض والكوثر : جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي (١١٧٧هـ)

٩١. العلم الأحمدي في المولد المحمَّدي : شهاب الدِّين أحمد بن أحمد إسمعيل الحلواني الخليجي (١٣٠٨هـ) .

٩٢. عنوان إحراز المزيَّة في مولد النَّبي خير البريَّة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أبو هاشم محمَّد شريف النُّوري .

٩٣. عنوان الشَّريف بالمولد الشَّريف : علي بن ناصر بن محمَّد ، الحجازي (توفي بعد ٩١٥هـ) .

٩٤. فتح العليم السَّتَّار المنجي على قصَّة المولد للعلَّامة البرزنجي (١١٧٧هـ) : عبدالله بن علي بن يوسف ، الفارسي (ت بعد ١٢٦٢هـ) .

٩٥. فتح اللطيف شرح نظم المولد الشَّريف ، وهو شرح على مولد البرزنجي : مصطفى بن محمَّد العفيفي الشَّافعي .

٩٦. فتح الله حسبي وكفى في مولد المصطفى : العلَّامة إبراهيم بن علي بن إبرهيم الشَّافعي المقدسي (٨٨٧هـ) .

٩٧. فتح الله في مولد خير خلق الله : فتح الله البناني المغربي الشَّاذلي .

٩٨. الفخر العلوي في المولد النَّبوي : محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان الحافظ شمس الدِّين أبو الخير السَّخاوي المصري الشَّافعي (٩٠٢هـ) .

٩٩. الفرائد السَّنيَّة في مولد خير البريَّة : مصطفى بن محيي الدِّين بن مصطفى نجا (١٣٥٠هـ) .

١٠٠. فرائد المواهب اللدنيَّة في مولد خير البريَّة : مصطفى نجا اليشرطي الشَّاذلي .

١٠١. في ذكرى المولد النَّبوي الشَّريف : علي بن عبدالله الضّمبري .

١٠٢. قصَّة المولد : محمَّد بن عبد الله بن عمر تلو (١٢٨٢هـ) .

١٠٣. قصَّة المولد النَّبوي : جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي (١١٧٧هـ) .

١٠٤. قصَّة المولد النَّبوي : عبد الرَّحمن بن عبد المنعم بن أحمد الجرجاوي الخيَّاط (١٢٠٠هـ) .

١٠٥. قصَّة المولد النَّبوي : محمَّد يحيى بن محمَّد المختار بن عبدالله الولاتي الشَّنقيطي (١٣٣٠هـ) .

١٠٦. قصَّة المولد النَّبوي الشَّريف : حسن فهمي أحمد (١٣٣٠هـ) .

١٠٧. قصيده المولد النَّبوي : أحمد بن محمَّد بن أحمد ، الدَّردير (١٢٠١هـ) .

١٠٨. القول التَّمام عند ذكر ولادته عليه السَّلام : إبراهيم بن محمَّد الحلبي (٩٥٦هـ) .

١٠٩. القول الجلي في الرَّدِّ على منكر المولد النَّبوي : أبو هاشم السيِّد الشَّريف .

١١٠. القول المنجي على مولد البرزنجي : أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عُليش (١٢٩٩هـ) .

١١١. كتاب : مجموع لطيف أنسي في صيغ المولد النَّبوي القدسي (نثراً ونظماً) : مجموعة من العلماء .

١١٢. كتاب : مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عمر بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن علي بن محمَّد بن أحمد باعلوي الحضرمي .

١١٣. الكلام السّني المصفَّى في مولد المصطفى : عبد الله حلمي بن محمَّد بن يوسف ابن عبد المنَّان الرُّومي الحنفي المقرِّي المحدِّث المعروف بيوسف زاده شيخ القرَّاء (١١٦٧هـ) .

١١٤. كمال الفرح والسُّرور بمولد مظهر النُّور : أحمد بن العيَّاشي (١٣٦٣هـ) .

١١٥. الكنوز الوهبيَّة على مولد خير البريَّة : إبراهيم بن سويلم بن موسى الطلياوي .

١١٦. الكواكب الدُّريَّة في مولد خير البريَّة : أبو بكر بن محمَّد بن أبي بكر الحبيشي الأصل الحلبي المنشأ والوفاة تقي الدِّين الشَّافعي (٩٣٠هـ) .

١١٧ . الكوكب الأنور على عقد الجوهر في مولد النَّبي الأزهر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السيِّد جعفر بن إسماعيل بن زين العابدين ابن محمَّد البرزنجي الحسيني مفتي الشَّافعيَّة بالمدينة المنوَّرة (١٣١٧هـ) .

١١٨ . الكوكب المنير في مولد البشير النَّذير : محمَّد أسعد بن محمَّد أرسلان بن حسن الجركسي (١٣١٥هـ) .

١١٩ . اللآلئ الزَّاهرات والفصوص الفائقات في ذكر مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن محمَّد مجدوب ، الفقي (ت بعد ١٠١٢هـ) .

١٢٠ . اللآلي السنيَّة في مشروعيَّة مولد خير البريَّة : عثمان حِدك الصُّومالي .

١٢١ . لسان الرُّتبة الأحديَّة في مولد الحضرة المحمَّديَّة : محمود بن مصطفى أبي الشَّامات (١٣٤١هـ) .

١٢٢ . اللفظ الجميل في مولد النَّبي الجليل : محمَّد بن فخر الدِّين عثمان اللؤلؤي شمس الدِّين أبو القاسم الدِّمشقي الكتبي الحنبلي (٨٦٧هـ) .

١٢٣ . اللفظ الرَّائق في مولد خير الخلائق : محمَّد بن أبي بكر عبد الله بن محمَّد الحافظ شمس الدِّين القيس الشَّافعي الشَّهير بابن ناصر الدِّين الدِّمشقي (٨٤٢هـ) .

١٢٤ . اللؤلؤ النَّظيم في مولد الرَّسول الكريم : جابر بن أحمد ، رزق .

١٢٥ . مختصر النَّجم الثاقب في مولد الحاشر العاقب : جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي (١١٧٧هـ)

١٢٦ . مختصر شرح مولد السيِّد الأهدل : إبراهيم خليل ، الزَّبيدي.

١٢٧ . مختصر مولد البرزنجي : مصطفى بن هاشم ، الأصيل (١٢٧٩هـ) .

١٢٨ . مطالع الأنوار في مولد النَّبي المختار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عبد الله بن علي بن عبد الرَّحمن الدمليجي الضَّرير المصري الشَّاذلي النَّحوي الشَّافعي المعروف بسويدان (١٢٣٤هـ) .

١٢٩ . مظهر الكمالات في مولد سيِّد الكائنات : سلامه الرَّاضي .

١٣٠ . مفاهيم يجب أن تصحَّح : محمَّد علوي المالكي الحسني .

١٣١ . من مظاهر الاحتفاء بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم دراسة سيرته وصفته وشمائله : محيي الدِّين حسين يوسف الإسنوي .

١٣٢ . مناسك الحجز المنتقى من سير مولد النَّبي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن مسعود بن محمَّد سعيد الدِّين الكازروني (٧٥٨هـ) .

١٣٣ . المنتخب المصفَّى في أخبار مولد المصطفى : محيي الدِّين عبد القادر بن شيخ ابن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروسي أبو بكر اليمني الحضرمي ثمَّ الهندي (١٠٣٨هـ) .

١٣٤ . المنظر البهي في مطلع مولد النَّبي – وما يتبعه من أعمال المولد وحكم القيام عن ذكر مولده – : الشَّيخ محمَّد الهجرسي .

١٣٥ . منظومة في مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إبراهيم بن السيِّد علي الطَّرابلسي الحنفي المعروف بالأحدب الطَّرابلسي ، نزيل بيروت (١٣٠٨هـ) .

١٣٦ . منظومة في مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مصطفى بن إسماعيل شرحي الأزميري (١٢٢٨هـ) .

١٣٧ . المنهج الأعدل بشرح مولد الأهدل ، إبراهيم بن أحمد بن الأمير العدناني .

١٣٨ . المنهل العذب القرير في مولد الهادي البشير النَّذير صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : علي بن سليمان بن أحمد بن محمَّد المرداوي علاء الدِّين أبو الحسن المقدسي شيخ الحنابلة بدمشق (٨٨٥هـ) .

١٣٩ . المنى والسؤل في مولد الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن عمر بن عربي نووي الجاوي (١٣١٦هـ) .

١٤٠ . الموارد الهنية في مولد خير البريَّة : السَّمهودي الحسني .

١٤٠ . المورد الأهنى في المولد الأسنى : عائشة بنت يوسف بن أحمد ، الباعونيَّة (٩٢٢هـ) .

١٤١ . المورد الرَّوي في المولد النَّبوي : علي بن سلطان قارئ الحنفي (١٠١٤هـ) .

١٤٢ . المورد الرَّوي في المولد النَّبوي : الخطيب الشَّربيني (١٠١٤هـ) .

١٤٢ . المورد الصَّادي في مولد الهادي : محمَّد بن أبي بكر عبد الله بن محمَّد الحافظ شمس الدِّين القيس الشَّافعي الشَّهير بابن ناصر الدِّين الدِّمشقي (٨٤٢هـ) .

١٤٣ . مورد الصَّفا في مولد المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد علي بن محمَّد علَّان بن إبراهيم بن محمَّد بن علَّان بن عبد الملك بن علي بن مباركشاه البكري الصِّدِّيقي المكِّي الشَّافعي (١٠٥٧هـ) .

١٤٤ . مورد الظَّمآن لشرح مولد سيِّد ولد عدنان ، ابن قدور المغربي محمَّد اليزمي الإسكندري المكنى الأبيض . وهو شرح على مديح شيخه أحمد الدَّردير .

١٤٥ . المورد الهني في المولد السَّني : الإمام الكبير أبو الفضل الحافظ عبد الرَّحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمن الشَّهير بالحافظ العراقي (٨٠٦هـ) .

١٤٦ . مورد هني لمولد سني : عبدالهادي بن رضوان بن محمَّد الأبياري (١٣٠٥هـ) .

١٤٧ . المولد : محمَّد أبي الوفا الصيَّادي ، الحلبي .

١٤٨ . المولد الشَّريف : محمَّد سعيد بن محمَّد بن أحمد ، السمَّان (١١٧٢هـ) .

١٤٩ . المولد العثماني المسمَّى الأسرار الرَّبَّانيَّة : محمَّد عثمان الميرغني .

١٥٠ . المولد الفريد في الحرف السَّعيد : محمَّد بن علي ، الأنصاري .

١٥١ . مولد المصطفى العدناني : عطيَّة بن إبراهيم الشَّيباني .

المولد النَّبوي الشَّريف : أحمد بن محمَّد فتحا العلمي الفاسي المرَّاكشي .

١٥٢ . المولد النَّبوي : محمَّد المغربي (١٢٤٠هـ) .

١٥٣ . المولد النَّبوي : ـ محمَّد بن جعفر الكتَّاني (١٣٤٥هـ) .

١٥٤ . المولد النَّبوي : أبو محمَّد عبد الرَّحمن بن علي الدّيبع الشَّيباني وجيه الدِّين الشَّافعي (٩٤٤هـ) .

١٥٥ . المولد النَّبوي : بقي بن مخلد بن يزيد ، الأندلسي (٢٧٦هـ) .

١٥٦ . المولد النَّبوي : عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك ، القشيري (٤٦٥هـ) .

١٥٧ . المولد النَّبوي : محمَّد الجندي (١٢٦٤هـ) .

١٥٨ . المولد النَّبوي : محمَّد العايدي .

١٥٩ . المولد النَّبوي : محمَّد بن علي بن محمَّد ، ابن عربي (٦٣٨هـ) .

١٦٠ . المولد النبوي : نجم الدِّين محمَّد بن أحمد بن علي الغيطي (٩٨١هـ) .

١٦١ . المولد النَّبوي ، الحافظ عماد الدِّين إسماعيل بن عمر بن كثير صاحب التَّفسير ، وقد طبع بتحقيق صلاح الدِّين المنجد .

١٦٢ . المولد النَّبوي ، أو المولد الأكبر في أصل وجود خير البشر ، مختصر المولد النَّبوي ، أحمد بن محمَّد بن علي ، ابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ) .

١٦٣ . المولد النَّبوي الشَّريف الشَّيخ محمَّد نجا مفتي بيروت سابقاً .

١٦٤ . المولد النَّبوي الشَّريف : محمَّد سعيد بن عبد الرَّحمن الباني الدِّمشقي (١٣٥١هـ) .

١٦٥ . المولد النَّبوي بين المانعين و المجيزين : عبد الله الحسني المكِّي الهاشمي .

١٦٦ . المولد النَّبوي بين كونه عبادة أو شعيرة إسلاميَّة : الدكتور أحمد محمَّد نور سيف .

١٦٧ . مولد النَّبي : إبراهيم بن محمَّد بن محمَّد ، الرَّشيدي الجارم (ت بعد ١٢٧١هـ) .

١٦٨ . مولد النَّبي : أحمد بن محمَّد بن أحمد ، الدَّردير (١٢٠١هـ) .

١٦٩ . مولد النَّبي : حمد الله بن خير الدِّين ، الرُّومي (٩٦٣هـ) .

١٧٠ . مولد النَّبي : علاء الدِّين بن مشرف ، المارديني .

١٧١ . مولد النَّبي : محمَّد بن أحمد بن علي ، الأندلسي (١٠٠٤هـ) .

١٧٢ . مولد النَّبي : محمَّد بن علي بن عبد الواحد ، ابن الزَّملكاني (٧٢٧هـ) .

١٧٣ . مولد النَّبي : محمَّد بن عمر بن واقد الواقدي (٢٠٧هـ) .

١٧٤ . مولد النَّبي : محمَّد بن قاسم بن محمَّد القادري الهاشمي (١٣٣١هـ) .

١٧٥ . مولد النَّبي : نورالدِّين علي ، الميقاتي (١١٩٢هـ) .

١٧٦ . مولد النَّبي ، أو إظهار السُّرور بمولد النَّبي المسرور : محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، البديري (١١٤٠هـ) .

١٧٧ . مولد النَّبي ، أو المنهل العذب الهني في مولد النَّبي القرشي المدني : محمَّد بن عبدالكريم، السمَّان الخلوتي (١١٨٩هـ) .

١٧٨ . مولد النَّبي الأمين : نجم الدِّين محمَّد بن احمد بن علي الغيطي (٩٨١هـ) .

١٧٩ . مولد النَّبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عبدالكريم بن أحمد بن علوان ، الشّراباتي (١١٧٨هـ) .

١٨٠ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن محمَّد ، الأزهري .

١٨١ . مولد النَّبي أو المولد الجليل حسن الشَّكل الجميل : عبد الله بن محمَّد المناوي الأحمدي الشَّاذلي .

١٨٢ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤هـ) .

١٨٣ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أبو المحاسن السيد محمَّد بن خليل بن إبراهيم بن محمَّد بن علي بن محمَّد الطَّرابلسي (١٣٠٥هـ) .

١٨٤ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أحمد بن عثمان الديار بكري الآمدي الحنفي الشَّاعر (١١٧٤هـ) .

١٨٥ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أحمد بن قاسم النجّاري ، الحريري .

١٨٦ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أحمد بن محمَّد بن عارف شمس الدِّين أبو الثَّناء الزّيلي الرُّومي السّيواسي الحنفي الصوفي (١٠٠٦هـ) .

١٨٧ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السيِّد محمَّد بن حسين المدني الشَّريف العلوي الحنفي الشَّهير بالجفري (١١٨٦هـ) .

١٨٨ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السيِّد محمَّد الطَّرابلسي المعروف بالقاوقجى .

١٨٩ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الشَّيخ عبد الكريم الأدرنة وي الخلوتي (٩٦٥هـ) .

١٩٠ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جادالله بن عبدالله الغوراوي التَّكروري .

١٩١ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حسن بن علي بن أحمد ، المدابغي (١١٧٠هـ) .

١٩٢ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سليمان بن عبد الرَّحمن بن صالح الرُّومي (١١٥١هـ) .

١٩٣ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سليمان بن عوض باشا بن محمود البروسوي الحنفي كان إماماً في دائرة السُّلطان بايزيد العثماني (توفي في حدود سنة ٧٨٠هـ) .

١٩٤ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عبد القادر نجيب الدِّين ابن الشَّيخ عز الدِّين أحمد المعروف بأشرف زاده البرسوي الحنفي المتخلّص بسري شيخ زاوية القادريَّة بأزنيق (١٢٠٢هـ) .

١٩٥ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عبد الله بن محمَّد الكاشغري النَّقشبندي الزَّاهدي نزيل قسطنطينيَّة (١١٧٤هـ) .

١٩٦ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد ، الحازروتي .

١٩٧ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر عبد الله بن مالك بن عباد التَّعزي نسباً والزندي بلداً أبو عبد الله المالكي الصُّوفي الشَّهير بابن عبَّاد (٧٩٢هـ) .

١٩٨ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن أحمد ، الخطيب الشَّربيني (٩٧٧هـ) .

١٩٩ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن أحمد بن سعيد بن مسعود جمال الدِّين أبو عبد الله المكِّي الشَّهير بابن عقيلة الملقَّب بالظَّاهر (١١٥٠هـ) .

٢٠٠ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن السيِّد محمَّد بن عبد الله الحسيني التَّبريزي عفيف الدِّين الشَّافعي نزيل المدينة المنوَّرة (٨٥٥هـ) .

٢٠١ . مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن عبد القادر بن محمَّد صالح الخطيب أبو الفرح الدِّمشقي الشَّافعي المنعوت بهبة الله (١٣١١هـ) .

٢٠٢ . مولد النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام : سليمان جلبي (٨٢٥هـ) .

٢٠٣. مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ملا عرب الواعظ (٩٣٨هـ) .

٢٠٤. مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المعروف بمولد البرزنجي : زين العابدين جعفر بن حسن بن عبد الكريم الشَّهير بالمظلوم ابن السيِّد محمَّد المدني بن عبد الرَّسول البرزنجي الشَّافعي .

٢٠٥. مولد سيِّد الأوَّلين والآخرين : محمَّد بن محمَّد بن عمر بن مبارك الحضرمي بحرق (٩٣٠هـ) .

٢٠٦. مولد محمَّد نبي العرب وشمائله : مصطفى بن عثمان (ت نحو ١١١٤هـ) .

٢٠٧. مولد الهادي الرَّسول : أحمد الخضر ، الحلبي .

٢٠٨. مولد هني ومجلس سني : محمَّد البوريني (ت بعد ١٣٢٦هـ) .

٢٠٩. النَّظم البديع في مولد الشَّفيع : يوسف بن إسماعيل النَّبهاني .

٢١٠. نظم الدُّرر في مدح سيِّد البشر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد ابن أبي بكر العطَّار الجزائري (٧٠٧هـ) .

٢١١. نظم المولد الشَّريف : حسين بن غنيم ، السمَّان الأزهري .

٢١٢. نظم المولد النَّبوي ، محمَّد بن الفقيه (٨٤٢هـ) .

٢١٣. نظم مولد الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي (١١٧٧هـ) .

٢١٤. نظم مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للسيِّد جعفر البرزنجي : السيِّد علي بن حسن البرزنجي المدني الشَّافعي (توفِّي في أواخر القرن الثَّاني عشر) .

٢١٥. النِّعمة الكبرى في مولد سيِّد الأنام : ابن حجر الهيتمي .

٢١٦. النَّفح المعنوي في المولد النَّبوي : محمَّد التَّافلاتي (١١٩١هـ) .

٢١٧. النَّفحات العنبريَّة في مولد سيِّد البريَّة : محمَّد علي بن محمَّد علَّان بن ابراهيم البكري الصدِّيقي (١٠٥٧هـ) .

٢١٨. النَّفحة العنبريَّة في مولد خير البريَّة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن يعقوب بن محمَّد بن يعقوب بن إبراهيم الفيروز آبادي مجد الدِّين أبو طاهر الشِّيرازي (٨١٧هـ) .

٢١٩. نور الأبصار في بيان مولد النَّبي المختار : عبد الله بن علي بن عبد الرَّحمن سويدان الدمليجي (١٢٣٤هـ) .

٢٢٠. الهدي التَّام في موارد المولد النَّبوي وما اعتيد فيه من القيام : محمَّد علي بن حسين بن ابراهيم المالكي (١٣٦٧هـ) .

٢٢١. الورد المنحول في مولد الرَّسول : مصطفى بن كمال الدِّين ، البكري (١١٦٢هـ) .

٢٢٢. اليُمن والإسعاد بمولد خير العباد : جعفر بن إدريس الحسني ، الكتَّاني (١٣٢٣هـ) .

فهل هؤلاء وغيرهم الكثير اكثير ... مبتدعة ، يا من تدَّعون وتتمسَّحون بالسَّلفيَّة ؟!!!

وقد استدلَّ الجمهور على جواز واستحباب الاحتفال بميلاد خير البريَّة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعديد من الأدلَّة ، منها :

الدَّلِيْلُ الأَوَّلُ : أنَّ الاحتفال بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتبر لوناً من ألوان الاحتفاء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذلك مطلوب لأنَّه الرَّحمة المهداة ، قال تعالى :**﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٧] .

وروى مسلم وغيره بسندهم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، قَالَ : " إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً " (١) .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِهِ : **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [يونس: ٥٨] ، قَالَ : يَعْنِي بِفَضْلِ اللَّهِ : الْقُرْآنُ ، وَبِرَحْمَتِهِ فَلْيَفْرَحُوا يَعْنِي : مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٧] (٢) .

وروى ابن أبي شيبة وغيره بسندهم عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَ الرَّاهِبُ ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ فَلاَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ ، وَلاَ يَلْتَفِتُ ، قَالَ : فَهُمْ يَحِلُّونَ رِحَالَهُمْ فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، هَذَا يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ : مَا عِلْمُك ؟ فَقَالَ : إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ الْعَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ ، وَلاَ حَجَرٌ إلاَّ خَرَّ سَاجِداً ، وَلاَ يَسْجُدُون إلاَّ لِنَبِيٍّ " (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٦ برقم ٢٥٩٩) ، البغوي في شرح السنة ، (١٣/ ٢٤٠ برقم ٣٦٧١) .

(٢) انظر : نسخة الزبير بن عدي ، الزُّبَيْرُ بنُ عَدِيٍّ أَبُو عَدِيٍّ الهَمْدَانِيُّ اليَامِيُّ الكُوْفِيُّ ، قَاضِي الرَّيِّ (١٣١هـ) ، (١/ ٥٢ برقم ٥١) ، مخطوط .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنَّف (١١/ ٤٧٩ برقم ٣٢٣٩١) ، الترمذي (٦/ ١٩ برقم ٣٦٢٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْه) ، البزار في المسند (٨/ ٩٧ برقم ٣٠٩٦) ، البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٤) .

والرَّحمة كما حصلت للمؤمن ، حصلت للكافر ، وذلك من خلال معافاته ممَّا أصاب الأمم السَّابقة من الخسف والقذف ، فقد روى الطَّبري بسنده عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٧] ، قَالَ : " مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ كُتِبَ لَهُ الرَّحْمَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عُوفِيَ مِمَّا أَصَابَ الْأُمَمَ مِنَ الْخَسْفِ وَالْقَذْفِ " (١) .

وروى أيضاً بسنده عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِهِ **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٧] ، قَالَ : " تَمَّتِ الرَّحْمَةُ لِمَنْ آمَنَ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ عُوفِيَ مِمَّا أَصَابَ الْأُمَمَ قَبْلُ " (٢) .

وقد طلب الله تعالى منَّا أن نفرح بفضل الله ورحمته ، قال تعالى : **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [يونس: ٥٨] ، والرَّحمة هنا هي محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يؤيِّد هذا ما روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى : **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [يونس: ٥٨] ، قَالَ : يَعْنِي بِفَضْلِ اللَّهِ : الْقُرْآنَ ، وَبِرَحْمَتِهِ ، يَعْنِي : مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، ثمَّ تلا **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٧] (٣) .

فقوله سبحانه وتعالى : **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [يونس: ٥٨] ، فيه ندبٌ للفرح بكلِّ ما هو من فضل الله ورحمته ، وأيّ فضل ورحمة إلهيَّة أعظم من ولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!!! فقد بزغ بمجيئه نور الحقِّ ، وجاء بمولده الخير للبشريَّة ... كما أنَّه لا فرق بين ما ورد من كون المقصود من الفرح بالرَّحمة الواردة بالآية الكريمة : الإسلام ، وبين ما ورد من كونها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّ الفرح بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرحٌ بالإسلام الذي جاء به عليه الصَّلاة والسَّلام ...

والفرح به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجبُّ أن يعمَّ جميع أوقاتنا ، ولكنَّه يتأكَّد في يوم مولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّه بداية ظهور الرَّحمة التي عمَّت الأكوان بنورها ، وعطَّرت الأركان بأريجها ... وبناء على ما ورد من كون النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المقصود بالرَّحمة الواردة في الآية ، كما روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، فالآية

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١٦/ ٤٤٠) ، ابن كثير في التفسير (٥/ ٣٨٧) ، (٩/ ٤٦٠) .

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (١٦/ ٤٤٠) .

(٣) أخرجه الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية ، (١/ ١٣٦ برقم ٤٨٢) ، تحقيق : محمَّد حسن محمَّد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م ، وذكره ابن الجوزي في التفسير ، (٢/ ٣٦٦) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، السيوطي في الدر المنثور ، (٤/ ٣٦٧) ، دار الفكر ، بيروت ، وقال : وأخرج أبو الشَّيخ عن ابن عباس ، به .

نصٌّ على أنَّ الاحتفال والفرح بمولده مشروع بل مستحبٌّ بنصِّ القرآن ، ولذلك فإنَّ المعترضين على الفرح والسُّرور والحبور بميلاد سيِّد ولد آدم إنَّما يعترضون على آي القرآن العظيم ، بناء على تفسير حبر الأمَّة وترجمان القرآن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما لقوله تعالى : **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِّ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [يونس: ٥٨] ... فلمن نستجيب ؟؟!! اللأمر الإلهي ، أم لمن أغرقوا في بحر التَّقليد العقيم الذَّميم من المتمسلفة ؟!!!

الدَّلِيْلُ الثَّانِي : قوله تعالى : **﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** [هود: ١٢٠] .

فالقرآن قصَّ على الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصص الأنبياء السَّابقين من أجل تثبيت فؤاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال التأسِّي بهم ، والتَّسلية بما جرى لهم مع أقوامهم وصبرهم على ما وجدوه منهم ...

وتَثْبِيتُ الْفُؤَادِ يكون من خلال تَثْبِيتِهِ " عَلَى أَدَاءِ الرِّسَالَةِ وَعَلَى الصَّبْرِ وَاحْتِمَالِ الْأَذَى ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا ابْتُلِيَ بِمِحْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ ، فَإِذَا رَأَى لَهُ فِيهِ مُشَارِكاً خَفَّ ذَلِكَ عَلَى قَلْبِهِ ، كَمَا يُقَالُ : الْمُصِيبَةُ إِذَا عَمَّتْ خَفَّتْ ، فَإِذَا سَمِعَ الرَّسُولُ هَذِهِ الْقِصَصَ ، وَعَلِمَ أَنَّ حَالَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِّ عَلَيْهِمْ مَعَ أَتْبَاعِهِمْ هَكَذَا ، سَهُلَ عَلَيْهِ تَحَمُّلُ الْأَذَى مِنْ قَوْمِهِ وَأَمْكَنَهُ الصَّبْرُ عَلَيْهِ " (١) .

" ومعنى تَثْبِيْتُ الفؤادِ : تسكين القلب ، وهو ههنا ليس للشَّكِّ ، ولكن كلَّما كان الدِّلالة والبرهان أكثر كان القلب أثبت كما قال إبراهيم : **﴿وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾** [البقرة: ٢٦٠] (٢) .

" وَتَثْبِيتُ فُؤَادِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زِيَادَةُ يَقِينِهِ وَمَعْلُومَاتِهِ بِمَا وَعَدَهُ اللهُّ ، لِأَنَّ كُلَّ مَا يُعَادُ ذِكْرُهُ مِنْ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَحْوَالِ أُمَمِهِمْ مَعَهُمْ يَزِيدُهُ تَذَكُّراً وَعِلْماً بِأَنَّ حَالَهُ جَارٍ عَلَى سُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَازْدَادَ تَذَكُّراً بِأَنَّ عَاقِبَتَهُ النَّصْرُ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَتَجَدُّدُ تَسْلِيَةٍ عَلَى مَا يَلْقَاهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ التَّكْذِيبِ ، وَذَلِكَ يَزِيدُهُ صَبْراً ، وَالصَّبْرُ : تَثْبِيتُ الْفُؤَادِ .

وَأَنَّ تَمَاثُلَ أَحْوَالِ الْأُمَمِ تِلْقَاءَ دَعْوَةِ أَنْبِيَائِهَا مَعَ اخْتِلَافِ الْعُصُورِ يَزِيدُهُ عِلْماً بِأَنَّ مَرَاتِبَ الْعُقُولِ الْبَشَرِيَّةِ مُتَفَاوِتَةٌ ، وَأَنَّ قَبُولَ الْهُدَى هُوَ مُنْتَهَى ارْتِقَاءِ الْعَقْلِ ، فَيَعْلَمُ أَنَّ الِاخْتِلَافَ شَنْشَنَةٌ قَدِيمَةٌ فِي الْبَشَرِ ، وَأَنَّ الْمُصَارَعَةَ

(١) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٨/ ٤١٢) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٤) .

بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ شَأْنٌ قَدِيمٌ ، وَهِيَ مِنَ النَّوَامِيسِ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا النِّظَامُ الْبَشَرِيُّ ، فَلَا يُحْزِنُهُ مُخَالَفَةُ قَوْمِهِ عَلَيْهِ ، وَيَزِيدُهُ عِلْمًا بِسُمُوِّ أَتْبَاعِهِ الَّذِينَ قَبِلُوا هُدَاهُ ، وَاعْتَصَمُوا مِنْ دِينِهِ بِعُرَاهُ " (١) .

والرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو قدوتنا وقائدنا في الطَّريق إلى الله تعالى ، قال سبحانه : **﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهَّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَّ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَّ كَثِيراً﴾** [الأحزاب: ٢١] ... ، ولا يكتمل الاقتداء والاتِّباع إلَّا من خلال الاطِّلاع على سيرته ، وأخلاقه ، وأحواله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذلك الاقتداء الذي من شأنه أن يثبِّت أفئدتنا على الحقِّ ، ويُجمِّل أيَّامنا بالصَّبر على ما نلاقيه من خلال الدَّعوة إلى صراط الله المستقيم ، وما الاحتفال بالمولد الشَّريف إلَّا لوناً من ألوان التَّأسِّي برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وموسماً طيِّباً من مواسم الدَّعوة إلى الله تعالى ، حيث لا يعدو الأمر عن قراءة سيرته ، والدَّعوة إلى متابعته ، وتجديد الهمَّة على نصرة شريعته ، مع العلم أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتخيَّر الأوقات المناسبة الفاضلة لدعوة أصحابه إلى الخير ...

وعليه ، فنحن نسمع في يوم مولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معالم سيرته لتثبت أفئدتنا على الإيمان به وبما جاء به ، وليكون ما لاقاه عليه الصَّلاة والسَّلام في سبيل الله زادنا في الدَّعوة إلى الله تعالى ، يمدُّنا بالزَّاد والصَّبر على ما نلاقيه في الدَّعوة إلى الله تعالى ، لأنَّنا نعلم يقيناً أنَّ الله تعالى عظَّمه بما لم يُعظم به أحداً من العالمين ، وتعظيمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعظيمٌ لدينه ، وذلك يقتضي امتثال الأوامر واجتناب النَّواهي ، وتعلُّم الجديد عنه في المناسبات الطيِّبة ، كمناسبة مولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لنزداد له محبَّة على محبَّة ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذلك أنَّ محبَّته من أكبر أسباب السَّعادة في الدُّنيا والآخرة ، لأنَّ المرء مع من أحبّ ...

الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ : قوله تعالى : **﴿قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وَآخِرِنا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾** [المائدة: ١١٤] .

فعيسى عليه الصَّلاة والسَّلام اتَّخذ من اليوم الذي نزلت عليه المائدة من السَّماء عيداً ، وذلك منه شكر لله تعالى على نعمائه ، بأن أكرمه وتلاميذه بتلك المائدة ...

قال الإمام الطَّبري (٣١٠هـ) في تفسير الآية : " ثمَّ اختلف أهل التَّأويل في تأويل قوله : **﴿ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنا وَآخِرِنَا﴾** . فقال بعضهم : معناه : نتَّخذ اليومَ الذي نزلت فيه عيدًا نُعَظِّمه نحن ومن بعدَنا . ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر : التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) (١٢/ ١٩٢) .

حدَّثني محمَّد بن الحسين ، قال : حدَّثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدَّثنا أسباط ، عن السدِّي قوله : **﴿ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾** ، يقول : نتَّخذ اليوم الذي نزلت فيه عيدًا نعظِّمه نحن ومن بعدنا " [1] .

وصادف نزول المائدة يوم الأحد ، فصار ذلك اليوم عيداً لهم [2] .

وقال الإمام البغوي (٥١٠هـ) : **﴿ تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وَآخِرِنا ﴾** ، أَيْ : عَائِدَةً مِنَ اللهَّ عَلَيْنَا حُجَّةً وَبُرْهَاناً ، وَالْعِيدُ : يَوْمُ السُّرُورِ، سُمِّيَ بِهِ لِلْعَوْدِ مِنَ التَّرَحِ إِلَى الْفَرَحِ ، وَهُوَ اسْمٌ لِمَا اعْتَدْتَهُ وَيَعُودُ إِلَيْكَ ، وَسُمِّيَ يَوْمُ الْفِطَرِ وَالْأَضْحَى عِيداً لِأَنَّهُمَا يَعُودَانِ كُلَّ سَنَةٍ ، قَالَ السُّدِّيُّ : مَعْنَاهُ نَتَّخِذُ الْيَوْمَ الَّذِي أُنْزِلَتْ فِيهِ عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ، أَيْ : نُعَظِّمُهُ نَحْنُ وَمَنْ بَعْدَنَا " [3] .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور: " وَمَعْنَى تَكُونُ لَنا عِيداً ، أَيْ : يَكُونُ تَذَكُّرُ نُزُولِهَا بِأَنْ يَجْعَلُوا الْيَوْمَ الْمُوَافِقَ يَوْمَ نُزُولِهَا مِنْ كُلِّ سَنَةٍ عِيداً ، فَإِسْنَادُ الْكَوْنِ عِيداً لِلْمَائِدَةِ إِسْنَادٌ مَجَازِيٌّ ، وَإِنَّمَا الْعِيدُ الْيَوْمُ الْمُوَافِقُ لِيَوْمِ نُزُولِهَا ، وَلِذَلِكَ قَالَ : لِأَوَّلِنا وَآخِرِنا ، أَيْ : لِأَوَّلِ أُمَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَآخِرِهَا ، وَهُمُ الَّذِينَ خُتِمَتْ بِهِمُ النَّصْرَانِيَّةُ عِنْدَ الْبَعْثَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ .

وَالْعِيدُ اسْمٌ لِيَوْمٍ يَعُودُ كُلَّ سَنَةٍ ، ذِكْرَى لِنِعْمَةٍ أَوْ حَادِثَةٍ وَقَعَتْ فِيهِ لِلشُّكْرِ أَوْ لِلِاعْتِبَارِ " [4] .

فقَوْلُهُ تعالى : **﴿تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنا وَآخِرِنَا﴾** ، " إِشَارَةٌ إِلَى ابْتِهَاجِ الرُّوحِ بِالنِّعْمَةِ لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا نِعْمَةٌ ، بَلْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا صَادِرَةٌ عَنِ الْمُنْعِمِ " [5] .

فالنَّصارى اتَّخذوا اليوم الذي أنزل الله فيه عليهم المائدة عيداً ويوماً للبهجة والسُّرور والحبور ... فهل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقلّ بركة من المائدة التي أنزلها الله على عيسى وتلاميذه ؟!! وهل سعِدَ العالمُ سعادةً كسعادته بصاحب الشَّفاعة العُظمى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!!! فلماذا يُصرُّ متمسلفةُ هذا الزَّمان على اعتبار الاحتفال بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدعة وضلالة ؟؟؟

---

[1] انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١١/ ٢٢٥) ، وانظر في تفسير الآية : تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم الرازي (٤/ ١٢٤٩) ، تفسير الماوردي(النكت والعيون) (٢/ ٨٤) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢/ ٢٤٦) .

[2] انظر : بحر العلوم (١/ ٤٥١) .

[3] انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٣/ ١١٨) .

[4] انظر : التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) (٧/ ١٠٨) .

[5] انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٢/ ٤٦٤) .

الدَّلِيْلُ الرَّابِعَ : أنَّ الرَّســـول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتفل بيوم مولده ، وذلك من خلال صيامه لذلك اليوم ...

فقد سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صوم يوم الاثنين ، فقال : " ذاك يوم ولدت فيه " (١) .

قال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج : " وَفَضِيلَةُ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ بِمَا خَصَّهَا اللهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ الْعِبَادَاتِ الَّتِي تُفْعَلُ فِيهَا ، لِمَا قَدْ عُلِمَ أَنَّ الْأَمْكِنَةَ وَالْأَزْمِنَةَ لَا تَتَشَرَّفُ لِذَاتِهَا ، وَإِنَّمَا يَحْصُلُ لَهَا التَّشْرِيفُ بِمَا خُصَّتْ بِهِ مِنْ الْمَعَانِي . فَانْظُرْ رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ إلَى مَا خَصَّ اللهُ تَعَالَى بِهِ هَذَا الشَّهْرَ الشَّرِيفَ وَيَوْمَ الِاثْنَيْنِ .

أَلَا تَرَى أَنَّ صَوْمَ هَذَا الْيَوْمِ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ لِأَنَّهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وُلِدَ فِيهِ . فَعَلَى هَذَا يَنْبَغِي إذَا دَخَلَ هَذَا الشَّهْرُ الْكَرِيمُ أَنْ يُكَرَّمَ وَيُعَظَّمَ وَيُحْتَرَمَ الِاحْتِرَامَ اللَّائِقَ بِهِ ، وَذَلِكَ بِالِاتِّبَاعِ لَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي كَوْنِهِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – كَانَ يَخُصُّ الْأَوْقَاتَ الْفَاضِلَةَ بِزِيَادَةِ فِعْلِ الْبِرِّ فِيهَا وَكَثْرَةِ الْخَيْرَاتِ " (٢) .

ومن المعلوم أنَّ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ذاك) تنويه بيوم مولده عليه الصَّلاة والسَّلام ، وفيه معنى الاحتفـــال ، حيث يُشير إلى الاحتفال الذي معناه : الاهتمام ، والكثرة ، والاجتماع ، والفرح ، والسُّرور ، والحبور ... فالحديث الشَّريف يُشير إلى أنَّ صيامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليوم الاثنين كان من أجل ولادته فيه ، وعليه فالصَّوم فيه هو من أجل شكر الله تعالى على مِننه ونَعمائه التي من أعظمها ولادة خاتم أنبيائه ورسله ، وهل يصنعُ المحتفلون بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير ألوان من الشُّكر لله تعالى على ما منَّ به من مولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك اليوم العظيم ؟!!! مع العلم أنَّ الاحتفال بمولده قد يأخذ أشكالاً عديدة ، فقد يكون الاحتفال بالصَّوم شكراً لله تعالى على نعمة الإسلام التي انبلج فجرها بولادة خير الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام ، وقد يكون بالاجتماع على محبَّته بذكر شمائله وخصائصه والاستماع إلى سيرته وشمـــائله ، وقد يكون بإطعام الطَّعام ... وكذا بأيِّ وسيلة فيها تحبيب النَّاس وترغيبهم بالإسلام والسَّير على هدي وسَنن خير الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام ...

الدَّلِيْلُ الخَامِسُ : روى البخاري ومسلم وغيرهما بسندهم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَاماً ، يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) انظر : المدخل (٢/ ٣) .

" مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ ؟ " فَقَالُوا : هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ ، أَنْجَى اللهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْراً ، فَنَحْنُ نَصُومُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ ، فَصَامَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ " (١) .

فالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتفل بيوم عاشوراء من خلال صيامه شُكراً لله تعالى ، حيث أنجى الله فيه نبيّاً عظيماً من أُولي العزم من الرُّسل من الغرق ، وقال : نحن أولى بموسى من اليهود الذين عادوا موسى ، ولم يمتثلوا أوامره ، وقاموا بتحريف دينه ، وساروا على غير هديه وسننه ... فصامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شكراً لله تعالى على نجاة موسى عليه السَّلام فيه ، وأمر بصيامه .

وقد استدلَّ الإمام ابن حجر العسقلاني بهذه الواقعة على مشروعيَّة الاحتفال بميلاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : " ... وَقَدْ ظَهَرَ لِي تَخْرِيجُهَا عَلَى أَصْلٍ ثَابِتٍ ، وَهُوَ مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ أَنَّ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَسَأَلَهُمْ فَقَالُوا : هُوَ يَوْمٌ أَغْرَقَ اللهُ فِيهِ فرعون وَنَجَّى مُوسَى ، فَنَحْنُ نَصُومُهُ شُكْرًا للهِ تَعَالَى ، فَيُسْتَفَادُ مِنْهُ فِعْلُ الشُّكْرِ للهِ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ فِي يَوْمٍ مُعَيَّنٍ مِنْ إِسْدَاءِ نِعْمَةٍ أَوْ دَفْعِ نِقْمَةٍ ، وَيُعَادُ ذَلِكَ فِي نَظِيرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ ، وَالشُّكْرُ للهِ يَحْصُلُ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كَالسُّجُودِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَالتِّلَاوَةِ ، وَأَيُّ نِعْمَةٍ أَعْظَمُ مِنَ النِّعْمَةِ بِبُرُوزِ هَذَا النَّبِي نَبِيِّ الرَّحْمَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ؟ " (٢) .

الدَّلِيْلُ السَّادِسُ : قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ " (٣) .

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٧٠ برقم ٣٩٤٣) ، مسلم (٢/ ٧٩٦ برقم ١١٣٠ ، واللفظ له) ، الحميدي في المسند (١/ ٢٣٩ برقم ٥١٥) ، أحمد في المسند (١/ ٢٩١ برقم ٢٦٤٤) ، ابن ماجه (١/ ٥٥٢ برقم ١٧٣٤) ، أبو داود (٢/ ٣٢٦ برقم ٢٤٤٤) ، البزار في المسند (١١/ ٣٢٢ برقم) ، النسائي في السنن الكبرى (١٠/ ١٢٥ برقم ١١١٧٣) ، ابن خزيمة في الصحيح (٣/ ٢٨٦ برقم ٢٠٨٤) ، أبو عوانة في المستخرج (٢/ ٢٣٢ برقم ٢٩٦٤) ، البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٤٧٣ برقم ٨٣٩٧) ، شعب الإيمان (٥/ ٣٢١ برقم ٣٤٩٨) ، فضائل الأوقات (ص٤٣٤ برقم ٢٣٣) ، أبو يعلى في المسند (٤/ ٤٤٠ برقم ٢٥٦٧) .

(٢) انظر : الحاوي للفتاوي (١/ ٢٢٩) .

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٤ برقم ١٠١٧ ، واللفظ له) ، ، الطيالسي في المسند (٢/ ٥٥ برقم ٧٠٥) ، ابن الجعد في المسند (ص٨٩ برقم ٥١٦) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ١٠٩ برقم ٩٨٩٦) ، أحمد في المسند (٤/ ٣٥٧ برقم ١٩٣٦٩) ، البزار في المسند (٧/ ٣٦٦ برقم ٢٩٦٣) ، النسائي في السنن الكبرى (٣/ ٦٠ برقم ٢٣٤٦) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٢٢٣ برقم ٢٤٣) ، ابن حبَّان في الصحيح (٨/ ١٠١ برقم

قال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) في شرحه للحديث : " وَقَوله : " من سنَّ فِي الْإِسْلَام سنَّة حَسَنَة " ، أَي : فَعَلَ فِعلاً جميلاً فاقتُدي بِهِ ، وَكَذَلِكَ إِذا فَعل فِعلاً قبيحاً فاقتدي بِهِ ، فليجتهد الْإِنْسَان فِي فعل خير يلْحقهُ ثَوَابه بعد مَوته ، وليحذر من فعل شَرّ يُدْرِكهُ إثمه بعد تلفه " (١) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) في شرحه للحديث : " فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الِابْتِدَاءِ بِالْخَيْرَاتِ ، وَسَنِّ السُّنَنَ الْحَسَنَاتِ ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ اخْتِرَاعِ الْأَبَاطِيلِ وَالْمُسْتَقْبَحَاتِ . وَسَبَبُ هَذَا الْكَلَامِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ فِي أَوَّلِهِ : " فَجَاءَ رَجُلٌ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا فَتَتَابَعَ النَّاسُ " . وَكَانَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ لِلْبَادِي بِهَذَا الْخَيْرِ وَالْفَاتِحُ لِبَابِ هَذَا الْإِحْسَانِ . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ : تَخْصِيصُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمُحْدَثَاتُ الْبَاطِلَةُ وَالْبِدَعُ الْمَذْمُومَةُ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الهادي التتوي ، أبو الحسن ، نور الدِّين السِّندي (١١٣٨هـ) : " قَوْلُهُ : (سُنَّةً حَسَنَةً) ، أَيْ : طَرِيقَةً مَرْضِيَّةً يُقْتَدَى فِيهَا ، وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ بِمُوَافَقَةِ أُصُولِ الشَّرْعِ وَعَدَمِهَا " (٣) .

وقال الإمام أبو العلا محمَّد عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم المباركفورى (١٣٥٣هـ) : " قَوْلُهُ : " مَنْ سَنَّ سُنَّةَ خَيْرٍ " ، وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، أَيْ : أَتَى بِطَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ يَشْهَدُ لَهَا أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّين ، (فَاتُّبِعَ) بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ وَالضَّمِيرُ إِلَى مَنْ (عَلَيْهَا) أَوْ عَلَى تِلْكَ السُّنَّةِ ، (فَلَهُ أَجْرُهـ) الضَّمِيرَانِ يَرْجِعَانِ إِلَى مَنْ سَنَّ ، أَيْ : لَهُ أَجْرُ عَمَلِهِ بِتِلْكَ السُّنَّةِ (غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا) بِالنَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ ، أَيْ : لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا مِنَ النَّقْصِ ، (وَمَنْ سَنَّ سُنَّةَ شَرٍّ) ، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ : وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، أَيْ : طَرِيقَةً غَيْرَ مَرْضِيَّةٍ لَا يَشْهَدُ لَهَا أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّين " (٤) .

٣٣٠٨) ، الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٢٨ برقم ٢٣٧٢) ، المعجم الأوسط (٨/ ٣٨٤ برقم ٨٩٤٦) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٥٥ برقم ٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩٣ برقم ٧٧٤١) ، السنن الصغير (٢/ ٦٨ برقم ١٢٤٧) ، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص٢٣٠) ، شعب الإيمان (٥/ ٢٦ برقم ٣٠٤٨) ، البغوي في شرح السنة (٦/ ١٦٠ برقم ١٦٦١) ، أبو عوانة في المسند (١/ ١٤٢ برقم ٤٨٨) .

(١) انظر : كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٤٣٤) .

(٢) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٧/ ١٠٤) .

(٣) انظر : حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه) (١/ ٩٠) .

(٤) انظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٧/ ٣٦٥) .

وقال الإمام أبو الحسن عبيد الله بن محمَّد عبد السَّلام بن خان محمَّد بن أمان الله بن حسام الدِّين الرَّحماني المباركفوري (١٤١٤هـ) : " (من سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة) ، أي : أتى بطريقة مرضيَّة يشهد لها أصل من أصول الدِّين ، أو صار باعثاً وسبباً لترويج أمر ثابت في الشَّرع (فله أجرها) ، أي : أجر السُّنَّة ، أي : ثواب العمل بها والإضافة لأدنى ملابسة ، فإنَّ السُّنَّة سبب ثبوت الأجر فجازت الإضافة . (من بعده) ، أي : من بعد ما سنَّ (من غير أن ينقص) على البناء للمفعول ، وجوّز أن يكون معلوماً ؛ لأنه متعدٍ ولازم . (سنَّة سيِّئة) ، أي : طريقة غير مرضيَّة ، لا يشهد لها أصل من أصول الدِّين ، يعني : بدعة شرعيَّة . (من أوزارهم) جمع في الموضعين باعتبار معنى " من " ، كما أفرد في " ينقص " باعتبار لفظه . وفي الحديث : الحثّ على البداءة بالخير ليستنَّ به ، والتَّحذير من البداءة بالشرِّ خوف أن يستنَّ به ، ووجه المناسبة بالعلم أنَّ استنان السُّنن المرضيَّة من باب العلم المنتفع به " (١) .

فبناء على ما قاله العلماء في شرح الحديث ... فإنَّ الحديث دليل على استحباب الحثِّ على الابتداء بالخيرات والمرضيَّات ، وسنِّ السُّنن الحسنات الطيِّبات ، وكذا التَّحذير من سنِّ السُّنن الباطلات المستقبحات ، فمن سنَّ سُنَّة طيِّبة مرضيَّة فاقتُدي به فيها كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، فيلحقه أجرُها بعد موته ، وكذا إذا سنَّ سُنَّة سيئة مُستقبحة فاقتُدي به فيها ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، يلحقه وزرها بعد موته ، وهذا سبيل للمنافسة بالاجتهاد في فعل الخيرات المستحدثات التي يَشْهَدُ لَهَا أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّين ، ولا تتعارض مع واحد منها ...

فالحديث لم يجعل الخير حِكراً على أهل القرون الأولى ، وأنَّ في الأمر سعة ، والخير ليس له قيد يقيِّده ، ولا حدٌّ يحدُّه ، ولا تعلُّق له إلَّا بمدى موافقة الشَّيء المستحدث لأصول الشَّرع ، فإن وافقها فهو من الشَّرع ، لأنَّ الشَّرع حثَّ على الخير ودعا إليه ، والخير لا يرتبط بزمان ولا مكان ، وبالتَّالي فالباب مفتوح لأبناء الأمَّة للتَّنافس في ابتداع الخير ، وما من شكٍّ في أنَّ الاحتفال بميلاد خير الورى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لون من ألوانٌ الخير العميم ، وبدعة حسنة ، وسُنَّة طيِّبة ، جعل الله تعالى أجرها لمن ابتدأها وعمل بها إلى يوم القيامة ...

الدَّلِيْلُ السَّابِعُ : أنَّه قد صحَّ أنَّ أبا لهب يُخفَّف عنه العذاب يوم الاثنين لإعتاقه ثويبة جاريته عندما بشَّرته بميلاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذلك منه احتفال وسرور وحبور بولادة ابن أخيه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وقد وجد أجر ما صنع بأن خفَّف الله عنه من العذاب في يوم الاثنين ...

---

(١) انظر : مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٣١٥) .

فقد روى البخاري عَنْ عُرْوَةُ مُرسلاً : وثُوَيْبَةُ مَوْلاَةٌ لِأَبِي لَهَبٍ : كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا ، فَأَرْضَعَتِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ ، قَالَ لَهُ : مَاذَا لَقِيتَ ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ : لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ ، وَأَشَارَ إِلَى النَّقِيرَةِ الَّتِي بَيْنَ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا " [١] .

قال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) في شرحه للأثر : " قَالَ بن بَطَّالٍ : سَقَطَ الْمَفْعُولُ مِنْ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَلَا يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ إِلَّا بِهِ " [٢] .

قلت : والمفعـــول الذي أشار ابن بطَّال لسقوطه هو : (خيراً) ، فيكون الكلام : لم ألق بعدكم خيراً غير أنِّي سُقيت ...

وهذه الرِّواية وإن كانت مرسلة ، إلَّا أنَّها مقبولة لأجل نقل البخاري لها ، واعتماد العلماء من الحفَّاظ لذلك ، ولكونها في المناقب والخصائص لا في الحلال والحرام ، وطلاب العلم يعرفون الفرق في الاستدلال بالحديث بين المناقب والأحكام ، وأمَّا انتفاع الكفَّار بأعمالهم ففيه كلام بين العلماء ليس هذا محلّ بسطه ، والأصل فيه ما جاء في الصَّحيح من التَّخفيف عن أبي طالب بطلب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... " [٣] .

فإذا كان أبُو لهبٍ الكافرُ ، الذي أنزل الله تعالى فيه قوله سبحانه : **﴿تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ * سَيَصْلى نَارًا ذاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾** [المسد: ١ – ٥] ، خُفِّف عنه من عذاب النَّار لفرحه بولادة الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فما الظنُّ بالمؤمن الموحِّد الذي فرح طول عمره بسيِّد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ودلَّل على ذلك الفرح ببذل ماله ووقته وكلّ ما يملك في مَحبَّتِهِ ...

فبعد أن أورد الإمام ابن ناصر الدِّين الدِّمشقي قصَّة إعتاق أبي لهب لجاريته ثويبة ، وما جوزي عليه من التَّخفيف ، أنشد :

---

[١] أخرجه البخاري (٧/ ٩) ، البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٦٢ برقم ١٣٩٢٣) ، السنن الصغير (٣/ ٤٠ برقم ٢٤٣٩) ، دلائل النبوة (١/ ١٤٩) ، البعث والنشور ، (ص٦٣ برقم ١٦) ، شعب الإيمان (١/ ٤٤٣ برقم ٢٧٧) ، البغوي في شرح السنة (٩/ ٧٦) ، ابن سعد في الطبقات الكبرى ، (١/ ٨٧) ، الذهبي في تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١/ ٤٩٦) ، سير أعلام النبلاء (١/ ٤٩) ، السهيلي في الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (٥/ ١٢٢) ، الحميري في الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – والثلاثة الخلفاء (١/ ٣٤٧) ، ابن كثير في السيرة النبوية من البداية (١/ ٢٢٤) ، المقريزي في إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (١/ ٩) ، السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ٣٤٣) ، القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١/ ٨٩) .

[٢] انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/ ١٤٥) .

[٣] انظر : منهج السلف في فهم النصوص (ص٣٩٠) .

إذا كان هذا كافراً جاء ذمُّه وتبَّت يداه في الجحيم مخلَّدا

أتى أنَّه في يوم الاثنين دائماً يُخفَّف عنه للسُّرور بأحمدا

فما الظنُّ بالعبد الذي طول عمره بأحمد مسروراً ومات موحِّدا [1]

الدَّلِيْلُ الثَّامِنُ : أنَّ الاحتفال بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باعثٌ على تحقيق الأمر الوارد بالصَّلاة والسَّلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله : ﴿**إِنَّ اللهَّ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

قال الإمام القرطبي (٦٧١هـ) : " وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ فَرْضٌ فِي الْعُمُرِ مَرَّةً ، وَفِي كُلِّ حِينٍ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وُجُوبَ السُّنَنِ الْمُؤَكَّدَةِ الَّتِي لَا يَسَعُ تَرْكُهَا وَلَا يَغْفُلُهَا إِلَّا مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ " [2] .

ومن المعلوم أنَّ بعض العلماء أوجب الصَّلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلَّما جرى ذكره ... ومنهم من أوجبها في كلِّ مجلس مرَّة ، وإن تكرَّر ذكره ، ومنهم من أوجبها في العمر مرَّة ، وذكر البعض أنَّ من الاحتياط الصَّلاة عليه عند كلِّ ذكر ، قال الإمام أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزَّمخشري جار الله (٥٣٨هـ) : " فإن قلت : الصَّلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجبة أم مندوب إليها ؟ قلت : بل واجبة ، وقد اختلفوا في حال وجوبها . فمنهم من أوجبها كلَّما جرى ذكره ... ومنهم من قال : تجب في كلِّ مجلس مرَّة ، وإن تكرَّر ذكره ، كما قيل في آية السَّجدة ، وتشميت العاطس ، وكذلك في كلِّ دعاء في أوَّله وآخره . ومنهم من أوجبها في العمر مرَّة ، وكذا قال في إظهار الشَّهادتين . والذي يقتضيه الاحتياط : الصَّلاة عليه عند كلِّ ذكر ، لما ورد من الأخبار " [3] .

ومن المعلوم أنَّ الوسائل لها حكم المقاصد ، فالصَّلاة عليه خيرٌ ، وما أَدَّى إلى الخير فهو خير ، وما كان باعثاً على المطلوب شرعاً ، فهو مطلوب شرعاً .

قال الإمام محمَّد بن علوي المالكي : " إنَّ المولد الشَّريف يبعث على الصَّلاة والسَّلام المطلوبين بقوله تعالى : ﴿**إِنَّ اللهَّ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب: ٥٦] . وما كان

---

(١) انظر : فيض الوهاب في بيان أهل الحق و من ضل عن الصواب (٥/ ١٠٧) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٤/ ٢٣٢) .

(٣) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٥٥٧-٥٥٨) .

يبعث على المطلوب شرعاً فهو مطلوب شرعاً ، فكم للصَّلاة عليه صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم من فوائد نبويَّة ، وإمدادات محمَّديَّة ، يسجد القلم في محراب البيان عاجزاً عن تعداد آثارها ، ومظاهر أنوارها " [1] .

وهذا هو الحاصل في اجتماع النَّاس للاحتفال بميلاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حيث لا يتجاوز الأمر الصَّلاة والسَّلام عليه ، وذكر خصائصه ، وفضائله ، وميزاته ، وعظيم فضل الله ورحمته على العالمين بولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... إنَّ من شأن ذلك كلِّه أن يبعث على الاقتداء به ، والتَّأسِّي بأعماله وأقواله ، وتعظيم محبَّته في القلوب ... فأيُّ مانع يمنع من ذلك ؟!!!

الدَّلِيْلُ التَّاسِعُ : أنَّ الخليفة الرَّاشد الشَّهيد عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه احتفل بالهجرة النَّبويَّة وخلَّدها من خلال جعلها بداية للتَّأريخ الإسلامي ، وذلك بعد أن عرض الصَّحابة عليه العديد العديد من المناسبات الإسلاميَّة الشَّهيرة ... ولكنَّه وجد أنَّ الهجرة هي أهمُّ حدثٍ في التَّاريخ الإسلامي ، وما ذاك إلَّا لأنَّه بالهجرة أصبحت لأمَّة الإسلام دولـــة وكيان ، وصولات وجولات ، وقوَّة ومنعة ، وكـانت نقلَة نوعيَّة في جميع الميادين ...

فاعتبار أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب لحدث الهجرة بداية للتَّأريخ الإسلامي هو بمثابة الاحتفال والاحتفاء بها لعظيم قدْرها ، وأهمِّيتها في تاريخ الإسلام ... فما المانع من قياس الاحتفال بميلاد صاحب الهجرة عليه الصَّلاة والسلام على احتفاء واحتفال عمر بن الخطاب بالهجرة ؟!!!

الدَّلِيْلُ العَاشِرُ : أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقَّ عن نفسه ، فقد روى البزَّار وغيره بسندهم عَن أَنَس ؛ أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَّ عَنْ نَفْسِهِ بَعْدَ مَا بُعِثَ نَبِيّاً [2] .

قال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) : " وَقَدْ ظَهَرَ لِي تَخْرِيجُهُ عَلَى أَصْلٍ آخَرَ ، وَهُوَ مَا أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ " أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَّ عَنْ نَفْسِهِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ أَنَّ جَدَّهُ عبد المطلب عَقَّ عَنْهُ فِي سَابِعِ وِلَادَتِهِ [3] ، وَالْعَقِيقَةُ لَا تُعَادُ مَرَّةً ثَانِيَةً ، فَيُحْمَلُ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ النَّبي

---

[1] انظر : منهج السلف في فهم النصوص (ص٣٩٢) .

[2] أخرجه البزار في المسند (١٣/ ٤٧٨ برقم ٧٢٨١) ، الروياني في المسند (٢/ ٣٨٦ برقم ١٣٧١) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ٧٨) ، الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٢٩٨ برقم ٩٩٤) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٥/ ٢٠٥ برقم ١٨٣٣) ، البيهقي في السنن الكبرى ، (٩/ ٥٠٥ برقم ١٩٢٧٣) .

[3] انظر : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (١٢/ ٤٤٤ برقم ٣٥٥٢٠) .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِظْهَارٌ لِلشُّكْرِ عَلَى إِيجَادِ اللهَّ إِيَّاهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَتَشْرِيعٌ لِأُمَّتِهِ كَمَا كَانَ يُصَلِّي عَلَى نَفْسِهِ لِذَلِكَ ، فَيُسْتَحَبُّ لَنَا أَيْضاً إِظْهَارُ الشُّكْرِ بِمَوْلِدِهِ بِالِاجْتِمَاعِ وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ الْقُرُبَاتِ ، وَإِظْهَارِ الْمَسَرَّاتِ " (١) .

الدَّلِيْلُ الحَادِيْ عَشَر : أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نوَّه بشرف يوم الجمعة ، فقد جاء في الحديث الشَّريف قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَم ... " (٢) .

فقد شرُف يوم الجمعة لولادة آدم فيه ، فكيف باليوم الذي ولد فيه من هو أفضل من آدم ومن غيره من الأنبياء والرُّسل ، بل أفضل الخلق أجمعين ؟!!!

فما المانع إذن من قياس الاحتفال بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على يوم الجمعة الذي شرُف على غيره بولادة آدم فيه ؟!! خاصَّة وأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بالإكثار في يوم الجمعة من الصَّلاة والسَّلام عليه . مع أنَّ صنيع المحتفلين بمولده عليه الصَّلاة والسَّلام لا يعدو عن : الصَّلاة والسَّلام عليه ، وذكر فضائله وخصائصه وشمـــائله ، وتحبيب النَّاس باتِّباعه ، والسَّير على هديه وسننه ، والدَّعوة إلى التَّحلِّي بأخلاقه ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

قال الإمام محمَّد بن علوي المالكي : " يؤخذ من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضل يوم الجمعة ، وعدّ مزاياه : " وفيه خلق آدم " تشريف الزَّمان الذي ثبت أنه ميلاد لأي نبيٍّ كان من الأنبياء عليهم السَّلام ، فكيف باليوم الذي ولد فيه أفضل النَّبيِّين ، وأشرف المرسلين ؟

ولا يختصُّ هذا التَّعظيم بذلك اليوم بعينه ، بل يكون له خصوصاً ولنوعه عموماً مهما تكرَّر ، كما هو الحال في يوم الجمعة ، شكراً للنِّعمة ، وإظهاراً لمزيَّة النُّبوَّة ، وإحياء للحوادث التَّاريخيَّة الخطيرة ذات الإصلاح المهم في تاريخ الإنسانيَّة ، وجبهة الدَّهر ، وصحيفة الخلود ، كما يؤخذ تعظيم المكان الذي ولد فيه نبيٌّ ، من أمر جبريل

---

(١) انظر : الحاوي للفتاوي (١/ ٢٣٠) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنَّف (٢/ ١٤٩ برقم ٥٥٥٤) ، أحمد في المسند ، (٤/ ٨ برقم ١٦٢٦٢) ، ابن ماجه (١/ ٣٤٥ برقم ١٠٨٥) ، أبو داود (١/ ٢٧٥ برقم ١٠٤٧) ، النسائي في السنن الكبرى (٢/ ٢٦٢ برقم ١٦٧٨) ، ابن خزيمة في الصحيح (٣/ ١١٨ برقم ١٧٣٣) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٤١٣ برقم ١٠٢٩ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٥٣ برقم ٥٩٩٣) ، السنن الصغير (١/ ٢٣٣ برقم ٦٠٥) ، شعب الإيمان (٤/ ٤٣٢ برقم ٢٧٦٨) ، فضائل الأوقات (ص٤٩٧ برقم ٢٧٥) .

عليه السَّلام النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصلاة ركعتين ببيت لحم ثمَّ قال له : أتدري أين صليت ؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا ، قال : صلَّيت ببيت لحم حيث ولد عيسى ، كما جاء ذلك في حديث شدَّاد بن أوس رضي الله عنه الذي رواه البزَّار ، وأبو يعلى ، والطَّبراني رحمهم الله ، قال الحافظ الهيثمي في " مجمع الزَّوائد " ، ورجاله رجال الصَّحيح (ج١ ص ٤٧) ، وقد نقل هذه الرِّوايـــة الحافظ ابن حجر في الفتح (ج ٧ ص ١٩٩) وسكـــت عنها " (١) .

الدَّلِيْلُ الثَّاني عَشَر : أنَّ الاحتفال بميلاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لون من ألوان التَّعبير عن الفرح والسُّرور والحبور ، وقد نوَّه القرآن الكريم بميلاد مريم وابنها المسيح عيسى عليه السَّلام ، وكذا بميلاد يحيى بن زكريَّا عليهما السَّلام .

والمحتفلون بميلاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سائرون على ذلك السَّنن ... لا يقومون إلَّا بأداء شكر الله تعالى على النِّعمة التي أنعم الله بها عليهم ، ومن أعظم النِّعم التي أنعم الله بها علينا : ميلاد مُنقذ البشريَّة الأعظم محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد أمرنا تعالى في القرآن العظيم أن نتذكَّر نعمته سبحانه علينا بهذا الرَّسول الكريم الذي ألَّف الله به بين القلوب المتنافرة ، والأقوام المتناحرة ، فدُفنت الأحقاد ، وأصبح النَّاس في دين الله إخواناً ، قال تعالى : **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً﴾** [آل عمران: ١٠٣] .

وقال تعالى : **﴿قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً﴾** [الطلاق: ١٠ – ١١] . وما ذلك إلَّا لأنَّه بدعوته يذكِّر الخلق بحقيقة ما هم فيه من اختبار وامتحان ، فهو مذكِّر لهم بما معه من الذِّكر ، ومحفِّز لذاكرتهم نحو مبادئ السَّماء ، قال الإمام الرَّازي : " وَقَوْلُهُ : **﴿قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً﴾** [الطلاق: ١٠ – ١١] ، هُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا : أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً ، هُوَ الرَّسُولُ ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ ذِكْراً لِأَنَّهُ يَذْكُرُ مَا يَرْجِعُ إِلَى دِينِهِمْ وَعُقْبَاهُمْ " (٢) .

كما جاء في القرآن الكريم وصفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرَّؤوف الرَّحيم ، قال تعالى : **﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾** [التوبة: ١٢٨ – ١٢٩] .

---

(١) انظر : حول الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف (ص٢٨-٢٩) .

(٢) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٣٠/ ٥٦٥) .

مع العلم أنَّه لا يوجد نمط معيَّن للاحتفال بمولده عليه الصَّلاة والسَّلام ، فللمرء أن يفرح ويحتفل بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأيِّ طريقة شاء ، فهو الرَّحمة المهداة ، والنِّعمة المسداة ، فلولا أن منَّ الله علينا بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كنَّا فيما نحن فيه من خير وبركة ، ولولا مولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كانت سائر مناسبات الإسلام العظيمة ، لأنَّ المولد مفتاحها وأساسها ...

الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ عَشَر : أنَّ المحتفلين بميلاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدفوعون لذلك بدافع المحبَّة ، والتَّعظيم ، والتَّوقير ... فمحبَّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرضٌ ، لا يؤمن المرء حتى يكون صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحبّ إليه من نفسه وأهله والنَّاس أجمعين ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " (١) .

ومن لوازم محبَّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الذَّبُّ عنه ، ونشر فضائله ، وخصائصه ، ومزاياه ، وشمائله ، لتتشرَّب القلوب محبَّته ، وهذا ما فعله الصَّحابة الكرام فيما رواه مسلم وغيره بسندهم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : مَا أَجْلَسَكُمْ ؟ قَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ ، قَالَ آللهَّ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ ؟ قَالُوا : وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ ، قَالَ : أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : " مَا أَجْلَسَكُمْ ؟ " قَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا ، قَالَ : " آللهَّ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ ؟ " قَالُوا : وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ ، قَالَ : " أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي ، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ " (٢) .

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٢ برقم ١٤) ، أحمد في المسند (٣/ ١٧٧ برقم ١٢٨٤٥) ، الدارمي (٣/ ١٨٠١ برقم ٢٧٨٣) ، مسلم (١/ ٦٧ برقم ٤٤) ، ابن ماجه (١/ ٢٦ برقم ٦٧) ، النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٥٣٤ برقم ١١٧٤٤) ، المجتبى من السنن (٨/ ١١٤ برقم ٥٠١٣) ، ابن الأعرابي في المعجم (٢/ ٥٣٨ برقم ١٠٤٦) ، ابن حبَّان في الصحيح (١/ ٤٠٥ برقم ١٧٩) ، الطبراني في معجم الشاميين (٤/ ٢٩٢ برقم ٣٣٣٨) ، ابن منده في الإيمان (١/ ٤٣٤ برقم ٢٨٤) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٢٨ برقم ٣٨٠٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٨٣ برقم ١٦٤٢) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٠١ برقم ١٣١١) ، البغوي في شرح السنة (١/ ٥٠ برقم ٢٢) ، عبد بن حميد في المسند (ص٣٥٥ برقم ١١٧٥) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (٦/ ٢٣ برقم ٣٢٥٨) .

(٢) أخرجه مسلم ، (٤/ ٢٠٧٥ برقم ٢٢٧٠١) ، عبد الله بن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٣٩٥ برقم ١١٢٠) ، ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٣٠٥ برقم ٣٠٠٨٣) ، أحمد في المسند (٤/ ٩٢ برقم ١٦٩٦٠) ، ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٣٨٣ برقم ٥٢٩) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣١١ برقم ٧٠١) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (١٣/ ٣٨١ برقم ٧٣٨٧) .

الدَّلِيْلُ الرَّابِعُ عَشَر : روي بإسناد حسن عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاخْتَارَ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ، وَانْتَخَبَهُ بِعِلْمِهِ ، ثمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ فَاخْتَارَ أَصْحَابَهُ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنصارَ دِينِهِ ، فَمَا رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ حَسَناً فَهُوَ عِنْدَ الله حَسَنٌ ، وَمَا رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ قَبِيحاً فَهُوَ عِنْدَ الله قَبِيحٌ " (١) .

وقد رأى المؤمنون أنَّ الاحتفال بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرٌ حسنٌ ، ولم يُخالف في ذلك إلَّا نفرٌ قليل لا يؤبه لخلافهم ، ولا لكلامهم ، ولا لفتاويهم ...

ومن المعلوم أنَّ بعض من أنكر الاحتفال بميلاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعجبه مسار البعض الآخر من المنكرين ، كالإمام الفاكهاني ، فإنَّه أنكر على ابن تيمية في منعه زيارة قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وصنَّف في ذلك رسالة سمَّاها : " التُّحفة المختارة في الرَّدِّ على من أنكر الزِّيارة " ، فليتأمَّل ...

الدَّلِيْلُ الخَامِسُ عَشَر : رُوِي عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ ، قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ الصِّبْيَانِ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ نَتَلَقَّى رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ (٢) .

قال الإمام البيهقي : " أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرِ بْنُ قَتَادَةَ قَال : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرِو بْنُ مَطَرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا خَلِيفَةَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ ابْنَ عَـــائِشَةَ يَقُولُ : لَمَّا قَدِمَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ جَعَلَ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ وَالْوَلَائِدُ يقلن :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَـــا   مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا   مَا دَعَـــا للهِ دَاعْ

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١١٢ برقم ٨٥٨٣) ، الطيالسي في المسند (١/ ١٩٩ برقم ٢٤٣) ، البزار في المسند (٥/ ٢١٢ برقم ١٨١٦) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣٧٥) ، البيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ١٨٣ برقم ٣٢٨) ، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص٣٢٢) ، ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٥٤ برقم ١٦١٨) ، البغوي في شرح السنة (١/ ٢١٥ برقم ١٠٥) ، عبد الله بن وهب في المسند (ص١٣٢ برقم ١٢٥) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٤٩ برقم ١٥٨١٢) ، البخاري (٤/ ٧٦ برقم ٣٠٨٣) ، أبو داود ، (٣/ ٩٠ برقم ٢٧٧٩) ، الترمذي (٣/ ٢٦٨ برقم ١٧١٨ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) ، ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ٣٧٩ برقم ٢٤٢١) ، الدولابي في الكنى والأسماء ، (١/ ٢٥٧ برقم ٤٥٨) ، ابن حبَّان في الصحيح (١١/ ١١٣ برقم ٤٧٩٢) ، الطبراني في المعجم الكبير ، (٧/ ١٤٨ برقم ٦٦٥٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٩٤ برقم ١٨٦٨٧) ، دلائل النبوة (٥/ ٢٦٥) .

قُلْتُ : وَهَذَا يَذْكُرُهُ عُلَمَاؤُنَا عِنْدَ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ مِنْ مَكَّةَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ عِنْدَهُ ، لَا أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ عِنْدَ مَقْدَمِهِ مِنْ تَبُوكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ (١) .

فالصَّحابة رضوان الله عليهم ابتهجوا لمقدمه عليهم رضوان الله عليهم ، وفرحوا ، وجعلوا يُنشدون أناشيد الفرح التي تُعبِّر عن عظيم سرورهم به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... والمحتفلون اليوم بميلاده يتأسَّون بالصَّحابة رضوان الله عليهم ، حيث تُنشدُ الأناشيد ، وتتلى المدائح ، وتُذبح المنائح ، فرحاً وابتهاجاً بولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشكراً لله تعالى على ما منَّ به على البشريَّة بقدوم الحبيب من عالم الأرحــــام إلى عالم الحياة الدُّنيا ...

فالمسلم يفرح بالمناسبات الطيِّبة ، وميلاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أغلاها ، وأحلاها ، وأجلاها ، وأعلاها ، وأسناها ... وقد أشار القرآن الكريم إلى فرح المسلمين بانتصار أهل الكتاب على الفُرس الوثنيِّين ، فقال تعالى : **﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾** [الروم: ١ – ٥]

الدَّلِيْلُ السَّادِسُ عَشَر : روى التِّرمذي وغيره بسندهم عَبْدُ الله بْنُ بُرَيْدَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ ، يَقُولُ : خَرَجَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ جَاءَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ الله إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ إِنْ رَدَّكَ اللهُ سَالِماً أَنْ أَضْرِبَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالدُّفِّ وَأَتَغَنَّى ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ كُنْتِ نَذَرْتِ فَاضْرِبِي وَإِلاَّ فَلاَ . فَجَعَلَتْ تَضْرِبُ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَأَلْقَتِ الدُّفَّ تَحْتَ اسْتِهَا ، ثمَّ قَعَدَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ ، إِنِّي كُنْتُ جَالِساً وَهِيَ تَضْرِبُ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ ، فَلَمَّا دَخَلْتَ أَنْتَ يَا عُمَرُ أَلْقَتِ الدُّفَّ " (٢) .

فانظر – رحمك الله – إلى هذه الجارية التي نذرت : إن ردَّ الله تعالى الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوته سالماً لتضربنَّ بين يديه بالدّف ، وتتغنَّى فرحاً بسلامته ومَقْدمه ... وكيف أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرَّها

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٦٦) .

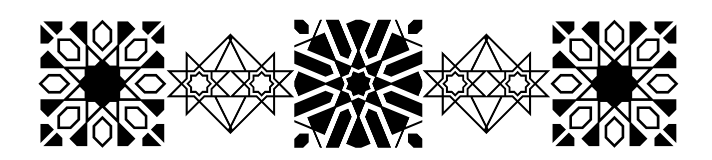
(٢) أخرجه الترمذي (٦/ ٦٢ برقم ٣٦٩٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ) ، أحمد في المسند (٥/ ٣٥٦ برقم ٢٣٣٩٩) ، ابن حبَّان في الصحيح (١٠/ ٢٣٢ برقم ٤٣٨٦) ، الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/ ٢٣٠) ، البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٣٢ برقم ٢٠١٠١) ، السنن الصغير (٤/ ١١٦ برقم ٣٢٠٩) .

على نذرها ، وسمح لها بأن تَفِيْ بنذرها ... فكيف يعيب علينا أُناسٌ قتلهم التَّقليد ، أن نحتفل بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فنُظهر الفرح والسُّرور والحبور برحمة الله ونعمته علينا ...؟!!!

الدَّلِيْلُ السَّابِعُ عَشَر : قال الإمام السُّيوطي : " أَصْلُ الِاجْتِمَاعِ لِإِظْهَارِ شِعَارِ الْمَوْلِدِ مَنْدُوبٌ وَقُرْبَةٌ ... وَهَذَا هُوَ مَعْنَى نِيَّةِ الْمَوْلِدِ ، فَكَيْفَ يُذَمُّ هَذَا الْقَدْرُ مَعَ الْحَثِّ عَلَيْهِ أَوَّلاً ؟ وَأَمَّا مُجَرَّدُ فِعْلِ الْبِرّ ، وَمَا ذُكِرَ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ أَصْلاً ، فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يُتَصَوَّرُ ، وَلَوْ تُصُوِّرَ لَمْ يَكُنْ عِبَادَةً وَلَا ثَوَابَ فِيهِ ؛ إِذْ لَا عَمَلَ إِلَّا بِنِيَّةٍ ، وَلَا نِيَّةَ هُنَا إِلَّا الشُّكْرُ للهِّ تَعَالَى عَلَى وِلَادَةِ هَذَا النَّبِي الْكَرِيمِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ ، وَهَذَا مَعْنَى نِيَّةِ الْمَوْلِدِ ، فَهِيَ نِيَّةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ بِلَا شَكٍّ " (1) . فما الذي يمنع من الاحتفال بأيَّام الإسلام الخالدة ، كيوم بدر ، والخندق ، وفتح مكَّة ، واليرموك ، والقادسيَّة ، وعين جالوت ، وحطِّين ، ... ما الذي يمنع من اجتماع النَّاس لتذكُّر تلك الأيام الطيِّبات ، وتلك المناسبات الغاليات الزَّاكيات ، حيث يجتمع النَّاس على تنسُّم عبيرها ، وتذوُّق حلاوتها ، والتَّرضِّي عن أصحابها ورجالها وأبطالها ، والتَّعاقد والتَّعاهد مع الله تعالى على المُضيِّ قدماً على سَنَنهم وآثارهم ... **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾** [الأنعام: ٩٠] .

بل ما الذي يمنعُ الإنسان من الاحتفال بيوم زواجه ... ما الذي يمنعُ الإنسان من الاجتماع بجميع أفراد الأُسرة في ذلك اليوم وتذكيرهم بنعمة الله تعالى عليهم أن رزقهم أباً صالحاً ، وأُمَّاً صالحة ، علَّموهم الدِّين ، وربُّوهم عليه ، وساروا بهم في طريق مرضاة الله تعالى ، على نهج سيِّد الأوَّلين والآخرين سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بعيداً عن الترَّهات ، ومساوئ الأخلاق ... ما الذي يمنع الإنسان من الاحتفال بيوم مولده ، فيجعله بداية عهد جديد مع الله تعالى ، وموسماً لمراجعة الحساب مع الله تعالى ، تماماً كما يفعل التَّاجرُ الذي يُخصص يوماً لمراجعة حساباته وجردها ، يرى فيه ربحه وخسارته ، ويُعالج الأمور التي من شأنها أن تُطيح به وبتجارته ...

والفهم الصَّحيح المستقيم لا يتعلَّق بزمان دون زمان ، كما أنَّه لا يتعلَّق بفرد دون فرد ...



---

(1) انظر : الحاوي للفتاوي (١/ ٢٢٦-٢٢٩ باختصار) .

المَبْحَثُ الرَّابِعُ

حَرَّمُوا التَّوسُّلُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لقد تمادى مدَّعو السَّلفيَّة في تبديعهم وتكفيرهم لعموم الأُمَّة المحمَّديَّة ، ومن ذلك : أنَّهم بدَّعوا وكفَّروا المتوسِّلين إلى الله تعالى بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا بالأولياء والصَّالحين ، فتراهم يُبدِّعون ويكفِّرون كلَّ من قال : اللهمَّ إنِّي أتوسَّل إليك وأسألك بجاه أو بحقِّ حبيبك محمَّد أن تقبل توبتي وحوبتي ... فهذا عندهم مبتدع كافرٌ حلال الدَّم ، يستحقُّ القتل ، وقد طبَّقه ابن عبد الوهَّاب وترجمه عمليَّاً هو ومن معه من أتباعه الرّعاع الهمج الجهلة ، فاستحلُّوا دماء المسلمين ، فقتلوا عشرات الآلاف من الموحِّدين ، وأُريقت دماؤهم في أطهر البقاع : أرض الحرمين الشَّريفين وغيرها من بلاد المسلمين ، وقد أرَّخ وسطَّر تلك الجرائم مؤرِّخهم : عثمان بن عبدالله بن بشر النَّجدي الحنبلي ، في كتابه : " عنوان المجد في تاريخ نجد " ، وذكر فيه ما يندى له الجبين ، وتبكي منه العيون ، وتقشعرُّ له الجلود والأبدان ، وتشمئزُّ منه النُّفوس ، وترتعد له القلوب والفرائص ، تلكم الجرائم الشَّنيعة ، والأعمال المُريعة التي ارتكبت باسم المحافظة على التَّوحيد الذي لا يعرفون منه إلَّا اسمه ، وما زال هذا ديدنهم ودينهم في كلِّ أرض وطأتها أقدامهم ، فكفَّروا عموم الأُمَّة المحمَّديَّة ، وأراقوا دماء المؤمنين الموحِّدين ، وَسَبَوا نسائهم ، وسلبوا أموالهم ، وخرَّبوا ديارهم ...

لقد بعثوا من جديد ما دفنه العلماء في القرن الثَّامن من المسائل التي خالف فيها من نعتوه بشيخ الإسلام عموم الأُمَّة المحمَّديَّة ، بعد أن أقاموا عليه الحُجَّة والبرهان ، وأودعوه السِّجن إلى أن مات فيه ، ومن ضمن تلك المسائل التي خالف فيها ابن تيمية عموم الأُمَّة : مسألة التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ...

فقد أنكر ابن تيمية ومعه سائر المتمسلفة التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء ، وكذا بعباد الله الصَّالحين ، وجاءوا بما لم يسبقهم إليه أحدٌ من العالمين ، ولم يرعوا لما ساقه علماءُ الأُمَّة من أدلَّة ناصعة دامغة لجوازً التَّوسُّل بهم صلوات الله وسلامه عليهم ، ورضوان الله على عباده الصَّالحين ... ومن ضمن ما أنكروا : استشهادهم واستدلالهم على التَّوسُّل إلى الله تعالى بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء:٦٤]

قال الإمام تقيُّ الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرَّاني (٧٢٨هـ) : " وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَأَوَّلُ قَوْله تَعَالَى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وَيَقُولُونَ : إِذَا طَلَبْنَا مِنْهُ الِاسْتِغْفَارَ بَعْدَ مَوْتِهِ كُنَّا بِمَنْزِلَةِ الَّذِينَ طَلَبُوا الِاسْتِغْفَارَ مِنْ الصَّحَابَةِ ، وَيُخَالِفُونَ

بِذَلِكَ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَائِرَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ أَحَداً مِنْهُمْ لَمْ يَطْلُبْ مِنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ ، وَلَا سَأَلَهُ شَيْئاً ، وَلَا ذَكَرَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُتُبِهِمْ " (١) .

فابن تيمية يزعم أنَّ من استشهد بالآية على التَّوسُّل مخالف للجمهور ، مع أنَّ الجمهور – كما ذكرته في كتابي : " إتحاف العالمين بمشروعيَّة التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين " استدلَّ بالآية الكريمة على التَّوسُّل ، وأنَّهم ذكروا الآية عند زيارتهم لسيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مختلف الأعصار ، فدعوى ابن تيمية داحضة وزائفة وباطلة ، وهذا هو ديدنه في كلِّ شيء أراد تمريره على الرّعاع الهمج ، الجهَّال ، العوامِّ ، الأعراب ، الأجلاف من أتباعه ، فإنَّه يُلصق ما قاله بالسَّلف الصَّالح زوراً وعدواناً ...

فالمهمُّ فيما نحن بصدد بيانه وتوضيحه : أنَّ ابن تيمية يعتقد ببدعيَّة التَّوسُّل ، ويزعم أنَّ التَّوسُّل بدعة باتِّفاق أئمَّة المسلمين !!! فيقول : " ... المرتبة الثَّالثة : أن يسأل صاحب القبر أن يسأل الله له ، وهذا بدعةٌ باتِّفاق أئمَّة المسلمين !!! وقد أخبر الله عن إخوة يوسف أنهم خرُّوا له سُجَّداً ، وكذلك سجد له أبواه ، وهذا السُّجود ليس مشروعاً لنا ، فلا يجوز لأحد أن يسجد لأَحد " (٢) .

وكلام ابن تيمية هنا فيه مراوغة مكشوفة ، فقد حاول الرَّبط بين التَّوسُّل إلى الله تعالى ، وبين السُّجود ليوسف عليه السَّلام ، فكما أنَّه لا يجوز لأحد أن يسجد لأحد ، لا يجوز لأحد أن يتوسَّل بأحد ... هذا هو مقصد ابن تيمية من كلامه ، وكلامه هذا يُضحك الثَّكلى ، وللرَّدِّ عليه نقول :

أَوَّلاً : أمَّا ما زعمه من القول بأنَّ التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين بدعة باتِّفاق أئمَّة المسلمين ، فهو محض كذب وافتراء ، ويردُّ عليه ما ذكرته في كتاب : " إتحاف العالمين بمشروعيَّة التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين " وذكرت بالدَّليل أنَّ الأمَّة قائلة بجواز التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ، وأنَّ غالب العلماء ذكروه في كتبهم ، وأنَّهم توسلوا بجاهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتقبَّلها منهم ، مع العلم أنَّ ابن تيمية نقل عن الإمام أحمد في الفتاوى تجويزه للتَّوسُّل ، فقال : " وَلِذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسِكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ للمروذي صَاحِبِهِ : إنَّهُ يُتَوَسَّلُ بِالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ " (٣) .

وهو في هذا متناقض ، وكم في كلامه من التَّناقضات والتَّخابطات والبليَّات ...

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٥٩) ، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٤) .

(٢) انظر : تلخيص كتاب الاستغاثة (١/ ١٤٦) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٤٠) ، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٤٢٢) .

ثَانِيَاً : وأمَّا عن ربطه بين التَّوسُّل والسُّجود ليوسف ، فهو من أعجب العجب ، لأنَّ السُّجود ليوسف ما كان إلَّا على سبيل التَّحيَّة له ، وقد استبدلها الله تعالى لهذه الأُمَّة بالسَّلام الذي هو تحيَّة أهل الجنَّة ، تكرمة من الله تعالى لهذه الأُمَّة ...

" فَعنْ قَتَادَةَ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿**وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً**﴾ [يوسف: ١٠٠] ، قَالَ : كَانَ تَحِيَّةُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ أَنْ يَسْجُدَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ " (١) .

ومن المعلوم أنَّ التَّوسُّل ليس عبادة ، بل هو سبيل ووسيلة إلى العبادة ، ووسيلة الشَّيء غيره بالضَّرورة . فالتَّوسُّل لا يشتمل على تعظيم وعبادة المتوسَّل به إلى الله تعالى ، وليس فيه أيضاً تقرُّبٌ إليه ، بل المتوسِّل يعلم يقيناً أنَّ من توسَّل به إلى الله لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرَّاً ، فليس هو إله يُعبَدُ من دون الله سبحانه ، بل هو مجرَّد وسيلة محبوبة لدى المتوسَّل إليه يقدِّمها العبدُ بين يدي سؤله وطلبه من الله تعالى رجاء الاستجابة له ، لأنَّ المتوسَّل به محبوبٌ ومرضيٌّ عنه من قِبَلِ المتوسَّل إليه . فالتَّوسُّل لا يشتمل البتَّة على الخضوع والتَّذلُّل كما في العبادة ، ولذا فليس هو عبادة ...

ويستمرُّ ابن تيمية في تدليسه ، فيزعم أنَّ التَّوسُّل لم يقل به أحدٌ من السَّلف ، ولم يفعله أحد من الصَّحابة ، ويعتبر زيارة القبور زيارة بدعيَّة شركيَّة ، فيقول : " وَأَمَّا الزِّيَارَةُ الْبِدْعِيَّةُ : وَهِيَ زِيَارَةُ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ جِنْسِ زِيَارَةِ النَّصَارَى الَّذِينَ يَقْصِدُونَ دُعَاءَ الْمَيِّتِ ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ ، وَطَلَبَ الْحَوَائِجِ عِنْدَهُ ، فَيُصَلُّونَ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَيَدْعُونَ بِهِ ، فَهَذَا وَنَحْوُهُ لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ ، وَلَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا اسْتَحَبَّهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا " (٢) .

وَلنَا فِي الرَّدِّ عَلى كَلامِه وِقْفَاتٌ :

الوِقْفَةُ الأُوْلَى : أمَّا عن تلبيسه وزعمه بأنَّ زيارة القبر الشَّريف والدُّعاء والتَّوسُّل بصاحبه إلى الله تعالى زيارة بدعيَّة شركيَّة من جنس زيارة النَّصارى ، فيردُّه ما ضمَّنَّاه كتابنا : " إتحاف العالمين بمشروعيَّة التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين "... ونضيف هنا ما ذكره الإمام العيني عن الشَّعبي ، أنَّه قال : حضرت عائشة رضي الله عنها ، فقالت : إنِّي قد أحدثت بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثاً ، ولا أدري ما حالي عنده ،

---

(١) انظر : تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٢٣) ، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦/ ٢٦٩) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٢) ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (٥/ ٣٦٣٩) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٢٧) .

فلا تدفنوني معه ، فإنِّي أكره أن أجاور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا أدري ما حالي عنده ، ثمَّ دعت بخرقة من قميص رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالت : ضعوا هذه على صدري وادفنوها معي ، لعلِّي أنجو بها من عذاب القبر " (١) .

فالسيِّدة عائشة رضي الله عنها طلبت ممَّن حضر أن يُدرجوا في كفنها خرقة من قميص صاحب القبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبرُّكاً منها بقميصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذا منها توسُّل إلى الله تعالى بقطعة من قميص حبيبه ومصطفاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكيف بصاحب القبر ؟!!!...

قُلْتُ : لقد قامت الأيدي الأثيمة المُجرمة عدوَّة الحقّ وأهله بإزالة وشطب ما نقلناه هنا من كلام نفيس ذكره الإمام الزَّبيدي ، من نسخة " إتحاف السَّادة المتَّقين بشرح إحياء علوم الدِّين " الموجودة ضمن المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، لأنَّه لا يتوافق مع معتقدهم ومذهبهم ومنهجهم ... فهذه هي السَّلفيَّة في ثوبها الحقيقي : غشٌّ ، تدليسٌ ، كذبٌ ، مراوغة ، عبثٌ ، فجورٌ ... ولذلك فإنِّي أدعو الجميع إلى عدم الاطمئنان إلى المكتبة الشَّاملة ، ولا بدَّ لطالب الحقِّ من العودة إلى الكتب الورقيَّة ذات الطَّبعات القديمة ، فإنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة ما فتئوا يعبثون ويعبثون بكتب التُّراث ...

وروى الخطيب البغدادي بسنده عن الإمام الشَّافعي أنه قال : " إنِّي لأتبرَّك بأبي حنيفة ، وأجيء إِلَى قبره في كلِّ يوم ، يَعْنِي زائراً ، فإذا عرضت لي حاجة صلَّيت ركعتين ، وجئت إِلَى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده ، فما تبعد عنِّي حتى تُقضى " (٢) .

وقد ذكرنا في كتاب " إتحاف العالمين بمشروعيَّة التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين " الكثير الكثير من توسُّلات السَّلف الصَّالح التي من شأنها أن تبكِّت دعاوى من يزعمون ويدَّعون السَّلفيَّة ...

ثمَّ إنَّ زعم ابن تيمية واعتباره زيارة القبور زيارة بدعيَّة شركيَّة ، أمرٌ لا نستغربه منه ، لأنَّه سبق له أن اعتبر زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ، وقد ردَّ عليه في هذه المسألة أغلب علماء عصره ، وكذا من جاء بعده ، وكان قوله هذا سبباً في دخوله السِّجن ، وبقي فيه حتى الوفاة ...

الوِقْفَةُ الثَّانِيَةُ : أنَّ ابن تيمية ومعه من يدَّعون السَّلفيَّة ما فتئوا يُبدِّعون عموم الأُمَّة المحمَّديَّة ، حتى صار التَّبديع سَنَنَاً وطريقاً لهم في كلامهم مع غيرهم ، مع أنَّهم لم يدركوا معنى البدعة أو أنهم يَغضُّونَ الطرفَ

---

(١) انظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (١٠/ ٣٣٣) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٥) ، وانظر : مناقب أبي حنيفة (ص٤٥٣) .

ويشيحون بوجوههم عن المعنى الصَّحيح للبدعة ، مع العلم أنَّ ابن تيمية نقل في كتبه عن الشَّافعي وغيره تعريفاً صحيحاً للبدعة ...

الوِقْفَةُ الثَّالِثَةُ : أنَّ ابن تيمية اعتبر زيارة القبور بما فيها قبر سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيارة بدعيَّة شركيَّة مِنْ جِنْسِ زِيَارَةِ النَّصَارَى الَّذِينَ يَقْصِدُونَ دُعَاءَ الْمَيِّتِ ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ ، وَطَلَبَ الْحَوَائِجِ عِنْدَهُ ، وزعم أنَّ هذا كلَّه لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ ، وَلَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا اسْتَحَبَّهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا ... وهذا منه مجازفة خطيرة ...

أمَّا عن زيارة قبر سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد أجبنا عنها في عنوان خاصٍّ ضمن هذا الكتاب ، وذكرنا أنَّ ابن تيمية خالف الأُمَّة حين اعتبر زيارة القبر الشَّريف معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ...

الوِقْفَةُ الرَّابِعَةُ : أنَّ ابن تيمية زعم أنَّ أحداً من الصَّحابة لم يستحب زيارة القبر الشَّريف والدُّعاء وَطَلَبَ الْحَوَائِجِ عنده ، وَلَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا اسْتَحَبَّهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا ...الخ هرائه ...

ويردُّ على هذا الهُراء ما ذكرناه في كتاب " إتحَافُ العَالَمَيْن بِمَشْرُوعيَّة التَّوسُّل إِلَى الله تَعَالَى بالأنبيَاء والصَّالحين " من أقوال لمئات العلماء الذين وقفنا على أقوالهم عند تفسير قول الله تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، حيث ذكروا قصَّة الإمام العتبي ... وكذا ما كان من ابن عمر وتحرِّيه الأماكن التي كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلِّي فيها ، وكذا قصَّة أبي أيُّوب الأنصاري وما كان منه في وضع وجهه على القبر الشَّريف ، وكذا ما كان من بلال أثناء زيارته للقبر الشَّريف إثر زيارته له قادماً من الشَّام ، وكذا ما كان من عائشة رضي الله عنها إثر القحط الذي أصاب المدينة ، وإشارتها بجعل كواً من القبر الشَّريف إلى السَّماء ، وكذا ما كان في زمان عمر رضي الله عنه من القحط ، ورواية مالك الدَّار ، وما تضمَّنته من مجيء الرَّجل إلى القبر الشَّريف ومناداته رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يا رسول الله استسق لأُمَّتك ... و ... و ... و ...

وقد اعتمد في تكفير المسلمين بهذه الألفاظ على إرادة نفع جاه الْمُتوسَّل به أو الْمُستغاث به مثلاً ، قياساً على عبدة الأوثان بجامع الإرادة المذكورة في كلّ ، وهو قياس فاسد من ستَّة أوجه :

الأَوَّلُ : جهله حقيقة العبادة، فإنَّ العبادة لغة: أقصى نهاية الخضوع والتَّذلُّل بشرط نيَّة التَّقرُّب، ولا يكون ذلك إلَّا لمن له غاية التَّعظيم ، فالعبادة لغة لا تُطلق إلَّا على العمل الدالِّ على الخضوع المتقرّب به لمن يعظمه

باعتقاد تأثيره في النَّفع والضُّر ، أو اعتقاد الجاه العظيم الذي ينفعه في الدُّنيا والآخرة ، وهي التي نهى الله سبحانه وتعالى عن أن تقع لغيره ، وكفر من لم ينته عنها ، وما قصر عن هذه المرتبة لا يقال فيه عبادة لغير الله .

وشرعاً : امتثال أمر الله كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنَّه أمر ، مع المبادرة بغاية الحبِّ والخضوع والتَّعظيم ، فاعتبر فيها ما اعتبر في اللغويَّة من الخضوع والتَّذلُّل والتَّعظيم .

فاللغويَّة غير مقيَّدة بعمل مخصوص ، والشَّرعيَّة مقيَّدة بالأعمال المأمور بها ، فكانت جارية على الأعمِّ الأغلب في الحقائق الشَّرعيَّة من كونها أخصّ من اللغويَّة .

ومن أجل اختصاصها بالمأمور به خرجت عبادة اليهودي مثلاً ، لأنَّه وإن تمسَّك بشريعة إلا أنَّها لَّما كانت منسوخة كانت كأن لم تكن ، وعبادة المبتدع في الدِّين ما ليس منه ، فالله سبحانه لَّما نهى الكفَّار عمَّا هم مشتغلون به من عبادة غيره ، ووبَّخهم على وضع الشَّيء في غير محلِّه وتعظيمهم غير أهله ، وبيَّن لهم بالدَّلائل الواضحة عدم صلوحيَّة ما اتَّخذوه من دونه لما اتَّخذوه إليه ، وكان الحامل لهم على ذلك اتِّباع أهوائهم ، والاسترسال مع أغراضهم ، وذلك مناف لعبوديَّتهم ، إذ العبد لا يتصرَّف في نفسه بمقتضى شهوته وغرضه ، وإنَّما يتصرَّف على مقتضى أمر سيِّده ونهيه ، قصد سبحانه أن يخرجهم عن داعية أهوائهم واتِّباع أغراضهم ، حتى يكونوا عبيداً لله تعالى ، اختياراً ، كما هم عبيد له اضطراراً ، فوضع لهم الشَّريعة المطهَّرة ، وبيَّن لهم الأعمال التي تعبَّدهم بها ، والطُّرق التي توصلهم إلى منافعهم ومصالحهم على الوجه الذي ارتضاه لهم ، ونهاهم عن مجاوزة ما حدَّ لهم ...

وعلى هذا فشرط كونها عبادة نيَّة التقرُّب للمعبود ، فالسُّجود لا يكون عبادة ولا كفراً إلا تبعاً للنيَّة ، فسجود الملائكة عليهم الصَّلاة والسَّلام لآدم عليه الصَّلاة والسَّلام عبادة لله ، لأنَّه امتثال لأمره ، وتقرُّب ، وتعظيم له ، والسُّجود للصَّنم كفرٌ إذا قصد به التقرُّب إليه ، إذ هو عبادة لغير الله ، وكذا يحكم عليه به عند جهل قصده أو إنكاره لأنَّه علامة على الكفر .

والسُّجود للتَّحيَّة معصية فقط في شرعنا ، وقد كان سائغاً في الشَّرائع السَّابقة ، بدليل سجود يعقوب وبنيه ليوسف عليهم الصَّلاة والسَّلام .

فتحقَّق من تَعْريفَي العبادة لغة وشرعاً أنَّ العبادة التَّذلُّل والتَّعظيم للمعبود ، وعليه ، فليس كلّ تعظيم عبادة ، وأنَّ ضابط التَّعظيم المقتضي للعبادة هو أن يعتقد له التأثير في النَّفع والضُّر ، أو يعتقد له الجاه التَّامّ ، والشَّهادة المقبولة ، بحيث ينفع في الآخرة ، ويستنزل به النَّصر والشِّفاء في الدُّنيا .

والتَّوسُّل لا يُسمَّى عبادة قطعاً ، ولا يقال فيه عبادة ، وإنَّما هي وسيلة إليها ، ووسيلة الشَّيء غيره بالضَّرورة .

الثَّانِي : الوسيلة لغة كلّ ما يتقرَّب به إلى الغير ، وسل إلى الله تعالى توسيلاً : عمل عملاً تقرَّب به إليه ، فتحقَّق منه أنَّ التَّوسُّل لا يُسمَّى عبادة قطعاً ، ولا يقال فيه عبادة ، وإنَّما هو وسيلة إليها ، ووسيلة الشَّيء غيره بالضَّرورة وهو واضح ، فإنَّ التوسُّل لا تقرُّب فيه للمتوسَّل به ولا تعظيمه غاية التَّعظيم ، والتَّعظيم إذا لم يصل إلى هذا الحدِّ لا يكون الفعل المعظَّم به عبادة ، فلا يُطلق اسم العبادة على ما ظهر من الاستعمال اللغوي إلا على ما كان بهذه المثابة من كون العمل دالّاً على غاية الخضوع منويّاً به التقرُّب للمعبود تعظيماً له بذلك التَّعظيم التَّام ، فاذا اختلَّ شيء منها منع الإطلاق ، أمَّا الدّلالة على نهاية الخضوع ، فظاهر ، لأنَّ مناط التَّسمية لم يوجد ، ولأنَّ النَّاس من قديم الزَّمان إلى الآن يخضعون لكبرائهم ورؤسائهم بما يقتضيه مقامه الدُّنيوي عندهم ، ويحيُّونهم بأنواع التحيَّات ، ويتذلَّلون بين أيديهم ، ولا يعدُّون ذلك قُربة ، ولا يُطلقون عليه اسم العبادة ، وإنَّما يرونه من باب الأدب ، وما ذاك إلا لكون ذلك الخضوع لم يبلغ نهايته ، والتَّعظيم النَّاشئ عنه لم يبلغ غايته ، وبهذا ظهر الفرق بين التَّوسُّل والعبادة ، على أنَّ عَبد يتعدَّى بنفسه ، وتوسَّل يتعدَّى بحرف الجر .

وقد أوغل ابن تيمية في بيداء القياس الفاسد دفعتين ، قياسه معاني هذا الألفاظ ، توسَّل ، استعان ، استغاث ، تشفَّع ، على العبادة ، وقياسه المؤمنين المتوسِّلين بالنَّبي صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم مثلاً على عبدة الأوثان من دون الله ، بجامع إرادة الجاه في كلٍّ .

فلينظر اللبيب إلى أين رماه جهله باللغة العربيَّة ، فإنَّه لو تأمَّل في قول القائل : اللهمَّ إنِّي أتوسَّل إليك بفلان ، وأجراه على ما تدلُّ عليه اللغة لوجد معناه : اللهمَّ إنِّي أتقرَّب إليك وأتحبَّب إليك ، فهو دالٌّ بجوهره على أنَّ التقرُّب لله لا لمن يراد جاهه !!

ومن جهل الفرق بين عَبَد وتوسَّل ، كيف يصحُّ له القياس في دين الله وإلحاق بعض الفروع ببعض ، والقياس أصعب أنواع الاجتهاد ، لكثرة ما يعتبر في أركانه من الشُّروط ، وما يَردُ عليه من المعارضات والمناقضات ، وغير ذلك من أنواع الاعتراضات ، فلا يصفو مشربه إلا لأهل الاجتهاد ، ومن أحاط بمداركهم على اختلاف مراتبهم ، ومن قصَّر عن تلك المراتب لا يسوغ له الجزم بالحكم المأخوذ منه في دانق ، فكيف بالحكم المأخوذ منه في تكفير المسلمين ؟!!

الثَّالِثُ : وحيث تحقَّق الفرق بين العبادة والتَّوسُّل ، فالعبادة فيها معنى زائد يناسب إناطة الحكم به ، وهو اشتمالها على الإعراض عن الله وإطلاق الإلهيَّة على غيره ، وإقامته مقامه ، وخدمته بما يستحق أن يخدم ، وقد أشار إلى هذا المعنى بعض فضلاء أهل السنَّة ، وملخَّص كلامه : أنَّ الشُّبهة الحاملة لعبدة الأوثان على عبادتها هي أنَّهم استصغروا أنفسهم ، فاستعظموا أن يعبدوا الله مباشرة ، ورأوا من سوء الأدب أن يشتغل الحقير من أول وهلة بخدمة العظيم ، وقرَّبوا ذلك بأمر مستحسن في العادة ، وهو أنَّ الحقير لا ينبغي له أن يخدم الملك حتى يخدم عمَّاله إلى أن يترقَّى لِخِدمته ، وقال : وهذه هي الحاملة على التَّوسُّل إلى الله تعالى بمن له جاه عنده ، إلا أنَّ الشَّرع أذِنَ في التَّوسُّل ولم يأذن في العبادة ، فكانت حاجة الكفَّار تندفع بما شرعه الله ، إلا أنَّ الله تعالى أعمى بصائرهم ، ولو تنبَّهوا لأمر عادي آخر لأرشدهم ، فإنَّ الملك من ملوك الدُّنيا إذا استجاه له أحد بعظيم من وزرائه وتشفَّع له بذلك ، ربَّما أقبل عليه ، وأخذ بيديه ، وقضى ما أراده منه . أمَّا إذا عظم ذلك الوزير بما يعظم به الملك وعامله بمعاملته وأقامه في مقامه فيما يختصُّ به الملك عن غيره ، رجاء أن يقضي ذلك الوزير حاجته من الملك ، فإنَّ الملك إذا علم بصنيعه يغضب أشدَّ الغضب ، ولا يقتصر في العقوبة على قطع الرَّجاء من الحاجة ، بل يفتك به وبالوزير إن أحبَّ ذلك !

فمثال التَّوسُّل الأوَّل ، ومثال العبادة الثَّاني ، فتأمَّل هذا المثال فإنَّه واف بواقعة الحال ، وبالله التَّوفيق والاعتصـــام .

الرَّابِعُ : القاعدة المشهورة المطَّردة ، وهي : أنَّ استواء الفعلين في السَّبب الحامل على الفعل لا يوجب استواءهما في الحكم ، يدلُّ على هاته القاعدة دلالة قطعيَّة ، أنَّه لو لم يكن الأمر كذلك بأن كان الاستواء في الحامل يوجب الاستواء في الحكم – كما ادعاه ابن تيمية وقرَّره في قياسه التَّوسُّل على العبادة والمتوسِّل على عابد الوثن – ، للزم إبطال الشَّريعة وتساوي الأعمال في الأحكام ، واللازم باطل بالاتفاق ، وهو ضروريٌّ غنيٌّ عن الاستدلال !! ... " [1] .

وما كان منهم هذا وغيره الكثير إلَّا بسبب ما قعَّده لهم ابن تيمية من تقسيم للتَّوحيد ، حيث قسَّمه إلى ثلاثة أقسام : توحيد الرُّبوبيَّة ، وتوحيد الألوهيَّة ، وتوحيد الأسماء والصِّفات ...

وقد زعم ابن تيمية أنَّ الكفرة والمشركين يقرُّون لله تعالى بالألوهيَّة ، وما كفروا إلَّا بسبب كفرهم بتوحيد الألوهيَّة ، يقول ابن تيمية في كلامه عن المتكلِّمين : " ... وَدَخَلُوا فِي بَعْضِ الْبَاطِلِ الْمُبْتَدَعِ ، وَأَخْرَجُوا مِنَ

---

[1] انظر : براءة الأشعريين من عقائد المخالفين (١/ ٩٦-١٢٩ باختصار) .

التَّوْحِيدِ مَا هُوَ مِنْهُ كَتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَإِثْبَاتِ حَقَائِقِ أَسْمَاءِ اللهِّ وَصِفَاتِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفُوا مِنَ التَّوْحِيدِ إِلَّا تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَهُوَ الْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللهَّ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ .

وَهَذَا التَّوْحِيدُ كَانَ يُقِرُّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَالَ اللهُّ تعالى : **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُّ قُلِ الْحَمْدُ للهَِّ بَلْ يعنى ولكن أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾** [لقمان: ٢٥] ، وَقَالَ تَعَالَى : **﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ للهَِّ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾** [المؤمنون: ٨٦ – ٨٧] ، وَقَالَ عَنْهُمْ : **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهَِّ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾** [يوسف: ١٠٦]

قَالَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ : يَقُولُ لَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ فَيَقُولُونَ : اللهُّ ، وَهُمْ مَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ .

وَإِنَّما التَّوْحِيدُ الَّذِي أَمَرَ اللهُّ بِهِ الْعِبَادَ هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ ، الْمُتَضَمِّنُ لِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ ، بِأَنْ يُعْبَدَ اللهُّ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئاً ، فَيَكُونُ الدِّين كُلُّهُ للهَِّ ... " (١) .

وقال المتمسلف المدعو : محمَّد أحمد باشميل تحت عنوان : " توحيد أبي جهل وأبي لهب : أبو جهل وأبو لهب ومن على دينهم من المشركين ، كانوا يؤمنون بالله ويوحِّدونه في الرُّبوبيَّة خالقاً ورازقاً ، محيياً ومميتاً ، ضارَّاً ونافعاً ، لا يشركون به في ذلك شيئاً ؟؟ عجيب ، وغريب ، أن يكون أبو جهل وأبو لهب ، أكثر توحيداً لله وأخلص إيماناً به من هؤلاء المسلمين الذين يقولون لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله " (٢) .

وهذه جرأة من هذا الباشميل في التَّكفير ليس لها مثيل ، لم نجد لها نكيراً من أيِّ عالم من علماء الوهَّابيَّة ، ولا غرو ، فقد شجَّعهم محمَّد بن عبد الوهَّاب على عدم الرَّهبة والحرج من تكفير أهل لا إله إلَّا الله ، والعياذ بالله تعالى ...

والباشميل في كلامه السَّابق يهرف هو ومعه سائر المتمسلفة بما قعَّده لهم ابن تيمية من تقسيم للتَّوحيد ، حيث قسَّمه إلى أقسام ثلاثة : ربوبيَّة ، وأُلوهيَّة ، وأسماء وصفات . وهذا التَّقسيم ما سبقه إليه أحد من العالمين ، ولم يقل به أحد من السَّلف الذي يزعم أنَّه يقول بقولهم ... فالتَّوحيد أصبح تعديداً ... وبناء على تقسيمه للتَّوحيد كفَّر هو وأتباعه عموم الأمَّة متَّهمين إيَّاهم بالكفر والإلحاد في الدِّين ، وأنَّهم ينكرون توحيد الألوهيَّة ،

---

(١) انظر : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٣/ ٢٨٩-٢٩٠) .

(٢) انظر : كيف نفهم التوحيد (ص١٢) .

لأنَّهم يتوسَّلون إلى الله تعـــالى بالأنبياء والصَّالحين ... وقد ناقشنا هذه المسألة لاحقاً في كتابنا هذا ... والحمد لله تعالى ...

ومن المعلوم أنَّ تقسيم التَّوحيد إلى : ربوبيَّة ، وأُلوهيَّة ، وأسماء وصفات ، لم يقل به أحد من السَّلف الذي يزعم ابن تيمية ومعة سائر المتمسلفة أنَّهم يقولون بقولهم ، بل هو من اختراعات ابن تيمية ... وقد اعتاد أتباعة ممَّن يدَّعون السلفيَّة ظلماً وزوراً وبهتاناً وعدواناً على هذا التَّقسيم في مؤلَّفاتهم ومصنَّفاتهم ، وكان من أشهرهم : ابن أبي العز شارح العقيدة الطحاويَّة ، الذي خالف عقيدة الطَّحاوي في أمور عديدة لا يستحق بسببها أن يُسمَّى شرحه باسمها ، وقد ذكرت جلَّ مخالفاته للعقيدة الطَّحاويَّة في كتابي : " إرْشَادُ الفُحُوْلِ إِلَى مَا قَالَهُ أَسَاطِيْنُ العِلْمِ فِيْ تَنْزِيْهِ الله عَنِ الحَرَكَةِ وَالنُّزُوْل " ...

وفي الرَّدِّ على هذا التَّقسيم المبتدع ، قال الإمام محمَّد العربي التَّباني الشَّهير بأبي حامد مرزوق (١٣٩٠هـ) : " ... لم يقل الإمام أحمد بن حنبل الذي انتسب إليه كذباً لأصحابه : أنَّ التَّوحيد قسمان : توحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ، وإنَّ من لم يعرف توحيد الألوهيَّة لا تعتبر معرفته لتوحيد الرُّبوبيَّة ، لأنَّ هذا يعرفه المشركون ، وهذه عقيدة الإمام أحمد مدوَّنة في مصنَّفات أتباعه في مناقبه لابن الجوزي ، وفي غيره ليس فيه هذا الهذيان .

الوَجْهُ الثَّاني : لم يقل أيُّ واحد من أتباع التابعين لأصحابه : أنَّ التوحيد قسمان : توحيد الربوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ، وإنَّ من لم يعرف توحيد الألوهيَّة لا يعتدُّ بمعرفته لتوحيد الرُّبوبيَّة ، فلو اجتمع معه الثَّقلان على إثباته عن أي واحد منهم لا يستطيعون .

الوَجْهُ الثَّالِثُ : لم يقل أيُّ واحد من التَّابعين لأصحابه : أنَّ التَّوحيد ينقسم إلى توحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ، فلو اجتمع معه الثقلان على إثباته عن أي واحد منهم لا يستطيعون .

الوجه الرَّابعُ : لم يقل أيُّ صحابي من أصحاب النَّبِي صَلَّى اللهُ تَعَالى عَلَيهِ وَسَلَّم ، ورضي عنهم أنَّ التَّوحيد ينقسم إلى توحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ، وأنَّ من لم يعرف توحيد الألوهيَّة لا يعتدُّ بمعرفته لتوحيد الرُّبوبيَّة ، لأنَّ هذا يعرفه المشركون ، وإنِّي أتحدَّى كلَّ من له إلمامٌ بالعلم أن ينقل لنا هذا التَّقسيم المخترع عنهم ، ولو برواية واهية .

الوَجْهُ الخَامِسُ : لم يأت في سُنَّة النَّبي صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم الواسعة التي هي بيان لكتاب الله عزَّ وجلَّ من صحاح وسنن ومسانيد ومعاجم ، أنَّ النَّبي صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم كان يقول لأصحابه ويعلمهم أنَّ التَّوحيد ينقسم إلى توحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ، وأنَّ من لم يعرف توحيد الألوهيَّة لا يعتدُّ بمعرفته لتوحيد

الرُّبوبيَّة ، لأنَّ هذا يعرفه المشركون ، فلو اجتمع معه الثَّقلان على إثبات هذا الهذيان عن النَّبي صلى الله تعالى عليه وسلم بإسناد ولو واهياً لا يستطيعون .

الوَجْهُ السَّادِسُ : بل كُتُب السنَّة طافحة بأنَّ دعوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاس إلى الله كانت إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله ، وخلع عبادة الأوثان ، ومن أشهرها : حديث معاذ بن جبل لَمَّا أرسله النَّبي صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم إلى اليمن ، فقال له : " ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أنَّ عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ... الحديث " .

وروى الخمسة وصحَّحه ابن حبَّان أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبره أعرابيٌّ برؤية الهلال ، فأمر بالصِّيام ولم يسأله النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا عن الإقرار بالشَّهادتين ، وكان اللازم على هذيانه هذا أن يدعو النَّبي صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم جميع النَّاس إلى توحيد الألوهيَّة الذي جهلوه ، وأمَّا توحيد الرُّبوبيَّة فقد عرفوه ! ويقول لمعاذ : ادعهم إلى توحيد الألوهيَّة ! ويقول للأعرابي الذي رأى هلال رمضان هل تعرف توحيد الألوهيَّة ؟!

الوَجْهُ السَّابعُ : لم يأمر الله في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه عباده بتوحيد الألوهيَّة ، ولم يقل لهم : إنَّ من لم يعرفه لا يعتدُّ بمعرفته لتوحيد الرُّبوبيَّة ، بل أمر وهو :

الوَجْهُ الثَّامِنُ : بكلمة التَّوحيد مطلقة ، قال الله تبارك وتعالى مخاطباً نبيَّه صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم : **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾** [محمَّد : ١٩] ، وهكذا جميع آيات التَّوحيد المذكورة في القرآن ، مع سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن .

الوَجْهُ التَّاسِعُ : يلزم على هذا الهذيان على الله تبارك وتعالى لعباده حيث عرفوا كلّهم توحيد الرُّبوبيَّة ولم يعرفوا توحيد الألوهيَّة أن يبيِّنه لهم ، ولا يضلَّهم ، ولا يعذِّبهم على جهلهم نصف التَّوحيد ، ولا يقول لهم : **﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً﴾** [المائدة : ٣] ، نعوذ بالله من زلقات اللسان ، وفساد الجنان .

الوَجْهُ العَاشِرُ : الإله هو الرَّبُّ ، والرَّبُّ هو الإله ، فهما متلازمان يقع كلٌّ منهما في موضع الآخر ، وكتاب الله تعالى طافح بذلك ، وكذلك سنَّته عليه الصَّلاة والسَّلام ، قال الله تبارك وتعالى : **﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾** [البقرة : ٢١] ، وكان اللازم – على زعمه – حيث كانوا يعرفون توحيد الرُّبوبيَّة ولا يعرفون توحيد الألوهيَّة أن يقول الله : (اعبدوا إلهكم) !!

وقال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة : ٢٥٨] الآية ، وكان اللازم – على زعمه حيث كان النَّمرود يعرف توحيد الرُّبوبيَّة ويجهل توحيد الألوهيَّة – أن يقول الله تعالى : (ألم تر إلى الذي حاجَّ ابراهيم في إلهه) !!

وكان اللازم على زعمه أن يقول الله في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء : ١] !! يا أيُّها النَّاس اتَّقوا إلهكم ...

وكان اللازم على زعمه أن يقول الله في قوله تعالى : ﴿إِذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ قالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة : ١١٢] ، هل يستطيع إلهك ، وكان اللازم على زعمه أن يقول الله في قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام : ١] ، ثمَّ الذين كفروا بإلههم يعدلون ، لأنَّ الرَّبَّ يعرفونه ، وهو شيء كثير في القرآن ...

الوَجْهُ الثَّلاثُوْن : جعله التَّوسُّل والاستغاثة عبادة للمتوسَّل به ، والمستغاث به ، والمستعان به !!" [١] .

ونحن نقول لأصحاب هذا التَّوحيد ......

هل يُعتبر موحِّداً ربوبيَّة من قال الله فيهم : ﴿وَقالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَياتُنَا الدُّنْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]

وهل هم موحِّدون ربوبيَّة من قال الله تعالى فيهم : ﴿وَقالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ما هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُراباً وَعِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ * هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلاَّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٣ – ٣٧]

وهل هم موحِّدون ربوبيَّة من قال الله فيهم : ﴿وَقالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَما يُهْلِكُنا إِلاَّ الدَّهْرُ وَما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]

وهل فرعون يُعتبر موحِّداً ربوبيَّة ، وقد قال فيما حكاه الله عنه : ﴿فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى﴾ [النازعات: ٢٤] ، ولم يقل : إلهكم ... وهو بهذا القول يدَّعي الرُّبوبيَّة لنفسه ، وقد سلَّم له بها قومه ، بعد أن استخفَّ عقولهم : ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤] ، وحكى الله تعالى جدال موسى مع فرعون ، وأنَّ فرعون قال له : ﴿قالَ فِرْعَوْنُ وَما رَبُّ الْعالَمِينَ * قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ *

---

[١] انظر : براءة الأشعريين من عقائد المخالفين (١/ ٩٦ فما بعدها باختصار) .

قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ * قالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣ – ٢٩]

وهل يُعتبر موحِّداً ربوبيَّة من سيقول لمتبوعه يوم القيامة : ﴿قالُوا وَهُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ * تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ * وَما أَضَلَّنا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الشعراء: ٩٦ – ٩٩]

وهل يدخل في التَّوحيد من خاطبهم يوسف عليه السَّلام بقوله : ﴿يَا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]

وهل يدخل في التَّوحيد من قال الله تعالى فيهم : ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقالَ الْكافِرُونَ هَذَا ساحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً واحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرادُ * مَا سَمِعْنا بِهذا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾ [ص: ٤ - ٧]

وهل يدخل في التَّوحيد من قال الله تعالى فيهم : : ﴿بَلْ قالُوا مِثْلَ مَا قالَ الْأَوَّلُونَ * قالُوا أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وَآباؤُنا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨١ – ٨٣]

وكيف يكون مؤمناً ربوبيَّة من قال الله تعالى فيهم : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]

وكيف يكون مؤمناً ربوبيَّة من خاطبهم إبراهيم عليه السَّلام بقوله :﴿ إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ * قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ * قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ *

قالُوا أَجِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ * قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٢ – ٥٦]

وكيف يكون مؤمناً ربوبيَّة من حكم الله تعالى بكفره ، فقال : ﴿كَذلِكَ أَرْسَلْناكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِها أُمَمٌ لِتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتابِ﴾ [الرعد: ٣٠]

وكيف يكون النَّمرود مؤمناً ربوبيَّة ، وقد قال الله تعالى عنه : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]

فالنَّمرود ادَّعى الرُّبوبيَّة من دون الله تعالى ، وخلع على نفسه خصائص الرُّبوبيَّة ، من إحياء الموتى ، وإماتة الأحياء ، ولذلك عمد إلى مجادلة إبراهيم عليه السَّلام في الرُّبوبيَّة لا في الألوهيَّة ... فكيف يزعم من قسَّموا التَّوحيد من المتمسلفة بأنَّ الخلق ومن ضمنهم النَّمرود يؤمنون بالرُّبوبيَّة لله تعالى ؟!!

كيف يزعم ابن تيمية أنَّ التَّوْحِيدُ الَّذِي أَمَرَ اللهُّ بِهِ الْعِبَادَ هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ ، وأنَّ توحيد الرُّبوبيَّة كَانَ يُقِرُّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ؟ وكيف يزعم ابن عبد الوهَّاب أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسل إلى قوم يتعبَّدون !!! ويحجُّون !!! ويتصدَّقون !!! ويذكرون الله كثيراً !!! مع أنَّ الله تعالى أمر الرَّسول ومعه الصَّفُّ المؤمن بمواجهة الكفرة بأنَّ لكم دينكم ولنا دين ، قال سبحانه وتعالى : **﴿قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنا عابِدٌ مَا عَبَدْتُّمْ * وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾** [الكافرون: ١ – ٦]

فسورة " الكافرون " تردُّ على دعوى ابن تيمية الفارغة حين زعم أنَّ " الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِهَذَا التَّوْحِيدِ – تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ – وَمَعَ هَذَا يُشْرِكُونَ بِاَللَّهَّ ، فَيَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهَّ ، وَيَقُولُونَ : إنَّهُمْ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَهُ وَإِنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ بِهِمْ إلَيْهِ ، فَيَتَّخِذُونَهُمْ شُفَعَاءَ وَقُرْبَاناً ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : **﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللهَّ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَّ بِما لا يَعْلَمُ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [يونس: ١٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : **﴿أَلا للهَّ الدِّين الْخالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهَّ زُلْفى إِنَّ اللهَّ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَّ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ﴾** [الزمر: ٣] (١) .

هذا ما قاله ابن تيمية ، وهي مجازفة كبيرة وخطيرة أدَّت فيما بعد إلى أن يتمسَّك بها الرّعاع الجهلة ، ويجعلوها متمسَّكاً ودليلاً على تكفير أُمَّة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي اعتادت على التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ، مع الإيمان المطلق بأنَّ الله تعالى هو مالك الأمر كله ، وأنَّ المتوسَّل به إلى الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرَّاً ...

فالله تعالى أخبرنا أنَّه سبحانه وتعالى له الأمر من قبل ومن بعد ، وكلُّ شيء بيده سبحانه ، لكنَّه طالبنا أن نربط الأسباب بمسبَّباتها ، فهو سبحانه القائل : **﴿إِنَّ اللهَّ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾** [الذاريات: ٥٨] ، والقائل : **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَناكِبِها وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾** [الملك: ١٥] ، وهو سبحانه القائل : **﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَّ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللهَّ**

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ، (١٤/ ٣٧٨) .

سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧] ، والقائل : **﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ حَتَّى يُقاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ﴾** [البقرة:١٩١] .

فإن استشهدوا على إيمان الكفرة والمشركين بالرُّبوبيَّة بقول الله تعالى : **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾** [العنكبوت:٦١-٦٣] ، وبقوله : **﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْناهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾** [المؤمنون: ٨٦ – ٩٠]

قلنا : إنَّ المشركين ما قالوا هذا إلَّا بعد أن غُلبوا بالحُجَّة وأُلزموا بها ، فقالوه بألسنتهم وأبته قلوبهم ، فنافقوا ، والمنافق هو الذي يُبطن الكفر ويُظهر الإيمان الذي هو تصديق القلب ... ثمَّ إنَّ مجرَّد النُّطق باللسان لا يُدخل الإنسان في دائرة الإيمان إن لم يرافقه تصديق الجَنان ، قال تعالى : **﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [الحجرات: ١٤]

كما أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة شنَّعوا على من فسَّروا الإيمان بالتَّصديق دون العمل ... فكيف أدخلوا المشركين عبدة الأصنام والأوثان في دائرة الإيمان ؟!!! بل جعلوهم أكثر إيماناً ممَّن يَدْعون الله الواحد الأحد الفرد الصَّمد ، ويتوسَّلون إليه بأشرف الخلق وحبيب الحقِّ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!! مع الإيمان المطلق بأنَّ النَّفع والضرَّ بيد الله تعالى وحده لا شريك له ، وأنَّ الأنبياء فضلاً عن الأولياء والصَّالحين لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضرَّاً ، لا في حياتهم ولا بعد وفاتهم ، لأنَّ النَّافع والضَّارَّ هو الله تعالى وحده ، وقد قال الله تعالى فيما حكاه عن الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَما مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** [الأعراف: ١٨٨] ، وأنَّ مراد المتوسِّل من المتوسَّل به إنَّما هو الطَّلب بأن يدعو الله تعالى له ، لأنَّ الموت ليس عدماً أو فناء محضاً ، والنُّبوَّة لا تنقطع رتبتها بالموت ، الذي هو انتقال من دار الدُّنيا إلى دار البرزخ ، وللأرواح عمل وتصرُّفٌ بعد الموت ، فهي ترى ، وتسمع ، وتتكلَّم ، فتدعو ، وتستغفر ...

قال الإمام القرطبي : " الموت ليس بعدمٍ محْض ولا فناء صرف ، وإنَّما هو انقطاع تعلُّق الرُّوح بالبدن ، ومفارقته وحيلولة بينهما ، وتبدّل حال وانتقال من دار إلى دار ... " (١) .

وقال الإمام المناوي : " إنَّ الميِّت ولو أعمى ، يعرف من يحمله من محلِّ موته إلى مغتسله ، ومن يغسِّله ، ومن يكفِّنه ، ومن يُدْليه في قبره ، ومن يلحده فيه ، وغير ذلك ... وذلك لأنَّ الموت ليس بعدم محض ، والشّعور باق حتَّى تمام الدِّفن ، حتى أنَّه يعرف زائره ... وإنَّما يغلط أكثر النَّاس في هذا ، وأمثاله ، حيث يعتقد أنَّ الرُّوح من جنس ما يعهد من الأجسام ، الذي إذا شغلت مكاناً ، لا يمكن أن تكون بغيره ، بل الرُّوح لها اتِّصال بالبدن ، والقبر ، وجِرمها في السَّماء كشعاع الشَّمس ، ساقط بالأرض ، وأصله متَّصل بالشَّمس " (٢) .

وعلى كلِّ حال فقد حكم الله تعالى بكفر المشركين الذين قالوا عن أصنامهم : **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِّ زُلْفَى﴾** [الزمر: ٣] ، حيث قال الله تعالى في الرَّدِّ عليهم : **﴿إِنَّ اللهَّ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾** [الزمر: ٣]

قال الإمام الطَّبري في تفسيرها : يقول تعالى ذكره : **﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي ﴾** إلى الحقِّ ودينه الإسلام ، والإقرار بوحدانيَّته ، فيوفقه له **﴿مَنْ هُوَ كاذِبٌ﴾** مفتر على الله ، يتقوَّل عليه الباطل ، ويضيف إليه ما ليس من صفته ، ويزعم أنَّ له ولداً افتراء عليه ، **﴿كَفَّارٌ﴾** لنعمه ، جحوداً لربوبيَّته " (٣) .

وقال الإمام الرَّازي : " وَالْمُرَادُ أَنَّ مَنْ أَصَرَّ عَلَى الْكَذِبِ وَالْكُفْرِ بَقِيَ مَحْرُوماً عَنِ الْهِدَايَةِ ، وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْكَذِبِ وصفهم لهذه الْأَصْنَامِ بِأَنَّهَا آلِهَةٌ مُسْتَحِقَّةٌ لِلْعِبَادَةِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا جَمَادَاتٌ خَسِيسَةٌ وَهُمْ نَحَتُوهَا وَتَصَرَّفُوا فِيهَا ، وَالْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ حَاصِلٌ بِأَنَّ وَصْفَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِالْإِلَهِيَّةِ كَذِبٌ مَحْضٌ ، وَأَمَّا الْكُفْرُ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْكُفْرَ الرَّاجِعَ إِلَى الِاعْتِقَادِ ، والأمر هاهنا كَذَلِكَ فَإِنَّ وَصْفَهُمْ لَهَا بِالْإِلَهِيَّةِ كَذِبٌ ، وَاعْتِقَادَهُمْ فِيهَا بِالْإِلَهِيَّةِ جَهْلٌ وَكُفْرٌ . وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ كُفْرَانَ النِّعْمَةِ ، وَالسَّبَبُ فِيهِ أَنَّ الْعِبَادَةَ نِهَايَةُ التَّعْظِيمِ وَنِهَايَةُ التَّعْظِيمِ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِمَنْ يَصْدُرُ عَنْهُ غَايَةُ الْإِنْعَامِ ، وَذَلِكَ الْمُنْعِمُ هُوَ اللهُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَهَذِهِ الْأَوْثَانُ لَا مَدْخَلَ لَهَا فِي ذَلِكَ الْإِنْعَامِ ، فَالِاشْتِغَالُ بِعِبَادَةِ هَذِهِ الْأَوْثَانِ يُوجِبُ كُفْرَانَ نِعْمَةِ الْمُنْعِمِ الْحَقِّ " (٤) .

---

(١) انظر : كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ١١١-١١٢) .

(٢) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ٣٩٨) .

(٣) انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (٢٠/ ١٥٨) .

(٤) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٦/ ٤٢٢) .

فقولهم : **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى﴾** ، ما كان إلَّا تعليلاً زائفاً وفاسداً لعبادتهم ما نحتوا من الحجارة التي عبدوها وقرَّبوا لها القرابين ، فجاء الرَّدُّ القرآني عليهم تنبيهاً على كفرهم وضلالهم .

فبعد أن أُقيمت الحُجَّة عليهم بأنَّ ما يعبدون من الأوثان والأصنام التي نحتوها وجسَّموها بأيديهم لا تملك لهم نفعاً ولا ضرّاً ، ولا حياة ولا موتاً ، قالوا مُرغمين بألسنتهم : **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾** ، وهذا من كفرهم وكذبهم الذي كشفه الله في القرآن العظيم ، فقوله تعالى : **﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾** ، إشارة إلى كذبهم حين قالوا : **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾** ، لأنَّهم عبدوا أصنامهم وأوثانهم ، وآمنوا بأنَّها تنفعُ وتضرُّ وترزقُ ، وأضافوا إليها صفات الرُّبوبيَّة والألوهيَّة ...

فالآية تصوِّر كذبهم في مدَّعاهم ، وأنَّهم لو كانوا مؤمنين صادقين في إيمانهم لما أشركوا ما يعبدون من الأصنام مع الله تعالى ، ولما عبدوا غيره سبحانه ، ولما سبُّوه حين تُسبُّ آلهتهم ، ولذلك نهى الله المسلمين أن يسبُّوا أصنام المشركين ، فقال : **﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** [الأنعام: ١٠٨]

قال الطَّبري في تفسيرها : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ : وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُو الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ ، فَيَسُبُّ الْمُشْرِكُونَ اللهَ جَهْلاً مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ وَاعْتِدَاءً بِغَيْرِ عِلْمٍ ، كَمَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثني مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ : **﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** [الأنعام: ١٠٨] ، قَالَ : قَالُوا : يَا محمَّد ، لَتَنْتَهِيَنَّ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا أَوْ لَنَهْجُوَنَّ رَبَّكَ ، فَنَهَاهُمُ اللهُ أَنْ يَسُبُّوا أَوْثَانَهُمْ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ .

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : **﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** [الأنعام : ١٠٨] : كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسُبُّونَ أَوْثَانَ الْكُفَّارِ ، فَيَرُدُّونَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَنَهَاهُمُ اللهُ أَنْ يَسْتَسِبُّوا لِرَبِّهِمْ ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ جَهَلَةٌ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِاللهِ .

حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطٌ ، عَنِ السُّدِّيِّ : **﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** [الأنعام: ١٠٨] ، قَالَ : لَمَّا حَضَرَ أَبَا طَالِبٍ الْمَوْتُ قَالَتْ قُرَيْشٌ : انْطَلِقُوا بِنَا فَلْنَدْخُلْ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ فَلْنَأْمُرْهُ أَنْ يَنْهَى عَنَّا ابْنَ أَخِيهِ ، فَإِنَّا نَسْتَحِي أَنْ نَقْتُلَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فَتَقُولُ الْعَرَبُ : كَانَ يَمْنَعُهُ ، فَلَمَّا مَاتَ قَتَلُوهُ ، فَانْطَلَقَ أَبُو سُفْيَانَ ، وَأَبُو جَهْلٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَأُمَيَّةُ وَأُبَيُّ ابْنَا خَلَفٍ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْبَخْتَرِيِّ ، وَبَعَثُوا رَجُلاً مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : الْمُطَّلِبُ ، قَالُوا : اسْتَأْذِنْ عَلَى أَبِي طَالِبٍ ، فَأَتَى أَبَا طَالِبٍ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ مَشْيَخَةُ قَوْمِكَ ، يُرِيدُونَ الدُّخُولَ عَلَيْكَ . فَأَذِنَ لَهُمْ ،

فَدَخلُوا عَلَيْهِ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ ، أَنْتَ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا ، وَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ آذَانَا وَآذَى آلِهَتَنَا ، فَنُحِبُّ أَنْ تَدعُوهُ فَتنْهَاهُ عَنْ ذِكْرِ آلِهَتِنَا ، وَلْنَدَعُهُ وِإِلَهَهُ . فَدَعَاهُ ، فَجَاءَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ : هَؤُلَاءِ قَوْمُكَ وَبَنُو عَمِّكَ . قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا تُرِيدُونَ ؟ " قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ تَدعَنَا وَآلِهَتَنَا ، وَنَدَعَكَ وِإِلَهَكَ . قَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ : قَدْ أَنْصَفَكَ قَوْمُكَ ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، فَقَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ هَذَا ، هَلْ أَنْتُمْ مُعْطِيَّ كَلِمَةً إِنْ تَكَلَّمْتُمْ بِهَا مَلَكْتُمُ الْعَرَبَ ، وَدَانَتْ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ بِالْخَرَاجِ ؟ " ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ : نَعَمْ وَأَبِيكَ لَنُعْطِينَّكَهَا وَعَشْرَ أَمْثَالِهَا ، فَمَا هِيَ ؟ قَالَ : " قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " ، فَأَبَوْا وَاشْمَأَزُّوا . قَالَ أَبُو طَالِبٍ : يَا ابْنَ أَخِي قُلْ غَيْرَهَا ، فَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ فَزِعُوا مِنْهَا ، قَالَ : " يَا عَمُّ ، مَا أَنَا بِالَّذِي أَقُولُ غَيْرَهَا حَتَّى يَأْتُوا بِالشَّمْسِ فَيَضَعُوهَا فِي يَدَيَّ ، وَلَوْ أَتَوْنِي بِالشَّمْسِ فَوَضَعُوهَا فِي يَدَيَّ مَا قُلْتُ غَيْرَهَا " ، إِرَادَةَ أَنْ يُؤَيِّسَهُمْ . فَغَضِبُوا وَقَالُوا : لَتَكُفَّنَّ عَنْ شَتْمِكَ آلِهَتَنَا ، أَوْ لَنَشْتُمَنَّكَ وَلَنَشْتُمَنَّ مَنْ يَأْمُرُكَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : **﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ فَيَسُبُّوا اللهَّ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** .

حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ : ثنا محمَّد بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : " كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسُبُّونَ أَصْنَامَ الْكُفَّارِ ، فَيَسُبُّ الْكُفَّارُ اللهَّ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَأَنْزَلَ اللهُ : **﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ فَيَسُبُّوا اللهَّ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ : **﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ فَيَسُبُّوا اللهَّ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** ، قَالَ : إِذَا سَبَبْتَ إِلَهَهُ سَبَّ إِلَهَكَ ، فَلَا تَسُبُّوا آلِهَتَهُمْ " (١) .

فسدّاً للذَّريعة أمر الله تعالى المؤمنين أن لا يسبُّوا آلهة الكفرة والمشركين حتى لا يتسبَّبوا بسبِّ الله تعالى من قِبَلِ المشركين الذين كانوا يسبُّون الله تعالى إذا ما سُبَّت آلهتهم ... فهل من سبَّ الله تعالى مؤمناً بل أشدُّ إيماناً من المؤمنين بالله ، المتوسِّلين إليه بوسيلة محبوبة لديه ؟!!! سبحانك ربِّي هذا بهتانٌ عظيم ...

ونختم الحديث في الكلام عمَّا سمَّوه بتوحيد الرُّبوبيَّة بما قاله الله تعالى على لسان الكفرة والمشركين ، قال سبحانه : **﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي وَيُنْذِرُونكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قالُوا شَهِدْنا عَلى أَنْفُسِنا وَغَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَشَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ﴾** [الأنعام: ١٣٠] ، وبقوله تعالى : **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قالُوا بَلى وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ﴾** [الزمر: ٧١] .

---

(١) انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (٩/ ٤٨٠-٤٨٢) .

فالمشركون شهدوا على أنفسهم أنَّهم كانوا كافرين ، وأنَّهم أنكروا لقاء الله تعالى ، في الوقت الذي يزعم فيه المتمسلفون أنَّ الكفرة أشدّ إيماناً من المتوسِّلين إلى الله تعالى بحبيبه ورسوله ومصطفاه ، وكذا بسائر عباد الله الصَّالحين ، الذين **﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾** [المائدة: ١١٩] ...

بقي أمرٌ أخيرٌ لا بدَّ من الإشارة إليه ، وهو القسم الثَّالث من توحيد ابن تيمية والذي سمَّاه بـ " توحيد الأسماء والصِّفات " ، ومراده من هذا القسم أن يقول : من لا يؤمن بأنَّ لله تعالى : عينٌ ، ووجهٌ ، ويدٌ ، وكفٌّ ، وأصبعٌ ، وساقٌ ، وقدم ... على الحقيقة ، وأنَّه في السَّماء على الحقيقة ، وأنَّه جالس على العرش على الحقيقة ، وأنَّه يتحرَّك ويسكن على الحقيقة ، وأنَّه يتكلَّم بصوت وحرف على الحقيقة ، وأنَّ صوته يُشبه صوتَ الصَّواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعها الإنسان ... فمن لا يؤمن بهذه الأمور وغيرها ... على طريقته ومذهبه فهو كافر خارج من ربقة الدِّين ... وقد استوعبت هذا وغيره في مصنَّف خاص ... أتيت فيه على طامَّاته ومعاطبه المبثوثة في سائر كتبه وكتب من يدَّعون ظلماً وزوراً وعدواناً الانتساب إلى السَّلف ... الذي هو في الحقيقة فترة زمنيَّة مباركة لا مذهباً يُتمذهبُ به ...

وعلى كلِّ حال ... فالمتمسلفة يكفِّرون المتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ، ويرمونهم بالابتداع في الدِّين ، زاعمين أنَّهم لا يوحِّدون الله تعالى توحيد ربوبيَّة ، وفي ذلك يقول دعيُّ العلم " زينو " : " التَّوسُّلُ الممنوع : هو الذي لا أصل له في الدِّين ، وهو أنواع : التوسُّل بالأموات ، وطلب الحاجات منهم والاستعانة بهم ، كما هو واقع اليوم ويسمُّونه توسُّلاً ، وليس كذلك ، لأنَّ التَّوسُّل هو الطَّلب من الله بواسطة مشروعة كالإيمان ، والعمل الصَّالح ، وأسماء الله الحسنى ، ودعاء الأموات إعراض عن الله ، وهو من الشِّرك الأكبر !!! لقوله تعالى **﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** [يونس: ١٠٦] ، الظَّالمين : المشركين .

أمَّا التَّوسُّل بجاه الرَّسول كقولك : " يا ربّ بجاه محمَّد اشفني " ، فهو بدعة ، لأنَّ الصَّحابة لم يفعلوه ، ولأنَّ عمر الخليفة توسَّل بالعبَّاس حيّاً بدعائه ، ولم يتوسَّل بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته عندما طلب نزول المطر ، وحديث : " توسَّلوا بجاهي " لا أصل له ، كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية ، وهذا التَّوسُّل البدعي قد يؤدِّي للشِّرك " (١) .

---

(١) انظر : منهاج الفرقة الناجية (ص٤٦-٤٧) .

وقال المدعو أحمد بن حجر آل بن علي : " فالعلماء إزاء هذه البدع والشِّركيَّات !!! أصناف ثلاثة :

صنفٌ يؤيِّد تلك البدع والخزعبلات ويدعو إليها ، وقد يكتب وينشر في تأييد مذهبه ، جهلاً أو طلباً لمصلحة دنيويَّة .

وصنفٌ يعرف الحقَّ ، وأنَّ ما عليه جمهور النَّاس !!! باطلٌ وضلالٌ ، لكنَّه يساير العامَّة وأشباههم ، خوفاً أو طمعاً .

وصنفٌ ينكرُ ذلك ، ويدعو النَّاس إلى ترك تلك المُحدثات ، ويرشدهم إلى التَّوحيدُ والتَّمسُّك بالسّنَّة المطهَّرة ، وقليل ما هم " .

وقال أيضاً : " عدم ثبوت التَّوسُّل عن النَّبي وأصحابه ، ولذا لم يثبت التَّوسُّل عن الأنبياء بعضهم ببعض ، كما لم يثبت التَّوسُّل عن الصَّحابة بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يثبت عن التَّابعين ، ولا عن الأئمَّة الأربعة ، ولا غيرهم ممَّن يعتدُّ بهم " .

وقال أيضاً : " فهل يستطيع أحد أن يأتي بحرف من القرآن ، أو من السنَّة الصَّحيحة على مشروعيَّة التوسُّل بالأنبياء أو بالصَّالحين !!! فضلاً عن الاستغاثة بأحد منهم على غير الوجه المشروع ؟

وهنا فرق ؛ فإنَّ الاستغاثة بغير الله شركٌ لا ريب فيه . وأمَّا التوسُّل فهو بدعة أدنى من الشِّرك " .

وقال أيضاً : " لو تدبَّر هؤلاء المبتدعون تلك الآيات والأحاديث ، وراجعوا تفاسير الأئمَّة المحقِّقين لتلك الآيات ، وشروح تلك الأحاديث ؟ لعلموا أنَّ توسُّلاتهم بالرَّسول ، أو بالأنبياء والصَّالحين ليس لها أصل في الدِّين ، بل هي بدعة ضلالة ، وأنَّ الاستغاثة والاستعانة بهم من الشِّرك والكفرُ المُبين " (١) .

قلت : ولو نظر الباحث المتمعِّن في الأقوال السَّابقة لوجد فيها اضطراباً عجيباً ...

فقد تضمَّنت : الزَّعم بأنَّ التَّوسُّل لم يقل به الصَّحابة بعد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وأنَّه شركٌ ... وأنَّه بدعةٌ أدنى من الشِّرك ... وقد تؤدِّي إلى الشِّرك ... وأنَّ الجهل غلب على أكثر الخلق حتى عاد الأكثرون إلى دين الجاهليَّة ... وأنَّ ما عليه جمهور النَّاس باطلٌ وضلال ... كما أنَّ التَّوسُّل لم يثبت عن الصَّحابة ، ولا عن التَّابعين ، ولا عن الأئمَّة المتبوعين المعتبرين ... مع أنَّ ما سقته في كتاب : " إتحاف العالمين بمشروعيَّة التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين " أظهر للعيان كذبهم وغُشّهم وتدليسهم ... فإلى الله تعالى المشتكى من شرذمة قليلة أشاحت بوجهها عن نور الحقِّ المبين ، وحكمت على من نزَّه الله عمَّا لا يليق بجلاله العظيم بالابتداع في الدِّين ...

---

(١) انظر : تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) (ص١٠-١١) ، (ص٤٠) ، (ص٤٣) ، (ص٥٢) ، بالترتيب .

فالقوم متخابطون متناقضون مع أنفسهم ومع غيرهم ، ولا أدلَّ على ذلك من قول ابن تيمية : " ... وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ : إنَّ مَنْ قَالَ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ فَقَدْ كَفَرَ ، وَلَا وَجْهَ لِتَكْفِيرِهِ ، فَإِنَّ هَذِهِ مَسْأَلَةٌ خَفِيَّةٌ لَيْسَتْ أَدِلَّتُهَا جَلِيَّةً ظَاهِرَةً وَالْكُفْرُ إنَّمَا يَكُونُ بِإِنْكَارِ مَا عُلِمَ مِنْ الدِّين ضَرُورَةً أَوْ بِإِنْكَارِ الْأَحْكَامِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَالْمُجْمَعِ عَلَيْهَا وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَاخْتِلَافُ النَّاسِ فِيمَا يُشْرَعُ مِنْ الدُّعَاءِ وَمَا لَا يُشْرَعُ كَاخْتِلَافِهِمْ هَلْ تُشْرَعُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ عِنْدَ الذَّبْحِ ؛ وَلَيْسَ هُوَ مِنْ مَسَائِلِ السَّبِّ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ . وَأَمَّا مَنْ قَالَ : إنَّ مَنْ نَفَى التَّوَسُّلَ الَّذِي سَمَّاهُ اسْتِغَاثَةً بِغَيْرِهِ كَفَرَ وَتَكْفِيرُ مَنْ قَالَ بِقَوْلِ الشَّيخ عِزِّ الدِّين وَأَمْثَالِهِ فَأَظْهَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إلَى جَوَابٍ ؛ بَلْ الْمُكَفِّرُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ يَسْتَحِقُّ مِنْ غَلِيظِ الْعُقُوبَةِ وَالتَّعْزِيرِ مَا يَسْتَحِقُّهُ أَمْثَالُهُ مِنْ الْمُفْتَرِينَ عَلَى الدِّين لَا سِيَّمَا مَعَ قَوْلِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ : كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا " (١) .

وقال محمَّد بن عبد الوهَّاب في هذا المعنى : " فكون بعضٍ يرخِّص بالتَّوسُّل بالصَّالحين وبعضهم يخصُّه بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأكثر العلماء ينهي عن ذلك ويكرهه ، فهذه المسألة من مسائل الفقه !!! ولو كان الصَّواب عندنا قول الجمهور إنَّه مكروه ، فلا ننكر على من فعله ، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد ، لكن إنكارنا على من دعا لمخلوق أعظم ممَّا يدعو الله تعالى ، ويقصد القبر يتضرَّع عند ضريح الشَّيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكُرُبات ، وإغاثة اللهفات ، وإعطاء الرَّغبات ، فأين هذا ممَّن يدعو الله مخلصاً له الدِّين لا يدعو مع الله أحداً ، ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيِّك ، أو بالمرسلين ، أو بعبادك الصَّالحين ، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده ، لكن لا يدعو إلَّا الله مخلصاً له الدِّين ، فأين هذا ممَّا نحن فيه ؟ " (٢) .

مع أنَّ ابن عبد الوهَّاب حكم بكفَّر المتوسِّلين ، كما نقلنا عنه في غير ما موضع في كتابنا : " إتحاف العالمين بمشروعيَّة التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين " ...

واعتبر أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب التَّبرُّك والتَّوسُّل بقبور الأنبياء والصَّالحين حرامٌ ونوعٌ من الشِّرك ، وذلك لأنَّه إثبات تأثير شيء لم ينزل الله به سلطاناً ، ولم يكن من عادة السَّلف الصَّالح أن يفعلوا مثل هذا التَّبرُّك ، فيكون من هذه النَّاحية بدعة أيضاً ، وإذا اعتقد المتبرِّك أنَّ لصاحب القبر تأثيراً أو قدرة على دفع الضَّرر أو جلب النَّفع كان ذلك شركاً أكبر إذا دعاه لجلب المنفعة أو دفع المضرَّة " (٣) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٠٦) ، والحديث أخرجه مالك في الموطأ (٥/ ١٤٣٣ برقم ٣٦٠٦) .

(٢) انظر : الفتاوى ، محمَّد بن عبد الوهاب (ص٦٨-٦٩) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ورسائل الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (٢/ ٢٤٩) .

مع أنَّه لا يوجد بين المتوسِّلين من يعتقد أو يثبت البتَّة لغير الله تعالى أيّ تأثير في الأشياء ، لأنَّهم يؤمنون بأنَّ الله تعالى الخالق الرَّازق ، الضَّارُّ النَّافع ، والمتوسِّلون إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ما اتخذوا الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام ولا الأولياء آلهة ، وجعلوهم شركاء الله ، فهم يعتقدون أنَّهم عبيد لله مخلوقون له ، ولا يعتقدون استحقاقهم العبادة ، ولا أنـَّهم يخلقون شيئاً ، ولا أنَّهم يمـلكون نفعاً أو ضرَّاً . وإنَّما قصدوا التَّبرُّك بهم لكونهم أحبَّاء الله المقرَّبين ، الذين اصطفاهم واجتباهم ، وببركتهم يرحم الله عباده ، ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسُّنَّة ... فاعتقاد المسلمين قائم على أنَّ الخالق النَّافع الضَّارُّ هو الله وحده ، ولا يعتقدون استحقاق العـبادة إلا لله وحده ، ولا يعتـقدون التأثير لأحدٍ سواه .، ومع ذلك فقد وصف الشَّيخ ابن باز المستغيثين ، والمتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والأولياء ، بأنَّهم مشركون كفرة لا تجوز مناكحتهم ، ولا دخولهم المسجد الحرام ، ولا معاملتهم معاملة المسلمين ، ولو ادعوا الجهل !!! ولا يلتفت إلى كونهم جُهَّالاً ، بل يجب أن يُعاملوا معاملة الكفار " (١) .

وابن باز هنا يُجري على المؤمن الموحِّد المتوسِّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين أحكام الكافر ، لأنَّه اعتبر التَّوسُّل ارتداد عن دين الله ، ولو ادَّعوا الجهل!!! ، والعياذ بالله ، ولنا على كلامه هذا ثمَّة ملاحظات :

أوَّلاً : لم أَرَ مثل هذا الكلام الشَّنيع عند غير ابن باز وابن عبد الوهَّاب ، وهذا قمَّة الإفراط في تكفير الموحِّدين ، وابن باز هنا متابع ومقلِّدٌ لمحمَّد بن عبد الوهَّاب الذي قال : " فإنَّك إذا عرفت أنَّ الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل " (٢) .

مع أنَّ جمهور العلماء قال بالعذر بالجهل من غير تفريق بين الأصول والفروع ... قال الإمام الذَّهبي : " وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ يُوْسُفَ الهَكَّارِيُّ ، فِي كِتَابِ (عَقِيْدَةِ الشَّافِعِيِّ) لَهُ : أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى الخَلِيْلُ بنُ عَبْدِ اللهِ الحَافِظُ ، أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِمِ بنُ عَلْقَمَةَ الأَبْهَرِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحمن بنُ أَبِي حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا يُوْنُسُ بنُ عَبْدِ الأَعْلَى ، سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الشَّافِعِيَّ يَقُوْلُ - وَقَدْ سُئِلَ عَنْ صِفَاتِ اللهِ – تَعَالَى - وَمَا يُؤمِنُ بِهِ – ، فَقَالَ : للهِ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ ، جَاءَ بِهَا كِتَابُهُ ، وَأَخْبَرَ بِهَا نَبِيُّهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أُمَّتَهُ ، لاَ يَسَعُ أَحَداً قَامَتْ عَلَيْهِ الحُجَّةُ رَدَّهَا ، لأَنَّ القُرْآنَ نَزَلَ بِهَا ، وَصَحَّ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - القَوْلَ بِهَا ، فَإِنْ خَالَفَ ذَلِكَ بَعْدَ

---

(١) انظر : فتاوى في العقيدة ، ابن باز (ص١٣) .

(٢) انظر : كشف الشبهات (ص١١) .

ثُبُوتِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ ، فَهُوَ كَافِرٌ ، فَأَمَّا قَبْلَ ثُبُوْتِ الحُجَّةِ ، فَمَعْذُورٌ بِالجَهْلِ ، لأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لاَ يُدْرَكُ بِالعَقْلِ ، وَلاَ بِالرَّوِيَّةِ وَالفِكْرِ ، وَلاَ نُكَفِّرُ بِالجَهْلِ بِهَا أَحداً ، إِلاَّ بَعْدَ انتهَاءِ الخَبَرِ إِلَيْهِ بِهَا " (١) .

وقال الإمام أبو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري (٢٧٦هـ) في تعليقة على حديث : " قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ ، لِأَهْلِهِ : إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ ، ثمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً لَا يُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ ، فَأَمَرَ اللهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، ثمَّ قَالَ : لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ ، يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ " (٢) .

قال : " وَهَذَا رجل مُؤمن بِاللهِ ، مقرٌّ به ، خَائِفٌ لَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ جَهِلَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ ، فَظَنَّ أَنَّهُ إِذْ أُحرق وذري الرِّيحِ أَنَّهُ يَفُوتُ اللهَ تَعَالَى ، فَغَفَرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ بِمَعْرِفَتِهِ مَا بِنِيَّتِهِ وَبِمَخَافَتِهِ مِنْ عَذَابِهِ جَهْلَهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِنْ صِفَاتِهِ .

وَقَدْ يَغْلَطُ فِي صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى ، قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِالنَّارِ ، بَلْ تُرْجَأُ أُمُورُهُمْ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بهم وبنياتهم " (٣) .

وقال الإمام أبو محمَّد عز الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن الحسن السّلمي الدِّمشقي ، الملقَّب بسلطان العلماء (٦٦٠هـ) : " كَيْفَ نُكَفِّرُ الْعَامِّيَّ بِجَهْلِهِ أَنَّ النُّبُوَّةَ عِبَارَةٌ عَنْ كَوْنِ النَّبِي مُخْبِراً عَنْ اللهِ ، فَلَا تَرْجِعُ النُّبُوَّةُ إِلَى صِفَةٍ وُجُودِيَّةٍ ، بَلْ تَكُونُ عِبَارَةٌ عَنْ نِسْبَةِ تَعَلُّقِ الْخِطَابِ بِهِ ... وَقَدْ رَجَعَ الْأَشْعَرِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ – عِنْدَ مَوْتِهِ عَنْ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ ، لِأَنَّ الجَهْلَ بِالصِّفَاتِ لَيْسَ جَهْلاً بِالْمَوْصُوفَاتِ " (٤) .

ويقول الإمام شمس الدِّين أبي عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " واعلم أنَّ كثيراً من هذه الكبائر ، بل عامَّتها إلا الأقل ، يجهل خلقٌ كثيرٌ من الأمَّة تحريمه ، وما بلغه الزَّجر عنه ولا الوعيد ، فهذا الضَّرب فيه تفصيل ؛ فينبغي للعالم أن لا يستعجل على الجاهل ، بل ينبغي الترفُّق به وتعليمه ممَّا علمه الله ، ولا سيَّما إذا كان قريب العهد بجاهليَّته ، قد نشأ في بلاد الكفر البعيدة ، وأُسر وجلب لأرض الإسلام ، وقد

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/ ٧٩-٨٠) .

(٢) أخرجه مالك في الموطإ (٢/ ٣٣٨ برقم ٨٢٢) ، مسلم (٤/ ٢١٠٩ برقم ٢٧٥٦) ، واللفظ له ، البغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٨٠ برقم ٤١٨٣) .

(٣) انظر : تأويل مختلف الحديث (ص١٨٦) .

(٤) انظر : قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ٢٠٢-٢٠٣) .

يكون الشَّخص الذي اشترى هذا المملوكي الجاهل أميراً تركيَّاً لا علم عنده ولا فهم ، ، فبالجهد إنه ينطق بالشهادتين ، ثمَّ قد يفهم معناها بصعوبة شديدة بعد أيَّام ، ثمَّ قد يصلِّي أو لا يصلِّي ، وقد تبقي الفاتحة مع الطّول إن كان أستاذه فيه دينٌ ما ، أمَّا إذا كان أستاذه جاهلاً مثله ، فلا تجد أحداً يعلِّم هذا المملوكي المسكين شرائع الإسلام ، والمحرَّمات واجتنابها ، والواجبات وإتيانها ، والسَّعيد منهم من يعرف موبقات الكبائر ، والحذر منها ، وأركان الفرائض واعتقدها " (١) .

وبمناسبة النَّقل عن كتاب " الكبائر " للإمام الذَّهبي ، أقول : قام المتمسلفون بحذف وشطب الكبيرة الرَّابعة والسِّتِّين من كتاب " الكبائر " ، وهي بعنوان : أذيَّة أولياء الله ... فليتنبَّه .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " وَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّهُ لَا يُكَفَّرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ ، وَلَا يُكَفَّرُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ مَا يُعْلَمُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ ضَرُورَةً حُكِمَ بِرِدَّتِهِ وَكُفْرِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ أَوْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ وَنَحْوِهِ مِمَّنْ يَخْفَى عَلَيْهِ فَيُعَرَّفُ ذَلِكَ ، فَإِنِ اسْتَمَرَّ حُكِمَ بِكُفْرِهِ " (٢) .

فقوله : " مِمَّنْ يَخْفَى عَلَيْهِ " شاملة لكلِّ من خفي عليه شيء من الدِّين ، سواء كان هذا الذي خفي عليه من أصول الدِّين أو فروعه ، فإنَّه يُعذر بالجهل ...

وقال الإمام محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) : " ... وَأَمَّا جَحْدُ ذَلِكَ جَهْلاً ، أَوْ تَأْوِيلاً يُعْذَرُ فِيهِ صَاحِبُهُ فَلَا يُكَفَّرُ صَاحِبُهُ بِهِ ، كَحَدِيثِ الَّذِي جَحَدَ قُدْرَةَ اللهَّ عَلَيْهِ وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يَحْرِقُوهُ وَيَذْرُوهُ فِي الرِّيحِ ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ غَفَرَ اللهُّ لَهُ ، وَرَحِمَهُ لِجَهْلِهِ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَهُ مَبْلَغَ عِلْمِهِ ، وَلَمْ يَجْحَدْ قُدْرَةَ اللهَّ عَلَى إِعَادَتِهِ عِنَاداً أَوْ تَكْذِيباً " (٣) .

وعلى أيَّة حال ، فإنَّ الشَّيخ ابن باز خالف جمهور الأُمَّة حين حكم بكفر المؤمن الموحِّد المتوسِّل إلى الله تعالى بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بغيره من الأنبياء والأولياء زاعماً أنَّ هذا الصَّنيع شركٌ مُخرجٌ من المِلَّة ، حتى لو كان جاهلاً بالحكم !!! مع أنَّ التَّوسُّل حكمٌ فرعيٌّ لا أُصولي ، لم يذكره العلماء سلفاً وخلفاً إلَّا في فصل زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كتاب الحجّ ، وهو أمرٌ مشروعٌ ، قام على العمل به السَّلف والخلف على حدٍّ

---

(١) انظر : الكبائر (ص٢٨-٢٩) .

(٢) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/ ١٥٠) .

(٣) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٤٨) .

سواء ، ولم يخالف في ذلك إلَّا ابن تيمية ، ثمَّ تبنَّى هذا الأمر ابن عبد الوهَّاب ، فكفَّر كسابقه عموم الأُمَّة ، واستحلَّ دمائهم وأموالهم وعاملهم معاملة الكفَّار ، والعياذ بالله تعالى ...

ثانياً : أنَّ ابن باز بعد أن حكم بكفر المتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين طالب ودعا إلى عدم معاملتهم معاملة المسلمين ، بل أوجب أن تطبَّق عليهم جميع أحكام الكفرة ، مثل : عدم تمكينهم من دخول الحرم المكِّي ، وبُغضهم ، ومُعاداتهم ، وعدم موالاتهم ، وإذا ماتوا لا يتولَّى المؤمنون جنازاتهم ، ولا يُدفنون في مقابر المسلمين ، وأنَّهم لا يزوَّجوا من المسلمات ، ولا يرثوا المسلمين ، والمسلمون لا يرثوهم ، وأنَّهم لا يمكَّنوا من الإستقرار والتملُّك في جزيرة العرب ، وكذا لا يمكَّنوا من إظهار شعائرهم وعباداتهم ... كبرت كلمة ...

وقال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي النَّجدي (١٢٠٦هـ) : " فإنَّ أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرُّسل ، يصدُّون بها النَّاس عنه ، منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنَّه لا يخلق ولا يرزق ، ولا ينفع ولا يضرُّ إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأَنَّ محمَّداً – عليه السَّلام – لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ، فضلاً عن عبد القادر أو غيره ، ولكن أنا مذنب ، والصَّالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله ، فجاوبه بما تقدَّم وهو : إنَّ الذين قاتلهم رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مقرُّون بما ذكرت !!! ومقرُّون أنَّ أوثانهم لا تدبِّر شيئاً ، وإنَّما أرادوا الجاه والشَّفاعة ... " (١) .

وكلام ابن عبد الوهَّاب اشتمل على أُمور عدَّة ، منها :

١ .وصف المؤمنين الموحِّدين المتوسِّلين إلى الله تعالى بطلب حصول منفعة أو دفع مضرَّة منه سبحانه إكراماً لقدر وشرف ومنزلة الأنبياء والصَّالحين ، بأنَّهم أعداء الله تعالى !!! ...

٢ . أنَّ التوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين وما انطوى عليه من أدلَّة سبيل لصدِّ النَّاس عن دين الله تعالى ...

٣. أنَّ ابن عبد الوهَّاب يعلم حقيقةً أنَّ المتوسِّلين إلى الله تعالى مؤمنين إيماناً مطلقاً بأنَّ الله تعالى هو الخالق ، الرَّازق ، وأنه وحده سبحانه النَّافع الضَّارُّ ، وأنَّ محمَّداً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ، فضلاً عن عبد القادر أو غيره من الصَّالحين ، وأنَّهم يقرُّون بذنوبهم ، وأنَّ الصَّالحين لهم جاه عند الله ، وأنَّهم يسألون الله تعالى بوسيلة محبوبة مرضيَّة عنده ، ألا وهي مكانة ومنزلة وشرف الأنبياء والصَّالحين عند الله تعالى ، ومع ذلك أبى ابن عبد الوهَّاب إلَّا أن يشبِّههم بعبدة الأصنام ، الذين زعم وافترى أنَّهم مقرُّون بما تقدَّم من

---

(١)انظر : كشف الشبهات (ص١٧-١٨) .

كونه تعالى الخالق الرَّازق ، وأنَّهم يعتقدون بأنَّ أصنامهم لا تدبِّر شيئاً ، وإنَّما أرادوا الجاه ، والشَّفاعة ، ولذلك قاتلهم رسول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وبهذا اللفِّ والدوران والمراوغة استطاع ابن عبد الوهَّاب إقناع من معه من الأعراب الهمج الرِّعاع الأجلاف الجهَّال الغِلاظ ، فثاروا على بلاد المسلمين ، فقتلوا عشرات الآلاف من المؤمنين بدعوى الشِّرك والوثنيَّة ، ونهبوا أموالهم ، وسَبَوا نسائهم ...

وقال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب أيضاً : " ... فإذا تحقَّقت أنَّهم مقرُّون بهذا ، ولم يدخلهم في التَّوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وتحقَّقت أنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قاتلهم ليكون الدُّعاء كلّه لله ، والنّذر كلّه لله ، والاستغاثة كلّها بالله ، وجميع أنواع العبادات كلّها لله . وعرفت أنَّ إقرارهم بتوحيد الرُّبوبيَّة لم يدخلهم في الإسلام ، وأنَّ قصدهم الملائكة ، والأنبياء ، والأولياء ، يريدون شفاعتهم ، والتقرُّب إلى الله بذلك ، هو الذي أحلَّ دماءهم وأموالهم . عرفت حينئذ التَّوحيد الذي دعت إليه الرُّسل وأبى عن الإقرار به المشركون " (١) .

وكلام ابن عبد الوهَّاب هذا تضمَّن عدَّة أُمور ، منها :

(١) اعترافه بأنَّ الموحِّدين المؤمنين المتوسِّلين إلى الله تعالى بمنزلة ومكانة وشرف الأنبياء والصَّالحين ، والمقرِّين بأنَّه لا خالق ولا رازق ، ولا نافع ولا ضارّ إلَّا الله تعالى ، وأنَّ المتوسَّل به إلى الله تعالى ما هو إلَّا وسيلة محبوبة عند الله تعالى ، ومع ذلك لم يعترف ابن عبد الوهَّاب بدخوله في صفِّ المؤمنين بالتَّوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وبسبب عدم دخولهم في التَّوحيد الذي لا يرتضي غيره ابن عبد الوهَّاب ، كان قتال الرَّسول إيَّاهم ، ولذلك فابن عبد الوهَّاب يزعم أنَّه لا يقاتل مخالفيه إلَّا لأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلهم ليكون الدُّعاء كلُّه لله ، والنَّذر كلُّه لله ، والاستغاثة كلُّها بالله ، وجميع أنواع العبادات كلُّها لله ...

(٢) وزعم ابن عبد الوهَّاب أنَّ قصد المتوسِّلين بتوسُّلهم الملائكة ، والأنبياء ، والأولياء ، إرادة لشفاعتهم ، والتقرُّب إلى الله بذلك ، هو الذي أحلَّ دماءهم وأموالهم ...

وتحت ستار وغطاء المحافظة على صفاء التَّوحيد ، كان ابن عبد الوهَّاب يخطب في النَّاس بكفر المتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ، فقد قال مفتي الشَّافعيَّة ورئيس المدرِّسين في مكَّة أيَّام السُّلطان عبد الحميد ، الشَّيخ العلَّامة أحمد زيني دحلان في حديثه عن محمَّد بن عبد الوهَّاب : " كان محمَّد بن عبد الوهَّاب الذي ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة في مسجد " الدِّرعيَّة " ، ويقول في كلِّ خطبة : ومن توسَّل بالنَّبي فقد كفر ... وكان

---

(١) انظر : كشف الشبهات (ص٦-٧) .

- محمَّد بن عبد الوهَّاب -ـ ينهى عن الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، ويتأذَّى من سماعها ، وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة ، وعن الجهر بها على المنائر ، ويؤذي من يفعل ذلك ، ويعاقبه أشدَّ العقاب ، حتى أنَّه قتل رجلاً أعمى كان مؤذِّناً صالحاً ذا صوت حسن ، نهاه عن الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنارة فلم ينته ، وأتى بالصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمر بقتله فقتل ، ثمَّ قال : إنَّ الرَّبابة في بيت الخاطئة يعني الزَّانية أقلّ إثماً ممَّن يُنادي بالصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنائر ، ويلبِّس على أصحابه بأنَّ ذلك كلِّه محافظة على التَّوحيد ، فما أفظع قوله وما أشنع فعله . وأحرق " دلائل الخيرات " وغيرها من كتب الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويتستَّر بقوله : إنَّ ذلك بدعة ، وأنَّه يريد المحافظة على التَّوحيد . وكان يمنع أتباعه من مطالعة كتب الفقه ، والتَّفسير ، والحديث ، وأحرق كثيراً منها ، وأذن لكلِّ من تبعه أن يفسِّر القرآن بحسب فهمه ، حتى الهمج الرِّعاع الأجلاف الأعراب من أتباعه ، فكان كلُّ واحد منهم يفعل ذلك ، وإن كان لا يحفظ شيئاً من القرآن ، فيقول الذي لا يقرأ لآخر يقرأ : أقرأ عليَّ حتى أفسِّر لك ، فإذا قرأ عليه فسَّره له برأيه ، وأمرهم أن يعملُوا ويحكُموا بما يفهمونه ، وجعل ذلك مقدَّماً على كتب العلم ونصوص العلماء ، وكان يقول في كثير من الأقوال : الأئمَّة الأربعة ليست بشيء .... وكان ينتقص النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً بعبارات مختلفة ، ويزعم أنَّ قصده المحافظة على التَّوحيد ، فمنها : أن يقول : إنَّه طارش ، وهو في لغة أهل المشرق بمعنى الشَّخص المرسل من قوم إلى آخرين ، فمراده أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حامل كتب ، أي : غاية أمره أنَّه كالطَّارش الذي يرسله الأمير أو غيره في أمر النَّاس ليبلغهم إيَّاه ثمَّ ينصرف . ومنها : أنَّه كان يقول : نظرت في قصَّة الحديبية فوجدت بها كذا كذا ، إلى غير ذلك ممَّا يشبه هذا ، حتَّى أنَّ أتباعه كانوا يفعلون مثل ذلك أيضاً ، ويقولون مثل قوله بل أقبح ممَّا يقول ، ويُخبرونه بذلك فيُظهر الرِّضا ، وربَّما أنَّهم قالوا ذلك بحضرته فيرضى به ، حتى إنَّ بعض أتباعه كان يقول : عصاي هذه خير من محمَّد ، لأنَّها ينتفع بها في قتل الحيَّة ونحوها ، ومحمَّد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً ، وإنَّما هو طارش !! " (١) .

والطَّارش بلهجة أهل الجزيرة العربيَّة هو الضَّيف ، وهو المرسول الذي يأتي لهم من ديار أو من يحمل خبر أو رسالة ...

ونختم الحديث عن التَّوسُّل بذكر بعض الأدلَّة التي استدلَّ بها جمهور أهل العلم على جواز التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ، فأقول :

---

(١) انظر : الدرر السنية في الردِّ على الوهابية (ص٤٢-٤٤ ببعض الاختصار) .

لقد دلَّت على جواز التَّوسُّل آيات الكتاب العزيز ، وكذا أحاديث النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومن تلكـــــم الأدلَّة :

أَوَّلاً : أَدِلَّةُ القُرْآنِ العَظِيْم :

الدَّلِيْلُ الأَوَّل : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكافِرِينَ﴾ [البقرة : ٨٩] .

فقد ذكر أهل العلم أنَّ اليهود كانوا قبل بعثة سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستنصرون به على مشركي العرب ، وكانوا يقولون لهم : هذا زمان خروج نبي آخر الزَّمان الذي نَجِدُ صفته في التَّوراة ، وسنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم ، وكان اليهود يُهزمون في حربهم مع قبيلة غطفان العربيَّة ، فقالوا : اللهمَّ إنَّا نسألك بحقِّ النَّبي الأُمِّيِّ الذي وعدتنا أن تُخرجه لنا فِي آخر الزَّمان إلَّا نصرتنا عليهم ، فهزموا غطفان ... فلمَّا بُعث النَّبي من العرب تنكَّروا له ، وكفروا به ، وعادوه ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، وحسدوه ...

قال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) : " يعني بقوله جلَّ ثناؤه : **﴿وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** ، أي : وكان هؤلاء اليهود الذين لَمَّا جاءهم كتاب من عند الله مصدِّقٌ لما معهم من الكتب التي أنزلها الله قبل الفرقان ، كفروا به - يستفتحون بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ومعنى " الاستفتاح " : الاستنصار ، يستنصرون الله به على مشركي العرب من قبل مبعثه ، أي : من قبل أن يبعث ، كما حدَّثني ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة قال : حدَّثني ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، عن أشياخٍ منهم ، قالوا : فينا والله وفيهم - يعني في الأنصار ، وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصَّة ، يعني: **﴿وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾** ، قالوا : كنَّا قد علوناهم دهراً في الجاهليَّة ، ونحن أهل الشِّرك ، وهم أهل الكتاب ، فكانوا يقولون : إنَّ نبيَّاً الآن مبعثه قد أظلَّ زمانه ، يقتلكم قتل عاد وإرم . فلمَّا بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتَّبعناه ، كفروا به . يقول الله : **﴿فَلَمَّا جاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾** .

وحدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني ابن إسحاق ، قال : حدَّثني محمَّد بن أبي محمَّد مولى آل زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة مولى ابن عبَّاس ، عن ابن عبَّاس : أنَّ يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل مبعثه . فلمَّا بعثه الله من العرب ، كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة : يا معشر يهود ، اتَّقوا الله

وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنَّه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته ! فقال سَلام بن مِشْكَم أخو بني النَّضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالَّذي كنَّا نذكر لكم ! فأنزل الله جلَّ ثناؤه في ذلك من قوله : **﴿وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكافِرِينَ﴾** [البقرة: ٨٩] .

وحدَّثنا أبو كريب ، قال : حدَّثنا يونس بن بكير ، قال : حدَّثنا ابن إسحاق ، قال : حدَّثني محمَّد بن أبي محمَّد مولى آل زيد بن ثابت ، قال : حدَّثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عبَّاس مثله .

وحدَّثني محمَّد بن سعد ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني أبي عن أبيه ، عن ابن عبَّاس : **﴿وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** ، يقول : يستنصرون بخروج محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مشركي العرب – يعني بذلك أهل الكتاب – فلمَّا بعث الله محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورأوه من غيرهم ، كفروا به وحسدوه .

وحدَّثنا محمَّد بن عمرو قال: حدَّثنا أبو عاصم ، قال : حدَّثني عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن علي الأزدي في قول الله : **﴿وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** ، قال : اليهود ، كانوا يقولون : اللهمَّ ابعث لنا هذا النَّبي يحكم بيننا وبين النَّاس ، يستفتحون – يستنصرون – به على النَّاس .

وحدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفة ، قال : حدَّثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن علي الأزدي – وهو البارقي – في قول الله جلَّ ثناؤه : **﴿وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾** ، فذكر مثله .

وحدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : حدَّثنا يزيد ، قال : حدَّثنا سعيد ، عن قتادة قوله : **﴿وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا﴾** : ، كانت اليهود تستفتح بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كفَّار العرب من قبل ، وقالوا : اللهمَّ ابعث هذا النَّبي الذي نجده في التَّوراة يعذِّبهم ويقتلهم ! فلمَّا بعث الله محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرأوا أنَّه بعث من غيرهم ، كفروا به حسداً للعرب ، وهم يعلمون أنَّه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يجدونه مكتوباً عندهم في التَّوراة : **﴿فَلَمَّا جاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾** ... " (١) .

وقال الإمام إبراهيم بن السَّري بن سهل ، أبو إسحاق الزجَّاج (٣١١هـ) في معنى الآية : " ... فيه قولان : ... وقيل : وكانوا يستفتحون على الذين كفروا : يَسْتَنْصرون بذكر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **﴿فَلَمَّا جاءَهُمْ مَا**

(١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢/ ٣٣٢ – ٣٣٥) .

عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ ، أي : ما كانوا يستنصرون وبصحَّته يخبرون ، ، **﴿كَفَرُوا﴾** وهم يوقنون أنَّهم معْتَمِدُون للشِّقاق عداوة لله " (١) .

وقال الإمام أبو محمَّد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثمَّ الأندلسي القرطبي المالكي (٤٣٧هـ) : " قال ابن عبَّاس : " كانت العرب في الجاهليَّة يمرُّون على اليهود فيؤذونهم ، واليهود يجدون صفة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التَّوراة ، فيسألون الله أن يعجِّل ببعثه فينصروا به على العرب لِما وصل إليهم من أذى العرب . فلمَّا جاءهم محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قد عرفوه وسألوا الله في بعثه **﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾** .
وقال مجاهد : كانوا يقولون : " اللهمَّ ابعث لنا هذا النَّبي يفصل بيننا وبين النَّاس ، فلمَّا بُعث كفروا به " .

وقيل : إنَّهم كانوا يرغبون إلى الله في النَّصر عند حروبهم بمحمَّد عليه السَّلام ، ويستشفعون به فينصرون ، فلمَّا جاءهم بنفسه كفروا به حسداً وبغياً ، وهم يعلمون أنَّه رسول . وبمثل هذا القول ، قال : السدِّي ، وعطاء ، وأبو العالية " (٢) .

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (٣٦٠هـ) : " أَنْبَأَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الْجَوْزِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ ، قَال : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هَارُونَ بْنِ عَنْتَرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : " كَانَتْ يَهُودُ خَيْبَرَ تُقَاتِلُ غَطَفَانَ ، فَكُلَّمَا الْتَقَوْا هُزِمَتِ الْيَهُودُ فَعَادَ الْيَهُودُ يَوْماً فِي الدُّنْيَا ، فَقَالُوا : اللَّهُمَّ نَسْأَلُكَ بِحَقِّ محمَّد النَّبي الْأُمِّيِّ ، الَّذِي وَعَدْتَنَا أَنَّكَ تُخْرِجُهُ لَنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِلَّا نَصَرْتَنَا عَلَيْهِمْ ، قَالَ : فَكَانُوا إِذَا الْتَقَوْا دَعَوْا بِهَذَا الدُّعَاءِ ، فَهَزَمُوا غَطَفَانَ ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَفَرُوا بِهِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : **﴿وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكافِرِينَ﴾** [البقرة : ٨٩] (٣) .
وقال الإمام أبو المظفَّر ، منصور بن محمَّد بن عبد الجبَّار ابن أحمد المروزى السَّمعاني التَّميمي الحنفي ثمَّ الشَّافعي (٤٨٩هـ) : **﴿وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** ، يستنصرون ؛ وَمِنْه قَول الشَّاعِر :

أَلا أبلغ بني عصم رَسُولاً فَإِنِّي عَن قباحتكم غني

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٧١) .

(٢) انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (١/ ٣٤٦).

(٣) أخرجه الآجُرِّيُّ في الشريعة (٣/ ١٤٥٢ برقم ٩٧٨) .

أَي : عَن نصرتكم . وَفِي الْخَبَر : " أَنَّ النَّبي كَانَ يستفتح بصعاليك الْمُهَاجِرين "(١) ، أَي : يستنصر بهم فِي الدُّعَاء للغزوات .

وَمعنى الْآيَة : أَنَّ الْمُشْركين من قبل كَانُوا يُؤْذونَ الْيَهُود ، فَرُبمَا تكون الْغَلَبَة لَهُم على الْيَهُود فِي الْقِتَال ؛ فَقَالَت الْيَهُود – : اللَّهُمَّ انصرنا بِالنَّبِي الْأُمِّي الَّذِي تبعثه فِي آخر الزَّمَان ، فَكَانُوا ينْصرُونَ بِهِ ، فَلَمَّا بُعث كفرُوا بِهِ " (٢) .

وقال الإمام أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالرَّاغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) : " الاستفتاح : طلب الفتح ، والفتح ضربان ، فتح إلهي ، وهو النُّصرة بالوصول إلى العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثَّواب والمقامات المحمودة ، وفتح دنيوي ، وهو النُّصرة في الوصول إلى اللذَّات البدنيَّة ، وعلى الأوَّل قوله : **﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾** [الفتح: ١] ، وقوله : **﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ﴾** [المائدة: ٥٢] ، وعلى الثَّاني قوله : **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾** [الأنعام: ٤٤] ، وقوله : **﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾** [البقرة: ٨٩] ، قيل : معناه : يستعملون خبره من النَّاس مرة ، وقيل يطلبون من الله بذكره الظفر ، وقيل : كانوا يقولون : إنَّا ننصر لمحمَّد عليه السَّلام على عبدة الأوثان ، وكل ذلك داخل في عموم الاستفتاء ، فبيَّن الله تعالى من جهلهم أنَّهم كانوا ينتظرونه ، وكانوا يعرفون وصفه ... " (٣) .

وقال الإمام بو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " قال ابن عبَّاس : كانت اليهود قبل أن يُبعث النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قاتلوا قوماً ، قالوا : نسألك بالنَّبي الذي وعدتنا أن ترسله ، وبالكتاب الذي تنزله إلا ما نصرتنا . فكانوا يُنصرون ، فلمَّا جاء النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ولد إسماعيل عليه السَّلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إيَّاه ، فقال تعالى : **﴿وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكافِرِينَ * بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللهُ بَغْياً﴾** [البقرة:٨٩-٩٠] ، أي : حسداً ... " (٤) .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٩٢ برقم ٨٥٧) ، البغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٦٤ برقم ٤٠٦٢) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ٣٣٧ برقم ١٥٠٧) .

(٢) انظر : تفسير القرآن ، أبو المظفر السمعاني (١/ ١٠٨) .

(٣) انظر : تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٢٥٧-٢٥٨) .

(٤) انظر : إحياء علوم الدِّين (٣/ ١٩٠) ، وانظر : بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (٢/ ٢٥٤) .

وقال الإمام محيي السُّنَّة ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمَّد بن الفرَّاء البغوي الشَّافعي (٥١٠هـ) : **﴿وَكانُوا﴾** ، يعني : اليهود **﴿مِنْ قَبْلُ﴾** ، أَيْ : مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾** ،: يَسْتَنْصِرُونَ ، **﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ ، وَذَلِكَ أَنَّهم كانوا يقولون إذا أحزنهم أَمرٌ أو دهمهم عَدُوٌّ : اللَّهُمَّ انْصُرْنَا عَلَيْهِمْ بِالنَّبِي الْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ الَّذِي نَجِدُ صِفَتَهُ فِي التَّوْرَاةِ ، فَكَانُوا يُنْصَرُونَ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ لِأَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ : قَدْ أَظَلَّ زَمَانُ نَبِيٍّ يَخْرُجُ بِتَصْدِيقِ مَا قُلْنَا فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَثَمُودَ وَإِرَمَ ... " (١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " قوله تعالى : **﴿وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾** ، يعني : القرآن ، و **﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾** : يستنصرون . وكانت اليهود إذا قاتلت المشركين استنصروا باسم نبيّ الله محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٢) .

الدَّلِيْلُ الثَّاني : قوله تعالى : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]

وفي تفسيرهم للآية الكريمة ذكر أهل العلم أنَّ التَّابوت كان فيه بعض آثار أنبياء بني إسرائيل ، وكانوا يأخذونه معهم في حروبهم يستنصرون به على عدِّوهم ، وكان بالنِّسبة لهم مصدر سكينة وطمأنينة ووقار ، به تأنس نفوسهم ، وتسكن إليه قلوبهم ، فلا يهربوا ولا يفرِّوا أمام عدِّوهم . ولَمَّا انحرفوا عن الجادَّة وعصوا الرُّسل سلَّط الله عليهم من ينتزعه منهم ، فذلُّوا وهانوا ...

ففي تفسير الآية الكريمة قال الإمام إبراهيم بن السّري بن سهل ، أبو إسحاق الزجَّاج (٣١١هـ) : " والفائدة – كانت – في هذا التَّابوت أنَّ الأنبياءَ – صلوات اللهَّ عليهم – كانت تستفتح به في الحروب ، فكان

---

(١) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (١/ ١٤١-١٤٢) .

(٢) انظر : زاد المسير في علم التفسير (١/ ٨٧) ، وللاستزادة في دلالة الآية على التوسُّل انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٣/ ٥٩٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٦-٢٧) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، (١/ ٢٧٨-٢٧٩) ، انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١/ ١٧١) ، بحر العلوم (١/ ٩٩) ، تفسير القرآن العزيز (١/ ١٥٨) ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) (١/ ١٥٨) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٩٣) ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٨٢) ، البحر المحيط في التفسير (١/ ٤٨٧) ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١/ ٧٦) ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ١٣٢) .

التَّابوت يكون بين أيديهم ، فإذا سُمِعَ من جوفه أنين دفّ التَّابوت ، أي : سار والجميع خلفه – واللهَّ أعلم بحقيقة ذلك " (١) .

وقال الإمام البغوي (٥١٠هـ) : " ... وَقَالَ قَتَادَةُ وَالْكَلْبِيُّ : السَّكِينَةُ فَعِيلَةٌ مِنَ السُّكُونِ ، أَيْ : طُمَأْنِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَفِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ التَّابُوتُ اطْمَأَنُّوا إِلَيْهِ وَسَكَنُوا . **﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾** [البقرة: ٢٤٨] ، يَعْنِي مُوسَى وَهَارُونَ أَنْفُسَهُمَا كَانَ فِيهِ لَوْحَانِ مِنَ التَّوْرَاةِ ، وَرُضَاضِ الْأَلْوَاحِ الَّتِي تَكَسَّرَتْ ، وَكَانَ فِيهِ عَصَا مُوسَى ، وَنَعْلَاهُ ، وَعِمَامَةُ هَارُونَ ، وَعَصَاهُ ، وَقَفِيزٌ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَكَانَ التَّابُوتُ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانُوا إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ تَكَلَّمَ وَحَكَمَ بَيْنَهُمْ ، وَإِذَا حَضَرُوا الْقِتَالَ قَدَّمُوهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَيَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَى عَدُوِّهِمْ " (٢) .

وقال الإمام ابن الجوزي (٥٩٧هـ) : " كان التَّابوت من عود الشمشار عليه صفائح الذَّهب ، وكان يكون مع الأنبياء إذا حضروا قتالاً ، قدَّموه بين أيديهم يستنصرون به ، وفيه السَّكينة . وقال وهب بن منبِّه : كان نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين . قال مقاتل : فلما تفرَّقت بنو إسرائيل ، وعصوا الأنبياء ، سلَّط الله عليهم عدوَّهم ، فغلبوهم عليه " (٣) .

الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] ، والآية دالَّة على العموم ، بمعنى أنَّ الاستغفار من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمَّته ثابت في حياته ، وكذا بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ، ومن أراد تخصيصها بحياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد خالف ما عليه أهل الحقِّ ، لأنَّ الفعل في سياق الشَّرط يفيد العموم ، وأعلى صيغ العموم ما وقع في سياق الشَّرط ، كما نصَّ على ذلك غير واحد من أهل العلم (٤) .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٢٩) .

(٢) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (١/ ٣٣٤) .

(٣) انظر : زاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٢٤) ، وللاستزادة في دلالة الآية على التوسُّل انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٤٨-٢٤٩) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/ ٤٨٨-٤٩١ باختصار) ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ٢٧٥) ، فتح القدير (١/ ٣٠٣-٣٠٤) ، تفسير عبد الرزاق (٢/ ١٧) ، (٢/ ٣٠١) .

(٤) انظر : إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (ص١٢٢) ، البحر المحيط في أصول الفقه (٤/ ١٦٠) .

قال الإمام عبد الله الغماري (١٤١٣هـ) في كلامة عن الآية السَّابقة : " فهذه الآية وإن نزلت بسبب المنافقين المتحاكمين إلى الطَّاغوت ، فهي عامَّةٌ تشمل كلَّ عاصٍ ومقصِّر ، لأنَّ ظلم النَّفس المذكور فيها يشملُ كلَّ معصية ، ثمَّ إنَّها أعني الآية تدلُّ على الاستشفاع بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم في حالتي حياته ووفاته ، لأنَّ كلاً من المجيء والاستغفار وقع في سياق الشَّرط ، والفعل في سياق الشَّرط يدلُّ على العموم ، والاستشفاع في حال الحياة ظاهر ليس فيه خلاف .

وأمَّا في حال الوفاة ، فالمتمسلفون يمنعونه متوهِّمين أنَّ الموت يحولُ دون تحقُّقه ، وهو غلط ظاهر ، لأنَّ الأنبياء أحياء في قبورهم يُرزقون ، بدليل الكتاب والسُّنَّة والإجماع " [١] .

قال الإمام عبد الله الغُماري (١٤١٣هـ) أيضاً : " فهذه الآية عامَّة تشمل حالة الحياة وحالة الوفاة ، وتخصيصها بأحدهما يحتاج إلى الدَّليل ، وهو مفقودٌ هنا ، فإن قيل : من أين أتى العموم للآية حتى يكون تخصيصها بحالة الحياة دعوى تحتاج إلى دليل ؟ قلنا : من وقوع الفعل في سياق الشَّرط ، والقاعدة المقرَّرة في الأصول : أنَّ الفعل إذا وقع في سياق الشَّرط كان عاماً ، لأنَّ الفعل في معنى النَّكرة لتضمُّنه مصدراً منكراً ، والنَّكرة الواقعة في سياق النَّفي أو الشَّرط تكون للعموم وضعاً " [٢] .

وهذا ما فهمه كثيرٌ من المفسِّرين وغيرُهم من أهل العلم ، فقد ذكروا قصَّة العتبي عند تفسيرهم للآية الكريمة ، وكذا ذكروها عند الدُّعاء أثناء زيارة القبر الشَّريف ...

قال الإمام ابن عبد ربّه الأندلسي (٣٢٨هـ) : " وقف أعرابيٌ على قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : قلت فقبلنا ، وأمرت فحفظنا ، وبلّغت عن ربِّك فسمعنا : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وقد ظلمنـــــا أنفسنا وجئناك فاستغفر لنا . فما بقيت عينٌ إلَّا ســـالت ... " [٣] .

وروى الإمام الطَّبراني (٣٦٠هـ) ، قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْنُ عَلِيٍّ الصَّائِغُ ، ثنا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، ثنا سُفْيَانُ ، عَنْ مِسْعَرٍ ، عَنْ مَعْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمن ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ الله : " إِنَّ فِي النِّسَاءِ لَخَمْسُ آيَاتٍ مَا يَسُرُّنِي بِهِنَّ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ إِذَا مَرُّوا بِهَا يَعْرِفُونَهَا **﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**

[١] انظر : إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء (ص١٣) .

[٢] انظر : الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين (ص٤٥-٤٦) .

[٣] انظر : العقد الفريد (٣/ ١٩٤) .

وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] ، وَقَوْلُهُ : **﴿إِنَّ اللهَّ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾** [النساء: ٤٠] ، **﴿وَ إِنَّ اللهَّ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً﴾** [النساء: ٤٨] ، **﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللهَّ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَّ يَجِدِ اللهَّ غَفُوراً رَحِيماً﴾** [النساء: ١١٠] (١) .

ففرح عبد الله بن مسعود بهذه الآية واضح وظاهر في أنَّه رآها عامَّة في كلِّ زمان ومكان ، بدليل ضمِّها لغيرها من الآيات التي يفهم الإنسانُ العادي منها أنَّها عامَّة لا تخصُّ زماناً دون زمان ، ولا مكاناً دون مكان ... وقد قال الله تعالى : **﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ﴾** [النساء: ١٠٠] ، " وَالْهِجْرَةُ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ الْوُصُولُ إِلَى حَضْرَتِهِ ، كَذَلِكَ الْوُصُولُ بَعْدَ مَوْتِهِ " (٢) .

قال الإمام أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق (٤٢٧هـ) : " روى الصَّادق عن علي (عليهما السَّلام) ، قال : قدم علينا امرؤ عندما دفنَّا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام ، وحثا على رأسه من ترابه ، وقال : يا رسول الله ، قلت فسمعنا قولك ، ووعيت من الله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله عليك : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] . فقد ظلمت نفسي ، فجئتك لتستغفر لي ، فنودي من القبر أنَّه قد غفر لك " (٣) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشَّهير بالماوردي (٤٥٠هـ) : " فَأَمَّا زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَمَأْمُورٌ بِهَا وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهَا ، رَوَى عُبَيْدُ اللهَّ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ : مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي " (٤) .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢٢٠ برقم ٩٠٦٩) ، سعيد بن منصور في التفسير (٤/ ١٢٩٧ برقم ٦٥٩) ، البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٧٥ برقم ٢٢٠٢) .

(٢) انظر : نيل الأوطار (٥/ ١١٣) .

(٣) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣/ ٣٣٩) .

(٤) قال الأستاذ المحقِّق المدقِّق محمود سعيد ممدوح : " أخرجه الدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٨) ، والدولابي في الكنى والأسماء (٢/ ٦٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٩٠) ، والخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم (١/ ٥٨١) ، وابن الدبيثي في الذيل على التاريخ (٢/ ١٧٠) ، وابن النجار في تاريخ المدينة (ص١٤٢) ، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٧٠) ، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٣٥٠) ، والسبكي في شفاء السقام (ص٢-١٤) .

وَحُكِيَ عَنِ الْعُتْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ قَبْرِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فَأَتَى أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ وَجَدْتُ اللهَّ تَعَالَى يَقُولُ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ تَائِباً مِنْ ذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلَى رَبِّي ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُــهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُـودُ وَالْكَرَمُ

قَالَ الْعُتْبِيُّ : فَغَفَوْتُ غَفْوَةً ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ : يَا عُتْبِيُّ الْحَقِ الْأَعْرَابِيَّ ، وَأَخْبِرْهُ بِأَنَّ الله تعالى قد غفر له " (١) .

وقال الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الله الْحَافِظُ ، أَخْبَرَنِي أَبُو محمَّد بْنُ زِيَادٍ ، حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ إِسْحَاقَ الثَّقَفِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ الْقُرَشِيَّ ، يَقُولُ : كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ بِالْمَدِينَةِ إِذَا رَأَى مُنْكَراً لا يُمْكِنُهُ أَنْ يُغَيِّرَهُ أَتَى الْقَبْرَ ، فَقَالَ :

أَيَا قَبْرَ النَّبي وَصَاحِبَيْهِ أَلَا يَا غَوْثَنَا لَوْ تَعْلَمُونَا

وقال : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الرُّوذْبَارِيُّ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ محمَّد بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَقِيَّةَ، إِمْلَاءً ، حَدَّثَنَا شُكْرٌ الْهَرَوِيُّ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ ، عَنْ محمَّد بْنِ رَوْحِ بْنِ يَزِيدَ الْبَصْرِيِّ ، حَدَّثَنِي أَبُو حَرْبٍ الْهِلَالِيُّ ، قَالَ : حَجَّ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا جَاءَ إِلَى بَابِ مَسْجِدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَعَقَلَهَا ثمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ حَتَّى أَتَى الْقَبْرَ وَوَقَفَ بِحِذَاءِ وَجْهِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله جِئْتُكَ مُثْقَلاً بالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا مُسْتَشْفِعاً بِكَ عَلَى رَبِّكَ ، لِأَنَّهُ قَالَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مُثْقَلاً بالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا ، أَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى رَبِّكَ أَنْ يَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي ، وَأَنْ تَشْفَعَ فِيَّ ، ثمَّ أَقْبَلَ فِي عَرْضِ النَّاسِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

جميعهم من طرق عن موسى بن هلال العبدي ، عن عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عمر كلاهما عن نافع عن ابن عمر به مرفوعاً . وهذا الإسناد حسن سواء قال موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر أو عن أخيه عبد الله بن عمر أو عنهما . وقد صحَّحه عبد الحق الإشبيلي ، وصحَّحه أو حسنه السبكي في شفاء السقام ، والسيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ، وآخرون ممن تأخروا عنه . وقد أعلَّ هذا الحديث بعلل لا يصح منها شيء " انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة ، (ص٢٨٠ فما بعدها) .

(١) انظر : الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني (٤/ ٢١٤-٢١٥) .

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي التُّرْبِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِ الْأَبْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْس الْفِدَاءُ بقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُـــــهُ فِيهِ الْعَفَـــافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ(١)

وقال الإمام نصر بن إبراهيم أبو الفتح الشَّافعي (٤٩٠هـ) : " وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ السُّلَمِيُّ ، أنبا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحمن الإِمَامُ ، ثنا أبو محمَّد الْوَرْدُ ، ثنا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، ثنا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ ، يَقُولُ : كُنْتُ حَاجًّا فِي بَعْضِ السِّنِينَ ، فَأَتَيْتُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا بِأَعْرَابِيٍّ يَرْكُضُ عَلَى بَعِيرِهِ حَتَّى أَتَى مَسْجِدَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَقَلَ بَعِيرَهُ ، ثمَّ دَخَلَ يَؤُمُّ الْقَبْرَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهَّ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، لَقَدْ بَعَثَكَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ بَشِيراً وَنَذِيراً ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَاباً مُسْتَقِيماً ، أَعْلَمَكَ فِيهِ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، فَقَالَ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، وَهَا أَنَا قَدْ أَتَيْتُكَ مُقِرٌّ بِالذُّنُوبِ ، مُسْتَشْفِعٌ بِكَ عَلَى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ ، ثمَّ مَضَى ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ (٢)

وقال الإمام أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالرَّاغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) : " ووقف أعرابي على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : قد قبلنا منك ، وحفظنا ما أَدَّيت عن ربِّك **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، فقد ظلمنا أنفسنا ، واستغفرنا ، فاستغفر لنا " (٣) .

وقال الإمام الرُّوياني ، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل (٥٠٢ هـ) : " يُستحب إذا فرغ من حجِّه أن يزور قبر النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لقوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " من زارني بعد موتي فكأنَّما زارني في حياتي " (٤) .

---

(١) انظر : شعب الإيمان (٦/ ٦٠-٦١) .

(٢) انظر : أمالي أبي الفتح المقدسي(المجلس الحادي والعشرون بعد المائة) (ص٥) ، مخطوط .

(٣) انظر : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانى (٢/ ٤٨٩) .

(٤) قال الأستاذ محمود سعيد ممدوح في تخريجه للحديث : " أخرجه الدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٨) ، حدثنا أبو عبيد و القاضي أبو عبد الله وابن مخلد قالوا : أنا محمَّد بن الوليد البسري ، نا وكيع ، نا خالد بن أبي خالد وأبو عون عن الشعبي والأسود بن ميمون عن هارون أبي قزعة عن رجل

من آل حاطب عن حاطب قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة " .

وأخرجه من هذا الوجه البيهقي في " شعب الإيمان " (٣/ ٤٨٨) ، والمحاملي والساجي ، كما في الميزان ، وعلَّقه بن عبد البر في الاستذكار ...

قلت وبالله استعنت : خالد بن أبي خالد هو خالد بن طهمان ، فإنه يروي عن طبقة الشعبي وهو كوفي مثله ، ويروي عنه وكيع ، وليس هو خالد بن أبي خلدة ، كما ادعى ابن عبد الهادي في " الصارم المنكي " (ص١٥١) ، وخالد بن طهمان " صدوق " ، وكان قد اختلط ، لكن تابعه ابن عون ، ويقال أبو عون ، وهو هو ، فإنه عبد الله بن عون البصري ، وكنيته أبو عون وهو ثقة ثبت ، فصحَّ بذلك السند إلى عامر بن شراحيل الشعبي بل إلى هارون بن أبي قزعة ، لأنَّ الشَّعبي حافظ ثقة لا يسأل عن مثله .

وأغرب بن عبد الهادي وتشدد جداً وهول فقال : وأمَّا ما وقع من الزيادة في الإسناد عن وكيع عن خالد بن أبي خالد وأبي عون أو ابن عون عن الشعبي أو بإسقاط الشعبي ، فإنها زيادة منكرة غير محفوظة ، وليس للشعبي مدخل في إسناد هذا الحديث .. ثمَّ قال : والحاصل أنَّ ذكر هذه الزيادة المظلمة في الإسناد لم تزد الحديث فقط بل لم تزده إلا ضعفاً واضطراباً (الصارم المنكي ص ١٥١) .

قلت : هذه الزيادة مسلسلة بالثقات ، كما تقدم : وكيع بن الجراح وخالد بن طهمان ومتابعة عبد الله بن عون البصري ، ثمَّ عامر الشعبي كلهم ثقات لا ينظر في حالهم ما خلا ابن طهان وهو (صدوق) وقد توبع ، ونسأل الله تعالى الإنصاف في الرضا والغضب .

إذا علم ذلك فإن الكلام في هذا الإسناد انحصر في : هارون بن أبي قزعة ، وشيخه المبهم . أما هارون بن أبي قزعة فقد قيل : هارون أبو قزعة، وقيل: ابن قزعة وهذا لا يضر . قال الحافظ في : النكت على ابن الصلاح (٢/ ٧٧٣) : واختلاف الراوة في اسم رجل لا يؤثر ذلك ، لأنه إن كان لك الرجل ثقة فلا ضير ، وإن كان غير ثقة فضعف الحديث إنما هو من قبل ضعفه لا من قبل اختلاف الثقات في اسمه" . اهـ . فتأمل لك .

والرجل قد ضعفه يعقوب بن شيبة، وذكره العقيلي، والساجي، وابن الجارود في الضعفاء ، لكن ذكره ابن حبان في الثقات (٧/ ٥٨٠) . ويروي عنه عامر الشعبي فيكون هارون بن أبي قزعة ثقة عنده . قال يحيى بن معين في "الشعبي" : إذا حدث عن رجل فسماه فهو ثقة ،ويحتج به (التهذيب : ٥/ ٦٧)، فرواية الشعبي عن هارون ابن أبي قزعة توثيق له ، كما قال ابن معين لأنه سماه . وهو توثيق أقل من النص عليه صراحة ، لأنه توثيق ضمني أو إجمالي . فمع توثيق ابن حبان ورواية الشعبي الموثقة لهارون بن أبي قزعة ، فالرجل ممن يعتبر بحديثه ويستشهد به .

وتبقى علة واحدة في هذا الإسناد وهي شيخ هارون بن أبي قزعة المبهم . وليكن الضعف في هذا الحديث غير شديد ، بل ضعفه قريب ويحتج الفقهاء بمثله في إثبات مشروعية أمر ما، ودونك كتب الفقه لتتحقق من صحة مقولتي ، فكيف ولأحاديث الزيارة طرق بعضها من شرط الحسن . فإذا وقفت بعد على قولهم : أحاديث الزيارة ضعيفة بل موضوعة فاضرب بقولهم عرض الحائط لأنه مخالف للقواعد .

وقد قال الحافظ الذهبي : أجودها (أي أحاديث الزيارة) إسناداً حديث حاطب ، وأقره السخاوي في "المقاصد الحسنة" (ص٤١٣) ، والسيوطي في " الدرر المنتثرة " (١٧٣) فهؤلاء ثلاثة من الحفاظ اتفقوا على مقولة تدحض المخالف ، وهم السعداء لا يشقى جليسهم .

بقي التنبيه على أن ابن تيمية قد حكم على هذا الحديث بالكذب ، فقال في كتابه (التوسل والوسيلة ص ٧٤) : هذا كذب ظاهر مخالف لدين المسلمين ، فإن من زاره في حياته وكان مؤمناً به كان من أصحابه ، ولا سيما إن كان من المهاجرين إليه المجاهدين معه ، وقد ثبت عنه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : " لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه " . أخرجاه في الصحيحين .

وروي عن ابن عمر أنَّ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال : " من زار قبري وجبت له الجنَّة " . وروي : " وجبت له شفاعتي " ، ويستحبُّ أن يصلِّي في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " صلاة في مسجدي هذا تعادل ألف صلاة في غيره من المساجد " ، ذكره أصحابنا ، وحكى العتبي في هذا حكاية حسنة ، قال : كنت عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاء أعرابي ، وقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، ثمَّ قال: سمعت الله تعالى يقول : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ثمَّ أنشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

قال : ثمَّ انصرف الأعرابي فغلبتني عيناي فنمت ، فرأيت النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في المنام ، فقال : يا عتبي الحق الرَّجلَ ، وأخبره أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غفر له " (١) .

والواحد من بعد الصحابة لا يكون مثل الصحابة بأعمال مأمور بها واجبة كالحج، والجهاد ، والصلوات الخمس ، والصلاة عليه ، فكيف بعمل ليس بواجب باتفاق المسلمين ؟ اهـ (ص٧٤) .

وقلده الألباني فحكم على هذا الحديث بالبطلان فما أصابا .

وجواب هذا الإشكال سهل :

١– قوله : فكأنما زارني ... الحديث ، هذا تشبيه ولا يلزم من التشبيه المساواة بين طرفي التشبيه ، فقد يكون أحدهما أفضل من الآخر ، فيكون من باب إلحاق فاضل بأفضل منه كقولك : الرملي كالشافعي ، وأبو يوسف كأبي حنيفة ، وزيد كالبدر ، ومدرسة كالأزهر ، ونحو ذلك .

٢– الجامع بين طرفي التشبيه هو الحياة، فمن زاره النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته يشبه من زاره في حياته باعتبار حياة النَّبي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبره الشريف ، وحياة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبره تواترت بها الأخبار وأفردها بالتصنيف عدد من الحفاظ منهم البيهقي، والسيوطي ، وللحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري رحمه الله تعالى خلاصة جامعة في حياة الأنبياء تجدها في خاتمة كتاب " الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين " لشيخنا العلامة المحقق الجامع سيدي عبد الله بن الصديق رحمه الله تعالى ونور مرقده .

بيد أن الأمر لا يخلو من توجيه نظر القارئ إلى أن هذا الإتفاق الذي ذكره ابن تيمية فيه نظر، لأن زيارة سيدنا رسول الله النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجبة عند كثير من علماء المسلمين وهو قول الظاهرية ، وعليه كثير من المالكية، وهو قول عند الحنفية كما تقدم . انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة ، محمود سعيد ممدوح ، (ص٣٣٠ فما بعدها) .

(١) انظر : بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي) (٤/ ١٠٣) .

وقال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) موضِّحا زيارة القبر الشَّريف : " ... ثمَّ يرجع فيقف عند رأس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين القبر والاسطوانة اليوم ، ويستقبل القبلة ، وليحمد الله عزَّ وجلَّ ، وليمجِّده وليكثر من الصَّلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمَّ يقول : اللهمَّ إنَّك قد قلت وقولك الحق : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، اللهمَّ إنَّا قد سمعنا قولك ، وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيَّك ، متشفِّعين به إليك في ذنوبنا ، وما أثقل ظهورنا من أوزارنا ، تائبين من زللنا ، معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، فتُب اللهمَّ علينا ، وشفِّع نبيَّك هذا فينا ، وارفعنا بمنزلته عندك وحقِّه عليك ، اللهمَّ اغفر للمهاجرين والأنصار ، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، اللهمَّ لا تجعله آخر العهد من قبر نبيِّك ، ومن حرمك يا أرحم الرَّاحمين " (١) .

وقال الإمام أَبُو سَعْدٍ أَحْمَدُ بنُ محمَّد بنِ أَحْمَدَ بنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ بنِ سُلَيْمَانَ االبَغْدَادِيُّ الأَصْل ، الأَصْبَهَانِيُّ (٥٤٠هـ) : " حَدَّثَنَا أَبِي ، إِمْلاءً ، ثنا محمَّد بْنُ سَعْدٍ ، نا الصَّوْتُ ، ثنا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ ، بِإِسْنَادٍ ذَكَرَهُ ، عَنْ محمَّد بْنِ حَرْبٍ الْهِلالِيِّ ، قَالَ : دَخَلْتُ مَدِينَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ وَضَعَ بَعِيرَهُ حَتَّى عَقَلَهُ فَدَخَلَ إِلَى الْقَبْرِ فَسَلَّمَ سَلامًا حَسِيبًا ، ثمَّ قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَصَّكَ بِوُسْعِهِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَابَهُ جَمَعَ فِيهِ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُقِرّاً بِالذُّنُوبِ ، مُسْتَشْفِعاً بِكَ عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، ثمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْقَبْرِ ، فَقَالَ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الأَرْضِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِكَ الْقِيعَانُ وَالأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ (٢)

وقال الإمام عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السّبتي ، أبو الفضل (٥٤٤هـ) : " قال أبو حميد : نَاظَرَ أَبُو جَعْفَرٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكاً فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَدَّبَ قَوْماً ، فَقَالَ : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِي وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾** [الحجرات: ٢] ، ومدح قوماً فقال : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**

---

(١) انظر : إحياء علوم الدِّين (١/ ٢٥٩) .

(٢) انظر : مجلسان لأبي سعد البغدادي (ص٨) ، مخطوط.

لِلتَّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣] ، وذمَّ قوماً فقال : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾** [الحجرات: ٤] ، وَإِنَّ حُرْمَتَهُ مَيِّتاً كَحُرْمَتِهِ حَيّاً.. فَاسْتَكَانَ لَهَا أَبُو جَعْفَرٍ ، وَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهَّ .. أَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَأَدْعُو أَمْ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى اللهَّ تَعَالَى يَوْمَ القيامة !! بل استقبله واستشفع بِهِ فَيُشَفِّعَـــهُ اللهُّ ... قَالَ اللهُّ تَعَالَى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] (١) .

وقال الإمام أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشَّافعي (٥٥٨هـ) : " وحكى العتبي (٢٢٨هـ) ، قال : كنت جالساً عند قبر رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إذ جاء أعرابي فسلَّم على النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ثم قال : يا رسول الله سمعت الله يقول : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] . وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، وأنشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثمَّ انصرف الأعرابي ، فغلبتني عيناي ، فنمت . فرأيت رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في النَّوم يقول : يا عتبي ، الحق الأعرابي وبشِّره بأنَّ الله قد غفر له " (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد عبد القادر بن موسى بن عبد الله ، الجيلاني ، الملقَّب بـ" سلطان الأولياء " (٥٦١هـ) : " اللهمَّ إنَّك قلت في كتابك لنبيِّك : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وإنِّي أتيت نبيَّك تائباً من ذنوبي ، مستغفراً ، فأسألك أن تُوجب لي المغفرة

---

(١) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٩٢) ، وانظر : غاية السول في خصائص الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص٢٧٥) ، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (١٤/ ٦١٧) ، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٥٩٤) ، (٣/ ٦٠٢) ، سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١١/ ٤٣٩) ، (١٢/ ٣٩٥) ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ١٩٤) ، (١٢/ ٢١٣) ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف (ص٣٤٢) ، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٤٢٥) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢/ ١٠١) .

(٢) انظر : البيان في مذهب الإمام الشافعي (٤/ ٣٧٨-٣٧٩) .

كما أوجبتها لمن أتاه في حال حياته فأقرَّ عنده بذنوبه ، فدعا له نبيُّه فغفرت له ، اللهمَّ إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك عليه سلامك نبيّ الرَّحمة ، يا رسول الله إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّي ليغفر لي ذنوبي ، اللهمَّ إنِّي أسألك بحقِّه أن تغفر لي وترحمني " (١) .

وقال الإمام ثقة الدِّين ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " حدَّثنا عبد الغالب بن ثابت بن ماهان أبو نصر الرَّافقي قاضيها بها وكان شيخاً مُسنّاً ، وذكر لي أنَّه سمع من أبي الحسين بن المقتدي ببغداد ومن ابن طوق بالموصل ، واحترقت كُتبه ، قال : أبنا ابن طوق الموصلي بالموصل سنة تسع وخمسين وأربع مئة بإسناد لا أذكره الآن عن العتبي (٢٢٨هـ) أنَّه قال : كنت جالساً عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإذا بأعرابي قد أقبل على ناقة له ، فنزل وعقلها ودنا إلى حجرة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثمَّ قال الأعرابي : وجدت الله تعالى يقول : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وقد جئتك يا رسول الله مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، وانصرف . قال العتبي (٢٢٨هـ) : فنمت فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم ، فقال لي : يا عتبي ، الحقِ الأعرابي فقل له : إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غفر له .

أخبرناه أبو أحمد عبد السَّلام بن الحسن بن علي بن زرعة الصُّوري بقراءتي عليه بدمشق ، ثنا الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر بصور لفظاً ، ثنا أبو العبَّاس أحمد بن علي بن محمَّد ، أبنا أبو بكر محمَّد بن زهير بنيسابور ، أبنا أبو الحسن علي بن أحمد بن مرزبان ، ثنا أبو محمَّد الحسن بن محمَّد النَّحوي الأصبهاني ، أبنا ابن فضيل النَّحوي ، أبنا عبد الكريم بن علي ، ثنا محمَّد بن محمَّد بن النُّعمان ، ثنا محمَّد بن روح عن الهلالي محمَّد بن حرب ، قال : دخلت المدينة ، فأتيت قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابيٌّ فزاره ثمَّ قال : يا خير الرُّسل ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وإنِّي جئتك مستغفراً ربَّك من ذنوبي ، مستشفعاً بك فيها ثمَّ بكى ، وأنشأ يقول :

---

(١) انظر : الغنية ، عبد القادر الجيلاني (ص٢٢) .

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُــــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثمَّ استغفر وانصرف ، فرقدت فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نومي ، وهو يقول : الحقِ الرَّجلَ فبشِّره بأنَّ الله قد غفر له بشفاعتي ، فاستيقظت ، فخرجت أطلبه فلم أجده " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن شعيب ، أبو شجاع ، فخر الدِّين ، ابن الدَّهَّان (٥٩٢هـ) : " ... وتستحبّ لمن فرغ من الْحَج أَن يزور قبر النَّبي عَلَيْهِ السَّلَام . حكى الْعُتْبِي (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كنت جَالِساً عِنْد قبر النَّبي عَلَيْهِ السَّلَام ، فجَاء أَعْرَابِي ، فَقَالَ : السَّلَام عَلَيْك يَا رَسُول الله ، سَمِعت الله يَقُول : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وَقد جِئْتُك مُسْتَغْفِراً لذنبي ، مستشفعاً بك إِلَى رَبِّي ثمَّ قَالَ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُــــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثمَّ انْصَرف الْأَعرَابِي ، فَرَأَيْت النَّبي عَلَيْهِ السَّلَام فِي النّوم ، فَقَالَ : الْحق الْأَعرَابِي فبشِّره بِأَنَّ الله قد غفر لَهُ " (٢) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) ، في أثناء كلامه عن أبي شجاع الوزير : " ولَمَّا عزل الوزير أبو شجاع خرج إلى الجامع يوم الجمعة فانثالت عليه العامَّةُ تصافحه وتدعو له ، فكان ذلك سبباً لالتزامه بيته ، والإنكار على من صحبه ، وبنى في دهليز داره مسجداً ، وكان يؤذِّن ويصلِّي فيه ، ثمَّ وردت كُتب نظام الملك بإخراجـــه من بغداد ، فأخرج إلى بلدة ، فأقام مدَّة ، ثمَّ استأذن في الحجِّ فأذن له فخرج .

قال أبو الحسن بن عبد السَّلام : اجتمعت به في المدينة فقبَّل يدي ، فأعظمت ذلك ، فقال لي : قد كنت تفعل هذا بي فأحببت أن أكافئك . وجاور بالمدينة ، فلمَّا مرِض مَرَض الموت حُمل إلى مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله فوقف بالحضرة وبكى ، وقال : يا رسول الله ، قال الله عزَّ وجلَّ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ**

---

(١) انظر : معجم الشيوخ (١/ ٥٩٩) .

(٢) انظر : تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة ، ونبذ مذهبية نافعة (٢/ ١٥٧) .

﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] ، وقد جئت معترفاً بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك ، وبكى " (١) .

وقال الإمام نصير الدِّين محمَّد بن عبد الله السَّامري الحنبلي (٦١٦هـ) : " باب زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وإذا قدم مدينة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استحبَّ له أن يغتسل لدخولها ، ذكره ابن البنَّا . ثمَّ يأتي مسجد الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول عند دخوله : بسم الله ، اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد ، وافتح لي أبواب رحمتك ، وكفَّ عنِّي أبواب عذابك ، الحمد لله الذي بلَّغنا هذا المشهد ، وجعلنا لذلك أهلاً ، والحمد لله ربّ العالمين . ويقدِّم رِجله اليمنى في الدُّخول ، ثمَّ يأتي حائط القبر ... وسئل أحمد رحمه الله عمَّن يتمسَّح بقبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : ما أعرف هذا ، أهل العلم كانوا لا يمسُّونه ، ويقومون ناحية فيسلِّمون ، وكذا كان ابن عمر يفعل... فيقف ناحية ، ويجعل القبر تلقاء وجهه ، والقبلة خلف ظهره ، والمنبر عن يساره ، ويقف ممَّا يلي طرف جدار القبر مما يلي المنبر فيقول : السَّلام عليك يا رسول الله ، السَّلام عليك أيُّها النَّبي ورحمة الله وبركاته ، اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد - إلى آخر ما يقوله في المشهد الأخير - اللهمَّ أعط محمَّداً الوسيلة والفضيلة والدَّرجة الرَّفيعة ، والمقام المحمود الذي وعدته إيَّاه ، إنَّك لا تخلف الميعاد . اللهمَّ صلِّ على روحه في الأرواح ، وجسده في الأجساد ، كما بلَّغ رسالتك ، وتلا آياتك ، وصدع بأمرك حتى أتاه اليقين . اللهمَّ إنَّك قلت في كتابك لنبيِّك عليه السَّلام : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] ، وإني قد أتيتك تائباً مستغفراً ، فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته . اللهمَّ إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيّ الرَّحمة ، يا رسول الله ، إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّي ليغفر لي ذنوبي . اللهمَّ إنِّي أسألك بحقِّه أن تغفر لي ذنوبي " (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثمَّ الدِّمشقي الحنبلي ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) : " فَصْلٌ زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، فَصْلٌ : وَيُسْتَحَبُّ زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ لِمَا رَوَى الدَّارَقُطْنِيّ ، بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " مَنْ حَجَّ ، فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي ، فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي " . وَفِي رِوَايَةٍ : " مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي " . رَوَاهُ بِاللَّفْظِ الْأَوَّلِ سَعِيدٌ . حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ

---

(١) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١٧/ ٢٦) .

(٢) انظر : المستوعب (١/ ٥٢٤-٥٢٥) .

. وَقَالَ أَحْمَدُ ، فِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللهِ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ قُسَيْطٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي ، إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِيِّ ، حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ " (١) .

وَإِذَا حَجَّ الَّذِي لَمْ يَحُجَّ قَطُّ – يَعْنِي مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ الشَّامِ – لَا يَأْخُذُ عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ، لِأَنِّي أَخَافُ أَنْ يَحْدُثَ بِهِ حَدَثٌ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَقْصِدَ مَكَّةَ مِنْ أَقْصَرِ الطُّرُقِ ، وَلَا يَتَشَاغَلَ بِغَيْرِهِ . وَيُرْوَى عَنْ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كُنْت جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللهِ ، سَمِعْت اللهَ يَقُولُ : ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾ [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُك مُسْتَغْفِراً لِذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِك إلَى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُـهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُـودُ وَالْكَرَمُ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٥٢٧ برقم ١٠٨٢٧) ، أبو داود (٢/ ٢١٨ برقم ٢٠٤١) ، الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٢٦٢ برقم ٣٠٩٢) ، البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٤٠٢ برقم ١٠٢٧٠) ، شعب الإيمان (٣/ ١٣٩ برقم ١٤٧٩) ، السنن الصغير (٢/ ٢١٠ برقم ١٧٦٩) ، الدعوات الكبير (١/ ٢٦١ برقم ١٧٨) ، حياة الأنبياء (ص٩٧ برقم ١٥) ، ابن عساكر في معجم الشيوخ (٢/ ٨٩٦ برقم ١١٣٢) ، أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٣٣٢ برقم ١٨٧٦) ، وابن بشكوال في القربة ٩١ . قال عنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٤٨٨) : رجاله ثقات ، وكذا في التلخيص الحبير(٢/ ٢٦٧) ، وقال النووي في الأذكار ، (ص١٧٣) : إسناده صحيح ، وقال العراقي في المغني(١/ ٢٧٩) : سنده جيد ، وصحَّح إسناده كذلك ابن القيم في جلاء الإفهام ، (ص٢٥ برقم ١٩) ، وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ، (ص٣٢٤) : وهذا الحديث على شرط مسلم ، الألباني في صحيح أبي داود برقم ١٧٩٥، صحيح الجامع الصغير برقم ٥١٧٩، الصحيحة برقم ٢٢٦٦. فهؤلاء جميعاً حكموا على الحديث بالصحة، ولذلك فلا يجب التعويل ولا النظر إلى تشغيب ابن عبد الهادي حول الحديث . فقد حاول – كعادته – جاهداً تضعيفه عن طريق الطعن في أبي صخر حميد بن زياد –أحد رواة الحديث– انظر الصارم المنكي ، (ص١٧٧ فما بعدها) . وقد تكفَّل الأستاذ محمود سعيد ممدوح بالردِّ عليه ، فقال : " أبو صخر حميد بن زياد ، قال عنه أحمد وابن معين : لا بأس به ، ووثَّقه الدارقطني ، وابن حبان ، وقال البغوي : مدني صالح حديث . وقال ابن عدي : وهو عندي صالح الحديث ، ووثقه ابن شاهين وضعفه يحيى بن معين في رواية وكذا النسائي . وذكره الذهبي في جزء " من تكلم فيه، وهو موثق " ، (ص٧٣) . ثمَّ وثقه من اتفق الأئمة على قبول توثيقه والعمل بمقتضاه ، فقد أخرج له مسلم في صحيحه . فالرجل حسن الحديث على الأقل ، فلا تلتفت لتشغيب ابن عبد الهادي ، فإنه جعل الاختلاف في اسم وكنية الراوي سبباً لردِّ حديثه ، ولو كان الاختلاف في الاسم والكنية سبباً لتضعيف الراوي لفُتِح بابٌ جديد لتضعيف الرواة ، وعند ذلك فَلِلعُقلاء أن يقولوا : رحمة الله على الحديث وعلومه ، فكم من راوٍ اختلف في اسمه وكنيته ، وهو ثقة ، وكم من راوٍ اتفق على اسمه وكنيته وهو ضعيف .
والحاصل أنَّ حميد بن زياد حسن الحديث . أما يزيد بن عبد الله بن قُسيط فقد احتج به الجماعة ، ووثَّقه النسائي وابن حبَّان ، وابن عبد البر ، وغيرهم ، وقال ابن معين : لا بأس به . فالحديث حسن بهذا الإسناد . والله أعلم . انظر: رفع المنارة لتخريج أحاديث الزيارة ، محمود سعيد ممدوح ، (ص٣٥٥-٣٥٦) ، المكتبة الأزهرية للتر اث ، القاهرة .

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنِي ، فَنِمْت ، فَرَأَيْت النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُتْبِيُّ ، الْحَقْ الْأَعْرَابِيَّ ، فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ قَدْ غَفَرَ لَهُ .

وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَنْ يُقَدِّمَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى ، ثُمَّ يَقُولَ : بِسْمِ اللهَّ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهَّ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمَّد وَعَلَى آلِ محمَّد ، وَاغْفِرْ لِي ، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِك . وَإِذَا خَرَجَ ، قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ . وَقَالَ : وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ . لِمَا رُوِيَ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَرَضِي اللهُّ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَّمَهَا أَنْ تَقُولَ ذَلِكَ ، إذَا دَخَلَتْ الْمَسْجِدَ . ثمَّ تَأْتِي الْقَبْرَ فَتُوَلِّي ظَهْرَكَ الْقِبْلَةَ ، وَتَسْتَقْبِلُ وَسَطَهُ ، وَتَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا النَّبِي وَرَحْمَةُ اللهَّ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهَّ ، وَخِيرَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَشْهَدُ أَنَّك قَدْ بَلَّغْت رِسَالَاتِ رَبِّك ، وَنَصَحْت لِأُمَّتِك ، وَدَعَوْت إلَى سَبِيلِ رَبِّك بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَعَبَدْت اللهَّ حَتَّى أَتَاك الْيَقِينُ ، فَصَلَّى اللهُّ عَلَيْك كَثِيراً ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى ، اللَّهُمَّ اجْزِ عَنَّا نَبِيَّنَا أَفْضَلَ مَا جَزَيْت أَحَداً مِنْ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْته ، يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخَرُونَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمَّد وَعَلَى آلِ محمَّد ، كَمَا صَلَّيْت عَلَى إبْرَاهِيمَ وَآلِ إبْرَاهِيمَ ، إنَّك حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَبَارِكْ عَلَى محمَّد وَعَلَى آلِ محمَّد ، كَمَا بَارَكْت عَلَى إبْرَاهِيمَ وَآلِ إبْرَاهِيمَ ، إنَّك حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ إنَّك قُلْت وَقَوْلُك الْحَقُّ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ أَتَيْتُك مُسْتَغْفِراً مِنْ ذُنُوبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِك إلَى رَبِّي ، فَأَسْأَلُك يَا رَبِّ أَنْ تُوجِبَ لِي الْمَغْفِرَةَ ، كَمَا أَوْجَبْتهَا لِمَنْ أَتَاهُ فِي حَيَاتِهِ ... " (١) .

وقال الإمام ضياء الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن عبد الواحد المقدسي (٦٤٣هـ) : " حدَّثنا محمَّد بن الحسن ، ثنا أبو علي الحسين بن إبراهيم القنطري بنسف ، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد بن عبد الله بن يزداد الرَّازي ، أنبأ أبو الحسن محمَّد بن إسحاق التمَّار بالبصرة ، ثنا أحمد بن ثابت بن بقية أبو الطيِّب ، ثنا الحسن بن يوسف الكاتب ، ثنا ابن بنت يزيد بن هارون ، سمعت سفيان بن سعيد الثَّوري ، يقول : بينا أنا واقف عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أنا بأعرابي على قعود له أتى القبر فسلَّم سلاماً حسناً ودعا دعاءاً جميلاً ثمَّ قال : يا رسول الله ، إنَّ الله تعالى أكرمك بالنُّبوَّة واختصَّك بها وجعلك لها ، فقال في كتابه وقوله الحقّ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وقد جئتك يا رسول الله مقرّاً بالذَّنب ، مستشفعاً بك إلى ربِّك ، وهو منجزٌ لك ما وعدك ثمَّ أنشأ يقول :

---

(١) انظر : المغني (٣/ ٤٧٨-٤٨٠) .

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

قلت : ورويت هذه الحكاية عن غير سفيان الثَّوري ! أخبرنا بها شيخنا أبو المظفَّر السَّمعاني بقراءتي عليه بمرو ، قلت له : أخبركم أبو الطيِّب طاهر بن عثمان بن محمَّد بن عبد الحميد بن عبد الرَّحمن بن يعقوب بن إسحاق بن محمَّد بن إبراهيم بن أحمد بن أجيد بن حفص بن غياث بن معبد بن عباد بن عبد الرَّحمن بن عوف الصَّيرفي الزُّهري قراءةً عليه ببخارى ، أنبأ جدِّي هو أبو بكر محمَّد ، ثنا أبن سهل أحمد بن علي الأبيوردي ، ثنا الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي ، أنبأ أبو الفضل محمَّد بن يوسف بن ريحان ، ثنا الحسن بن يزيد ، ثنا الحسن بن سهل الواسطي ، ثنا محمَّد بن روح الرّقاشي ، ثنا محمَّد بن حرب الهلالي ، قال : كنت بالمدينة فدخلت إلى قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا رجل يوضع على بعيره حتى أناخه وعقَلَه ثمَّ دخل المسجد فسلَّم سلاماً حسناً ، ودعى دعاءاً جميلاً ثمَّ قال : بأبي وأمِّي أنت يا رسول الله ، إنَّ الله تعالى خصَّك بوحيه ، وأنزل عليك كتاباً جمع لك فيه ذكر الأوَّلين والآخرين ، فقال في كتابة وقوله الحقّ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وقد أتيتك مستشفعاً بك إلى ربِّك ، وهو منجز ما وعدك ، ثمَّ التفت إلى القبر ، فقال :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ (١)

وقال الإمام محبُّ الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجَّار (٦٤٣هـ) : أخبرنا عبد الرَّحمن بن أبي الحسن في كتابه ، أخبرنا أبو الفرج بن أحمد ، أخبرنا أحمد بن نصير ، أخبرنا محمَّد بن القاسم ، سمعت علي بن غالب الصُّوفي ، يقول : سمعت إبراهيم بن محمَّد المزكي يقول : سمعت أبا الحسن الفقيه يحكي عن الحسن بن محمَّد ، عن ابن فضيل النَّحوي ، عن محمَّد بن روح ، عن محمَّد بن حرب الهلالي ، قال : دخلت المدينة فأتيت قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاء أعرابي فزاره ثمَّ قال : يا خير المرسلين إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل كتاباً عليك صادقاً ، قال فيه : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وإني جئتك مستغفراً إلى ربِّي من ذنوبي ، مستشفعاً بك ، ثمَّ بكى وأنشأ يقول :

---

(١) انظر : المنتقى من مسموعات مرو (ص٢٣٩-٢٤٠) ، مخطوط .

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُــــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ
أَنْتَ النَّبِيُّ الذِي تُرْجَى شَفَاعَتُــهُ   عِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا مَــا زلَّتِ الْقَدَمُ

ثم استغفر وانصرف ، فرقدت فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو يقول : الحق بالرَّجل فبشِّره بأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غفر له بشفاعتي .

أنبأنا ذاكر بن كامل بن أبي غالب الخفاف - فيما أذن لي في روايته عنه - ، قال : كتب إليَّ أبو علي الحدَّاد ، عن أبي نعيم الأصبهاني ، قال : أنبأنا جعفر بن محمَّد بن نصير ، أخبرنا أبو يزيد المخزومي ، أخبرنا الزُّبير بن بكار ، حدَّثنا محمَّد بن الحسن ، حدَّثني غير واحد منهم : عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن عمر بن محمَّد ، أنَّه لَّما كان أيام الحرَّة تُرك الأذان في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أيام ، وخرج النَّاس إلى الحرَّة ، وجلس سعيد بن المسيّب في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : فاستوحشت ، فدنوت من قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلمَّا حضرت الصَّلاة ، سمعت الأذان في قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فصلَّيتُ ركعتين ، ثمَّ سمعت الإقامة فصلَّيت الظُّهر ، ثمَّ جلست حتى أصلِّي العصر ، فسمعت الأذان في قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ سمعت الإقامة . ثمَّ لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى مضت الثَّلاث ، وقفل القوم ودخلوا مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعاد المؤذنون فأذَّنوا ، فتسمَّعت الأذان في قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم أسمعه ، فرجعت إلى مجلسي الذي كنت فيه أكون .

أنبأنا عبد الرَّحمن بن علي ، أنبأنا أبو الفضل الفارسي ، عن أبي بكر الشِّيرازي ، أخبرنا محمَّد بن الحسين ، سمعت أبا الخير الأقطع ، يقول : دخلت مدينة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا بفاقة ، فبقيت خمسة أيام ما ذقتُ ذواقاً ، فتقدَّمت إلى القبر وسلمت على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعلى أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، وقلت : أنا ضيفك الليلة يا رسول الله ، وتنحَّيتُ فنمتُ ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله ، وعليٌّ بين يديه ، فحركني عليٌّ ، وقال لي : قم ، قد جاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : فقمتُ إليه وقبَّلتُ بين عينيه ، فدفع إليَّ رغيفاً فأكلت نصفه ، وانتبهت وفي يدي النِّصف الآخر .

أخبرنا عبد الوهَّاب بن علي ، أخبرتنا فاطمة بنت أبي حكيم - إن لم يكن سماعاً فإجازة - ، أنبأنا أبو منصور بن الفضل ، أخبرنا أبو عبد الله الكاتب ، أخبرنا ابن المغيرة ، حدَّثنا أحمد بن سعيد الدِّمشقي ، حدَّثنا الزُّبير بن بكَّار ، أخبرنا السّري بن الحارث ، عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير - وكان مصعب يصلِّي

في اليوم والليلة ألف ركعة ويصوم الدَّهر – قال : بتُّ ليلة في المسجد بعد ما خرج النَّاس منه ، فإذا برجل قد جاء إلى بيت الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ أسند ظهره إلى الجدار ، ثمَّ قال : اللهمَّ إنَّك تعلم أنِّي كنت أمس صائماً ، ثمَّ أمسيت فلم أفطر على شيء ، اللهمَّ إنِّي أمسيت أشتهي الثَّريد فأطعمنيه من عندك .

قال : فنظرت إلى وصيفٍ داخل من خوخة المنارة ، ليس في خِلقة وصفاء النَّاس ، معه قصعة فأهوى بها إلى الرَّجل ، فوضعها بين يديه وجلس الرَّجل يأكل وحصبني ، فقال : هلمَّ ، فجئته وظننت أنَّها من الجنَّة ، فأحببت أن آكل منها لقمة ، فأكلت طعاماً لا يشبه طعام أهل الدُّنيا ، ثمَّ احتشمت فقمتُ فرجعت لمجلسي ، فلمَّا فرغ من أكله ، أخذ الوصيف القصعة ثمَّ أهوى راجعاً من حيث جاء ، وقام الرَّجل منصرفاً فتبعته لأعرفه ، فلا أدري أين سلك ، فظننته الخضر عليه السَّلام " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) : " روى أبو صادق عن عليٍّ قال : قدم علينا أعرابيٌّ بعد ما دفنَّا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحثا على رأسه من ترابه ؛ فقال : قلت يا رسول الله فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله عليك **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء:٦٤] ، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر أنَّه قد غفر لك " (٢) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " وَاعْلَمْ أَنَّ زِيَارَةَ قَبْرِ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَهَمِّ الْقُرُبَاتِ وَأَنْجَحِ الْمَسَاعِي ، فَإِذَا انْصَرَفَ الْحُجَّاجُ وَالْمُعْتَمِرُونَ مِنْ مَكَّةَ ، اُسْتُحِبَّ لَهُمْ اسْتِحْبَاباً مُتَأَكَّداً أَنْ يَتَوَجَّهُوا إلَى الْمَدِينَةِ لِزِيَارَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وينوي الزائر مع الزِّيَارَةِ : التَّقَرُّبَ ، وَشَدَّ الرَّحْلِ إلَيْهِ ، وَالصَّلَاةَ فِيهِ ، وَإِذَا تَوَجَّهَ فَلْيُكْثِرْ مِنْ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقِهِ ، فَإِذَا وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى أَشْجَارِ الْمَدِينَةِ وَحَرَمِهَا وَمَا يُعْرَفُ بِهَا ، زَادَ مِنْ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَأَلَ اللهَّ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَهُ بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ وَأَنْ يَقْبَلَهَا مِنْهُ ... فَإِذَا صَلَّى التَّحِيَّةَ فِي الرَّوْضَةِ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ الْمَسْجِدِ شَكَرَ اللهَّ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَسَأَلَهُ إتْمَامَ مَا قَصَدَهُ وَقَبُولَ زِيَارَتِهِ ، ثمَّ يَأْتِي الْقَبْرَ الْكَرِيمَ ، فَيَسْتَدْبِرُ الْقِبْلَةَ وَيَسْتَقْبِلُ جِدَارَ الْقَبْرِ ... ثمَّ يَرْجِعُ إلَى مَوْقِفِهِ الْأَوَّلِ قُبَالَةَ وَجْهِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَتَوَسَّلُ بِهِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ ،

---

(١) انظر : الدرة الثمينة في أخبار المدينة ،(ص١٥٨-١٦٠) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ،(٥/ ٢٦٥-٢٦٦) .

وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ مَا حَكَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ ، وَالْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ ، وَسَائِرُ أَصْحَابِنَا عَنْ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، مُسْتَحْسِنِينَ لَهُ ، قَالَ : كُنْت جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللهَّ ، سَمِعْت اللهَّ يَقُولُ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُك مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِك إِلَى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنْت بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُــهُ   فِيهِ الْعَفَـافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنَايَ ، فَرَأَيْت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُتْبِيُّ الْحَقْ الْأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ بِأَنَّ اللهَّ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ " (١) .

وقال الإمام النَّووي أيضاً : " وعن العتبي (٢٢٨هـ) ، قال : كنتُ جالساً عندَ قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاء أعرابيٌّ ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ! سمعتُ الله تعالى يقولُ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾**

[النساء: ٦٤] ، وقد جئتُك مستغفراً من ذنبي ، مُستشفعاً بك إلى ربي ؛ ثمَّ أنشدَ يقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

قال : ثمَّ انصرفَ ، فحملتني عيناي ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم ، فقال لي : يا عُتبي ! الحقِ الأعرابيَّ ، فبشِّره بأنَّ الله تعالى قد غفر له " (٢) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي ، أبو الفرج ، شمس الدِّين (٦٨٢هـ) : " ويروى عن العتبي (٢٢٨هـ) ، قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاء أعرابي ، فقال : السَّلام عليك يارسول الله ، سمعت الله يقول : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وقد جئتك متسغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، ثمَّ أنشأ يقول :

---

(١) انظر : المجموع شرح المهذب ،(٨/ ٢٧٢-٢٧٤ باختصار) .

(٢) انظر : الأذكار للنووي (ص٣٥٢) .

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُــــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثمَّ انصرف الأعرابي ، فحملتني عيني ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : يا عتبي ، الحق الأعرابي فبشِّره أنَّ الله قد غفر له " (١) .

وقال الإمام عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي ، مجد الدِّين أبو الفضل الحنفي (٦٨٣هـ) : " وَلَا يَضَعُ يَدَهُ عَلَى جِدَارِ التُّرْبَةِ فَهُوَ أَهْيَبُ وَأَعْظَمُ لِلْحُرْمَةِ ، وَيَقِفُ كَمَا يَقِفُ فِي الصَّلَاةِ ، وَيُمَثِّلُ صُورَتَهُ الْكَرِيمَةَ الْبَهِيَّةَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَأَنَّهُ نَائِمٌ فِي لَحْدِهِ ، عَالِمٌ بِهِ يَسْمَعُ كَلَامَهُ ، قَالَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ " ، وَفِي الْخَبَرِ : " أَنَّهُ وُكِّلَ بِقَبْرِهِ مَلَكٌ يُبَلِّغُهُ سَلَامَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ " ، وَيَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفِيَّ اللهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ الرَّحْمَةِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَفِيعَ الْأُمَّةِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُزَّمِّلُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُدَّثِّرُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا محمَّد ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَحْمَدُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً ، جَزَاكَ اللهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ قَوْمِهِ ، وَرَسُولًا عَنْ أُمَّتِهِ ؛ أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ ، وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ ، وَأَوْضَحْتَ الْحُجَّةَ ، وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَقَاتَلْتَ عَلَى دِينِ اللهِ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ ، فَصَلَّى اللهُ عَلَى رُوحِكَ وَجَسَدِكَ وَقَبْرِكَ صَلَاةً دَائِمَةً إِلَى يَوْمِ الدِّين . يَا رَسُولَ اللهِ، نَحْنُ وَفْدُكَ ، وَزُوَّارُ قَبْرِكَ ، جِئْنَاكَ مِنْ بِلَادٍ شَاسِعَةٍ ، وَنَوَاحٍ بَعِيدَةٍ ، قَاصِدِينَ قَضَاءَ حَقِّكَ ، وَالنَّظَرَ إِلَى مَآثِرِكَ ، وَالتَّيَامُنَ بِزِيَارَتِكَ ، وَالِاسْتِشْفَاعَ بِكَ إِلَى رَبِّنَا ، فَإِنَّ الْخَطَايَا قَدْ قَصَمَتْ ظُهُورَنَا ، وَالْأَوْزَارَ قَدْ أَثْقَلَتْ كَوَاهِلَنَا ، وَأَنْتَ الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ ، الْمَوْعُودُ بِالشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْنَاكَ ظَالِمِينَ لِأَنْفُسِنَا ، مُسْتَغْفِرِينَ لِذُنُوبِنَا ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُمِيتَنَا عَلَى سُنَّتِكَ ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَتِكَ ، وَأَنْ يُورِدَنَا حَوْضَكَ ، وَأَنْ يَسْقِيَنَا كَأْسَكَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَادِمِينَ ، الشَّفَاعَةَ الشَّفَاعَةَ يَا رَسُولَ اللهِ ، يَقُولُهَا ثَلَاثاً : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [الحشر: ١٠] . وَيُبَلِّغُهُ سَلَامَ مَنْ أَوْصَاهُ فَيَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ مِنْ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ ، يَسْتَشْفِعُ بِكَ إِلَى رَبِّكِ فَاشْفَعْ لَهُ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ؛ ثمَّ يَقِفُ عِنْدَ وَجْهِهِ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ ، وَيُصَلِّي

---

(١) انظر : الشرح الكبير على متن المقنع (٣/ ٤٩٤) .

عَلَيْهِ مَا شَاءَ . وَيَتَحَوَّلُ قَدْرَ ذِرَاعٍ حَتَّى يُحَاذِيَ رَأْسَ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَيَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ فِي الْغَارِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَفِيقَهُ فِي الْأَسْفَارِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَهُ عَلَى الْأَسْرَارِ ، جَزَاكَ اللهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَازَى إِمَاماً عَنْ أُمَّةِ نَبِيِّهِ ، وَلَقَدْ خَلَفْتَهُ بِأَحْسَنِ خَلَفٍ . وَسَلَكْتَ طَرِيقَهُ وَمِنْهَاجَهُ خَيْرَ مَسْلَكٍ ، وَقَاتَلْتَ أَهْلَ الرِّدَّةِ وَالْبِدَعِ ، وَمَهَّدْتَ الْإِسْلَامَ ، وَوَصَلْتَ الْأَرْحَامَ ، وَلَمْ تَزَلْ قَائِلاً الْحَقَّ ، نَاصِراً لِأَهْلِهِ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ ، فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ؛ اللَّهُمَّ أَمِتْنَا عَلَى حُبِّهِ ، وَلَا تُخَيِّبْ سَعْيَنَا فِي زِيَارَتِهِ بِرَحْمَتِكَ يَا كَرِيمُ . ثُمَّ يَتَحَوَّلُ حَتَّى يُحَاذِيَ قَبْرَ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فَيَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُظْهِرَ الْإِسْلَامِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُكَسِّرَ الْأَصْنَامِ ، جَزَاكَ اللهُ عَنَّا أَفْضَلَ الْجَزَاءِ ، وَرَضِيَ عَمَّنِ اسْتَخْلَفَكَ ، فَلَقَدْ نَصَرْتَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ حَيّاً وَمَيِّتاً ، فَكَفَلْتَ الْأَيْتَامَ ، وَوَصَلْتَ الْأَرْحَامَ ، وَقَوِيَ بِكَ الْإِسْلَامُ ، وَكُنْتَ لِلْمُسْلِمِينَ إِمَاماً مَرْضِيّاً ، وَهَادِياً مَهْدِيّاً ، جَمَعْتَ شَمْلَهُمْ ، وَأَغْنَيْتَ فَقِيرَهُمْ ، وَجَبَرْتَ كَسْرَهُمْ ، فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

ثُمَّ يَرْجِعُ قَدْرَ نِصْفِ ذِرَاعٍ فَيَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا ضَجِيعَيْ رَسُولِ اللهِ وَرَفِيقَيْهِ وَوَزِيرَيْهِ ، وَمُشِيرَيْهِ ، وَالْمُعَاوِنَيْنِ لَهُ عَلَى الْقِيَامِ فِي الدِّينِ ، وَالْقَائِمَيْنِ بَعْدَهُ بِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ ، جَزَاكُمَا اللهُ أَحْسَنَ جَزَاءٍ ، جِئْنَاكُمَا نَتَوَسَّلُ بِكُمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ لِيَشْفَعَ لَنَا وَيَسْأَلُ رَبَّنَا أَنْ يَقْبَلَ سَعْيَنَا ، وَيُحْيِيَنَا عَلَى مِلَّتِهِ ، وَيُمِيتَنَا عَلَيْهَا ، وَيَحْشُرَنَا فِي زُمْرَتِهِ ؛ ثُمَّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَنْ أَوْصَاهُ بِالدُّعَاءِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .

ثُمَّ يَقِفُ عِنْدَ رَأْسِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَالْأَوَّلِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْنَاكَ سَامِعِينَ قَوْلَكَ طَائِعِينَ أَمْرَكَ ، مُسْتَشْفِعِينَ بِنَبِيِّكَ إِلَيْكَ ، **﴿وَالَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ﴾** [الحشر: ١٠] ، **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ ﴾** [البقرة: ٢٠١] ، **﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾** [الصافات: ١٨٠] ، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، وَيَزِيدُ فِي ذَلِكَ مَا شَاءَ وَيَنْقُصُ مَا شَاءَ ، وَيَدْعُو بِمَا يَحْضُرُهُ مِنَ الدُّعَاءِ وَيُوَفَّقُ لَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى " (١) .

وقال الإمام أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشَّهير بالقُرافي (٦٨٤هـ) : " وَحَكَى الْعُتْبِيُّ (٢٢٨هـ) أنه كَانَ جَالِساً عِنْدَ قَبْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ،

---

(١) انظر : الاختيار لتعليل المختار (١/ ١٧٦-١٧٧) .

سَمِعْتُ اللهَّ يَقُولُ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلَى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُـودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنِي فَرَأَيْتُ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لِي : يَا عُتْبِيُّ الحَقِ الْأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ قَدْ غَفَرَ لَهُ " (١) .

وقال الإمام أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشَّهير بالقُرافي (٦٨٤هـ) أيضاً : " وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ فَجَائِزَةٌ ، وَأَمَّا الْإِقْسَامُ عَلَى اللهَّ تَعَالَى فِي الدُّعَاءِ بِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ كَقَوْلِهِ _ يَعْنِي الدَّاعِي _ : بِحَقِّ محمَّد اغْفِرْ لَنَا فَخَاصٌّ بِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

يَعْنِي إِذَا لَاحَظَ الدَّاعِي جَعْلَ الْبَاءِ لِلْقَسَمِ وَإِلَّا كَانَ تَوَسُّلاً لَا إِقْسَاماً ، يَشْهَدُ لِذَلِكَ أَمْرَانِ ، الْأَوَّلُ : قَوْلُهُ : وَأَمَّا الْإِقْسَامُ إِلَى آخِرِهِ ، الثَّانِي : مَا ذَكَرَهُ الْعَلَّامَةُ الشَّيخ عَلِيٌّ الْأُجْهُورِيِّ فِي فَتَاوِيهِ مِنْ أَنَّ الْعِزَّ بْنَ عَبْدِ السَّلَامِ ، قَالَ : إِنْ صَحَّ مَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ مِنْ أَنَّ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَّمَ بَعْضَ النَّاسِ الدُّعَاءَ ، فَقَالَ لَهُ فِي أَوَّلِهِ : قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْك بِنَبِيِّك محمَّد نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَقْصُوراً عَلَيْهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِأَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَأَنْ لَا يُقْسَمَ عَلَى اللهَّ بِغَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا فِي دَرَجَتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَخَالَفَهُ ابْنُ عَرَفَةَ ، وَاسْتَدَلَّ بِمَا يَدُلُّ لَهُ بَلْ إِنَّمَا يَدُلُّ لِجَوَازِ التَّوَسُّلِ بِبَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ وَهُوَ غَيْرُ الْإِقْسَامِ ، وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ الْحَطَّابُ اهـ. كَلَامُ الْأُجْهُورِيِّ .

وَتَبِعَ ابْنُ عَرَفَةَ فِي قَوْلِهِ بِجَوَازِ الْإِقْسَامِ بِغَيْرِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الْعَلَّامَةَ ابْنَ حَجَرٍ فِي شَرْحِ الْعُبَابِ كَمَا يُعْلَمُ بِالْوُقُوفِ عَلَيْهِ وَعَلَى مَا نُقِلَ عَنْ فُقَهَاءِ الْأَحْنَافِ مِنْ تَحْرِيمِ قَوْلِ الدَّاعِي بِحَقِّ محمَّد وَبِحَقِّ فُلَانٍ اهـ. فَمَحْمُولٌ إِمَّا عَلَى مُلَاحَظَةِ الدَّاعِي الْإِقْسَامَ أَوْ قَصْدِهِ الْحَقَّ بِمَعْنَى الْوَاجِبِ كَمَا هُوَ ظَاهِرُ تَعْلِيلِهِمْ بِقَوْلِهِمْ لِأَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ عَلَى اللهَّ أَمَّا إِذَا لَاحَظَ بِهِ التَّوَسُّلَ أَوْ قَصَدَ الْحَقِّ بِمَعْنَى الرُّتْبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ لَدَيْهِ تَعَالَى أَوْ الْحَقَّ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُّ لَهُ عَلَى الْخَلْقِ وَعَلَيْهِ بِفَضْلِهِ لِلْخَلْقِ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : قَالَ فَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهَّ فَلَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْقَوْلُ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى الْأَدِلَّةِ الْوَارِدَةِ فِي جَوَازِ التَّوَسُّلِ .

---

(١) انظر : الذخيرة (٣/ ٣٧٥-٣٧٦) .

وَمَا رَوَاهُ زَرُّوقٌ عَنْ مَالِكٍ مِنْ كَرَاهَةِ التَّوَسُّلِ فَإِنَّمَا يَصِحُّ بِحَمْلِ الْكَرَاهَةِ عَلَى التَّحْرِيمِيَّةِ وَالتَّوَسُّلِ عَلَى الْإِقْسَامِ إِذْ لَوْ لَمْ يُحْمَلْ عَلَى ذَلِكَ لَعَارَضَهُ مَا نَقَلَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ عَنْ الْإِمَامِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - أَنَّهُ لَمَّا سَأَلَهُ جَعْفَرٌ الْمَنْصُورُ عَنْ اسْتِقْبَالِ الْقَبْرِ حِينَ الدُّعَاءِ أَوْ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ قَالَ لَهُ وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَك عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُك وَوَسِيلَةُ أَبِيك آدَمَ قَبْلَك بَلْ اسْتَقْبِلْهُ وَاسْتَشْفِعْ بِهِ فَيُشَفِّعُهُ اللهُ فِيك ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء : ٦٤] . قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْجَوْهَرِ الْمُنَظَّمِ : رِوَايَةُ ذَلِكَ عَنْ الْإِمَامِ مَالِكٍ جَاءَتْ بِالسَّنَدِ الصَّحِيحِ الَّذِي لَا مَطْعَنَ فِيهِ . وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الزَّرْقَانِيُّ فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ : وَرَوَاهَا ابْنُ فَهْدٍ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ . وَرَوَاهَا الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ لَيْسَ فِي إسْنَادِهَا وَضَّاعٌ وَلَا كَذَّابٌ عَلَى أَنَّهَا قَدْ عُضِّدَتْ بِجَرَيَانِ الْعَمَلِ وَبِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ فِي جَوَازِ التَّوَسُّلِ الَّتِي يُعَضِّدُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَبِظَاهِرِ اسْتِسْقَاءِ عُمَرَ بِالْعَبَّاسِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - بَلْ مِمَّا يُعَيِّنُ حَمْلَ رِوَايَةِ زَرُّوقٍ " (١) .

وقال الإمام عبد الصَّمد بن عبد الوهَّاب بن أبي الحسن محمَّد بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين أمين الدِّين أبو اليمن بن عساكر الدِّمشقي نزيل مكَّة (٦٨٦هـ) : " ... ثمَّ يرجع الزَّائر إلى موقفه الأوَّل قبالة وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتوسَّل به إلى الله سبحانه في حوائجه ، وخويصة نفسه ، ويستشفع به إليه ، ويجدد التَّوبة في حضرته الشَّريفة ، ويسأل الله سبحانه أن يجعلها توبةٌ نصوحاً ، ويكثر الاستغفار ، ويديم التَّضرُّع إلى الله سبحانه وتعالى فيما هنالك ، ويسأله ما أهمَّه من أمور الدِّين والدُّنيا ، ويكثر الاستشفاع به إلى الله سبحانه في مهمَّاته ، وخواصِّه ، ولوالديه ، ولإخوانه ، وللمسلمين أجمعين .

قال شيخنا أبو عمرو رحمه الله : ومن أحسن ما يقول ، قول الأعرابي الذي حكاه جماعةٌ من الأئمَّة مستحسنين له عن العُتبي ، واسمه محمَّد بن عبيد الله ، قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاء أعرابي ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله سبحانه يقول : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء : ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، ثمَّ أنشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ

نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

---

(١) انظر : الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) (٣/ ٥١-٥٢) .

قال : فحملتني عيناي ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم ، فقال لي : يا عُتبي ، الحقِ الأعرابيَّ فبشِّره أنَّ الله قد غفر ذنوبه .

وقد وقعت إلينا هذه الحكاية من غير طريق العُتبي (٢٢٨هـ) ، عن محمَّد بن حرب الهلالي .

كما نبأني الشَّيخ أبو القاسم عبد الرَّحمن بن أبي منصور بن نسيم رحمه الله – إن شاء الله – ، أخبرنا الحافظ أبو القاسم قراءةً عليه ، أخبرنا أبو أحمد عبد السَّلام بن الحسن بن علي بن زرعة الصّوري ، حدَّثنا الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر – بصور – لفظاً ، حدَّثنا أبو العبَّاس أحمد بن علي بن محمَّد ، حدَّثنا أبو بكر محمَّد بن زهير – بنيسابور – ، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن مرزبان ، حدَّثنا أبو محمَّد الحسن بن محمَّد النَّحوي ، أخبرنا ابن فضيل النَّحوي ، أخبرنا عبد الكريم بن علي ، حدَّثنا محمَّد بن محمَّد بن النُّعمان ، حدَّثنا محمَّد بن حرب الهلالي .

قال : دخلت المدينة فأتيت قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزُرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابيٌّ فزاره ، ثمَّ قال : يا خير الرُّسل ! إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** . وإني جئتك مستغفراً من ذنوبي ، مستشفعاً بك فيها ، ثمَّ بكى وأنشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثمَّ استغفر وانصرف ، فرقدت فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نومي وهو يقول : الحق الرَّجل فبشِّره أنَّ الله قد غفر له بشفاعتي ، فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده " (١) .

وقال الإمام زين الدِّين المنجى بن عثمان بن أسعد ابن المنجى التَّنوخي الحنبلي (٦٩٥هـ) : " ويروى عن العُتبي (٢٢٨هـ) ، قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاء أعرابيٌّ ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ! سمعت الله يقول : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء : ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً مستشفعاً بك إلى ربِّي ، ثمَّ أنشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

---

(١) انظر : إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص٥٤-٥٥) .

ثمَّ انصرف الأعرابيُّ ، فحملتني عينيّ ، فرأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم فقال : يا عُتبي ! الحق الأعرابيَّ فبشِّره أنَّ الله تعالى قد غفر له " (١) .

وقال الإمام ابن الرِّفعة (٧١٠هـ) : " ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العُتبيّ (٢٢٨هـ) ، قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاء أعرابيٌّ ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله تعالى يقول : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء : ٦٤] ، وقد جئتك مُستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، ثمَّ انشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ

نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُــــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثمَّ انصرف ، فغلبتني عيناي ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم ، فقال : " يا عتبي ، الحقِ الأعرابيَّ ، فبشِّره بأنَّ الله قد غفر له " (٢) .

وقال الإمام النَّسفي (٧١٠هـ) : " قيل : جاء أعرابيٌّ بعد دفنه عليه السَّلام ، فرمى بنفسه على قبره ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله قلت فسمعنا ، وكان فيما أنزل عليك : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء : ٦٤] ، الآية . وقد ظلمت نفسي وجئتك أستغفر الله من ذنبي ، فاستغفر لي من ربِّي ، فنودي من قبره : قد غفر لك " (٣) .

وقال الإمام أحمد بن عبد الوهَّاب النويري (٧٣٣هـ) : " ووقف أعرابيٌّ على قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : قلت فقبلنا ، وأمرت فحفظنا ؛ وقلت عن ربِّك فسمعنا : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء : ٦٤] ، وقد ظلمنا أنفسنا وجئناك فاستغفر لنا ؛ فما بقيت عينٌ إلَّا سالت " (٤) .

وقال الإمام ابن الحاج (٧٣٧هـ) : " فَالتَّوَسُّلُ بِهِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – هُوَ مَحَلُّ حَطِّ أَحْمَالِ الْأَوْزَارِ وَأَثْقَالِ الذُّنُوبِ ، وَالْخَطَايَا ؛ لِأَنَّ بَرَكَةَ شَفَاعَتِهِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – وَعِظَمَهَا عِنْدَ رَبِّهِ لَا يَتَعَاظَمُهَا ذَنْبٌ ،

---

(١) انظر : الممتع في شرح المقنع ،(٢/ ٢١٤) .

(٢) انظر : كفاية النبيه في شرح التنبيه (٧/ ٥٣٧-٥٣٨) .

(٣) انظر : تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (١/ ٣٧٠) .

(٤) انظر : نهاية الأرب في فنون الأدب (٥/ ١٦٩) .

إذْ أَنَّهَا أَعْظَمُ مِنَ الْجَمِيعِ فَلْيَسْتَبْشِرْ مَنْ زَارَهُ وَيَلْجَأْ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِشَفَاعَةِ نَبِيِّهِ – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – مَنْ لَمْ يَزُرْهُ اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنَا مِنْ شَفَاعَتِهِ بِحُرْمَتِهِ عِنْدَكَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

وَمَنْ اعْتَقَدَ خِلافَ هَذَا فَهُوَ الْمَحْرُومُ أَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء : ٦٤] ، فَمَنْ جَاءَهُ وَوَقَفَ بِبَابِهِ وَتَوَسَّلَ بِهِ وَجَدَ اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُنَزَّهٌ عَنْ خُلْفِ الْمِيعَادِ ، وَقَدْ وَعَدَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّوْبَةِ لِمَنْ جَاءَهُ وَوَقَفَ بِبَابِهِ وَسَأَلَهُ وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ، فَهَذَا لا يَشُكُّ فِيهِ وَلَا يَرْتَابُ إِلَّا جَاحِدٌ لِلدِّينِ مُعَانِدٌ للهِ وَلِرَسُولِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْحِرْمَانِ ، وَقَدْ جَاءَ بَعْضُهُمْ إِلَى زِيَارَتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَلَمْ يَدْخُلْ الْمَدِينَةَ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، بَلْ زَارَ مِنْ خَارِجِهَا أَدَباً مِنْهُ – رَحِمَهُ اللهُ – مَعَ نَبِيِّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَدْخُلُ فَقَالَ : أَمِثْلِي يَدْخُلُ بَلَدَ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ لا أَجِدُ نَفْسِي تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، أَوْ كَمَا قَالَ ، وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ – رَحِمَهُ اللهُ – لِرَسُولِ الْخَلِيفَةِ لَمَّا أَنْ أَتَى إِلَيْهِ بِالْبَغْلَةِ لِيَرْكَبَهَا حَتَّى يَأْتِيَ إِلَيْهِ لِعُذْرِهِ فِي كَوْنِهِ لا يَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ انْخَلَعَتْ يَدَاهُ وَرُكْبَتَاهُ مِنَ الضَّرْبِ الَّذِي قَدْ وَقَعَ بِهِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – فِي الْحِكَايَةِ الْمَشْهُورَةِ عَنْهُ فَأَبَى أَنْ يَرْكَبَ ، وَقَالَ : مَوْضِعٌ وَطِئَهُ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِأَقْدَامِهِ الْكَرِيمَةِ مَا كَانَ لِي أَنْ أَطَأَهُ بِحَافِرِ بَغْلَةٍ وَمَشَى إِلَيْهِ مُتَّكِئاً عَلَى رَجُلَيْنِ يَجُرُّ رِجْلَيْهِ حَتَّى بَلَغَ إِلَى الْخَلِيفَةِ فِي خَارِجِ الْمَدِينَةِ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَجَرَى لَهُ مَعَهُ مَا جَرَى .

وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ – رَحِمَهُ اللهُ – لِلْخَلِيفَةِ لَمَّا أَنْ سَأَلَهُ إِذَا دَخَلَ مَسْجِدَ النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – هَلْ يَتَوَجَّهُ إِلَى النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، أَوْ إِلَى الْقِبْلَةِ فَقَالَ مَالِكٌ – رَحِمَهُ اللهُ – وَكَيْفَ تَصْرِفُ وَجْهَك عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُك وَوَسِيلَةُ أَبِيك آدَمَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضٌ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي كِتَابِ الشِّفَاءِ لَهُ : وَزِيَارَةُ قَبْرِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْمُسْلِمِينَ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا وَفَضِيلَةٌ مُرَغَّبٌ فِيهَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي " .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " مَنْ زَارَنِي فِي الْمَدِينَةِ مُحْتَسِباً ، كَانَ فِي جِوَارِي ، وَكُنْت لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ " مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي " . قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَقِيهُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – وَمِمَّا لَمْ يَزَلْ مِنْ شَأْنِ مَنْ حَجَّ الْمُرُورُ بِالْمَدِينَةِ ، وَالْقَصْدُ إِلَى الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وَالتَّبَرُّكُ بِرُؤْيَةِ رَوْضَتِهِ وَمِنْبَرِهِ وَقَبْرِهِ وَمَجْلِسِهِ وَمَلَامِسِ يَدَيْهِ وَمَوَاطِئِ قَدَمَيْهِ ، وَالْعَمُودِ الَّذِي يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ وَيَنْزِلُ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ فِيهِ عَلَيْهِ وَبِمَنْ عَمَّرَهُ وَقَصَدَهُ

مِنْ الصَّحَابَةِ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالِاعْتِبَارُ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَقَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ سَمِعْت بَعْضَ مَنْ أَدْرَكْته يَقُولُ : بَلَغَنَا أَنَّهُ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** [الأحزاب : ٥٦] ، ثمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْك يَا محمَّد يَقُولُهَا سَبْعِينَ مَرَّةً نَادَاهُ مَلَكٌ : صَلَّى اللهُ عَلَيْك يَا فُلَانُ وَلَمْ تَسْقُطْ لَهُ حَاجَةٌ وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَهْدِيِّ ، قَالَ : قَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَلَمَّا وَدَّعْته قَالَ لِي : أَلَك حَاجَةٌ إذَا أَتَيْت الْمَدِينَةَ سَتَرَى قَبْرَ النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ ، قَالَ غَيْرُهُ وَكَانَ يُبْرِدُ إلَيْهِ الْبَرِيدَ مِنْ الشَّامِ ، قَالَ مَالِكٌ فِي رِوَايَةِ ابْنِ وَهْبٍ : إذَا سَلَّمَ عَلَى النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَدَعَا يَقِفُ وَوَجْهُهُ إلَى الْقَبْرِ لَا إلَى الْقِبْلَةِ ، وَيَدْنُو وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَلَا يَمَسُّ الْقَبْرَ بِيَدِهِ ، وَقَالَ نَافِعٌ : كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُسَلِّمُ عَلَى الْقَبْرِ رَأَيْته مِائَةَ مَرَّةٍ ، وَأَكْثَرُ مَا يَفْعَلُ يَجِيءُ إلَى الْقَبْرِ ، فَيَقُولُ : السَّلَامُ عَلَى النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – السَّلَامُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ السَّلَامُ عَلَى أَبِي حَفْصٍ ، ثمَّ يَنْصَرِفُ ، وَقَالَ ابْنُ حَبِيبٍ : وَيَقُولُ إذَا دَخَلَ مَسْجِدَ الرَّسُولِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – : بِسْمِ اللهِ وَسَلَامٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – ، وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا وَصَلَّى اللهُ وَمَلَائِكَتُهُ عَلَى محمَّد اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِك وَجَنَّتِك وَاحْفَظْنِي مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، ثمَّ اقْصِدْ إلَى الرَّوْضَةِ وَهِيَ مَا بَيْنَ الْقَبْرِ ، وَالْمِنْبَرِ فَارْكَعْ فِيهَا رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ وُقُوفِك بِالْقَبْرِ تَحْمَدُ اللهَ فِيهِمَا وَتَسْأَلُهُ تَمَامَ مَا خَرَجْت إلَيْهِ ، وَالْعَوْنَ عَلَيْهِ .

وَإِنْ كَانَتْ رَكْعَتَاك فِي غَيْرِ الرَّوْضَةِ أَجْزَأَتْك ، وَفِي الرَّوْضَةِ أَفْضَلُ ، ثمَّ تَقِفُ بِالْقَبْرِ مُتَوَاضِعاً مُتَوَقِّراً فَتُصَلِّي عَلَى النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَتُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا يَحْضُرُك وَتُسَلِّمُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَتَدْعُو لَهُمَا قَالَ مَالِكٌ فِي كِتَابِ محمَّد : يُسَلِّمُ عَلَى النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إذَا دَخَلَ وَخَرَجَ قَالَ محمَّد وَإِذَا خَرَجَ جَعَلَ آخِرَ عَهْدِهِ الْوُقُوفَ بِالْقَبْرِ ، وَكَذَلِكَ مَنْ خَرَجَ مُسَافِراً ، وَقَالَ مَالِكٌ فِي الْمَبْسُوطَةِ : وَلَيْس يَلْزَمُ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَخَرَجَ مِنْهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْوُقُوفُ بِالْقَبْرِ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِلْغُرَبَاءِ فَقِيلَ لَهُ إنَّ نَاساً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَا يَقْدَمُونَ مِنْ سَفَرٍ وَلَا يُرِيدُونَهُ إلَّا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً ، أَوْ أَكْثَرَ فَيُسَلِّمُونَ وَيَدْعُونَ سَاعَةً ، فَقَالَ : لَمْ يَبْلُغْنِي هَذَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ بِبَلَدِنَا ، وَلَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا ، وَلَمْ يَبْلُغْنِي عَنْ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَصَدْرِهَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ، وَيُكْرَهُ ذَلِكَ إلَّا لِمَنْ جَاءَ مِنْ سَفَرٍ ، أَوْ أَرَادَهُ قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ وَرَأَيْت أَهْلَ الْمَدِينَةِ إذَا خَرَجُوا مِنْهَا، أَوْ دَخَلُوهَا أَتَوْا الْقَبْرَ فَسَلَّمُوا قَالَ ، وَذَلِكَ دَأْبِي قَالَ الْبَاجِيُّ : فَفَرْقٌ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَالْغُرَبَاءِ ؛ لِأَنَّ الْغُرَبَاءَ قَاصِدُونَ إلَى ذَلِكَ ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ مُقِيمُونَ بِهَا لَمْ يَقْصِدُوهَا مِنْ أَجْلِ الْقَبْرِ، وَالتَّسْلِيمِ .

وَفِي الْعُتْبِيَّةِ يَبْدَأُ بِالرُّكُوعِ قَبْلَ السَّلَامِ فِي مَسْجِدِ النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَمِنْ كِتَابِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الْهِنْدِيِّ وَمَنْ وَقَفَ بِالْقَبْرِ لَا يَلْتَصِقْ بِهِ وَلَا يَمَسَّهُ وَلَا يَقِفْ عِنْدَهُ طَوِيلاً ، انْتَهَى .

يَعْنِي بِالْوُقُوفِ طَوِيلاً أَنَّ الْحُجْرَةَ الشَّرِيفَةَ دَاخِلُ الدَّرَابِيزِ ، فَإِذَا وَقَفَ طَوِيلاً ضَيَّقَ عَلَى غَيْرِهِ ، وَأَمَّا لَوْ وَقَفَ خَارِجَ الدَّرَابِيزِ فَذَلِكَ الْمَوْضِعُ فِي الْمَسْجِدِ فَلَا يُمْنَعُ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ لَهُ فِيهِ حَقَّ الصَّلَاةِ وَانْتِظَارَهَا ، وَالِاعْتِكَافَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ لَا يَدْخُلَ مِنْ دَاخِلِ الدَّرَابِيزِ الَّتِي هُنَاكَ ؛ لِأَنَّ الْمَكَانَ مَحَلُّ احْتِرَامٍ وَتَعْظِيمٍ فَيُنَبَّهُ الْعَالِمُ" (١) .

وقال الإمام أبو حيَّان محمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدِّين الأندلسي (٧٤٥هـ) : " وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ بعد ما دَفَنَّا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى قَبْرِهِ وَحَثَا مِنْ تُرَابِهِ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي التُّرْبِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ قَالَ : قَدْ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ فَسَمِعْنَا قَوْلَكَ ، وَوَعَيْتَ عَنِ اللهِ فَوَعَيْنَا عَنْكَ ، وَكَانَ فِيمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** ، وَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَجِئْتُ أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبِي ، فَاسْتَغْفِرْ لِي مِنْ رَبِّي ، فَنُودِيَ مِنَ الْقَبْرِ أَنَّهُ قَدْ غُفِرَ لَكَ " (٢) .

قال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) : " يُرْشِدُ تَعَالَى الْعُصَاةَ وَالْمُذْنِبِينَ إِذَا وَقَعَ مِنْهُمُ الْخَطَأُ وَالْعِصْيَانُ أَنْ يَأْتُوا إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْتَغْفِرُوا اللهَ عِنْدَهُ ، وَيَسْأَلُوهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ وَغَفَرَ لَهُمْ ، وَلِهَذَا قَالَ : **﴿لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** ، وَقَدْ ذَكَرَ جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ : الشَّيخ أَبُو نَصرٍ بْنُ الصَّبَّاغِ فِي كِتَابِهِ " الشَّامِلِ " الْحِكَايَةَ الْمَشْهُورَةَ عَنْ الْعُتْبي (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، سَمِعْتُ اللهَ يقول : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِراً لِذَنْبِي مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلَى رَبِّي ثمَّ أَنْشَأَ يَقُول :

يَا خيرَ مَنْ دُفِنَت بِالْقَاعِ أعظُمُه   فَطَابَ منْ طِيبِهِنَّ القاعُ والأكَمُ
نَفْسي الفداءُ لقبرٍ أَنْتَ ساكنُه   فِيهِ العفافُ وَفِيهِ الجودُ والكرمُ

---

(١) انظر : المدخل (١/ ٢٦٠-٢٦٢) .

(٢) انظر : البحر المحيط في التفسير (٣/ ٦٩٣) .

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَغَلَبَتْنِي عَيْنِي ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ فَقَالَ : يَا عُتْبِي ، الحقْ الْأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ قَدْ غَفَرَ له " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد أبو الطيِّب المكِّي الحسني الفاسي (٨٣٢هـ) : " أنبأنا أبو الفرج بن علي الفقيه ، أنبأنا عمر بن ظفر ، أنبأنا جعفر بن أحمد ، أنبأنا عبد العزيز بن علي ، حدَّثنا أبو الحسن الهمداني ، حدَّثني محمَّد بن حبَّان ، قال : سمعت إبراهيم بن شيبان ، يقول : حججتُ في بعض السِّنين ؛ فجئت المدينة فتقدَّمتُ إلى قبر النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فسلَّمت عليه فسمعتُ من داخل الحجرة : وعليك السَّلام ، أخبرنا عبد الرَّحمن بن أبي الحسن في كتابه ، أخبرنا أبو الفرج بن أحمد ، أخبرنا أحمد بن نصير ، أخبرنا محمَّد بن القاسم ، سمعت علي بن غالب الصُّوفي ، يقول : سمعت إبراهيم بن محمَّد المذكي يقول : سمعت أبا الحسن الفقيه يحكي عن الحسن بن محمَّد عن ابن فضيل النَّحوي ، عن محمَّد بن روح ، عن محمَّد بن حرب الهلالي ، قال : دخلت المدينة فأتيتُ قبرَ النَّبي - صلَّى الله عليه وسلَّم- فجاء أعرابيٌّ فزاره ثمَّ قال : يا خير المرسلين إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل كتاباً عليك صادقاً ، قال فيه : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** ، وإنِّي جئتك مستغفراً إلى ربِّي من ذنوبي ، مستشفعاً بك ثمَّ بكى ، وأنشأ يقـــول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ

نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــــهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

أَنْتَ النَّبيُّ الذِي تُرْجَى شَفَـــاعَتُهُ ... عِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا مَـا زلَّتِ القَـــدَمُ

ثمَّ استغفر وانصرف ؛ فرقدت ، فرأيت النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وهو يقول : الحق بالرَّجل فبشِّره بأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غفر له بشفاعتي " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي ، تقيُّ الدِّين المقريزي (٨٤٥هـ) : " وقد روي من طريق ، محمَّد بن حرب الهلالي ، قال : دخلت المدينة فأتيت قبر رسول اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزرته ، وجلست بحذائه ، فجاء أعرابيٌّ فزاره ثمَّ قال :

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٤٧-٣٤٨) .

(٢) انظر : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،(٢/ ٤٦٢-٤٦٣) .

يا خير المرسلين إن اللهَّ عزَّ وجلَّ أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** . وإنِّي جئتك مستغفراً إلى ربِّي من ذنوبي مستشفعاً بك ، ثمَّ بكى وأنشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُــــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثمَّ استغفر وانصرف . قال : فرقدت ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو يقول : إنَّ اللهَّ عزَّ وجلَّ قد غفر له لشفاعتي " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن الضِّياء محمَّد القرشي العمري المكِّي الحنفي ، بهاء الدِّين أبو البقاء ، المعروف بابن الضِّياء (٨٥٤هـ) : " وَمن أحسن مَا يَقُول مَا حَكَاهُ الْعلمَاء عَن العُتبى " مستحبِّين " قَالَ : كنت جَالِساً عِنْد قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجَاء أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَام عَلَيْك يَا رَسُول الله ، سَمِعت الله يَقُول : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** ، وَقد جئْتُك مُسْتَغْفِراً من ذَنبي ، مستشفعاً بك إِلَى رَبِّي ، ثمَّ أنشأ يَقُول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُــــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثمَّ اسْتغْفر وَانْصَرف ، فغلبتني عَيْنَايَ فَرَأَيْت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَام ، فَقَالَ : يَا عُتبي الْحق بالأعرابي فبشِّره أَنَّ الله قد غفر لَهُ . قَالَ بعض الْعلمَاء : يَقُول الزَّائر بعد السَّلَام وَالصَّلَاة عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ إِنَّك قلت وقولك الْحق : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** . اللَّهُمَّ إِنَّا قد سمعنَا قَوْلك وأطعنا أَمرك ، وقصدنا نبيَّك هَذَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستشفعين بِهِ إِلَيْك من ذنوبنا ، وَمَا أثقل ظُهُورنَا من أوزارنا ، تائبين إِلَيْك من زللنا ، معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، اللَّهُمَّ فتُب علينا ، وشفِّع نبيَّك هَذَا فِينَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وارفعنا بِمَنْزِلَتِهِ عنْدك وَحقه عَلَيْك ، اللَّهُمَّ اغْفِر للمهاجرين وَالْأَنْصَار وَلإِخْوَانِنَا الَّذين سبقُونَا بِالْإِيمَان وَلَا تجْعَل فِي قُلُوبنَا غلاً للَّذين آمنُوا رَبنَا إِنَّك رؤوف رَحِيم ، وَللهَّ در هَذَا الْأَعْرَابِي حَيْثُ استنبط من الْآيَة الْكَرِيمَة الْمَجِيء إِلَى زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد مَوته مُسْتَغْفِراً ، فَإِنَّ ذَلِك أظهر فِي قصد التَّعْظِيم وَصدق الْإِيمَان ، واستغفار الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد

---

(١) انظر : إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (١٤/ ٦١٥) .

الْمَوْت حَاصِل ؛ لِأَنَّهُ الشَّفِيع الْأَكْبَر يَوْم الْقِيَامَة والوسيلة الْعُظْمَى فِي طلب الغفران وَرفع الدَّرَجَات ، من بَين سَائِر ولد آدم ، والمجيء إِلَيْهِ بعد مَوته تَجْدِيد لتأكيد التَّوسُّل بِهِ إِلَى الله تَعَالَى وَقت الْحَاجة ، وَقد خَمَّس هذَيْن الْبَيْتَيْنِ الشَّيخ مُحَمَّد بن أَحْمد بن أَمِين الأقشهري رَحمَه الله تَعَالَى ، فَقَالَ :

خير المزار لدُنْيَا ثمَّ أعظمه ... وَخير من سرّ عرش الربّ مقدمه
ناديته بمقول وَهُوَ أقومه ... يَا خير من دفنت فِي التُّرب أعظمه
فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
طُوبَى لجاركم طابت مساكنه ... جَار بجار وجار المرتع آمنهُ
قَول إِذا قلت تشفيني محاسنه ... نَفسِي الْفِدَاء لقبر أَنْت ساكنه
فِيهِ العفاف وَفِيه الْجُود وَالْكَرم

قَالَ عز الدِّين بن جمَاعَة : وشتَّان بَين هَذَا الْأَعرَابِي وَبَين من أضلَّهُ الله فَحرَّم السَّفر إِلَى زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهِي من أعظم القربات ، كَمَا قدَّمْنَاهُ . ولبعض زوَّار النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أَتَيْتُك زَائِراً وودت أَنِّي ... جعلت سَواد عَيْني أمتطيه
وَمَا لي لَا أَسِير على جفوني ... إِلَى قبر رَسُول الله فِيهِ

قَالَ القَاضِي عِيَاض رَحمَه الله : وجديرٌ بمواطن عمرت بِالْوَحْي والتَّنزيل ، وَتردَّد بهَا جِبْرِيل وَمِيكَائِيل ، وعرجت مِنْهَا الْمَلَائِكَة وَالروح ، وضجَّت فِي عرصاتها بالتَّقديس وَالتَّسْبِيح ، واشتملت تربَتهَا على جَسَد سيِّد الْبشر ، وانتشر عَنْهَا من دين الله وَسنَّة نبيِّه مَا انْتَشَر ، مدارس آيَات ، ومساجد وصلوات ، ومشاهد الْفَضَائِل والخيرات ، ومعاهد الْبَرَاهِين والمعجزات ، ومساكن الدِّين ، ومشاعر الْمُسلمين ، وموقف سيِّد الْمُرْسلين ، ومتبوأ خَاتم النَّبِيين ، حَيْثُ انفجرت النُّبُوَّة وفاض عبابها ، ومواطن مهبط الرسَالَة ، وَأول أَرض مسَّ جلد الْمُصْطَفى ترابها ، أَن تعظَّم عرصاتها ، وتنسم نفحاتها ، وتقبّل ربوعها وجدرانها ، وَأنْشد :

يَا دَار خير الْمُرْسلين وَمن بِهِ ... هدى الْأَنَام وَخصَّ بِالْآيَاتِ
عِنْدِي لِأَجلك لوعة وصبابة ... وَتَشَوُّق متوقِّد الجمرات
وعليَّ عهدٌ إِن مَلَأت محاجري ... من تلكم الجدرات والعرصات
لأُعَفِّرَنَّ مصون شيبي بَينهَا ... من كَثْرَة التَّقْبِيل والرشفات
لَوْلَا العوادي والأعادي زرتها ... أبداً وَلَو سحباً على الوجنات

لَكِن سأهدي من حفيل تحيَّتـــــــــي	لقطيـــــــــن تِلْكَ الدَّار والحجرات
أزكى من الْمسك المفتَّق نفحـــــــــة	تغشاه بالآصـــــــــال والبكرات
وتخصُّه بزواكـــــــــــي الصَّلَوَات	وتوأمي التَّسْلِيم والبركـــــــات (١)

وقال الإمام محمَّد بن أحمد المعروف بابن الضِّياء (٨٥٤هـ) : " ... وَالنَّظَر إِلَى مآثرك ، والتَّيمُّن بزيارتك ، والتبرُّك بِالسَّلَامِ عَلَيْك ، والاستشفاع بك إِلَى رَبنَا عزَّ وَجلَّ ، فَإِن خطايانا قد قصمت ظُهُورنَا ، وأوزارنا قد أثقلت كواهلنا ، وَأَنت الشافع المشفَّع ، وَقد قَالَ الله تَعَالَى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء : ٦٤] . وَقد جِئْنَاك يَا رَسُول الله ظالمين لأنفسنا ، مستغفرين لذنوبنا ، فاشفع لنا إِلَى رَبنَا ، واسأله أَن يُميتنا على سُنَّتك ، ويحشرنا فِي زُمرتك ، ويسقينا بكأسك غير خزايا وَلَا ندامى ، ويرزقنا مرافقتك فِي الفردوس الْأَعْلَى مَعَ الَّذين أنعم الله عَلَيْهِم من النَّبِيين وَالصديقين وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحسن أُولَئِكَ رَفِيقاً ، يَا رَسُول الله الشَّفَاعَة الشَّفَاعَة ، اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّد وعَلى آل محمَّد " (٢) .

وقال الإمام أبو زيد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف الثَّعالبي (٨٧٥هـ) : " وعن العُتبيِّ ، قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلامُ عَلَيْكَ ، يَا رَسُولَ اللهَّ ، سَمِعْتُ اللهَّ تعالى يَقُولُ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** ، وقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَعْفِياً مِنْ ذُنُوبِي ، مُسْتَغْفِراً إلى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ القَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسي الفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ   فِيهِ العَفَافُ، وَفِيهِ الجُودُ وَالكَرَمُ

قال : ثمَّ انصرف ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنَايَ ، فَرَأَيْتُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لِي : يَا عُتْبِيُّ : الحق الأَعْرَابِيَّ ، فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ تعالى قَدْ غَفَرَ لَهُ . انتهى من حلية النَّوويِّ ، وسُنَنِ الصَّالحين للباجيِّ ، وفيه : مُسْتَغْفِراً مِنْ ذُنُوبِي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي " (٣) .

وقال الإمام إبراهيم بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد ابن مفلح ، أبو إسحاق ، برهان الدِّين (٨٨٤هـ) : " وَرُوِيَ عَنِ الْعُتْبِيِّ ، قَالَ : كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَجاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلامُ عَلَيْكَ يَا

(١) انظر : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف (ص٣٤٦-٣٤٧) .

(٢) انظر : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف (ص٣٤٤) .

(٣) انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢/ ٢٥٧) .

رَسُولَ اللهَّ سَمِعْتُ اللهَّ يَقُولُ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِياً﴾ ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلَى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَدَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مَنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُـهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ (١)

وقال الإمام السُّيوطي (٩١١هـ) : " وَأخرج الْبَيْهَقِيّ عَن أبي حَرْب الْهِلَالِي ، قَالَ : حجَّ أَعْرَابِيٌّ إِلَى بَاب مَسْجِد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَاخَ رَاحِلَته فعقلها ثمَّ دخل الْمَسْجِد حَتَّى أَتَى الْقَبْر ووقف بحذاء وَجه رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : بِأبي أَنْت وَأُمِّي يَا رَسُول الله ، جِئْتُك مُثقلاً بِالذنُوبِ والخطايا ، مستشفعاً بك على رَبِّك لِأَنَّهُ قَالَ فِي مُحكم تَنْزِيله : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِياً﴾ ، وَقد جِئْتُك بِأبي أَنْت وَأمِّي مُثقلاً بِالذُّنُوبِ والخطايا ، استشفع بك على رَبك أَن يغْفر لي ذُنُوبِي ، وَأَن تشفع فِيَّ ، ثمَّ أقبل فِي عرض النَّاس ، وَهُوَ يَقُول

يَا خير من دفنت فِي التُّرب أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم

نَفسِي الْفِدَاء لقبر أَنْت ساكنـــه فِيهِ العفاف وَفِيه الْجُـود وَالْكَرم (٢)

وقال أيضاً : " ... كذلك أنْتَ يا عبد الله ، إذا أذنبتَ وأتيتَ معترفاً لرسولك الذي أرسل إليك مُتضرِّعاً وَجِلاً ، فإنه يستغفر لك ، ويشفعُ فيك ، لأنَّ الله أمره بالاستغفار لك ، وأذن له في الشَّفاعة فيك .

وكيف لا وهو أكرم الخَلْق عليه ! وقد وعدنا بذلك في قوله : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِياً﴾ .

وإنِّي قد مُنعت يا سيِّد الأوَّلين والآخرين عن الإتيان إليكَ بذنوب جَنَيْتها على نفسي ، فأنْتَ تعلم عُذْري ، ولا حيلةَ لي غير التعلُّق بجاهك العظيم والصَّلاة عليك ، صلَّى الله عليك وعلى آلك أفضل صلاة وأزكـــى تسليم " (٣) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودي (٩١١هـ) : " ... فسيأتي أنَّ المجيء المذكور في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِياً﴾ ،

---

(١) انظر : المبدع في شرح المقنع (٣/ ٢٣٦) .

(٢) انظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١/ ٥٧٠-٥٧١) .

(٣) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/ ١٥٥) .

حاصل بالمجيء إلى قبره الشَّريف ، وكذا زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسؤال الشَّفاعة منه ، والتَّوسُّل به إلى الله تعالى ، والمجاورة عنده من أفضل القُرُبات ، وعنده تُجاب الدَّعوات ، فكيف لا يكون أفضل ، وهو السَّبب في هذه الخيرات " (١) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودي (٩١١هـ) : " ... وبالكتاب لقوله تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** ، لحثِّه على المجيء إليه والاستغفار عنده واستغفاره للجاءين ، وهذه رتبة لا تنقطع بموته ، وقد استغفر لكلِّ من المؤمنين والمؤمنات لأمر الله له به في كتابه ، فإذا وجد المجيء واستغفار الجائي تكمَّلت الأمور الموجبة لتوبة الله ورحمته . وقوله : **﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ﴾** معطوف على **﴿جاؤُكَ﴾** ، فلا يقتضي كون استغفاره بعد استغفارهم ، مع أنَّا لا نسلم أنهم لا يستغفر لهم بعد الموت لما سبق من حياته ، واستغفاره لأمَّته عند عرض أعمالهم ، فهو متوقَّع كما في الحياة ، ويعمل في كمال رحمته أنه لا يترك ذلك لمن جاءهم . وسيأتي في الفصل بعده عن مالك في مناظرته المنصور ما يشهد لذلك ، وكذا عن غيره

وقد فَهِمَ العلماءُ من الآية العموم ، واستحبُّوا لمن أتى القبر أن يتلوها ويستغفر الله تعالى ، وأوردوا حكاية العُتبي الآتية في كتبهم مستحسنين لها . وذكرها ابن عساكر في تاريخه ، وابن الجوزي في مثير الغرام ، وابن النَّجَّار بأسانيدهم إلى محمَّد بن حرب الهلالي ، قال : أتيت قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزرته ، وجلست بحذاءه ، فجاء أعرابيٌّ وذكر نحو ما سيأتي ، بل روى أبو سعيد السَّمعاني عن عليٍّ رضي الله عنه ، قال : قدم علينا إعرابيٌّ بعد ما دفنَّا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله سبحانه وما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** ، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر : أنَّه قد غفر لك ، بل يُستدلُّ بالآية ، وكذا بما سبق أيضاً على مشروعيَّة السَّفر للزِّيارة وشدِّ الرِّحال لشموله المجيء من قرب ومن بعد ... " (٢) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودي (٩١١هـ) : " وفي الشِّفاء بسندٍ جيِّدٍ عن أبن حميد ، قال : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال مالك : يا أمير المؤمنين

---

(١) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٦٦-٦٧) .

(٢) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٣٦٧-٣٧٢) .

، لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإنَّ الله تعالى أَدَّب قوماً ، فقال : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِي وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾** [الحجرات: ٢] ، ومدح قوماً ، فقال : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** [الحجرات : ٣] ، وذمَّ قوماً ، فقال : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾** [الحجرات: ٤] ، وإنَّ حرمته ميتاً كحرمته حياً ، فاستكان لها أبو جعفر ، وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعوا أم أستقبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السَّلام إلى الله تعالى يوم القيامة ، بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾** [النساء : ٦٤] .

وفي المستوعب لأبي عبد الله السَّامريّ الحنبلي : ثمَّ يأتي حائط القبر ، فيقف ناحيته ، ويجعل القبر تلقاء وجهه ، والقبلة خلف ظهره ، والمنبر عن يساره ، وذكر السَّلام والدُّعاء ، ومنه : اللهمَّ إنك قلت في كتابك لنبيِّك عليه السَّلام : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾** ، وإنِّي أتيت نبيَّك مستغفراً ، فأسألك أن تُوجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته ، اللهمَّ إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إلخ .

وقال عياض : قال مالك في رواية ابن وهب : إذا سلَّم على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا ، يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدنو ويسلِّم " (١) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودي (٩١١هـ) : " ... ثمَّ سلّم مقتصداً من غير رفع صوت ولا إخفاء ، فتقول بحياء ووقار : السَّلام عليك أيُّها النَّبي ورحمة الله وبركاته ثلاثاً ، السَّلام عليك يا رسول ربِّ العالمين ، السَّلام عليك يا خير الخلائق أجمعين ، السَّلام عليك يا سيِّد المرسلين وخاتم النَّبيين ، السَّلام عليك يا إمام المتَّقين ، السَّلام عليك يا قائد الغرِّ المحجَّلين ، السَّلام عليك أيُّها المبعوث رحمة للعالمين ، السَّلام عليك يا شفيع المذنبين ، السَّلام عليك يا حبيب الله ، السَّلام عليك يا خيرة الله ، السَّلام عليك يا صفوة الله ، السَّلام عليك أيُّها الهادي إلى صراط المستقيم ، السَّلام عليك يا من وصفه الله تعالى بقوله : **﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [القلم : ٤] ، وبقوله : **﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ**

---

(١) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٤٢٥-٤٢٦) .

رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ، السَّلام عليك يا من سبَّح الحصى في يديه ، وحنَّ الجذع إليه ، السَّلام عليك يا من أمرنا الله بطاعته والصَّلاة عليه ، السَّلام عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصَّالحين وملائكة الله المقرَّبين ، وعلى آلك وأزواجك الطَّاهرات أُمَّهات المؤمنين ، وأصحابك أجمعين ، كثيراً دائماً أبداً ، كما يحبُّ ربُّنا ويرضى ، جزاك الله عنَّا أفضل ما جزى رسولاً عن أُمَّته ، وصلَّى الله عليك أفضل وأكمل وأزكى وأنمى صلاة صلَّاها على أحد من خلقه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّك عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وأشهد أنَّك قد بلَّغت الرسالة ، وأدَّيت الأمانة ، ونصحت الأُمَّة ، وكشفت الغُمَّة ، وأقمت الحجَّة ، وأوضحت المحجَّة ، وجاهدت في الله حقَّ جهاده ، وكنت كما نعتك الله في كتابه حيث قال : **﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾** [التوبة : ١٢٨] ، فصلوات الله وملائكته وجميع خلقه في سماواته وأرضه عليك يا رسول الله ، اللهمَّ آته الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، وآته نهاية ما ينبغي أن يسأله السَّائلون **﴿رَبَّنا آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾** [آل عمران: ٥٣] ، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشرِّه ، اللهمَّ ثبِّتني على ذلك ، ولا تردَّنا على أعقابنا ، ولا تُزغ قلوبنا بعد أن هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنَّك أنت الوهَّاب ، اللهمَّ صلِّ على محمَّد عبدك ورسولك النَّبي الأميِّ وعلى آل محمَّد وأزواجه وذرِّيَّته ، كما صلَّيت على إبراهيم ، وبارك على محمَّد النَّبي الأميِّ وعلى آل محمَّد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنَّك حميد مجيد . ومن عجز عن حفظ ذلك أو ضاق عنه الوقت اقتصر على بعضه ، وأقلُّه : السَّلام عليك يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وذكر ابن حبيب السَّلام والثناء على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعطف عليه قوله : والسَّلام عليكما يا صاحبي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يا أبا بكر ويا عمر ، جزاكما الله تعالى عن الإسلام وأهله أفضل ما جزى وزيري نبيٍّ عن وزارته في حياته ، وعلى حسن خلافته إيَّاه في أُمَّته بعد وفاته فقد كنتما لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزيري صدق في حياته ، وخلفتماه بالعدل والإحسان في أُمَّته بعد وفاته ، فجزاكما الله تعالى على ذلك مرافقته في جنَّته ، وإيَّانا معكم برحمته ، انتهى ...

قال النَّووي وغيره : ثمَّ يرجع الزَّائر إلى موقعه قبالة وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيتوسَّل به ، ويتشفَّع به إلى ربِّه ، ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العُتبيّ (٢٢٨هـ) ، مستحسنين له ، قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاء إعرابيٌّ ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله تعالى

يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي أنشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لِقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــــهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

قال : ثمَّ انصرف ، فحملني عيناي ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم ، فقال : يا عُتبيّ الحق الأعرابيَّ فبشِّره بأنَّ الله قد غفر له .

قلت : وليقدِّم على ذلك ما تضمَّنه خبر ابن فديك عن بعض من أدركه ، قال : بلغنا أنَّ من وقف عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٦] ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليك يا محمَّد ، يقولها سبعين مرَّة ، ناداه ملك : صلَّى الله عليك يا فلان ، ولم تسقط لك اليوم حاجة . قال بعضهم : والأولى أن يقول : صلَّى الله عليك يا رسول الله ، إذ من خصائصه أن لا يُنادى باسمه ، والذي يظهر : أنَّ ذلك في النِّداء الذي لا يقترن به الصَّلاة والسَّلام ، ثمَّ يجدِّد التَّوبة عقب ذلك ، ويكثر من الاستغفار والتَّضرُّع إلى الله تعالى ، والاستشفاع بنبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جعلها توبة نصوحاً ، ثمَّ يقول : يا رسول الله : إنَّ الله تعالى قال فيما أنزل عليك : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] ، وقد ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، وأتيت بجهلي وغفلتي أمراً كبيراً ، وقد وفدت عليك زائراً ، وبك مستجيراً ، وجئتك مستغفراً من ذنبي ، سائلاً منك أن تشفع لي إلى ربِّي ، وأنت شفيع المذنبين المقبول الوجيه عند ربِّ العالمين ، وها أنا معترف بذنبي ، متوسِّل بك إلى الله ، مستشفعٌ بك إليه ، وأسأل الله البرَّ الرَّحيم بك أن يغفر لي ، ويميتني على سنَّتك ، ومحبَّتك ، ويحشرني في زمرتك ، ويوردني وأحبَّائي حوضك ، غير خزايا ولا نادمين ، فاشفع لي يا رسول ربِّ العالمين ، وشفيع المذنبين ، فها أنا في حضرتك وجوارك ، ونزيل بابك ، وعلقت بكرم ربِّي والرجاء لعله يرحم عبده وإن أســـاء ، ويعفو عمَّا جنى ، ويعصمه ما بقى في الدنيا ، وشفاعتك يا خاتم النَّبيين وشفيع المذنبين ...

أنت الشَّفيـــع وآمالي معلَّقـــة وقد رجوتك يا ذا الفضل تشفع لـي
هذا نزيلك أضحى لا ملاذ لـــه إلَّا جنابك يا سؤلـــي ويا أملـــي
ضعيف غريب قد أنــــاخ بكم ومستجير الفقير ومرمي القصد والطَّلب

هذا مقام الذي ضاقت مذاهبــــــه   وأنتمو في الرَّجــا من أعظـــــم السَّبب

وعن الأصمعيّ : وقف إعرابيٌّ مقابل القبر الشَّريف ، فقال : اللهمَّ هذا حبيبك ، وأنا عبدك ، والشَّيطان عدوُّك ، فإن غفرت لي عزَّ حبيبك ، وفاز عبدك ، وغضب عدوُّك ، وإن لم تغفر لي غضب حبيبُك ، ورضي عدوُّك ، وهلك عبدُك ، وأنت أكرم من أن تُغضب حبيبك ، وتُرضي عدوَّك ، وتُهلك عبدَك ، اللهمَّ إنَّ العرب الكرام إذا مات فيهم سيِّداً عتقوا على قبره ، وإنَّ هذا سيِّد العالمين فأعتقني على قبره . فقلت يا أخا العرب إنَّ الله قد غفر لك وأعتقك بحسن هذا السُّؤال . ويجلس الزَّائر إن شقَّ عليه طول القيام ، فيُكثر من الصَّلاة والتَّسليم ، ويتلو ما تيسَّر ، ويقصد الآي والسُّور الجامعة لطبقات الإيمان ومعاني التَّوحيد " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " قال العلَّامة زين الدِّين بن الحسين المراغي : وينبغي لكلِّ مسلم اعتقاد كون زيارته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قُربة ، للأحاديث الواردة في ذلك ، ولقوله تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** النساء: ٦٤] ، لأنَّ تعظيمه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لا ينقطع بموته ، ولا يقال : إنَّ استغفار الرَّسول لهم إنَّما هو في حال حياته ، وليست الزِّيارة كذلك ، لما أجاب به بعض أئمَّة المحقِّقين : أنَّ الآية دلَّت على تعليق وجدان الله توَّاباً رحيماً بثلاثة أمور : المجيء ، واستغفارهم ، واستغفار الرَّسول لهم ، وقد حصل استغفار الرَّسول لجميع المؤمنين والمؤمنات ، لأنَّه– صلَّى الله عليه وسلَّم– قد استغفر للجميع ، قال الله تعالى : **﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ﴾** [محمد: ١٩] ، فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكمَّلت الأمور الثَّلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " وقد حكى جماعة منهم الإمام أبو نصر بن الصباغ في " الشَّامل " الحكاية المشهورة عن العُتبي (٢٢٨هـ) ، واسمه : محمَّد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان صخر بن حرب ، وتوفِّي في سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وذكرها ابن النجَّار ، وابن عساكر ، وابن الجوزي في " مثير الغرام السَّاكن " . عن محمَّد بن حرب الهلالي ، قال : أتيت قبر النَّبيِّ– صلَّى الله عليه وسلَّم– فزُرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابيٌّ فزاره ثمَّ قال : يا خير الرُّسل ، إنَّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**

---

(١) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٤٤٦–٤٥١) .

(٢) انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٥٨٩) .

جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، وأنشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ووقف أعرابيٌّ على قبره الشَّريف ، وقال : اللهمَّ إنَّك أمرت بعتق العبيد ، وهذا حبيبك وأنا عبدك ، فأعتقني من النَّار على قبر حبيبك ، فهتف به هاتفٌ : يا هذا تسأل العتق لك وحدك ، هلَّا سألت لجميع الخلق ؟! اذهب فقد أعتقناك من النَّار .

إنَّ الملوك إذا شابت عبيدهـــم   في رقِّهم أعتقـــــــوهم عتق أبرار
وأنت يا سيِّدى أولى بذا كرمـاً   قد شبتُ في الرقِّ فاعتقني من النَّار

وعن الحسن البصري ، قال : وقف حاتم الأصم على قبر النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقال : يا ربّ ، إنَّا زرنا قبر نبيِّك فلا تردَّنا خائبين ، فنودي : يا هذا ما أذنَّا لك في زيارة قبر حبيبنا إلَّا وقد قبلناك ، فارجع أنت ومن معك من الزوَّار مغفوراً لكم " (١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبد الرَّحمن العليمي الحنبلي ، أبو اليمن ، مجير الدِّين (٩٢٨هـ) في حديث عن زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ثمَّ يَأْتِي الرَّوْضَة فَيصَلي فِيهَا مَا يسَّر الله لَهُ ، وَيُصلي عِنْد الْمِنْبَر أَيْضاً ثمَّ يَدْعُو عِنْد انْصِرَافه ، فَيَقُول : اللَّهُمَّ إِنِّي أتيت قبر نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متقرِّباً إِلَيْك بزيارته ، متوسِّلاً لديك بِهِ ، وَأَنت قلت وقولك الْحق وَلَا تخلف الميعاد : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، اللَّهُمَّ أجعلها زِيَارَة مَقْبُول وسعياً مشكوراً وَعَملاً منقبلاً مبروراً ، وَدُعَاء تُدْخِلنَا بِهِ جنتك ، وتسبغ علينـــا رَحْمَتك ، اللَّهُمَّ اجْعَل سيدنَا مُحَمَّداً أنجح السَّائِلين " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، الشَّهير بـ " بَحْرَق " (٩٣٠هـ) : " وروى الشَّيخ محيي الدِّين النّوويّ ، عن العُتبي (٢٢٨هـ) – رحمه الله تعالى ، بفوقيَّة قبل الموحّدة – قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاء أعرابيٌّ ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله سبحانه وتعالى

---

(١) انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٥٩٦-٥٩٧) .

(٢) انظر : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (١/ ٢٢٥) .

يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، ثمَّ أنشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ

نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

أَنْتَ النَّبي الذِي تُرْجَى شَفَاعَتُـهُ عِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا مَـا زلَّتِ القَدَمُ

قال : ثمَّ انصرف . فأخذتني سنة ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم ، فقال لي : يا عُتبيّ ، الحقِ الأعرابيَّ ، فبشِّره بأنَّ الله قد غفر له " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) : " ... وسيأتي أنَّ المجيء المذكور في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] ، حاصل بالمجيء إلى قبره الشَّريف ، وكذا زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسؤال الشَّفاعة منه والتَّوسُّل به إلى الله ، والمجاورة عنده من أفضل القُرُبات ، وعنده تُجاب الدَّعوات أيضاً ، فكيف لا تكون أفضل ، وهو السَّبب في هذه الخيرات ؟ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) أيضاً : " الباب الثَّاني في الدَّليل على مشروعيَّة السَّفر وشدِّ الرَّحل لزيارة سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

استدلَّ العلماء ، رضي الله تعالى عنهم على مشروعيَّة زيارته وشدِّ الرَّحل لذلك بالكتاب ، والسُّنَّة ، والإجماع ، والقياس .

أمَّا الكتاب فقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] . وجه الدِّلالة من هذه الآية مبنيٌّ على شيئين :

أحدهما : أنَّ نبيَّنا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حيٌّ ، كما يثبت ذلك في بابه .

الثَّاني : أنَّ أعمال أُمَّته معروضة عليه ، كما يثبت ذلك في بابه .

فإذا عرف ذلك فوجه الاحتجاج بها حينئذ أنَّ الله تعالى أخبر أنَّ من ظلم نفسه ثمَّ جاء رسول الله– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فاستغفر الله تعالى واستغفر له الرَّسول ، فإنَّه يجد الله توَّاباً رحيماً ، وهذا عامٌّ في الأحوال

---

(١) انظر : حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النَّبي المختار (ص٤٩٤) .

(٢) انظر : سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (٣/ ٣١٧) .

والأزمان للتَّعليق على الشَّرط ، وبعد تقرير أنَّ نبيّنا- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعد موته عارف بمن يجيء إليه سامع الصَّلاة ممَّن يصلِّي عليه ، وسلام من يسلِّم عليه ، ويردّ عليه السَّلام فهذه حالة الحياة ، فإذا سأله العبد استغفر له ، لأنَّ هذه الحالة ثابتة له في الدُّنيا والآخرة ، فإنَّه شفيع المذنبين وموجبها في الدَّارين الحياة والإدراك مع النُّبوَّة ، وهذه الأمور ثابتة له في البرزخ أيضاً ، فتصحّ الدِّلالة حينئذ وفاء بمقتضى الشَّرط .

وقد استدلَّ الإمام مالك على ذلك بهذه الآية كما ذكرته في باب مشروعيَّة التوسُّل به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وحكى المصنِّفون في المناسك من أرباب المذاهب عن أبي عبد الرَّحمن محمَّد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب العُتبي (٢٢٨هـ) ، أحد أصحاب سفيان بن عيينة ، قال : دخلتُ المدينة فأتيتُ قبرَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابيٌّ فزاره ثمَّ قال : يا خير الرُّسل ، إنَّ الله تعالى أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وإنِّي جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ثمَّ بكى وأنشد :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثمَّ استغفر ، وانصرف .

قال العُتبيّ (٢٢٨هـ) : فرقدتّ فرأيت النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في النَّوم ، وهو يقول : الحق الأعرابيّ وبشّره بأنَّ الله غفر له بشفاعتي ، فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده .

ورويت هذه القصَّة من غير طريق العُتبي (٢٢٨هـ) ، رواه ابن عساكر في " تاريخه " ، وابن الجوزي في " الوفاء " عن محمَّد بن حرب الهلالي ، وقد خمس هذه الأبيـــات جماعة ، منهم : الشَّيخ أبو عبد الله محمَّد بن أحمد الأقفسهي .

وروى الحافظ ابن النّعمان في " مصباح الظَّلام في المستغيثين بخير الأنام " من طريق الحافظ ابن السَّمعانيّ بسنده عن عليٍّ - رضي الله تعالى عنه – قال : قدم علينا أعرابيٌّ بعد ما دفنَّا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بثلاثة أيام ، فرمى نفسه على القبر الشَّريف ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله ، قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله تعالى ، ووعينا عنك وكان فيما أنزل عليك : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ**

﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] ، وقد ظلمتُ نفسي ، وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر : إنّه قد غفر لك .

والآية دالَّة على الحثِّ على المجيء إلى الرَّسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – والاستغفار عنده واستغفاره لهم ، وهذه رتبة لا تنقطع بموته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والعلماء رضي الله تعالى عنهم فهموا من الآية العُموم ، بِحالَتَيْ الموت والحياة ، واستحبُّوا لمن أتى القبر الشَّريف أن يتلوها ، ويستغفر الله تعالى .

وأمَّا السُّنَّة : فما ذكر في الكتب وما ثبت من خروج النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من المدينة لزيارة قبر الشُّهداء ، وإذا ثبت أنَّ الزِّيارة قُربة ، فالسَّفر كذلك ، وإذا جاز الخروج للقريب جاز للبعيد ، وحينئذ فقبره – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أولى ، وقد وقع الإجماع على ذلك لإطباق السَّلف والخلف .

قال القاضي عياض- رحمه الله تعالى- : زيارة قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنَّة بين المسلمين ، مجمعٌ عليها ، وفضيلةٌ مرغَّب فيها ، وأجمع العلماء على زيارة القبور للرِّجال والنِّساء ، كما حكاه النَّووي – رحمه الله تعالى – بل قال بعض الظَّاهريَّة بوجوبه ، واختلفوا في النَّساء ، وقد امتاز القبر الشَّريف بالأدلَّة الخاصَّة به كما سبق .

قال السُّبكي : ولهذا أقول : لا فرق بين الرِّجال والنِّساء . وأمَّا القياس : فعلى ما ثبت من زيارته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لأهل البقيع وشهداء أُحد ، وإذا استحبّ زيارة قبر غيره فقبره أولى ، لما له من الحقّ ووجوب التَّعظيم ، وليست زيارته إلَّا لتعظيمه والتبرُّك به ، ولتنالنا الرَّحمة بصلاتنا وسلامنا عليه عند قبره بحضرة الملائكة الحافِّين به ، وذلك من الدُّعاء المشروع له " [1] .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) أيضاً : " الباب الثَّالث في الردِّ على من زعم أنَّ شدَّ الرَّحل لزيارته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – معصية .

قد تقدَّم أنَّه انعقد الإجمـــاع على تأكّد زيارته ، وحديث : " لا تشدُّ الرِّحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد " ، حُجَّة في ذلك .

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البرّ بعد أن ذكر حديث الصَّحيحين : أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأتي قباء راكباً وماشياً ، ليس في إتيانه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجد قباء ما يعارض الحديث الأوَّل ، لأنَّ ذلك معناه عند العلماء : فيمن نذر على نفسه صلاة في أحد المساجد الثَّلاثة أنّه يلزمه إتيانها دون غيرها .

وأمَّا إتيان مسجد قباء وغيره من مواضع الرّباط ، فلا بأس بإتيانها بدليل حديث قباء هذا .

---

[1] انظر : سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٢٨٠-٢٨٢) .

قال الإمام العلَّامة محمود بن جملة (٧٦٤هـ) : وهو الذي ذكره هو الحقُّ الذي لا محيد عنه ، ولهذا تجد الأئمَّة من الفقهاء والمحدِّثين يذكرون الحديث في باب النُّذور والسَّفر للجهاد ، ولتعلُّم العلم الواجب ، وبرّ الوالدين ، وزيارة الإخوان ، والتَّفكير في آثار صُنع الله تعالى ، وكلُّه مطلوبٌ للشَّارع إما وجوباً ، أو استحباباً ، والسَّفر للتِّجارة والأغراض الدُّنيويَّة جائزٌ ، وكلّه خارجٌ عن هذا الحديث ، فلم يبق إلَّا شدّ الرَّحل للمعصية ، وحينئذ هو النوع ، ولا يختصُّ بشدِّ الرَّحل ، يا سبحان الله أن يكون السَّفر لزيارة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا القسم ، لقد اجترأ على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قال هذا ، وهو كلام يدور مع الاستهانة وسوء الأدب ، وفي إطلاقه ما يقتضي كفر قائله ، نعوذ بالله من الخذلان ، وكذا في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تتّخذوا قبري عيداً ، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً " ، يعارض ما سبق ، لأنَّ سياقه يقتضي دفع توهُّم من توهَّم أنَّ الصَّلاة عليه لا تكون مؤثرة إلا عند قبره ، فيفوت بسبب ذلك ثواب المصلِّي عليه من مصلّ ، ولهذا قال – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " فإنَّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم " .

ولا نعلم خلافاً بين أهل العلم في جواز السَّفر وشدِّ الرَّحل لغرض دنيويٍّ كالتِّجارة ، فإذا جاز ذلك فهذا أولى ، لأنه أعظم الأغراض الأخرويَّة ، فإنَّه في أصله من أمر الآخرة ، لا سيَّما في هذا الوضع ، ولا نعلم خلافاً بين أهل العلم في جواز السَّفر وشدِّ الرَّحل لغرض أخرويٍّ ، كالاعتبار بمخلوقات الله – عزَّ وجلَّ – وآثار صنعه ، وعجائب ملكوته ومبتدعاته ، وقد دلَّ على هذا آيات كثيرة في الكتاب العزيز ، كقوله تعالى : **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [العنكبوت: ٢٠] ، والاعتبار لمن بصَّره الله تعالى بمثل هذا السَّفر ، فإنَّ المسلم العاقل يحصل له أعظم العبر ، فيتقرَّر عنده أنَّ الدُّنيا ليست بدار مقام ، وأنَّ آخر أمرها شرب كأس الحُمام ، ويتذكَّر شدَّة الموت وسكراته ، وما حصل للنَّبي– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من ذلك وهو أكرم الخلق على الله تعالى .

قال العلَّامة زين الدِّين المراغيّ : وينبغي لكلِّ مسلم اعتقاد كون زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُربة للأحاديث الواردة في ذلك ، ولقوله تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، لأنَّ تعظيمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينقطع بموته ، ولا يقال : إنَّ استغفار الرَّسول لهم إنما هو في حال حياته ، وليست الزِّيارة كذلك ، لما قد أجاب به بعض أئمَّة المحقِّقين من أنَّ الآية دلَّت على تعليق وجدان الله توَّاباً رحيماً بثلاثة أمور : المجيء ، واستغفار الرَّسول لهم ، وقد حصل استغفار الرَّسول لجميع المؤمنين ، لأنَّه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قد استغفر للجميع ، قال الله تعالى : **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ**

اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْواكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] ، فإذا وجد مجيئهم أو استغفارهم تكاملت الأمور الثَّلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته .

ومشروعيَّة السَّفر لزيارة قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أَلَّف فيها الشَّيخ تقيُّ الدِّين السُّبكيّ ، والشَّيخ جمال الدِّين بن الزملكاني ، والشَّيخ داود أبو سليمان المالكيّ ، وابن جملة ، وغيرهم من الأئمَّة ، وردُّوا على عصريِّهم الشَّيخ تقي الدِّين بن تيميّة – رحمه الله تعالى ، فإنَّه قد أتى في ذلك بشيء منكر لا تغسله البحار ، والله تعالى وليُّ التَّوفيق ربّ السَّموات والأرض وما بينهما العزيز الغفَّار " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) أيضاً : " ... ثمَّ يرجع الزَّائر إلى موقفه الأوَّل قبالة وجه رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فيتوسَّل به في حقِّ نفسه ، ويستشفع به إلى ربِّه سبحانه وتعالى ، ومن أحسن ما يقول ما حكاه المصنِّفون في المناسك من جميع المذاهب واستحسنوه ورأوه من أدب الزَّائر عن أبي عبد الرَّحمن محمَّد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عقبة بن أبي سفيان – صخر بن حرب – العُتبي (٢٢٨هـ) أحد أصحاب سفيان بن عيينة ، قال : دخلت المدينة ، فأتيت قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فزرته ، وجلست بحزائه ، فجاء أعرابيٌّ ، فزاره ثمَّ قال : يا خير الرُّسل ، إنَّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وإني جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ثمَّ بكى ، وأنشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثمَّ استغفر وانصرف ، فرقدتُّ ، فرأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نومي وهو يقول : الحق الأعرابيَّ ، وبشِّره بأنَّ الله تعالى غفر له بشفاعتي ، فاستيقظتُ ، فخرجت أطلبه فلم أجده . رواها ابن عساكر في تاريخه ، وابن الجوزي في كتابه : " مثير العزم السَّاكن " عن محمَّد بن حرب الهلاليّ أنه اتفق له مثل ما اتّفق للعُتبيِّ ، ووردت هذه القصَّة من غير طريق العُتبي (٢٢٨هـ) فرواها .

وروى ابن السَّمعاني عن عليِّ بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه – ، قال : قدم علينا أعرابيٌّ بعد ما دفنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثلاثة أيام ، فرمى نفسه على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله ، قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله تعالى ووعينا عنك ، وكان فيما أُنزل عليك :

---

(١) انظر : سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٣٨٣-٣٨٤) .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] ، فنودي من القبر : قد غفر لك " (١) .

وقال الإمام حسين بن محمَّد بن الحسن الدِّيار بَكْري (٩٦٦هـ) مبيِّناً ما يقوله الإنسان عند زيارة قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ... السَّلام عليك يا رسول الله ، السَّلام عليك يا نبيَّ الله ، السَّلام عليك يا سيِّد المرسلين ، السَّلام عليك يا خاتم النَّبيين ، السَّلام عليك يا قائد الغرِّ المحجَّلين ، السَّلام عليك وعلى أهل بيتك وأزواجك وأصحابك أجمعين ، السَّلام عليك أيُّها النَّبي ورحمة الله وبركاته ، أشهد أن لا إله إلَّا الله ، وأشهد أنَّك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه ، وأشهد أنَّك بلَّغت الرِّسالة ، وأدَّيت الأمانة ، ونصحت الأمَّة ، وجاهدت في الله حقَّ جهاده ، وعبدت ربَّك حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله عنَّا يا رسول الله أفضل ما جزى نبيَّاً عن قومه ، ورسولاً عن أُمَّته ، اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى آل سيِّدنا محمَّد ، كما صلَّيت على إبراهيم ، وبارك على سيِّدنا محمَّد وعلى آل سيِّدنا محمَّد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنَّك حميد مجيد ، اللهمَّ إنَّك قلت وقولك الحق : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] ، اللهمّ إنا قد سمعنا قولك ، وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيَّك هذا ، مستغيثين به إليك من ذنوبنا ، اللهمَّ فتب علينا ، وأسعدنا بزيارته ، وأدخلنا في شفاعته ، وقد جئناك يا رسول الله ظالمين لأنفسنا ، مستغفرين لذنوبنا ، وقد سمَّاك الله بالرَّؤوف الرَّحيم ، فاشفع لمن جاءك ظالماً لنفسه ، معترفاً بذنبه ، تائباً إلى ربِّه ، وقد قيل :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ

نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

أَنْتَ الشَّفِيْعُ الذِى تُرجَى شَفَاعَتُه ... عِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا مَا زَلَّتِ الْقَدَمُ

ويدعو لنفسه ، ولوالديه ، ولمن أحبَّ بها أحبَّ ، وإن كان قد أوصاه أحد بتبليغ السَّلام إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يقول : السَّلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان ، يستشفع بك إلى ربِّك بالرَّحمة والمغفرة ، فاشفع له ولجميع المؤمنين ، فأنت الشَّافع المشفَّع ، الرَّؤف الرَّحيم ، ويكفي في زيارته أن يقول : السَّلام عليك يا رسول الله ، صلَّى الله عليك وسلَّم ثمَّ يتحوَّل عن ذلك المكان ويدور الى أن يقف بحذاء وجه النَّبي عليه السَّلام ، مستدبر القبلة ، ويقف لحظة ويصلِّي ويسلِّم عليه مرَّة أو ثلاث مرَّات ثمَّ يتحوَّل عن يمينه قدر ذراع إلى أن

---

(١) انظر : سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٣٩٠) .

يحاذي رأس قبر الصدِّيق ، فإنَّ رأسه بحيال منكب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الأكثر ، فيقول : السَّلام عليك يا خليفة رسول الله ، السَّلام عليك يا صاحب رسول الله في الغار ، السَّلام عليك يا صاحب رسول الله في الأسفار ، السَّلام ، عليك يا أبا بكر الصدِّيق ، جزاك الله أفضل ما جزى إماماً عن أمَّة نبيِّه ، فلقد خلفته أحسن الخلف ، وسلكت طريقته بأحسن الطُّرق ، وقاتلت أهل الردَّة والبدعة ، ونصرت الإسلام ، وكفلت الأيتام ، ووصلت الأرحام ، ولم تزل قائلاً للحقِّ ، ناصراً لأهله حتى أتاك اليقين ، رضوان الله عليك وبركاته وسلامه وتحيَّاته ، أسأل الله تعالى أن يُميتنا على محبَّتك ، كما وفقنا لزيارتك ، إنه هو الغفور الرَّحيم ، ثمَّ يتحوَّل عن يمينه قدر ذراع إلى أن يُحاذى رأس قبر الفاروق أمير المؤمنين عمر ، لأنَّ رأسه عند منكب أبي بكر عند الأكثر ، فيقول : السَّلام عليك يا أمير المؤمنين عمر الفاروق ، السَّلام عليك يا كاسر الأصنام ، السَّلام عليك يا من أعزَّ الله به الإسلام ، جزاك الله أفضل ما جزى إماماً عن أمَّة نبيِّه ، ثمَّ يرجع قدر نصف ذراع ويقف بين رأس الصدِّيق ورأس الفاروق ، ويقول : السَّلام عليكما يا صاحبي رسول الله ، السَّلام عليكما يا وزيري رسول الله ، المعاونين له على القيام في دين الله ، القائمين في أمَّته في أمور الإسلام ، جئنا يا صاحبي رسول الله زائرين لنبيِّنا وصدِّيقنا وفاروقنا ، ونحن نتوسَّل بكما إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليشفع لنا ، ويسأل الله تعالى أن يتقبَّل سعينا ، وأن يحيينا على ملَّتكم ، ويميتنا على سنَّتكم ، ويحشرنا في زمرتكم ، ثمَّ يدعو لنفسه ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، ويسأل الله تعالى حاجته ، ويصلِّي في آخره على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله ، ثمَّ يرجع ويقف عند رأس النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين القبر والمنبر ، كما وقف في الابتداء ، وليستقبل القبلة ، ويحمد الله تعالى ، ويثنى عليه ، ويصلِّي على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدعو لنفسه ولمن أحبَّ من المسلمين بما أحبَّ . ويستحب أن يخرج بعد زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل يوم خصوصاً يوم الجمعة إلى البقيع ، ويأتي المشاهد والمزارات ، ويزور القبور المشهورة فيه ، كقبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وهو منفرد في قبَّة ، وقبر عمِّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العبَّاس في قبَّته المعروفة به ، وفيها ضريحان ، فالغربيّ منهما قبر العبَّاس ، والشرقيّ منهما قبر الحسن بن علي ، وزين العابدين ، وابنه محمَّد الباقر ، وابن الباقر جعفر الصَّادق ، كلُّهم في قبر واحد ، وكقبر صفيَّة بنت عبد المطَّلب عمَّة رسول الله أمّ الزُّبير ، فإنَّه خارج باب البقيع عن يسار الخارج ، ويزور قبر فاطمة بنت أسد أمّ علي ، وقيل : إنَّ قبر فاطمة بنت رسول الله بالمسجد المنسوب إليها بالبقيع ، وهو المعروف ببيت الأحزان ، ويستحبُّ أن يأتيه ويصلِّي فيه ، وقيل : إنَّ قبرها في بيتها ، وهو في مكان المحراب الخشب الذي خلف الحجرة المقدَّسة ، داخل الدَّرابزين . قيل : وهذا أظهر الأقوال . وقبر ابراهيم بن النَّبي صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبقيع ، وهو مدفون إلى جنب عثمان بن مظعون ، ودفن أيضاً إلى جنب عثمان ابن مظعون عبد الرَّحمن بن عوف ، وبه قبر ، يقال : إنَّ فيه عقيل بن أبي طالب ، وابن أخيه عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب ، والمنقول : أنَّ قبر عقيل في داره ، وفي قبلة قبر عقيل حظيرة مستهدمة مبنيَّة بالحجارة ، يقال : إنَّ فيها قبور من دفن بالبقيع من أزواج النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي مناسك الكرماني : إنَّ فيها قبور أربع من أزواج النَّبي عليه السَّلام ، وفيه قبر مالك بن أنس ، صاحب المذهب وغيرهم من الصَّحابة والتَّابعين ، كلُّهم بالبقيع ، ويستحبُّ أن يزور شهداء أُحد يوم الخميس ، ويبدأ بحمزة عمِّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومعه في القبر ابن أُخته المجذع في الله عبد الله بن جحش ، ثمَّ يزور باقي الشُّهداء ، ولا يعرف قبر أحد منهم . ويُسمي من علم اسمه منهم في السَّلام عليه ، فمنهم مصعب بن عمير ، وحنظلة غسيل الملائكة ابن أبى عامر ، وسعد بن الرَّبيع ، وأنس بن النَّضر ، وأبو الدَّحداح ، ومجد بن زياد ، وغيرهم . وعند رجلي حمزة قبر ليس من قبور الشُّهداء . ويقول في السَّلام عليهم : السَّلام على أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، رحم الله غربتكم ، وآنس الله وحشتكم ، تقبَّل الله من مُحسنكم ، وتجاوز الله عن مُسيئكم ، ثمَّ يقرأ سورة الاخلاص ، وآية الكرسيِّ ، لورود الأحاديث فيهما . روى أبو نعيم في الحِلية بسنده إلى ابن عمر ، قال : مرَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمصعب بن عمير ، فوقف عليه ، وقال : أشهد أنَّكم أحياء عند الله تُرزقون ، فزوروهم وسلِّموا عليهم ، فوالذي نفسي بيده ، لا يسلِّم عليهم أحد إلا ردُّوا عليه السَّلام ... " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن عبد العزيز الفتُّوحي الحنبلي الشَّهير بابن النَّجَّار (٩٧٢هـ) : " ويروى عن العُتبي (٢٢٨هـ) ، قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاء أعرابيٌّ ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، ثمَّ أنشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ

نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثمَّ انصرف الأعرابيُّ ، فحملتني عينيّ ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم فقال : ياعُتبي ! الحقِ الأعرابيَّ فبشِّره أنَّ الله تعالى قد غفر له . ثمَّ إذا أتى الزَّائر إلى قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيسلِّم عليه مستقبلاً

(١) انظر : تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ،(٢/ ١٧٥-١٧٦) .

له ، بأن يولِّي ظهره القبلة ، ويستقبل وسط القبر ، ويقول : السَّلام عليك أيُّها النَّبي ورحمة الله وبركاته ، السَّلام عليك يا نبيَّ الله ، وخيرته من خلقه وعباده ، أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، أشهد أنَّك قد بلَّغت رسالة ربِّك ، ونصحت لأمَّتك ، ودعوت إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتَّى أتاك اليقين . فصلَّى الله عليك كثيراً ، كما يُحبُّ ربُّنا ويرضى .

اللهمَّ ! أجزِ عنَّا نبيَّنا أفضل ما جزيت أحداً من النَّبيِّين والمرسلين ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، يغبطه به الأوَّلون والأخرون .

اللهمَّ ! صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد ، كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ ، وبارك على محمَّد وعلى آل محمَّد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيدٌ . اللهمَّ ! إنَّك قلت وقولك الحقّ **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، فأسألك يا ربّ أن توجب لي المغفرة ، كما أوجبتها لمن أتاه في حياته .

اللهمَّ ! اجعله أوَّل الشَّافعين ، وأنجح السَّائلين ، وأكرم الأوَّلين والآخرين ، برحمتك يا أرحم الرَّاحمين " (١) .

وقال الإمام علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القَّاري (١٠١٤هـ) : " (وقال) ، أي : أبو جعفر لمالك رحمه الله تعالى (يا أب عبد الله) بحذف الألف كتابة وإثباته قراءة (استقبل القبلة) استفهام استرشاد والتَّقدير : استقبلها (وأدعو) ، أي : الله سبحانه وتعالى بعد الزِّيارة (أم أستقبل رسول الله صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم ؟ فقال) ، أي : مالك (ولمَ تصرف وجهك عنه) ، أي : عن رسولك (فهو) ، وفي نسخة صحيحة ، وهو أي : والحال أنه (وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السَّلام) ، أي : وسائر الأنام (إلى الله تعالى يوم القيامة) ، أي : كما يشير إليه قوله عليه الصَّلاة والسَّلام آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة (بل استقبله واستشفع به) ، أي : اطلب شفاعته وسل وسيلته في قضاء مراداتك وأداء حاجاتك (فيشفِّعك الله) بتشديد الفاء ، أي : يقبل الله به شفاعتك لأمرك ولغيرك ، وفي نسخة : فيشفعه ، أي : فيقبل شفاعته في حقِّك ويعفو عن ذنبك بوسيلة نبيِّك (قال الله تعالى) ، أي : مصدِّقاً لذلك فيما قرَّره مالك : **﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾** الْآيَةَ ،

---

(١) انظر : معونة أولى النهى ، شرح المنتهى منتهى الإرادات ، محمَّد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى الحنبلى الشهير بابن النجار ، (٤/ ٢٤٧-٢٤٨) ، تحقيق : أ. د عبد الملك بن عبد الله دهيش .

بالمعصية ﴿جاؤُكَ﴾ ، أي : للمعذرة والتوبة (الآية) ، يعني ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ ﴾ ، أي : بلسانهم وجنانهم ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ ، فيه التفات عدل إليه تفخيماً لشأنه صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم ﴿لَوَجَدُوا اللهَّ﴾ ، أي : لعلموه ﴿تَوَّاباً رَحِيماً﴾ ، أي : منعوتاً بهذين الوصفين حين تاب عليهم ورحمهم بعدم المؤاخذة على ما صدر منهم " (١) .

وقال الإمام منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (١٠٥١هـ) : " " فَائِدَةٌ " يُرْوَى عَنْ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهَّ سَمِعْتُ اللهَّ يَقُولُ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهَّ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِراً مِنْ ذُنُوبِي مُسْتَشْفِعاً بِكَ إلَى رَبِّي ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَـــاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُـــودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنَيَّ فَرَأَيْتُ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُتْبِيُّ الْحَقْ الْأَعْرَابِيَّ ، فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ " (٢) .

وقال الإمام حسن بن عمَّار بن علي الشرنبلالي المصري الحنَفي (١٠٦٩هـ) : " وممَّا هو مقرَّر عند المحقِّقين أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ يُرزق ممتَّع بجميع الأعمال والعبادات غير أنه حجب عن أبصار القاصرين عن شريف المقامات . ولَمَّا رأينا أكثر النَّاس غافلين عن أداء حقِّ زيارته ، وما يُسنُّ للزائرين من الكليَّات والجزئيَّات ، أحببنا أن نذكر بعد المناسك وأدائها ، ما فيه نبذة من آداب تتميماً لفائدة الكتاب ، فنقول :

ينبغي لمن قصد زيارة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُكثر من الصَّلاة عليه ، فإنه يسمعها أو تبلغ إليه ، وفضلها أشهر من أن نذكره ، فإذا عاين حيطان المدينة المنوَّرة يصلِّي على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمَّ يقول : اللهمَّ هذا حرمُ نبيِّك ، ومهبط وحيك ، فامنن عليَّ بالدُّخول فيه ، واجعله وقاية لي من النَّار ، وأماناً من العذاب ، واجعلني من الفائزين بشفاعة المصطفى يوم المآب ، ويغتسل قبل الدُّخول أو بعده قبل التَّوجُّه للزِّيارة إن أمكنه ، ويتطيَّب ، ويلبس أحسن ثيابه ، تعظيماً للقدوم على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ يدخل المدينة المنوَّرة

---

(١) انظر : شرح الشفا (٢/ ٧٣) .

(٢) انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٢١٥) .

ماشياً إن أمكنه بلا ضرورة ، بعد وضع ركبه ، واطمئنانه على حشمه وأمتعته ، متواضعاً بالسَّكينة والوقار ، ملاحظاً جلالة المكان ، قائلاً : بسم الله وعلى ملَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، **﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾** [الإسراء: ٨٠] ، اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد ، وعلى آل محمَّد ، إلى آخره ، واغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك وفضلك .

ثمَّ يدخل المسجد الشَّريف ، فيصلِّي تحيَّته عند منبره ركعتين ، ويقف بحيث يكون عمود المنبر الشَّريف بحذاء منكبه الأيمن ، فهو موقف النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنَّة ، كما أخبر به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقال : " منبري على حوضي " ، فيسجد شكراً لله تعالى بأداء ركعتين غير تحيَّة المسجد شكراً لما وفَّقك الله تعالى ومنَّ عليك بالوصول إليه ثمَّ تدعو بما شئت ، ثمَّ انهض متوجِّهاً إلى القبر الشَّريف ، فتقف بمقدار أربعة أذرع بعيداً عن المقصورة الشَّريفة بغاية الأدب ، مستدبراً القبلة محاذياً لرأس النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ووجهه الأكرم ، ملاحظاً نظره السَّعيد إليك ، وسماعه كلامك ، وردَّه عليك سلامك ، وتأمينه على دعائك ، وتقول : السَّلام عليك يا سيِّدي يا رسول الله ، السَّلام عليك يا نبيَّ الله ، السَّلام عليك يا حبيب الله ، السَّلام عليك يا نبي الرحمة ، السَّلام عليك يا شفيع الأمَّة ، السَّلام عليك يا سيِّد المرسلين ، السَّلام عليك يا خاتم النَّبيِّين ، السَّلام عليك يا مزَّمِّل ، السَّلام عليك يا مدَّثِّر ، السَّلام عليك وعلى أصولك الطيِّبين ، وأهل بيتك الطَّاهرين ، الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيراً ، جزاك الله عنَّا أفضل ما جزى نبيَّاً عن قومه ، ورسولاً عن أمَّته ، أشهد أنَّك رسول الله قد بلَّغت الرِّسالة ، وأدَّيت الأمانة ، ونصحت الأمَّة ، وأوضحت الحُجَّة ، وجاهدت في سبيل الله حقَّ جهاده ، وأقمت الدِّين حتى أتاك اليقين ، صلَّى الله عليك وسلَّم وعلى أشرف مكان تشرَّف بحلول جسمك الكريم فيه ، صلاة وسلاماً دائمين من ربِّ العالمين ، عدد ما كان ، وعدد ما يكون بعلم الله ، صلاة لا انقضاء لأمدها ، يا رسول الله نحن وفدك ، وزوَّار حرمك ، تشرَّفنا بالحلول بين يديك ، وقد جئناك من بلاد شاسعة ، وأمكنة بعيدة ، نقطع السَّهل والوعر ، بقصد زيارتك ، لنفوز بشفاعتك ، والنَّظر إلى مآثرك ومعاهدك ، والقيام بقضاء بعض حقِّك ، والاستشفاع بك إلى ربِّنا ، فإنَّ الخطايا قد قصمت ظهورنا ، والأوزار قد أثقلت كواهلنا ، وأنت الشَّافع المشفَّع ، الموعود بالشَّفاعة العظمى ، والمقام المحمود والوسيلة ، وقد قال الله تعالى : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾** [النساء: ٦٤] ، وقد جئناك ظالمين لأنفسنا ، مستغفرين لذنوبنا ، فاشفع لنا إلى ربِّك ، واسأله أن يُميتنا على سنَّتك ، وأن يحشرنا في زمرتك ، وأن يوردنا

حوضك ، وأن يسقينا بكأسك ، غير خزايا ، ولا ندامى ، الشَّفاعة ، الشَّفاعة ، الشَّفاعة يا رسول الله – يقولها ثلاثاً – **﴿وَالَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلِإخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾** [الحشر: ١٠] . وتبلغه سلام من أوصاك به فتقول : السَّلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان ، يتشفَّع بك إلى ربِّك فاشفع له وللمسلمين ، ثمَّ تصلِّي عليه ، وتدعو بما شئت عند وجهه الكريم مستدبراً القِبلة .

ثمَّ تتحوَّل قدر ذراع حتى تُحاذي رأس الصدِّيق أبي بكر رضي الله عنه ، وتقول : السَّلام عليك يا خليفة رسول الله ، وأنيسه في الغار ، ورفيقه في الأسفار ، وأمينه على الأسرار ، جزاك الله عنَّا أفضل ما جزى إماماً عن أمَّة نبيِّه ، فلقد خلفته بأحسن خلف ، وسلكت طريقه ومنهاجه خير مسلك ، وقاتلت أهل الردَّة والبدع ، ومهَّدت الإسلام وشيَّدت أركانه ، فكنت خير إمام ، ووصلت الأرحام ، ولم تزل قائماً بالحقِّ ، ناصراً للدِّين ولأهله حتى أتاك اليقين ، سل الله سبحانه لنا دوام حبِّك ، والحشر مع حزبك ، وقبول زيارتنا ، السَّلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ثمَّ تتحوَّل مثل ذلك حتى تحاذي رأس أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ، فتقول : السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ، السَّلام عليك يا مُظهر الإسلام ، السَّلام عليك يا مُكسِّر الأصنام ، جزاك الله عنَّا أفضل الجزاء ، نصرت الإسلام والمسلمين ، وفتحت معظم البلاد بعد سيِّد المرسلين ، وكفلت الأيتام ، ووصلت الأرحام ، وقوي بك الإسلام ، وكنت للمسلمين إماماً مرضيَّاً ، وهدياً مهديَّاً ، جمعت شملهم ، وأعنت فقيرهم ، وجبرت كسيرهم ، السَّلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ثمَّ ترجع قدر نصف ذراع ، فتقول : السَّلام عليكما يا ضجيعي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورفيقيه ، ووزيريه ، ومشيريه ، والمعاونين له على القيام بالدين ، والقائمين بعده بمصالح المسلمين ، جزاكما الله أحسن الجزاء ، جئناكما نتوسَّل بكما إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليشفع لنا ، ويسأل الله ربنا أن يتقبَّل سعينا ، ويحيينا على ملَّته ، ويميتنا عليها ويحشرنا في زمرته . ثمَّ يدعو لنفسه ولوالديه ولمن أوصاه بالدُّعاء ولجميع المسلمين ، ثمَّ يقف عند رأس النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالأول ، ويقول : اللهمَّ إنَّك قلت وقولك الحقّ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وقد جئناك سامعين قولك طائعين أمرك ، مستشفعين بنبيِّك إليك ، اللهمَّ ربَّنا اغفر لنا ولآبائنا وأمَّهاتنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا ربَّنا إنك رؤوف رحيم . **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي**

الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] ، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨] ، ويزيد ما شاء ويدعو بما حضرته ويوفق له بفضل الله " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدِّين بن محمَّد الزَّرقاني المالكي (١١٢٢هـ) : " وقد حكى جماعة منهم الإمام أبو نصر بن الصبَّاغ في " الشَّامل " ، الحكاية المشهورة عن العُتبي ، واسمه : محمَّد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب ، وتوفِّي في سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وذكرها ابن النجَّار ، وابن عساكر ، وابن الجوزيَّة في " منبر الغرام السَّاكن " عن محمَّد بن حرب الهلالي ، قال : أتيت قبر النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فزرته ، وجلست بحذائه ، فجاء أعرابي فزاره ثمَّ قال : يا خير الرُّسل ، إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعًا بك إلى ربِّي ، وأنشأ يقول :

يَا خَيْرَ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ   فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُهُ   فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ووقف أعرابي على قبره الشَّريف ، وقال : اللهمَّ إنَّك أمرت بعتق العبيد ، وهذا حبيبك وأنا عبدك ، فأعتقني من النَّار على قبر حبيبك ، فهتف به هاتف : يا هذا ، تسأل العتق لك وحدك ، هلَّا سألت لجميع الخلق ، اذهب فقد أعتقناك من النَّار .

إنَّ الملوك إذا شابت عبيدهم   في رقِّهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت يا سيِّدي أولى بذا كرماً   قد شبت في الرِّقِّ فاعتقني من النَّار

وعن الحسن البصري ، قال : وقف حاتمُ الأصم على قبره - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال : يا ربّ ، إنا زرنا قبر نبيِّك ، فلا تردَّنا خائبين ، فنودي : يا هذا ، ما أذنَّا لك في زيارة قبر حبيبنا إلّا وقد قبلناك ، فارجع أنت ومن معك من الزوَّار مغفوراً لكم " (٢) .

---

(١) انظر : مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (ص٢٨٤-٢٨٥) .

(٢) انظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ١٩٩-٢٠٠) .

وقال الإمام سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمل (١٢٠٤هـ) : " ... (قَوْلُهُ : وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إلَى رَبِّه) وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ مَا حَكَاهُ أَصْحَابُنَا عَنْ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، مُسْتَحْسِنِينَ لَهُ ، قَالَ : كُنْت جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللهِ ، سَمِعْت قَوْلَ اللهِ تَعَالَى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُك مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعاً بِك إلَى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنْتَ فِي الْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُــــهُ فِيهِ الْعَفَـافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرْمُ

قَالَ ثمَّ انْصَرَفَ فَحَمَلَتْنِي عَيْنَايَ فَرَأَيْت النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُتْبِيُّ الْحَقْ الْأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) : " ... (ويستقبل القبلة) هناك ، ويستدبر القبر الشَّريف (وليحمد الله عزَّ وجلَّ) بمحامده اللائقة به ، (وليمجده) تمجيداً حريَّاً بجنابه ، (وليكثر من الصَّلاة على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم) في تضاعيف الحمد والتَّمجيد (ثم ليقل : اللهم إنَّك قلت وقولك الحق) في كتابك المنزل على لسان نبيِّك المرسل : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، اللهمَّ إنَّا قد سمعنا قولك ، وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيَّك ، مستغيثين به إليك من) ، وفي بعض النُّسخ : في (ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا) التي ارتكبناها (تائبين من زلِّنا ، معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، فتب اللهمَّ علينا ، وشفِّع نبيَّك هذا فينا) ، ويشير بذلك إلى حضرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتفات وجهه إليه ، (وارفعنا) أي : ارفع قدرنا (بمنزلته) وجاهه ومكانته (عندك وحقِّه عليك) ، وهذا من باب الفضل والامتنان ، وإلَّا فلا حقَّ لمخلوق على الخالق ، (اللهمَّ اغفر للمهاجرين والأنصار ، واغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) من سائر الاخوان ، (اللهمَّ لا تجعله آخر العهد من قبر نبيِّك) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ولا من حرمك) يعني مكَّة (يا أرحم الرَّاحمين) ، وإن لم يستحضر هذا الدُّعاء ، فليدع بما أحبَّ وألهمه الله على لسانه وقلبه .

---

(١) انظر : فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثمَّ شرحه في شرح منهج الطلاب) (٢/ ٤٨٥) .

وأخرج أبو أحمد بن عساكر عن محمَّد بن كعب الهلالي ، قال : دخلت المدينة فأتيت قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابيٌّ فزاره ثمَّ قال : يا خير الرُّسل ، إنَّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً ، وقال فيه : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وإنِّي جئتك مستغفراً لديك من ذنوبي ، مستشفعاً بك إلى الله فيها ، ثمَّ بكى وأنشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ

نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُــهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَــرَمُ

ثمَّ استغفر ، وانصرف ، فرقدت ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نومي وهو يقول : الحق الرَّجلَ فبشِّره أنَّ الله قد غفر له بشفاعتي ، فاستيقظت ، فخرجت أطلبه فلم أجده " (١) .

وقال الإمام مصطفى بن سعد بن عبده السُّيوطي شهرة ، الرُّحيبانى مولداً ثمَّ الدِّمشقي الحنبلي (١٢٤٣هـ) : " قُلْت وَقَوْلُك الْحَقُّ : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ أَتَيْتُك مُسْتَغْفِراً مِنْ ذُنُوبِي ، مُسْتَشْفِعاً بك إلَى رَبِّي ، فَأَسْأَلُك يَا رَبِّ أَنْ تُوجِبَ لِي الْمَغْفِرَةَ كَمَا أَوْجَبْتها لِمَنْ أَتَاهُ فِي حَيَاتِهِ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ أَوَّلَ الشَّافِعِينَ ، وَأَنْجَحَ السَّائِلِينَ ، وَأَكْرَمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بِرَحْمَتِك يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . ثمَّ يَدْعُو لِوَالِدَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) : " فَائِدَةٌ : لَمْ يَذْكُرْ الْمُصَنِّفُ – رَحِمَهُ اللهُّ تَعَالَى – فِي كِتَابِهِ هَذَا زِيَارَةَ قَبْرِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَكَانَ الْمَوْطِنُ الَّذِي يَحْسُنُ ذِكْرُهَا فِيهِ كِتَابَ الْجَنَائِزِ ، وَلَكِنَّهَا لَمَّا كَانَتْ تُفْعَلُ فِي سَفَرِ الْحَجِّ فِي الْغَالِبِ ذَكَرَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي كِتَابِ الْحَجِّ فَأَحْبَبْنَا ذِكْرَهَا هَاهُنَا تَكْمِيلاً لِلْفَائِدَةِ .

وَقَدْ اخْتَلَفَتْ فِيهَا أَقْوَالُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إلَى أَنَّهَا مَنْدُوبَةٌ ، وَذَهَبَ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ وَبَعْضُ الظَّاهِرِيَّةِ إلَى أَنَّهَا وَاجِبَةٌ وَقَالَتْ الْحَنَفِيَّةُ : إنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنْ الْوَاجِبَاتِ وَذَهَبَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَنْبَلِيُّ حَفِيدُ الْمُصَنِّفِ الْمَعْرُوفُ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ إلَى أَنَّهَا غَيْرُ مَشْرُوعَةٍ، وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ الْحَنَابِلَةِ وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مَالِكٍ ، وَالْجُوَيْنِيِّ ، وَالْقَاضِي عِيَاضٍ ، كَمَا سَيَأْتِي .

---

(١) انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٤/ ٤٥٥) .

(٢) انظر : مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٢/ ٤٤١) .

احْتَجَّ الْقَائِلُونَ بِأَنَّهَا مَنْدُوبَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ بِهَا أَنَّهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَيٌّ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا فِي حَدِيثِ : " الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ " (١) ،

وَقَدْ صَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَأَلَّفَ فِي ذَلِكَ جُزْءاً . قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورٍ الْبَغْدَادِيُّ : قَالَ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَصْحَابِنَا : إنَّ نَبِيَّنَا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَيٌّ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، انْتَهَى . وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ : مَا ثَبَتَ أَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَالنَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْهُمْ ، وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ كَانَ الْمَجِيءُ إلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ كَالْمَجِيءِ إلَيْهِ قَبْلَهُ ...

وَاسْتَدَلُّوا ثَانِياً بِقَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿وَمَنْ يُهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهَّ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهَّ وَكانَ اللهَّ غَفُوراً رَحِيماً﴾** [النساء: ١٠٠] ، وَالْهِجْرَةُ إلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ الْوُصُولُ إلَى حَضْرَتِهِ كَذَلِكَ الْوُصُولُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَخْفَى أَنَّ الْوُصُولَ إلَى حَضْرَتِهِ فِي حَيَاتِهِ فِيهِ فَوَائِدُ لَا تُوجَدُ فِي الْوُصُولِ إلَى حَضْرَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ مِنْهَا النَّظَرُ إلَى ذَاتِهِ الشَّرِيفَةِ وَتَعَلُّمُ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ مِنْهُ وَالْجِهَادُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَغَيْرُ ذَلِكَ .

وَاسْتَدَلُّوا ثَالِثًا بِالْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ مِنْهَا الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي مَشْرُوعِيَّةِ زِيَارَةِ الْقُبُورِ عَلَى الْعُمُومِ وَالنَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – دَاخِلٌ فِي ذَلِكَ دُخُولاً أَوَّلِيّاً ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي الْجَنَائِزِ ، وَكَذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الثَّابِتَةُ مِنْ فِعْلِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي زِيَارَتِهَا ، وَمِنْهَا : أَحَادِيثُ خَاصَّةٌ بِزِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ ...

قَالَ الْحَافِظُ : وَأَصَحُّ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً " مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلَّا رَدَّ اللهُّ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ " .

وَبِهَذَا الْحَدِيثِ صَدَّرَ الْبَيْهَقِيُّ الْبَابَ ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى اعْتِبَارِ كَوْنِ الْمُسَلِّمِ عَلَيْهِ عَلَى قَبْرِهِ ، بَلْ ظَاهِرُهُ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ . وَقَالَ الْحَافِظُ أَيْضاً : أَكْثَرُ مُتُونِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَوْضُوعَةٌ ، وَقَدْ رُوِيَتْ زِيَارَتُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ الصَّحَابَةِ ، مِنْهُمْ : بِلَالٌ عِنْدَ ابْنِ عَسَاكِرَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ ، وَابْنُ عُمَرَ عِنْدَ مَالِكٍ فِي الْمُوَطَّإِ ، وَأَبُو أَيُّوبَ عِنْدَ أَحْمَدَ ، وَأَنَسٍ ذَكَرَهُ عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ ، وَعُمَرُ عِنْدَ الْبَزَّارِ ، وَعَلِيٌّ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – عِنْدَ

---

(١) أخرجه البزار في المسند (١٣/ ٢٩٩ برقم ٦٨٨٨) ، أبو يعلى في المسند (٦/ ١٤٧ برقم ٣٤٢٥) ، وصححه المحقّق ، البيهقي في حياة الأنبياء (ص٦٩ برقم ١) ، ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٣٢٦) ، وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٢١١ برقم ١٣٨١٢) ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالْبَزَّارُ ، وَرِجَالُ أَبِي يَعْلَى ثِقَاتٌ .

الدَّارَقُطْنِيّ وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ شَدَّ الرَّحْلَ لِذَلِكَ إِلَّا عَنْ بِلَالٍ ؛ لِأَنَّهُ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَهُوَ بِدَارِيَّا يَقُولُ لَهُ : " مَا هَذِهِ الْجَفْوَةُ يَا بِلَالُ أَمَا آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنِي " ، رَوَى ذَلِكَ ابْنُ عَسَاكِرَ ، وَاسْتَدَلَّ الْقَائِلُونَ بِالْوُجُوبِ بِحَدِيثِ : " مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي " ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ، قَالُوا : وَالْجَفَاءُ لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مُحَرَّمٌ ، فَتَجِبُ الزِّيَارَةُ لِئَلَّا يَقَعَ فِي الْمُحَرَّمِ ، وَأَجَابَ عَنْ ذَلِكَ الْجُمْهُورُ بِأَنَّ الْجَفَاءَ يُقَالُ عَلَى تَرْكِ الْمَنْدُوبِ كَمَا فِي تَرْكِ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ ، وَعَلَى غِلَظِ الطَّبْعِ كَمَا فِي حَدِيثِ : " مَنْ بَدَا فَقَدْ جَفَا " ، وَأَيْضاً الْحَدِيثُ عَلَى انْفِرَادِهِ مِمَّا لَا تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ لِمَا سَلَفَ . وَاحْتَجَّ مَنْ قَالَ بِأَنَّهَا غَيْرُ مَشْرُوعَةٍ بِحَدِيثِ " : " لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ " ، وَهُوَ فِي الصَّحِيحِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ وَحَدِيثُ " لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً " رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ . قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ : اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي شَدِّ الرَّحْلِ لِغَيْرِ الثَّلَاثَةِ كَالذَّهَابِ إِلَى قُبُورِ الصَّالِحِينَ وَإِلَى الْمَوَاضِعِ الْفَاضِلَةِ، فَذَهَبَ الشَّيخ أَبُو محمَّد الْجُوَيْنِيُّ إِلَى حُرْمَتِهِ ، وَأَشَارَ عِيَاضٌ إِلَى اخْتِيَارِهِ ، وَالصَّحِيحُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ لَا يَحْرُمُ وَلَا يُكْرَهُ ، قَالُوا : وَالْمُرَادُ أَنَّ الْفَضِيلَةَ الثَّابِتَةَ إِنَّمَا هِيَ شَدُّ الرَّحْلِ إِلَى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ خَاصَّةً ، انْتَهَى . وَقَدْ أَجَابَ الْجُمْهُورُ عَنْ حَدِيثِ شَدِّ الرَّحْلِ بِأَنَّ الْقَصْرَ فِيهِ إِضَافِيٌّ بِاعْتِبَارِ الْمَسَاجِدِ لَا حَقِيقِيٌّ .

قَالُوا : وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ " لَا يَنْبَغِي لِلْمَطِيِّ أَنْ يُشَدَّ رِحَالُهَا إِلَى مَسْجِدٍ تُبْتَغَى فِيهِ الصَّلَاةُ غَيْرِ مَسْجِدِي هَذَا ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى " ، فَالزِّيَارَةُ وَغَيْرُهَا خَارِجَةٌ عَنِ النَّهْيِ . وَأَجَابُوا ثَانِياً بِالْإِجْمَاعِ عَلَى جَوَازِ شَدِّ الرِّحَالِ لِلتِّجَارَةِ وَسَائِرِ مَطَالِبِ الدُّنْيَا .

وَعَلَى وُجُوبِهِ إِلَى عَرَفَةَ لِلْوُقُوفِ وَإِلَى مِنًى لِلْمَنَاسِكِ الَّتِي فِيهَا ، وَإِلَى مُزْدَلِفَةَ ، وَإِلَى الْجِهَادِ ، وَالْهِجْرَةِ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ ، وَعَلَى اسْتِحْبَابِهِ لِطَلَبِ الْعِلْمِ ، وَأَجَابُوا عَنْ حَدِيثِ : " لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً " بِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْحَثِّ عَلَى كَثْرَةِ الزِّيَارَةِ لَا عَلَى مَنْعِهَا ، وَأَنَّهُ لَا يُهْمَلُ حَتَّى لَا يُزَارَ إِلَّا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ كَالْعِيدَيْنِ . وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ : " لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً " ، أَيْ : لَا تَتْرُكُوا الصَّلَاةَ فِيهَا ، كَذَا قَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ .

وَقَالَ السُّبْكِيُّ : مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا تَتَّخِذُوا لَهَا وَقْتًا مَخْصُوصاً لَا تَكُونُ الزِّيَارَةُ إِلَّا فِيهِ ، أَوْ لَا تَتَّخِذُوهُ كَالْعِيدِ فِي الْعُكُوفِ عَلَيْهِ وَإِظْهَارِ الزِّينَةِ وَالِاجْتِمَاعِ لِلَّهْوِ وَغَيْرِهِ كَمَا يُفْعَلُ فِي الْأَعْيَادِ بَلْ لَا يُؤْتَى إِلَّا لِلزِّيَارَةِ وَالدُّعَاءِ وَالسَّلَامِ وَالصَّلَاةِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ عَنْهُ وَأُجِيبَ عَمَّا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ مِنَ الْقَوْلِ بِكَرَاهَةِ زِيَارَةِ قَبْرِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ بِكَرَاهَةِ زِيَارَةِ قَبْرِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَطْعاً لِلذَّرِيعَةِ ، وَقِيلَ : إِنَّمَا كَرِهَ إِطْلَاقَ لَفْظِ الزِّيَارَةِ ؛ لِأَنَّ الزِّيَادَةَ مَنْ شَاءَ فَعَلَهَا وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهَا ، وَزِيَارَةُ قَبْرِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنَ السُّنَنِ الْوَاجِبَةِ ، كَذَا قَالَ عَبْدُ

الْحَقِّ وَاحْتَجَّ أَيْضاً مَنْ قَالَ بِالْمَشْرُوعِيَّةِ بِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ دَأْبُ الْمُسْلِمِينَ الْقَاصِدِينَ لِلْحَجِّ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ عَلَى تَبَايُنِ الدِّيَارِ وَاخْتِلَافِ الْمَذَاهِبِ الْوُصُولَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُشَرَّفَةِ لِقَصْدِ زِيَارَتِهِ ، وَيَعُدُّونَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَلَمْ يُنْقَلْ أَنَّ أَحَداً أَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَكَانَ إِجْمَاعاً " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشّرواني (١٢٥٣هـ) : " حكاية : عن ابن مريم قال كنت حاجّاً في بعض السِّنين ، فأتيت مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإذا أنا بأعرابيٌّ يركضُ على بعيره حتى أتى مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فعقل بعيره ثمَّ دخل يؤمُّ القبر ، فلمَّا نظر إلى قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : بأبي أنت وأمِّي ، لقد بعثك الله بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليك كتاباً مستقيماً ، علَّمك فيه علم الأوَّلين والآخرين ، فقال : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وإنِّي لأعلم أنَّ ربَّك منجز لك ما وعدك ، وها أنا قد أتيتك مقرّاً بالذُّنوب ، مستشفعاً بك عند ربِّك عزَّ وجلَّ ثمَّ أمضى ، وأنشأ يقول شعراً :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ (٢)

وقال الإمام سَعيد بن محمَّد بَاعَلِيّ بَاعِشن الدَّوْعَنِيُّ الرّباطي الحضرمي الشّافعي (١٢٧٠هـ) : " تُسنُّ زيارة قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى للنِّساء اتِّفاقاً ، قال تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وهذا لا ينقطع بموته ... " (٣) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدّمياطي (المتوفى: بعد ١٣٠٢هـ) : " السَّلام عليك يا سيِّدي يا رسول الله ، إنَّ الله تعالى أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربِّي :

يا خير من دُفنت في القاع أعظمه ... فطاب من طيبهنَّ القاعُ والأكمُ
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ

---

(١) انظر : نيل الأوطار (٥/ ١١٣-١١٥) .

(٢) انظر : نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن (ص١٢) .

(٣) انظر : شَرح الْمُقدّمَة الحضرمية الْمُسمّى بُشرى الكريم بشَرح مَسَائل التَّعليم (ص٦٨٢) .

أنت النَّبيُّ الذي تُرجى شفاعتــــــه عند الصِّراط إذا مـــــــا زلَّت القدمُ
وصاحباك فلا أنساهمـــــــــــــــا أبداً منِّي السَّلام عليكم ما جرى القلمُ [١]

وقال الإمام محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً ، التَّناري بلداً (١٣١٦هـ) : " يسْتَحبُّ اسْتِحْبَاباً مؤكداً زِيَارَة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّهَا من أعظم الْقُرُبات ، وأنجح المساعي ، ويقصد الْمَسْجِد الشَّرِيف مَاشِياً بسكينة ووقار ، ممثلاً فِي نَفسه أَنه يضع قَدَمَيْهِ على مَوَاضِع أَقْدَام رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذا وصل إِلَى بَاب الْمَسْجِد الشَّرِيف وَيَنْبَغِي أَن يكون بَاب جِبْرِيل ، قصد الرَّوْضَة الشَّرِيفَة ، وَهِي مَا بَين الْمِنْبَر والقبر الْمُقَدّس ، فَيصَلي تَحِيَّة الْمَسْجِد فِي موقف رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيجْعَل عَمُود الْمِنْبَر حذاء مَنْكِبه الْأَيْمن ، ويسْتَقْبل السَّارية الَّتِي إِلَى جَانبهَا الصَّندوق ، وَتَكون الدَّائرة الَّتِي فِي الْقبْلَة بَين عَيْنَيْهِ ، فَتلك موقف رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذا فرغ من التَّحِيَّة ، شكر الله تَعَالَى على مَا أنعم بِهِ عَلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ إِتْمَام النِّعْمَة بِقبُول زيارته ثمَّ يَأْتِي الْقَبْر الشَّرِيف الْمُقَدّس ، فيقف قبالة الْوَجْه الشَّرِيف بِأَن يستدبر الْقبْلَة وَيسْتَقْبل جِدَار الْحُجْرَة الشَّرِيفَة ، وَيقف على مِقْدَار ثَلَاثَة أَذْرع من الْجِدَار نَاظراً إِلَى الأَرْض ، غاض الطَّرْف فِي مقَام الهيبة والتَّعظيم والإجلال ، فارغ الْقلب من جَمِيع العلائق ، مستحضراً فِي قلبه جلالة موقفه ومنزلة من هُوَ بِحَضْرَتِهِ ، فَإِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمع وَيعلم وقوفك بَين يَدَيْهِ ، وَليقل بِحُضُور قلب وخفض صَوت وَسُكُون جوارح : السَّلَام عَلَيْك يَا رَسُول الله ، السَّلَام عَلَيْك يَا نَبِي الله ، السَّلَام عَلَيْك يَا حبيب الله ، السَّلَام عَلَيْك يَا صفوة الله ، السَّلَام عَلَيْك يَا سيد الْمُرْسلين الطيِّبين الطَّاهرين ، السَّلَام عَلَيْك وعَلى أَزوَاجك الطَّاهرات أُمَّهَات الْمُؤمنِينَ ، السَّلَام عَلَيْك وعَلى أَصْحَابك أَجْمَعِينَ ، السَّلَام عَلَيْك وعَلى الْأَنْبِيَاء وَالْمُرْسلِينَ وَسَائِر عباد الله الصَّالِحين ، السَّلَام عَلَيْك أَيهَا النَّبي وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته .

قَالَ السُّبْكِيّ : والمروي عَن السَّلف الإيجاز فِي ذَلِك جدّاً .

فَعَن الإِمَام مَالك رَحمَه الله أَنه كَانَ يَقُول : السَّلَام عَلَيْك أَيهَا النَّبي وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته . ثمَّ إِن كَانَ أحد أوصاه بِالسَّلَامِ ، فَلْيقل : السَّلَام عَلَيْك يَا رَسُول الله من فلَان بن فلَان أَو نَحْو هَذَا ثمَّ يتَحَوَّل إِلَى جِهَة يَمِينه قدر ذِرَاع للسَّلام على أبي بكر رَضِي الله عَنهُ ، لِأَن رَأسه عِنْد منْكب رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُول : السَّلَام عَلَيْك يَا أَبَا بكر ، السَّلَام عَلَيْك يَا خَليفَة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصفيه وثانيه فِي الْغَار ، جَزَاك الله عَن أمة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيراً ثمَّ يتَحَوَّل إِلَى جِهَة يَمِينه قدر ذِرَاع للسَّلام على عمر رَضِي الله

---

[١] انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) (٢/ ٣٥٧) .

عَنهُ ، لِأَن رَأسه عِنْد منْكب أبي بكر رَضِي الله عَنهُ ، فَيَقُول : السَّلَام عَلَيْك يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ عمر الْفَارُوق الَّذِي أعزَّ الله بِهِ الْإِسْلَام ، جَزَاك الله عَن أمَّة نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيراً ثمَّ يعود إِلَى موقفه الأول ، ويتوسَّل بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَضَاء حَوَائِجه ، ويستشفع بِهِ إِلَى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَيَدْعُو لنَفسِهِ ولوالديه وَأَوْلَاده وَلمن أحبَّ بِهَا أحبَّ ، وَيخْتم دعاءه بآمين وبالصَّلاة على رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَن يَقُول فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنَّك قلت وقولك الْحق : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، اللَّهُمَّ إننا قد سمعنَا قَوْلك ، وأطعنا أَمرك ، وقصدنا نبيَّك هَذَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مستشفعين بِهِ إِلَيْك من ذنوبنا ، وَمَا أثقل ظُهُورنَا من أوزارنا ، تَائِبين إِلَيْك من زللنا ، معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، اللَّهُمَّ فتب علينا ، وشفِّع نبيَّك هَذَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا ، اللَّهُمَّ اغْفِر للمهاجرين وَالْأَنْصَار ، وَلِإِخْوَانِنَا الَّذين سبقُونَا بِالْإِيمَان ، وَلَا تجْعَل فِي قُلُوبنَا غلا للَّذين آمنُوا رَبنَا إِنَّك رؤوف رَحِيم " (١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد عوض الجزيري (١٣٦٠هـ) : " ثمَّ يقف عند رأسه الشَّريف كالأول ، ويقول : اللهمَّ إنَّك قلت وقولك الحق : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** ، وقد جئناك سامعين قولك ، طائعين أمرك ، متشفِّعين بنبيِّك **﴿وَالَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾** [الحشر: ١٠] ، **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ﴾** [البقرة: ٢٠١] (٢) .

وقال الإمام محمَّد سيِّد طنطاوي (١٤٣١هـ) : " ورحم الله ابن كثير ، فقد قال عند تفسيره لهذه الآية : وقوله : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، يُرشد- تعالى- العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيستغفروا الله عنده ، ويسألوه أن يستغفر لهم ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ، ولهذا قال : **﴿لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** ، وقد جاء عن الإمام العُتبي أنَّه قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاء أعرابيٌّ ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله !! سمعت الله يقول : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**

---

(١) انظر : نهاية الزين في إرشاد المبتدئين ،(ص٢١٩-٢٢٠) .

(٢) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٦٤١) .

جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً لذنبي ، مستشفعاً بك عند ربِّي . ثمَّ أنشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَـابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ

نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُـــهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَـرَمُ

قال العُتبيُّ : ثمَّ انصرف الأعرابيُّ ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم ، فقال : يا عُتبي ، الحق الأعرابيَّ ، فبشِّره أنَّ الله قد غفر له " [١] .

وجاء في الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة : " وَقَال النَّوَوِيُّ فِي بَيَانِ آدَابِ زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثمَّ يَرْجِعُ الزَّائِرُ إِلَى مَوْقِفٍ قُبَالَةَ وَجْهِ رَسُول اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَوَسَّل بِهِ وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ ، وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَقُول (الزَّائِرُ) مَا حَكَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ وَالْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ وَسَائِرُ أَصْحَابِنَا عَنِ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، مُسْتَحْسِنِينَ لَهُ قَال : كُنْت جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَال : السَّلاَمُ عَلَيْك يَا رَسُول اللهَّ . سَمِعْتُ اللهَّ تَعَالَى يَقُول : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُك مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعاً بِك إِلَى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ وَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأْكَمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُـهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرْمُ [٢]

ومع أنَّ إسناد رواية قصَّة العتبي فيه مقال ، لكن الشَّاهد هو إيراد العديد من المفسِّرين وأهل العلم لها في كتبهم ، لأنَّهم فهموا من الآية أنَّ استغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاصلٌ بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ، ولذلك حثُّوا على ضرورة الذَّهاب لزيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسؤاله الاستغفار ، لأنَّ الله أمره بالاستغفار لزائريه ، وأذن له في الشَّفاعة في العصاة والمذنبين ، وهذا تجده واضحاً بيِّناً في كتب المفسِّرين عند تفسيرهم لقوله تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، وكذا في كتب الفقه في باب زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو زيارة المدينة المنوَّرة ... كما أنَّ أبيات العتبي مكتوبة على واجهة حُجرة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّريفة في العمود الذي بين شبَّاك الحجرة النَّبويَّة يراها القاصي والدَّاني منذ مئات السِّنين ، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على القبول ، ولم يعترض عليها أحد ،

---

[١] انظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣/ ٢٠١) .

[٢] انظر : الموسوعة الفقهية الكويتية (١٤/ ١٥٧) .

حتَّى جاء من جعلوا السَّلف شمّاعة علَّقوا عليها مصائبهم وطامَّاتهم التي كانت بسبب الفهم السَّقيم الذي ما سبقهم إليه أحد ، والتي عادت على مجموع الأمَّة بالفُرقة والتَّفرقة ، والتَّكفير والتَّنفير ، وعظائم الأمور ...

فالعلماء الَّذين جوَّزوا التَّوسُّل استشهدوا بقوله تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] ، على جوازه ، وذكروا قصَّة العتبي ... فالتَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هو " ما سارت عليه الأُمَّة قروناً طوالاً ، ذلك إنه لم يؤثر عن أحد السَّلف أو من الخلف قبل ظهور ابن تيمية أنه منع التَّوسُّل بذوات الأموات ، من الأنبياء والصَّالحين (١) .

ثَانِياً : أَدِلَّةُ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَة :

الدَّلِيْلُ الأَوَّلُ : قال الآجرِّي : " حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَارِثِ الْفِهْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحمن بْنُ عَبْدِ اللهَّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ بِنْتِ أَبِي مَرْيَمَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحمن بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ ، قَالَ : " لَمَّا أَذْنَبَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الذَّنْبَ الَّذِي أَذْنَبَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ : أَسْأَلُكَ بِحَقِّ محمَّد إِلَّا غَفَرْتَ لِي ، فَأَوْحَى اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ : وَمَا محمَّد ؟ وَمَنْ محمَّد ؟ قَالَ : تَبَارَكَ اسْمُكَ ، لَمَّا خَلَقْتَنِي رَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى عَرْشِكَ وَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ محمَّد رَسُولُ اللهَّ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمَ قَدْراً عِنْدَكَ مِمَّنْ جَعَلْتَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ ، فَأَوْحَى اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ : يَا آدَمُ ، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، إِنَّهُ لَآخِرُ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ ، وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ ، قَالَ محمَّد بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللهُّ : وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : " مَا خَلَقَ اللهُّ وَلَا بَرَأَ وَلَا ذَرَأَ أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا سَمِعْتُ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ إِلَّا بِحَيَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : **﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** [الحجر: ٧٢] ، قَالَ : وَحَيَاتِكَ يَا محمَّد ، **﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** [الحجر: ٧٢] ، وَاللهُّ أَعْلَمُ " (٢).

---

(١) انظر : مجلة الأزهر ، الجزء الخامس ، المجلد الثاني ، جمادى الأول سنة ١٣٥٠هـ ، مقال للدجوي بعنوان : التوسل .

(٢) أخرجه الآجُرِّيُّ في الشريعة (٣/ ١٤١٥ برقم ٩٥٦) ، الطبراني في الدعاء (ص٣٩٧ برقم ١٣٣٤) ، المعجم الأوسط (٦/ ٣١٣ برقم ٦٥٠٢) ، المعجم الصغير (٢/ ١٨٢ برقم ٩٩٢) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٦٧٢ برقم ٤٢٢٨) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ ذَكَرْتُهُ لِعَبْدِ الرَّحمن بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، ابن كثير في مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم (٢/ ٦٧١) ، البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٨٩) ، وذكره القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٦٠٥) ، وصححه ، وكذا صححه الزرقاني في شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ٢٢٠) .

وقد ذكر ابن تيمية شاهدين لحديث توسُّل آدم بالرَّسول محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : " وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بشران مِنْ طَرِيقِ الشَّيخ أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ فِي الوفا بِفَضَائِلِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ محمَّد بْنُ عَمْرٍو ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إسْحَاقَ بْنِ صَالِحٍ ، ثَنَا محمَّد بْنُ صَالِحٍ ، ثَنَا محمَّد بْنُ سِنَانٍ العوفي ، ثَنَا إبْرَاهِيمُ بْنُ طهمان ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَيْسَرَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُفْيَانَ ، عَنْ مَيْسَرَةَ ، قَالَ : قُلْت : يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى كُنْت نَبِيّاً ؟ قَالَ : لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْأَرْضَ وَاسْتَوَى إلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَخَلَقَ الْعَرْشَ : كَتَبَ عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ : محمَّد رَسُولُ اللهِ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَخَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ الَّتِي أَسْكَنَهَا آدَمَ وَحَوَّاءَ ، فَكَتَبَ اسْمِي عَلَى الْأَبْوَابِ ، وَالْأَوْرَاقِ ، وَالْقِبَابِ ، وَالْخِيَامِ ، وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ، فَلَمَّا أَحْيَاهُ اللهُ تَعَالَى : نَظَرَ إلَى الْعَرْشِ فَرَأَى اسْمِي ، فَأَخْبَرَهُ اللهُ أَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِك ، فَلَمَّا غَرَّهُمَا الشَّيْطَانُ تَابَا وَاسْتَشْفَعَا بِاسْمِي إلَيْهِ .

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ : وَمِنْ طَرِيقِ الشَّيخ أَبِي الْفَرَجِ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ رشدين ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الفهري ، ثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إسْمَاعِيلَ الْمَدَنِيّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَمَّا أَصَابَ آدَمَ الْخَطِيئَةَ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ بِحَقِّ محمَّد إلَّا غَفَرْت لِي ، فَأَوْحَى إلَيْهِ وَمَا محمَّد ؟ وَمَنْ محمَّد ؟ فَقَالَ : يَا رَبِّ إنَّك لَمَّا أَتْمَمْت خَلْقِي رَفَعْت رَأْسِي إلَى عَرْشِك ، فَإِذَا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ : لَا إلَهَ إلَّا اللهُ محمَّد رَسُولُ اللهِ ، فَعَلِمْت أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِك عَلَيْك ؛ إذْ قَرَنْت اسْمَهُ مَعَ اسْمِك . فَقَالَ : نَعَمْ ، قَدْ غَفَرْت لَك وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِك وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُك " . فَهَذَا الْحَدِيثُ يُؤَيِّدُ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَهُمَا كَالتَّفْسِيرِ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ " [1] .

قال الإمام محمَّد بن علوي المالكي : " فهذا يدلُّ على أنَّ الحديث عند ابن تيمية صالح للاستشهاد والاعتبار ، لأنَّ الموضوع أو الباطل لا يستشهد به عند المحدِّثين ، وأنت ترى أنَّ الشَّيخ استشهد به هنا على التَّفسير " [2] .

قُلْتُ : والغريب أَنَّني بحثتُ طويلاً في كتاب " دلائل النُّبوَّة " لأبي نعيم ، حيث أحال عليه ابن تيمية ، ولم أجده ، وذلك في نسخة المكتبة الشَّاملة ، وغالبُ الظنِّ أنَّهم حذفوه منها ... فهذا هو ديدنهم ، كما هو معلومٌ ... فإلى الله الْمُشتكى .

---

[1] انظر : مجموع الفتاوى (٢/ ١٥٠) ، مجموعة الرسائل والمسائل ، ابن تيمية الحراني (٤/ ٢٣-٢٤) .

[2] انظر : مفاهيم يجب أن تصحَّح (ص١٢٢) .

الدَّلِيْلُ الثَّانِي : قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيباني (٢٤١هـ) : " حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، أَخْبَرَنَا فُضَيْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ ، عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – فَقُلْتُ لِفُضَيْلٍ : رَفَعَهُ ؟ قَالَ : أَحْسِبُهُ قَدْ رَفَعَهُ – قَالَ : مَنْ قَالَ حِينَ يَخْرُجُ إِلَى الصَّلاَةِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَراً وَلاَ بَطَرًا ، وَلاَ رِيَاءً وَلاَ سُمْعَةً ، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِكَ ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي ، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، وَكَّلَ اللهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ، وَأَقْبَلَ اللهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ صَلاَتِهِ " (١) .

والحديث حسن ، وهو دليلٌ على صحَّة القول بجواز التَّوسُّل إلى الله بالعمل الصَّالح ، فهل يليق أن يتوجَّه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسؤال الله تعالى بحقِّ السَّائلين ، وهو أكرم الخلق على الله تعالى ، ثمَّ يأتي من يمنع ذلك بحقِّنا ؟!!!

ومعنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ " ، أي : بالحقِّ الذي جعلته لهم عليك من محض فضلك بوعدك الذي لا يخلف . وفيه التَّوسُّل بحقِّ أرباب الخير على سبيل العموم من السَّائلين ، ومثلهم بالأولى الأنبياء والمرسلون " (٢) .

" وفي الحديث التَّوسُّل بعامَّة المسلمين وخاصَّتهم ، وإدخال الباء في أحد مفعولي السُّؤال إنَّما هو في السُّؤال الاستعلامي ، كقوله تعالى : **﴿فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾** [الفرقان: ٥٩] ، و **﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾** [المعارج: ١] ، وأمَّا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢١ برقم ١١١٧٣) ، ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٢١١ برقم ٢٩٨١٢) ، ابن الجَعْد في المسند (ص٢٢٩ برقم ٢٠٣١) ، ابن ماجه (١/ ٢٥٦ برقم ٧٧٨) ، الطبراني في الدعاء (ص١٤٩ برقم ٤٢١) ، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد (ص٧٦ برقم ٨٥) ، ابن بشران في الأمالي (ص٣٢٥ برقم ٧٥٣) ، البيهقي في الدعوات الكبير (ص١٢٥ برقم ٢٥) ، الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (١/ ٣٣٢ برقم ١١٧٢) ، والحديث ذكره المحقِّق الأستاذ محمود سعيد ممدوح في رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة (ص١٧١-١٧٢) ، وقال : وإسناد هذا الحديث من شرط الحسن ، وقد حسنه جمع من الحفاظ منهم الحافظ الدمياطي في " المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح " (ص٤٧١-٤٧٢) ، والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري كما في " الترغيب والترهيب " (٣/ ٢٧٣) . والحافظ العراقي في " تخريج أحاديث الاحياء " (١/ ٢٩١) . والحافظ ابن حجر العسقلاني في " أمالى الاذكار " (١/ ٢٧٢) . وقال الحافظ البوصيرى في " مصباح الزجاجة " (١/ ٩٩) : لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده . اهـ . فهؤلاء خمسة من الحفاظ رحمهم الله تعالى صحَّحوا أو حسنوا الحديث وقولهم حقيق بالقبول والوقوف عنده والاذعان إليه ... ثمَّ تكلَّم في تحسين الحديث بما لا مزيد عليه ...

(٢) انظر : الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية ، ابن علان ، (٢/ ٣٩) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

السَّؤال الاستعطائي فلا ندخل الباء فيه أصلاً إلَّا على المتوسَّل به ، فدونك الأدعية المأثورة ، فتصوُّر إدخالها هنا في المفعول الثَّاني ، إخراج للكلام عن سننه بهوى ، وصيحة باطل تمجُّها الأسماع ، وليس معنى الحقّ الإجابة ، بل ما يستحقُّه السَّائلون المتضرِّعون فضلاً من الله سبحانه ، فيكون عد " بِحَقِّ السَّائِلِينَ " سؤلاً لهذا الدَّاعي هذياناً محضاً ، ولا سيَّما عند ملاحظة ما عطف عليه في الحديث ، وأمَّا زعم أنَّه ليس في سياق الحديث ما يصلح أن يكون سؤلاً غير ذلك ، فممَّا يثير الضَّحك الشَّديد والهزء المديد ، فأين ذهب عن هذا الزَّاعم " أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ " ؟ وكم يكرّر الفعل للتَّوكيد ؟ فالسُّؤل في الفعل الأخير هو السُّؤل في الفعلين المتقدِّمين بل لو لم تكن تلك الأفعال من باب التَّوكيد لدخلت في باب التَّنازع ، فيكون هذا القيد معتبراً في الجميع على كلِّ تقدير " (١) .

قال الإمام يوسف الدِّجوي : " فالتَّوسُّل بالصَّالحين والدُّعاء ثابت وواقع ، وقد قلنا في بعض ما كتبناه : لا معنى لكون هذا شريكًا ، كما يقوله الغُلاة ، فإنَّ الحيَّ إذا طلب من الميِّت الّذي هو حيٌّ بروحه ، متمتع بلوازم الحياة وخصائصها ، فإنّما يطلب منه على سبيل التَّسبُّب والاكتساب ، لا على سبيل الخلق والإيجاد ؛ لأنّه ليس من المعقول أن يرفعه عن رتبة الحيِّ ، وهو إذا طلب من الحيِّ فإنَّما يطلب منه على هذا الوجه ، لا على جهة الخلق والإيجاد ، والطَّلب من المخلوق على سبيل التَّسبُّب ليس شركاً ولا كفراً ، فلا معنى لتكفير المسلمين بذلك ، ولو فرضنا أَنَّ الميِّت لا عمل له ، فإنّ خطأ المنادي أو المستغيث – على هذا الفرض – إنَّما هو في اعتقاد السَّببيَّة لا الإلهيَّة ، واعتقاد السَّببيَّة في غير الله ليس هو اعتقاد الإلهيَّة كما يظنُّه الجاهلون ، وقد عرفت ممَّا قدَّمناه أنّه ليس غَلَطاً أيضاً ، وإنَّما الغالطون هم الغُلاة ، وإن كان التَّوسُّل بمنزلته عند الله فالأمر واضح ، لأنَّ الموت لا يغيِّر المنزلة عند الله تعالى " (٢) .

وقد اعترض البعضُ على الاستدلال بهذا الحديث على جواز التَّوسُّل ، فعمدوا إلى تضعيف الحديث بعلل ثلاث : ضعف الفضيل بن مرزوق ، وعطيَّة العوفي ، والفضل بن الموفَّق " (٣) .

وللرَّدِّ عليهم نقول :

١ .أمَّا عن الفضيل بن مرزوق : فهو من رجال مسلم في صحيحه ، وثَّقه جماعة من الأَئمَّة ، منهم : العجلي في ثقاته ، (ص ٣٨٤) فقال : " جائز الحديث ثقة " ، ووثَّقه السُّفيانان : الثَّوري ، وابن عيينه ، وقال ابن عدي في

---

(١) انظر : مقالالت الكوثري (ص٣٩٥) .

(٢) انظر : التوسل والاستغاثة ، مقال للإمام الدجوي ، مجلة الأزهر ، الجزء الخامس ، المجلد الثاني ، جمادى الأولى سنة ١٣٥٠هـ .

(٣) انظر : : التوسل ، الألباني(ص١٠٢ فما بعدها) ، التوصُّل إلى حقيقة التوسل ، محمَّد نسيب الرفاعي ، (ص٢٢٠ فما بعدها) .

الكامل (٦/ ٢٠٤٥) : لفضيل أحاديث حسان ، وأرجو أنَّه لا بأس به . وقال أحمد بن حنبل كما في الجرح (٧/ ٧٥) لا أعلم إلَّا خيراً . ووثَّقه ابن شاهين بإدخاله في الثِّقات (ص١٨٥) .

أمَّا إمام الجرح والتَّعديل يحيى ابن معين ، فقد روى عنه خمسة من أصحابة توثيقه لفضيل بن مرزوق ، وهم : عثمان الدَّارمي ، والدُّوري ، وعبدالخالق بن منصور ، وابن محرز ، وابن خيثمة ، وأدخله الذَّهبي في كتابه (من تكلِّم فيه وهو موثق) (ص١٥١) ، وأطلق الذَّهبي القول في توثيقة في الكاشف (٢/ ٣٣٢) .

ومن الغريب العجيب أنَّ الألباني ضعَّف حديث الفضيل في ضعيفته (١/ ٣٢٣٤) ، ثمَّ عاد وتناقض وحسَّن حديثه في الصَّحيحة (٣/ ١٢٨) [١] .

٢. أمَّا عن العلَّة الثَّانية وهي الكلام في عطيَّة العوفي ، فقد ضعَّفوة بسبب تدليس الشُّيوخ ، والتَّشيُّع ، وقد اعتمد من اتَّهم عطيَّة العوفي بتدليس الشُّيوخ على الآتي : قال عبدالله بن أحمد : سمعت أبي ذكر عطيَّة العوفي ، فقال : هو ضعيف الحديث ، بلغني أنَّ عطيَّة كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التَّفسير ، وكان يكنِّيه ، فيقول : قال أبو سعيد ، قال أبي ، وكان هشيم يضعِّف حديث عطيَّة " .

وقال عبدالله بن أحمد : حدَّثني أبي ، حدَّثني أبو أحمد الزبيري ، سمعت الثَّوري ، قال : سمعت الكلبي ، قال : كنَّاني عطيَّة بأبي سعيد . وسمعت أبي يقول : كان سفيان الثَّوري يضعِّف حديث عطيَّة العوفي " ، كذا في العلل ومعرفة الرِّجال (١/ ١٢٢) ، والجرح والتَّعديل (٦/ ٣٨٣) ، وضعفاء العقيلي (٣/ ٣٥٩) ، والكامل لابن عدي (٥/ ٢٠٠٧) .

فأنت ترى أنَّ من ضعَّفه بسبب التَّدليس اعتمد على حكاية الكلبي ، وحكايته هي مدار الجميع ، وحال الكلبي معروف للجميع فهو مُتَّهمٌ بالكذب ، فالسَّند الذي يكـــــون فيه ذلك الرَّجل لا ينظر إليه ، ولا يعتمد عليه في شيء ...

وقد أنصف الإمام ابن رجب ، فقال في علل الإمام التِّرمذي (ص٤٧١) بعد نقله أصل الحكاية عن العلل للإمام أحمد ما نصّه : " ولكن الكلبي لا يعتمد على ما يرويه " .

وأمَّا من تكلَّموا عن عطيَّة العوفي لتشيُّعه ، كالجوزجاني ، فإنَّه قال في أحوال الرِّجال (ص٥٦) : " مائل " ، والجوزجاني كان معروفاً بالنَّصب مشهوراً به ، حتى قال عنه الحافظ في مقدِّمة اللسان (١/ ١٦) : " الحاذق إذا

---

[١] انظر : مباحثة السائرين بحديث اللهمَّ إني أسألك بحق السائلين (ص١١ فما بعدها) .

تأمَّل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب ، وذلك لشدَّة انحرافه في النَّصب ، وشهرة أهلها بالتَّشيُّع " .

وكذا قول السَّاجي في عطيَّة العوفي كما في التَّهذيب (٧/ ٢٢٦) : " ليس بحجَّة ، وكان يقدِّم عليّاً على الكلِّ ، فإنَّ السَّاجي كان بصريّاً ، والبصريُّون كثر فيهم النَّصب ، قال الحافظ في اللسان (٤/ ٤٣٩) : " النَّصب معروف في كثير من أهل البصرة " [١] .

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ السَّبب الذي لأجله رُمي عطيَّة العوفي بالتَّشيُّع هو حُبُّه لعليٍّ رضي الله عنه ، وأنَّه رفض أن يسبَّه ، وقد نصَّ على ذلك الحافظ ابن حجر في " التَّهذيب " ، فقال : " خرج عطيَّة مع ابن الأشعث ، فكتب الحجَّاج إلى محمَّد بن القاسم أن يعرضه على سبِّ عليٍّ ، فإن لم يفعل فاضربه أربعمائة سوط ، واحلق لحيته ، فاستدعاه فأبى أن يسبَّ ، فأمضى حكم الحجَّاج فيه ثمَّ خرج إلى خراسان " [٢] .

وعليه ، فقد تبيَّن أنَّ إتِّهام عطيَّة العوفي بالتَّدليس ليس صحيحاً ، والتَّشيُّع الحقُّ لا علاقة له بالرِّواية ، فالرَّجل صدوق .

٣. وأمَّا عن الفضل بن الموفَّق ، فقد قال الكوثري : " هو ابن خال ابن عيينة ، قال أبو حاتم : صالح ، ضعيف الحديث ، ولم يضعِّفه سواه ، وجُرحه غير مفسَّر ، بل وافقه البستي " [٣] .

وقد عقَّب الكوثري على من ضعَّف الحديث بالرُّواة الثَّلاثة السَّابقين ، فقال : " لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق ، فهو صحيح عنده ، وذكره رزين ، ورواه أحمد بن منيع في مسنده ، ثنا يزيد ، ثنا فضيل بن مرزوق ، فذكره بإسناده ومتنه .

وقال علاء الدِّين مغلطاي في الإعلام شرح سنن ابن ماجه : ذكره أبو نعيم الفضل " هو ابن دكين " في كتاب الصَّلاة ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطيَّة ، عن أبي سعيد الخدري موقوفاً أهـ ولم ينفرد عطيَّة عن الخدري ، بل تابعه أبو الصّديق عنه في رواية عبد الحكم بن ذكوان ، وهو ثقة عند ابن حبَّان ، وإن أعلَّه به أبو الفرج في علله .

---

[١] انظر : مباحثة السائرين بحديث اللهمَّ إني أسألك بحق السائلين (ص٢١ فما بعدها) .

[٢] انظر : تهذيب التهذيب (٧/ ١٩٥-١٩٦) .

[٣] انظر : هامش مقالات الكوثري (ص٣٩٣) .

وأخرج ابن السنِّي في " عمل اليوم والليلة " بسند فيه الوازع ، عن بلال ، وليس فيه عطيَّة ، ولا ابن مرزوق ، ولا ابن الموفَّق : " اللهمَّ بحقِّ السَّائلين عليك " ، فظهر أنَّه لم ينفرد عطيَّة ، ولا ابن مرزوق ، ولا ابن الموفَّق بالنَّظر إلى هذه الطُّرق ، على فرض ضعف الثَّلاثة ، مع أنَّ يزيد بن هارون شيخ أحمد بن منيع شارك ابن الموفَّق في روايته عن ابن مرزوق ، وكذا الفضيل بن دكين ، وابن فضيل ، وسليمان بن حيَّان ، وغيرهم . وعطيَّة جُرح بالتَّشيُّع لكن حسَّن له التِّرمذي عدة أحاديث ، وعن ابن معين أنَّه صالح ، وعن ابن سعد : ثقة إن شاء الله ، وعن ابن عدي : له أحاديث صالحة ، وبعد التَّصريح بالخدري لا يبقى احتمال التَّدليس ، ولا سيَّما مع المتابعة ، وابن مرزوق ترجَّح توثيقه عند مسلم ، فروى عنه في صحيحه ...

على أنَّ الحديث مرويٌّ بطريق بلال رضي الله عنه ، فلا تنزل درجة الحديث مهما نزلت عن درجة الاحتجاج به ، بل يدور أمره بين الصِّحَّة والحسن لكثرة المتابعات والشَّواهد " (١) .

الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ : قال الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) : " حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَارَةَ بْنَ خُزَيْمَةَ ، يُحَدِّثُ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ ، أَنَّ رَجُلاً ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : ادْعُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنِي ، قَالَ : " إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَاكَ ، فَهُوَ خَيْرٌ " . فَقَالَ : " ادْعُهُ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ، فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ ، وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ ، وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ : اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ محمَّد نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا محمَّد ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ ، فَتَقْضِي لِي ، اللهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ " (٢) .

---

(١) انظر : مقالات الكوثري (ص٣٩٤) .

(٢) قال الشَّيخ الأرنؤوط : " إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، أبو جعفر : هو عمير بن يزيد بن عمير الأنصاري الخطمي ، وهو وعمارة بن خزيمة – وهو ابن ثابت – من رجال أصحاب السنن ، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين ، غير أن عثمان بن حنيف – وهو عم أبي أمامة بن سهل بن حنيف – إنما أخرج له البخاري في " الأدب المفرد " وأصحاب السنن سوى أبي داود . عثمان بن عمر : هو ابن فارس العبدي .

وأخرجه عبد بن حميد في " المنتخب " (٣٧٩) ، والترمذي (٣٥٧٨) ، والنسائي في " الكبرى " (١٠٤٩٥) ، وهو في " عمل اليوم والليلة " (٦٥٩) ، وابن ماجه (١٣٨٥) ، وابن خزيمة (١٢١٩) ، والحاكم ١/ ٣١٣ و٥١٩ من طرق عن عثمان بن عمر، بهذا الإسناد . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر ، وهو الخطمي . وقال الحاكم : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي .

قلنا : بل في إسناده من لم يخرج له الشيخان ، كما سلف .

وأخرجه الحاكم كذلك ١/ ٥١٩ من طريق محمَّد بن جعفر ، عن شعبة ، به . وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

وقد فهم الصَّحابة رضوان الله عليهم أنَّ العمل بهذا الحديث لم ينقطع بانتقال الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرَّفيق الأعلى ، لأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشرِّع إلى يوم القيامة ، ولذلك فقد وردت زيادة موقوفة عن المرفوعة رواها الطَّبراني وغيره ، قال الطَّبراني : " حَدَّثَنَا طَاهِرُ بْنُ عِيسَى بْنِ قَيْرَسَ الْمُقْرِي الْمِصْرِيُّ التَّمِيمِيُّ ، حَدَّثَنَا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ وَهْبٍ ، عَنْ شَبِيبِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَكِّيِّ ، عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ الْمَدَنِيِّ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ، عَنْ عَمِّهِ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ " أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُ فِي حَاجَةٍ لَهُ ، فَكَانَ عُثْمَانُ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، وَلا يَنْظُرُ فِي حَاجَتِهِ ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حَنِيفٍ ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ حَنِيفٍ : ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ، ثمَّ ائْتِ الْمَسْجِدَ فَصَلِّ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ ، إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا محمَّد إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي ، وَتَذْكُرُ حَاجَتَكَ ، وَرُحْ إِلَيَّ حَتَّى أَرُوحَ مَعَكَ ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ ، فَصَنَعَ مَا قَالَ لَهُ عُثْمَانُ ، ثمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ ، فَجَاءَ الْبَوَّابُ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِهِ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الطِّنْفِسَةِ ، وَقَالَ : حَاجَتُكَ ؟ فَذَكَرَ حَاجَتَهُ ، فَقَضَاهَا لَهُ ، ثمَّ قَالَ لَهُ : مَا ذَكَرْتَ حَاجَتَكَ حَتَّى كَانَتْ هَذِهِ السَّاعَةُ ، وَقَالَ : مَا كَانَتْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ ، فَأْتِنَا ، ثمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ ، فَقَالَ : لَهُ جَزَاكَ اللهَّ خَيْراً ، مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي ، وَلا يَلْتَفِتُ إِلَيَّ حَتَّى كَلَّمْتَهُ فِي ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ : وَاللهَّ ، مَا كَلَّمْتُهُ ، وَلَكِنْ شَهِدْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وَأَتَاهُ ضَرِيرٌ ، فَشَكَا عَلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ ، فَقَالَ: لَهُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : " أَفَتَصْبِرُ ؟ " ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ ، وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ ، فَقَالَ لَهُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : " ائْتِ الْمِيضَأَةَ ، فَتَوَضَّأْ ، ثمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ثمَّ ادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ " قَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ : فَوَاللهَّ ، مَا تَفَرَّقْنَا وَطَالَ بِنَا الْحَدِيثُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضَرَرٌ قَطُّ " . لَمْ يَرْوِهِ عَنْ

وأخرجه الطبراني في " الكبير" (٨٣١١/ ٢) من طريق إدريس بن جعفر العطار ، عن عثمان بن عمر ، عن شعبة ، عن أبي جعفر ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف ، به . قال الدارقطني : إدريس بن جعفر العطار متروك .

وأخرجه بنحوه النسائي في " الكبرى " (١٠٤٩٦) ، وهو في " عمل اليوم والليلة " (٦٦٠) من طريق هشام الدستوائي ، وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٨٣١١/ ١) ، وفي " الصغير" (٥٠٨) مطولاً بذكر قصة ، وابن السني في " عمل اليوم والليلة " (٦٣٣) ، والحاكم ١/ ٥٢٦-٥٢٧ من طريق روح بن القاسم ، كلاهما عن أبي جعفر الخطمي ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف ، به . وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ، ووافقه الذهبي " . انظر : هامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ، (٢٨/ ٤٧٨-٤٧٩) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م ، وقد أسهب العلامة محمود سعيد ممدوح في كلامه على الحديث في رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة ، (ص١٢٢ فما بعدها) بما لا مزيد عليه .

رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ إِلَّا شَبِيبُ بْنُ سَعِيدٍ أَبُو سَعِيدٍ الْمَكِّيُّ ، وَهُوَ ثِقَةٌ ، وَهُوَ الَّذِي يُحَدِّثُ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ شَبِيبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ الْأُبُلِّيِّ ، وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ شُعْبَةُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ وَاسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ يَزِيدَ ، وَهُوَ ثِقَةٌ تَفَرَّدَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ بْنِ فَارِسٍ عَنْ شُعْبَةَ ، وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ " (١) .

وموضع الاستشهاد بهذا الأثر أنَّ الصَّحابي عثمان بن حنيف فَهِمَ من الحديث أنَّه لا يختصُّ بزمن الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدليل أنَّه " علَّم من شكا إبطاء الخليفة عن قضاء حاجته هذا الدَّعاء الذي فيه التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والنِّداء له مستغيثاً به بعد وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولَمَّا ظنَّ الرَّجُلُ أن حاجته قُضيت بسبب كلام عثمان مع الخليفة ، بادر ابن حنيف بنفي ذلك الظَّنّ ، وحدَّثه بالحديث الذي سمعه وشهده ، ليثبت له أنَّ حاجته إنَّما انقضت بتوسُّله به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وندائه له واستغاثته به ، وأكَّد ذلك له بالحلف أنَّه ما كلَّم الخليفة في شأنه " (٢) .

وقد استدلَّ العلماء بحديث الضَّرير هذا على جواز التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، وذلك من وجوه :

الأوَّلُ : أنَّ هذا الحديث وإن كان ورد بسبب سؤال هذا الضَّرير ، فغيره مثله في ذلك للقطع الجازم باستواء النَّاس في الأحكام الشَّرعيَّة .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٣٠٦ برقم ٥٠٨) ، الدعاء (١/ ٣٢٠ برقم ١٠٥٠) ، المعجم الكبير (٩/ ٣٠ برقم ٨٣١٠) ، البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٦٧) ، الفسوي في مشيخته (ص٩٤ برقم ١١٣) ، الضياء المقدسي في العدة للكرب والشدة (ص٦٥ برقم ٢٩) ، المنذري في الترغيب والترهيب من الحديث الشريف (١/ ٢٧٣ برقم ١٠١٨) ، وقال : قال الطبراني بعد ذكر طرقه : والحديث صحيح . وقال العلامة المحقق محمود سعيد ممدوح بعد نقله تصحيح الرواية : " قلت : لا كلام بعد تصحيح الطبراني للحديث مرفوعاً وموقوفاً . فإن قيل : قد صحَّح الطبراني الحديث المرفوع ، لكنه لم يصحِّح القصة الموقوفة . أجيب : بأنَّ الطبراني قد وثق (شبيب بن سعيد الحبطي) ، وهو راوي الموقوف ، وتوثيق حديث الرجل هو تصحيح لحديثه ، فالأمر سهل ولا يحتاج لبيان ، ويؤيد هذا ويوضحه أنَّ الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ١٧٩) لم يتكلم على الحديث كما عهد عنه ، ولكنه اقتصر على نقل تصحيح الطبراني فقط . فتدبَّر أيها المستبصر . ومع ذلك سعى الساعون لتضعيف هذه الزيادة الموقوفة جهد الطاقة ، فأتوا بعلل مزعومة هي : ١ - شيخ الطبراني طاهر بن عيسى مجهول . ٢ - شبيب بن سعيد الحبطي انفرد بالقصة وهو ضعيف الحفظ . ٣ - الاختلاف عليه فيها . ٤ - مخالفته للثقات الذين لم يذكروا القصة في الحديث . والثلاثة الاخيرة ذكرها الالباني في توسله (ص ٨٨) ، والناظر فيها لا يراها أكثر من دفعة صدر من متعنت ، وسيرى أنَّ السعي لتضعيف الأحاديث الصحيحة بهذه الحجج الواهية سعي لاقامة باطل بدعائم هي أوهى من بيوت العنكبوت ، ولو فتح هذا المهيع الخطير لانسدَّ بابُ الآثار ، والله المستعان ... ثمَّ شرع في الردِّ على من ضعَّف الرواية ... " . انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة ، محمود سعيد ممدوح ، (ص١٢٦فما بعدها) .

(٢) انظر : مفاهيم يجب أن تصحَّح (ص١٣٢) .

الثَّانِي : أنَّه وإن كان الخطاب فيه متوجِّهاً إلى الضَّرير ، فهو محمولٌ على العموم ، للإجماع المتيقّن من جميع العلماء على أنَّ خطابات الشَّارع محمولة على العموم ، وإن كانت خارجة مخرج الخصوص ، حتى يقوم الدَّليل على تخصيص شيء منها ، فيوقف عنده ، وهو هنا مفقود .

الثَّالِثُ : أنَّ الضَّرير سأل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو له ، فعلَّمه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّعاء المذكور ، فعدوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الدُّعاء المطلوب منه إلى تعليمه دعاءً دليلٌ على أنَّه أراد أن يشرِّع لأُمَّته حكماً عامَّاً لا يختصُّ بواحد منهم دون آخر .

الرَّابِعُ : أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرشد الضَّرير إلى الصَّلاة والدُّعاء ، والصَّلاة مشروعة لجميع النَّاس بالإجماع ، فكذلك الدُّعاء ، والتَّفريق بينهما تعطيل لبعض الحديث من غير دليل ، وهو تلاعبٌ لا يقبل .

الخَامِسُ : ولو فرضنا أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا لهذا الضَّرير ، مع أنَّ الحديث لا يدلُّ على ذلك أصلاً ، فدعاؤه يدلُّ على جواز التَّوسُّل في عموم الحالات ، لما تقرَّر في علم الأصول : أنَّ فعل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشيء يدلُّ على جوازه ، لأنه لا يفعل المحرَّم ولا المكروه ، ويندب الاقتداء به لقوله تعالى : **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾** [الأحزاب: ٢١]

السَّادِسُ : أنَّه لو كان الحديث خاصَّاً بهذا الضَّرير أو بحال الحياة دون الممات ، أو في الحضور دون الغيبة لبيَّن ذلك ، كما بيّن لأبي بردة أنَّ الجذعة من المعز تجزئه في الأضحية ، ولا تجزئ أحداً غيره .

السَّابِعُ : أنَّه لو كان الحديث خاصاً بهذا الضَّرير أو بحال الحياة دون الممات لبيَّن ذلك ، وإذا لم يبيِّن ذلك لكان قد أخر البيان عن وقت الحاجة وهو ممنوعٌ ، لأنَّه تكليف بما لا يعلم .

الثَّامِنُ : أنَّ عثمان بن حنيف وهو راوي الحديث ، وأعرف بالمراد منه ، حمله على العموم ، حيث أرشد الرَّجل الذي كانت له حاجة عند عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وطال انتظاره لقضائها إلى الدُّعاء المذكور ، وهذا يؤيِّد ما قدَّمناه .

التَّاسِعُ : أنَّ حُفَّاظ الحديث ونُقَّاده فهموا من حديث الضَّرير العموم ، حيث ترجموا عليه في كتبهم بتراجم تفيد ذلك ، فذكره التِّرمذي والحاكم والبيهقي في كتاب الدَّعوات على أنَّه من الدَّعوات المأثورة المشروعة ، وذكره ابن ماجه والمنذري والهيثمي في كتاب الصَّلاة ، لأنَّ الصَّلاة المأمور بها فيه داخلة في باب التَّطوُّع والنَّفل ، وذكره النَّووي في باب أذكار صلاة الحاجة على أنَّه من جملة الأذكار التي تُقال عند عروض الحاجة ، وهذا اتِّفاق منهم على أنَّ الحديث معمولٌ به ، وأنَّه عامٌّ لجميع النَّاس في جميع الحالات ، ولو كان خاصَّاً بذلك الضَّرير أو

بحالة دون أخرى لم يكن لذكرهم له في كتب الأحكام وغيرها فائدة ، ولنبَّهوا على أنَّه غير معمول به ، كما نبَّهوا على غيره من الأحاديث التي تكون مخصوصة أو منسوخة ، وهذا ظاهر جداً " (١) .

وقد اعترض مدَّعو السَّلفيَّة على الاستدلال بحديث عثمان بن حنيف – رضي الله عنه – فـ :

١ -زعموا أنَّ أبا جعفر – الذي في سند الحديث – ليس هو الخطمي . بل هو آخر مجهول ... (٢) .

والحقُّ أنَّ هذا ليس بشيء ، فإنَّه ممَّا وقع في بعض النُّسخ المطبوعة من تصرُّفات النَّاسخين ، وليس من عادة التِّرمذي أن يقول : هو غير فلان ، ويتركه من غير بيان ، على أنَّ أبا جعفر الرَّاوي عن عمارة بين شيوخ شعبه ، إنَّما هو عمير بن يزيد الخطمي المدني الأصل ثمَّ البصري ، كما يظهر من كتب الرِّجال المعروفة من مطبوع ومحفوظ (٣) .

وأبو جعفر الرَّازي المتوفَّى سنة (١٦٠هـ) ، من شيوخ شعبه لم يدرك عمارة المتوفَّى سنة (١٠٥هـ) أصلاً ، لأنَّ رحلته إلى الحجاز بعد وفاة عمارة بنحو تسع سنين ، وشعبةُ شعبةٌ في التَّثبُّت فيما يروي ، على أنَّ طرقاً أخرى للحديث عند الطَّبراني وغيره تنصُّ في صلب السَّند على أنَّه الخطمي الثِّقة باتِّفاق ، وسند الطَّبراني في هذا الحديث مسوق في " شفاء السِّقام " للتَّقي السُّبكي (٤) .

ورجال سند التِّرمذي كلُّهم ثقات ، وإنَّما سمَّاه غريباً لانفراد عثمان بن عمر عن شعبة ، وانفراد أبي جعفر عن عمارة ، وهما ثقتان باتِّفاق ، وكم من حديث صحيح ينفرد به أحد الرُّواة كحديث " إنَّما الأعمال بالنيَّات " . وسمَّاه حسناً أيضاً لتعدُّد طرقة بعد أبي جعفر وعثمان بن عمر ، وتسميته صحيحاً باعتبار تكامل أوصاف الصِّحَّة في رواته (٥) .

وقال الإمام الغماري :" ولعلَّ زيادة لفظ (غير) سهو من التِّرمذي رحمه الله ، وإلَّا فأبو جعفر هو الخطمي ، كما صرَّح به ابن أبي خيثمة ، والطَّبراني ، وغيرهما .

---

(١) انظر : الردُّ المحكم المتين على كتاب القول المبين (ص١٥٢-١٥٤ باختصار) .

(٢) انظر : التوصل إلى حقيقة التوسل (ص٢٣٦) .

(٣) انظر : ترجمته في تهذيب الكمال (٢٢/ ٣٩١) ، تهذيب التهذيب (٨/ ١٢٨) .

(٤) انظر : : شفاء السقام (ص١٧٦) .

(٥) انظر : مقالات الكوثري (ص٣٩٠) .

وقال ابن تيمية ما نصّه :" هكذا وقع في التِّرمذي ، وسائر العلماء قالوا : هو أبو جعفر الخطمي ، وهو الصَّواب " [1] .

وعلَّق حمدي السَّلفي على الحديث فقال : " لا شكَّ في صحَّة الحديث المرفوع ، وإنَّما الشكُّ في هذه القصَّة (أي : قصَّة إرشاد عثمان بن حنيف لمن جاء إليه يطلب منه التوسُّط له عند سيِّدنا عثمان بن عفان لقضاء حاجته) التي يستدلُّ بها على التَّوسُّل المبتدع ، وهي انفرد بها شبيب ، كما قال الطَّبراني ، وشبيب لا بأس بحديثه ، بشرطين : أن يكون من رواية ابنه أحمد عنه ، وأن يكون من رواية شبيب عن يونس بن يزيد . والحديث رواه عن شبيب ابن وهب وولداه إسماعيل وأحمد ، وقد تكلَّم الثِّقات في رواية ابن وهب عن شبيب ، في شبيب ، وابنه إسماعيل لا يعرف ، وأحمد وإن روى القصَّة عن أبيه إلَّا أنَّها ليست من طريق يونس بن يزيد ، ثمَّ اختلف فيها على أحمد ، ورواه ابن السنِّي في " عمل اليوم والليلة " ، والحاكم من ثلاثة طرق بدون ذكر القصَّة ، ورواه الحاكم من طريق عون بن عمارة البصري عن روح بن القاسم به ، قال شيخنا محمَّد ناصر الدِّين الألباني : وعون هذا وإن كان ضعيف فروايته أولى من رواية شبيب لموافقتها لرواية شعبة وحماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي " [2] .

وللرَّدِّ عليه نقول :

أوَّلاً : لقد أشتمل كلام السّلفي والألباني على الكذب والخيانة ، حيث كتما ما قاله الإمام الحاكم في شبيب ، فقد كتما قوله : " والقول فيه قول شبيب ، فإنَّه ثقة مأمون " [3] .

ثانياً : هذه القصَّة رواها البيهقي في دلائل النُّبوَّة من طريق يعقوب بن سفيان ، حدثنا أحمد بن شبيب بن سعيد ، ثنا أبي ، عن روح بن القاسم ، عن أبي جعفر الخطمي ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمِّه عثمان بن حنيف ، أنَّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفَّان رضي الله عنه ، فذكر القصَّة بتمامها " [4] .

ويعقوب بن سفيان هو الفسوي الحافظ الإمام الثِّقة ، بل هو فوق الثِّقة ، وهذا إسناد صحيح ، ومعنى ذلك أنَّها صحيحة ، وهذا الذي يوافق كلام الحافظ ، ويبطل ما استنبطه الألباني من كلام الحافظ في مقدِّمة "

---

[1] انظر : الردُّ المحكم المتين (ص١٤٣) .

[2] انظر : هامش المعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٧) .

[3] انظر : المستدرك على الصحيحين (١/ ٧٠٧) .

[4] انظر : دلائل النبوة (٦/ ١٦٦-١٦٧) .

فتح الباري " ، فليتأمَّل . كما أنَّ الحفَّاظ أيضاً صحَّحوا هذه القصَّة ، كالمنذري في " التَّرغيب والتَّرهيب " (٢/٦٠٦) ، والهيثمي في " مجمع الزَّوائد " (٢/ ٢٧٩) .

ثَالِثَاً : أحمد بن شبيب من رجال البخاري ، روى عنه في الصَّحيح ، وفي الأدب المفرد . ووثَّقه أبو حاتم الرَّازي ، وكتب عنه هو وأبو زرعة ، وقال ابن عدي : وثَّقه أهل البصرة ، وكتب عنه علي ابن المديني .

وأبوه شبيب بن سعيد التَّميمي الحبطي البصري أبو سعيد من رجال البخاري أيضاً ، روى عنه في الصَّحيح ، وفي " الأدب المفرد " . ووثَّقه أبو زرعة ، وأبو حاتم ، والنَّسائي ، والذّهلي ، والدَّارقطني ، والطَّبراني في الأوسط . قال أبو حاتم : كان عنده كتب يونس بن زيد ، وهو صالح الحديث لا بأس به . وقال ابن عدي : ولشبيب نسخة الزُّهري عنده عن يونس عن الزُّهري أحاديث مستقيمة .

وقال ابن المديني : ثقة كان يختلف في تجارة إلى مصر وكتابه كتاب الصَّحيح . هذا ما يتعلَّق بتوثيق شبيب ، وليس فيه اشتراط صحَّة روايته بأن تكون عن يونس بن يزيد . بل صرَّح ابن المديني بأنَّ كتابه صحيح . وابن عدي إنَّما تكلَّم عن نسخة الزُّهري عن شبيب فقط ، ولم يقصد جميع رواياته ، فما ادَّعاه الألباني تدليس وخيانة ، يؤكِّد ذلك أنَّ حديث الضَّرير صحَّحه الحفَّاظ ، ولم يروه شبيب عن يونس عن الزُّهري !! وإنَّما رواه عن روح بن القاسم ، ودعواه ضعف القصَّة بالاختلاف فيها حيث لم يذكرها بعض الرُّواة عند ابن السنّي والحاكم ، لون ءاخر من التَّدليس ، لأنَّ من المعلوم عند أهل العلم أنَّ بعض الرُّواة يروي الحديث وما يتَّصل به كاملاً ، وبعضهم يختصر منه بحسب الحاجة ، والبخاري يفعل هذا أيضاً ، فكثيراً ما يذكر الحديث مختصراً ويوجد عند غيره تاماً . والذي ذكر القصَّة في رواية البيهقي إمامٌ فذٌّ يقول عنه أبو زرعة الدِّمشقي : قدمَ علينا رجلان من نبلاء النَّاس ، أحدهما وأرحلهما يعقوب بن سفيان ، يعجز أهل العراق أن يَرَوا مثلَه رجلاً .

وتقديمه رواية عون الضَّعيف على من زاد القصَّة ، لون ثالث من التَّدليس والغشّ ، فإنَّ الحاكم روى حديث الضَّرير من طريق عون مختصراً ثمَّ قال : تابعه شبيب بن سعيد الحَبَطي ، عن روح بن القاسم زيادات في المتن والإسناد ، والقول فيه قول شبيب ، فإنَّه ثقة مأمون ، هذا كلام الحاكم ، وهو يؤكِّد ما تقرَّر عند علماء الحديث والأصول أنَّ زيادة الثِّقة مقبولة ، وأنَّ من حفظ حجَّة على من لم يحفظ [1] .

---

[1] انظر : : إرغام المبتدع (ص١٣-١٤) .

رَابِعَاً : أنَّه لم ينقل الألباني عن حافظ واحد أنه نصَّ على تضعيف القصَّة ، مع ملاحظة أنَّ هؤلاء الحفَّاظ من الأئمَّة الأعلام كالمنذري ، والهيثمي ، وغيرهما ، لم ينصُّوا على أنَّ هذا بدعة أو شرك ، بل ذكروها في أبواب صلاة الحاجة ، ناصِّين على التَّصحيح مقرِّين له ، غير معقِّبين عليه بالضَّعف والنَّكارة أو الشِّرك والبدعة .. [1] .

خَامِسَاً : أنَّه ليس من المعقول أن يُجمع الحفَّاظ على تصحيح حديث في سنده مجهول ، خصوصاً : الذَّهبي ، والمنذري ، فمحاولة بعض العصريِّين لتضعيف الحديث مقضيٌّ عليها بالفشل الكبير ، فالحديث صحيح بلا شكٍّ ، وهو يدلُّ على جواز التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع الحالات وفي سائر الأوقات .

ويكفي لبيان ذلك هنا أن نقول : إنَّ العلماء فهموا الحديث على العموم ، كما هو الواجب في نصوص الشَّارع ، فأورده التِّرمذي في كتاب الدَّعوات من سننه ، والحاكم في الُّدعاء من مستدركه ، والبيهقي في كتاب الدَّعوات ، وهو مؤلَّف خاصٌّ ، معتبرين له جملة الأدعية المشروعة المأثورة ، وأورده ابن ماجه في كتاب الصَّلاة من سننه ، وكذا فعل المنذري في " التَّرغيب والتَّرهيب " ، والهيثمي في " مجمع الزَّوائد " ، معتبرين الصَّلاة فيه والدُّعاء من جملة النوافل المطلوبة ، وأورده النَّووي في أذكار الحاجة من كتاب " الأذكار " ، معتبراً له من جملة الأذكار التي تُقال عند عُروض حاجة ، وإرادة قضائها ، وأورده غير هؤلاء كابن خزيمة في صحيحه المرتَّب على الكتب والأبواب ، وهذا اتِّفاق منهم على أنَّ الحديث معمول به في سائر الأوقات والأزمان ، ولو كان خاصَّاً بذلك الضَّرير أو بحالة دون حالة أو بوقت دون وقت ، لم يكن لذكرهم له في كتب الأحكام وغيرها فائدة ، أو لنبَّهوا على أنه خاص ليس بعام ، كما فعلوا في غيره من الأحاديث التي تكون خاصَّة ببعض الحالات [2] .

وقد صرَّح ابن تيمية أنَّ السَّلف دعوا بهذا الدُّعاء ، فقال : " فَهَذَا الدُّعَاءُ وَنَحْوُهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّهُ دَعَا بِهِ السَّلَفُ ، وَنُقِلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَنْسَكِ المروذي التَّوَسُّلُ بِالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعَاءِ " [3] .

فابن تيمية أقرَّ بأنَّ الدُّعاء بلفظ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا محمَّد إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ ... قد فعله السَّلف ، ومع ذلك لم ينصع للحقِّ بعدما تبيَّن ، وأبى إلَّا تبديع وتكفير المتوسِّلين إلى الله بجاه نَبِيِّنَا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، فإلى الله المشتكى ...

---

(1) انظر : هامش إرغام المبتدع (ص١٤) .

(2) انظر : إتحاف الأكياء بجواز التوسُّل بالأنبياء والأولياء (ص٢٢-٢٣) .

(3) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٢٦٤) .

الدَّلِيْلُ الرَّابِعُ : قال الإمام أبو يعلى : " حَدَّثَنَا عُقْبَةُ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَخْرُجُ الْجَيْشُ مِنْ جُيُوشِهِمْ ، فَيُقَالُ : هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ صَحِبَ مُحَمَّدًا فَتَسْتَنْصِرُونَ بِهِ فَتُنْصَرُوا ؟ ثمَّ يُقَالُ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ مُحَمَّداً ؟ فَيُقَالُ : لَا . فَمَنْ صَحِبَ أَصْحَابَهُ ؟ فَيُقَالُ : لَا . فَيُقَالُ : مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ أَصْحَابَهُ ؟ فَلَوْ سَمِعُوا بِهِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ لَأَتَوْهُ " (١) .

الدَّلِيْلُ الخَامِسُ : قال الطَّبراني : " حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ ، ثنا أَبِي ، ثنا عِيسَى بْنُ يُونُسَ ، حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ " (٢) .

وقال الطَّبراني أيضاً : " حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ محمَّد بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ ، ثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ ، ثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ خَالِدٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ " (٣) .

---

(١) أخرجه أبو يعلى في المسند (٤/ ١٣٢ برقم ٢١٨٢) ، وصححه الأستاذ المحقق حسين أسد ، وقال الأستاذ المحقق محمود سعيد ممدوح : " إسناده صحيح . والأعمش وإن كان مدلساً فهو معدود في المرتبة الثانية منهم ، وحديثهم مقبول صرحوا بالسماع أو لم يصرحوا . ورواه أبو يعلى في مسنده (٤ / ٢٠٠) بلفظ مقارب : حدثنا ابن نمير ، حدثنا محاضر ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان عن جابر ، قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " يبعث بعث فيقال لهم : هل فيكم أحد صحب محمداً ؟ فيقال : نعم . فيلتمس فيوجد الرجل فيستفتح فيفتح عليهم . ثمَّ يبعث بعث فيقال : هل فيكم من رأى أصحاب محمَّد ؟ فيلتمس فلا يوجد حتى لو كان من وراء البحر لأتيتموه . ثمَّ يبقى قوم يقرؤون القرآن لا يدرون ما هو . وهو سند صحيح أيضاً . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٨) : رواه أبو يعلى من طريقين ورجالهما رجال الصحيح " . انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة ، (ص٢٣١-٢٣٢) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٩٢ برقم ٨٥٧) ، البغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٦٤ برقم ٤٠٦٢) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ٣٣٧ برقم ١٥٠٧) .

(٣) أخرجه الطبراني (١/ ٢٩٢ برقم ٨٥٨) ، أبو مسعود المعافى بن عمران الموصلي في الزهد (ص٨٠ برقم ١٢٥) ، وقال الهيثمي بعد أن ذكر الروايتين : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ ، وَرِجَالُ الرِّوَايَةِ الْأُولَى رِجَالُ الصَّحِيحِ " . انظر : مجمع الزوائد ، الهيثمي (١٠/ ٢٦٢) ، وقال الأستاذ المحقق محمود سعيد ممدوح : " قلت : أمية بن عبد الله بن خالد تابعي ، ولم يخرج له في الصحيح لكنه ثقة ، ولولا عنعنة أبي إسحاق السبيعي – فإنه مذكور في المرتبة الثالثة من المدلسين (ص ٤٢) – لكان الحديث مرسلاً صحيح الإسناد ، والله أعلم " . انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة ، محمود سعيد ممدوح ، (ص٢٣٣) .

الدَّلِيْلُ السَّادِسُ : روى ابن أبي شيبة ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ مَالِكِ الدَّارِ ، قَالَ : وَكَانَ خَازِنَ عُمَرَ عَلَى الطَّعَامِ ، قَالَ : أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِّ ، اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا ، فَأَتَى الرَّجُلَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ : " ائْتِ عُمَرَ فَأَقْرِئْهُ السَّلَامَ ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّكُمْ مُسْقِيونَ ، وَقُلْ لَهُ : عَلَيْكَ الْكَيْسُ ، عَلَيْكَ الْكَيْسُ " ، فَأَتَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَبَكَى عُمَرُ ثمَّ قَالَ : يَا رَبِّ لَا آلُو إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ " (١) .

فَإتيَانُ هذا الصَّحَابي الجليل لقبرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونِدَاؤُهُ لَهُ وطَلَبُهُ أنْ يستَسقي لأمَّتِهِ دَليل على أنَّ ذَلكَ جائز ، وهُوَ مَوضعُ الاستدلال بِعَمل هذا الصَّحابي على صحَّةِ التَّوسُّل بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَواء في حَيَاتِهِ أو بعد وفَاتِهِ . وقد أقرَّه عمر على صنيعه ولم يعنِّفه أو يقل له أشركت ...

وقد اعترض المتمسلفون على هذا الأثر بعدَّة اعتراضات ، هي :

جهالة السَّائل ، وكذا جهالة مالك الدَّار ، قال ابن باز في تعليقه على هذا الأثر : " ... هذا الأثر - على فرض صحَّته كما قال الشَّارح - ليس بحجَّة على جواز الاستسقاء بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، لأنَّ السَّائل مجهول ، ولأنَّ عمل الصَّحابة رضي الله عنهم على خلافه ، وهم أعلم النَّاس بالشَّرع ، ولم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله السُّقيا ولا غيرها ، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعبَّاس ، ولم يُنكر ذلك عليه أحد من الصَّحابة ، فعُلم أنَّ ذلك هو الحقّ ، وأنَّ ما فعله هذا الرَّجل منكر ووسيلة إلى الشِّرك ، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشِّرك " (٢) .

وذكر الألبانيُّ من علله : جهالة مالك الدَّار ، وأنَّه غير معروف بعدالة ، وعضد رأيه بأنَّ المنذري والهيثمي نصَّا على جهالة مالك الدَّار (٣) .

والرَّدُّ على هذا سهل جداً ، ويكفي في الردِّ عليه أن نقول : إنَّ مالك الدَّار كان معروفاً للكثيرين ، لدرجة أنَّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد استعمله على بيت المال ، ومثل هذا المنصب لا يتولَّاه إلَّا الثِّقة أو فوق الثِّقة ، وإذا خلت بعض كتب التَّراجم من التَّرجمة له فلا يعني ذلك أبداً أنَّه مجهول ، فها هو الحافظ ابن حجر يوثِّق عاملاً لعمر ، وهو هنيّ بن نويره الكوفي ، وقد استعمله عمر على الحِمى ، فقد روى البخاري بسنده عَنْ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٥٦ برقم ٣٢٠٠٢) ، البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٤٧) .

(٢) انظر : هامش فتح الباري (٢/ ٤٩٥) .

(٣) انظر : التوسل ، الألباني (ص١٣١) .

زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : اسْتَعْمَلَ مَوْلًى لَهُ يُدْعَى هُنَيّاً عَلَى الحِمَى ، فَقَالَ : " يَا هُنَيُّ اضْمُمْ جَنَاحَكَ عَنِ المُسْلِمِينَ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ ، فَإِنَّ دَعْوَةَ المَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ... " (١) .

قال الحافظ ابن حجر : " وهذا المولى لم أَرَ من ذكره في الصَّحابة مع إدراكه ، وقد وجدت له رواية عن أبي بكر وعمر وعمرو بن العاص ، روى عنه ابنه عمير وشيخ من الأنصار وغيرهما ، وشهد صفّين مع معاوية ثمَّ تحوَّل إلى عليٍّ لما قُتل عمّار .... ولولا أنه كان من الفضلاء النُّبهاء الموثوق بهم لما استعمله عمر " (٢) .

وعليه ، فما ينطبق على هنيّ ينطبق على مالك الدَّار ، ذلك أنَّ علَّة توثيق هنيّ ، هي علَّة توثيق مالك الدار ، بل هي أوضح وأجلّ في مالك الدَّار الذي ولَّاه عمر رضي الله عنه بيت المـــــال ، وما ولَّاه إلا لفرط في دينه وأمانته .

ومن جهة أخرى فقد نصَّ غير واحد من العلماء على توثيق مالك الدَّار ... فقد وثَّقه ابن حبَّان في الثِّقات (٣) ، وقال أبو يعلى الخليلي في الإرشاد : " مَالِكُ الدَّارِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الرِّعَاءِ عَنْهُ : تَابِعِيٌّ ، قَدِيمٌ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، أَثْنَى عَلَيْهِ التَّابِعُونَ ، وَلَيْسَ بِكَثِيرِ الرِّوَايَةِ ، رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَعُمَرَ " (٤) .

أمَّا عن جهالة السَّائل فلا ضير في ذلك ، فكم من حديث في الصَّحيحين تضمَّنا السُّؤال للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو لقبره ، والسَّائل فيها مجهول .

بقي أمر في كلام ابن باز السَّابق ، وهو عدول عمر رضي الله عنه عن الاستسقاء برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الاستسقاء بالعبَّاس ... حيث فهم أنَّ فعل عمر هذا يدلُّ على منع التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد انتقاله ، وهو خطأ لوجوه :

الأَوَّلُ : ترك الشَّيء لا يدلُّ على منعه ، كما تقرَّر في الأصول ، فترك عمر للتَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم لا دلالة فيه أصلاً على منع التَّوسُّل ، وقد ترك النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً من المُباحات ، فهل دلَّ تركه لها على حرمتها ؟ لم يقل ذلك أحدٌ من العلماء .

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٧١ برقم ٣٠٥٩) .

(٢) انظر : فتح الباري (٦/ ١٧٦) .

(٣) انظر : الثقات ، ابن حبان (٥/ ٣٨٤) .

(٤) انظر : الإرشاد في معرفة علماء الحديث (١/ ٣١٣) .

الثَّانِي : أنَّ الله يقول : **﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾** [النمل: ٦٢] ، ولا شكَّ أنَّ العبَّاس كان في تلك الحادثة من جملة المضطرِّين المحتاجين ، فكان التَّوسُّل به أنسب .

الثَّالِثُ : أنَّ عمر رضي الله عنه أراد بالتَّوسُّل بالعبَّاس رضي الله عنه الاقتداء بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إكرام العبَّاس وإجلاله ، وقد جاء هذا عن عمر صريحاً ، فروى الزُّبير بن بكَّار في " الأنساب " والبلاذري في " فتوح البلدان " ، وقد ذكرت نصَّ كلامه في " الرَّدّ المحكـــــم المتين " ، كما أنَّه مذكور في " فتح الباري " ، وغيره من كتب الحديث .

الرَّابِعُ : أراد عمر بفعله ذلك أن يبيِّن جواز التَّوسُّل بغير النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل الصَّلاح ممن تُرجى بركته .

ولذا قال الحافظ في الفتح عقب هذه القصَّة ما نصه : " وَيُسْتَفَادُ مِنْ قِصَّةِ الْعَبَّاسِ اسْتِحْبَابُ الِاسْتِشْفَاعِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَأَهْلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ " (١) .

الخَامِسُ : أراد عمر أن يبيِّن جواز التوسُّل بالمفضول مع وجود الفاضل ، لأنَّه كان في ذلك الجمع من هو أفضل من العبَّاس ، كعلي ، وعثمان ، رضي الله عنهما .

السَّادِسُ : أنَّ توسُّل عمر بالعبَّاس رضي الله عنهما في الحقيقة توسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّ العبَّاس إنَّما توسَّل به الصَّحابة لكونه عمّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولمكانته منه . قال ابن عبد البر : روِّينا من وجوه عن عمر رضي الله عنه أنَّه خرج يستسقي وخرج معه العبَّاس : فقال " اللهمَّ إنا نتقرَّب إليك بعمِّ نبيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونستشفع به ، فاحفظ فيه لنبيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما . وروى الزُّبير بن بكَّار في الأنساب أنَّ العبَّاس لما استسقى به عمر قال : اللهمَّ إنَّه لم ينزل بلاء إلَّا بذنب ، ولم يُكشف إلَّا بتوبة ، وقد توجَّه القوم بي إليك لمكاني من نبيِّك ، وهذه أيدينا إليك بالذُّنوب ، ونواصينا بالتَّوبة ، فاسقنا ، فارخت السَّماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش النَّاس .

فهذا يدلُّ على أنَّ التَّوسُّل بالعبَّاس توسُّلٌ بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحقيقة مع ما في ذلك من إكرام العبَّاس وإجلاله ، وذلك يرضي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويدخل السُّرور عليه في قبره الشَّريف ، فظهر من هذه الوجوه أنَّ فعل عمر رضي الله عنه لا دلالة فيه على منع التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بعد الانتقال

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/ ٤٩٧) .

كما زعم ابن تيمية ، ولو سلمنا تلك الدلالة جدلاً – على ما يرد عليها من منع ظاهر – فغاية ذلك أن يقول : هذا رأي عمر – رضي الله عنه – وقد خالفه عثمان بن حنيف ، وعائشة وبلال بن الحارث المزني ،- رضي الله عنهم – وإذا اختلف الصَّحابة ، فليس بعضهم أولى بالاتباع من بعض ... (١) .

وزعموا أنَّ أبا صالح وهو ذكوان الرَّاوي عن مالك لا يُعلم سماعه ولا إدراكه لمالك ، إذ لم نتبيَّن وفاة مالك ، سيَّما ورواه بالعنعنة ، فهو مظنَّة انقطاع لا تدليس (٢) .

وللردِّ على ذلك نقول : إنَّ هذه مغالطة بناها القوم على جهالة مالك الدَّار ، وقد سبق أن بيَّنا أنَّه ثقه ، بل فوق الثِّقة ، يُضاف إلى ذلك أنَّ بعض العلماء صرَّحوا بأنَّ له إدراك ، وعلى أقل تقدير فهو من كبار التَّابعين ، وقد صرَّح غير واحد من العلمـــاء بأنَّ أبا صالح السَّمَّان روى عن مالك الدَّار ، كما تجد ذلك في " تهذيب الكمال " (٣) .

وقد صحَّح إسناده الإمام عبد الله الغماري (٤) .

وذكر الدكتور محمَّد بن علوي المالكي أنَّ بعضهم ضعَّف الحديث بتدليس الأعمش – أحد رواته – والمدلِّس الثِّقة لا يُقبل خبره إلا إذا صرَّح بالسَّماع .... وردَّ عليه العلوي رحمه الله ، فقال : " ... وفاتَه أنَّ هذه القاعدة عامَّة إلَّا فيمن استثناه العلماء خاصَّة فيمن يُرسل أو يُدلِّس كابن المسيّب وكالأعمش هنا ، وبيان ذلك وضَّحه الذَّهبي في " ميزان الاعتدال " ، فقال : " وهو يدلِّس ، وربَّما دلَّس عن ضعيف ، ولا يدري به ، فمتى قال : حدَّثنا فلا كلام ، ومتى قال " عن " تطرَّق إلى احتمال التَّدليس إلَّا في شيوخ له أكثر عنهم : كإبراهيم ، وابن أبي وائل ، وأبي صالح السَّمَّان ، فإنَّ روايته عن هذا الصِّنف محمولة على الاتِّصال " (٥) .

وقال الإمام الغُماري : " طعن بعض المعاصرين (٦) في رواية سيف بأنَّه تُكلِّم فيه ، وهذا لا يضيرنا ، فإنَّ الرَّجل إن لم يكن بلالاً بن الحارث ، فهو يقيناً إمَّا صحابي أو تابعي ، لا شكَّ في ذلك ، وكفى بأحدهما حجَّة ،

---

(١) انظر : إتحاف الأذكياء بجواز التوسُّل بالأنبياء (ص٣٥-٣٨) .

(٢) انظر : هذه مفاهيمنا (ص٦٧) .

(٣) انظر : تهذيب الكمال (٨/ ٥١٤) .

(٤) انظر : الرد المحكم المتين (ص٥٣) .

(٥) انظر : هامش مفاهيم يجب أن تصحَّح (ص١٥١) .

(٦) المقصود هو الألباني ، انظر : التوسل ، الألباني (ص١٣٣) ، هذه مفاهيمنا (ص٦٢-٦٤) .

أضف إلى ذلك أنَّ عمر رضي الله عنه لم ينكر عليه توسُّلــه " (١) ، يضاف إلى ذلك أنَّ ابن حجر قد صحَّح الرِّواية ، ولذلك لا يلتفت إلى تضعيف من ضعَّفها .

وقال المالكي : " كما تكلَّم البعض على رواية سيف أيضاً ، وزعم أنَّ ابن حجر لم يصحِّح السَّند ، وهذا من المعارض تطاولٌ بجانب الحقِّ ، ولا يتَّصف بالأدب ، ويظهر ذلك لمن راجع كلام ابن حجر في الفتح ، ولكن النَّاقد استعجل وفاته أوَّل الكلام ، وذلك لأنَّ ابن حجر صحَّح الخبر من قبل بقوله : روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح وساق القصَّة ثمَّ قال : وروى سيف في الفتوح : أنَّ الذي رأى في المنام المذكور هو بلال بن الحارث أحد الصَّحابة ، فالقصَّة واحدة والسَّند واحد ، والتَّصحيح يشملها " (٢) .

الدَّلِيْلُ السَّابِعُ : وروى البخاري ، قال : حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ محمَّد ، قَالَ : حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ عَبْدِ اللهَّ الأَنْصَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَبْدُ اللهَّ بْنُ الْمُثَنَّى ، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُ ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ : " اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا " ، قَالَ : فَيُسْقَوْنَ " (٣) .

وقد سبق الكلام على هذا الأثر ، وتبيَّن خطأ من فهم أنَّ استسقاء عمر بن الخطَّاب بالعبَّاس لا يدلُّ على منع التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد انتقاله ...

وقال الإمام الكوثري في تعليقه على هذا الأثر : " وفيه التَّوسُّل بالذَّات ، وادِّعاء أنَّ هناك مضافاً محذوف ، أي : بدعاء عمِّ نبيِّنا ، تقوُّلٌ محضٌ بدون أي حجَّة ، كما أنَّ فرض العدول – لوفاة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلى العبَّاس تقويلٌ لعمر ما لم يخطر له على بال ، بل فيه جواز التَّوسُّل بالمفضول مع وجود الفاضل ، بل التَّوسُّل بلفظ " عمّ نبيِّنا " توسُّلٌ بقرابة العبَّاس منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبمنزلته لديه ، فيكون هذا التَّوسُّل توسُّلاً به ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضاً ، ولفظ " كنَّا " غير خاص بعهد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل يشمله وما بعده إلى عام الرَّمادة ، والتَّقييد تقييد بدون مقيِّد " (٤) .

---

(١) انظر : هامش إتحاف الأذكياء بجواز التوسُّل بالأنبياء (ص٣٤) .

(٢) انظر : هامش مفاهيم يجب أن تصحح (ص١٥٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٢٧ برقم ١٠١٠) ، الآجُرِّيُّ في الشريعة (٥/ ٢٢٦٢ برقم ١٧٤٤) ، البغوي في شرح السنة (٤/ ٤٠٩ برقم ١١٦٥) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٩١ برقم ٦٤٢٧) ، دلائل النبوة (٦/ ١٤٧) .

(٤) انظر : مقالات الكوثري (ص٣٨٠) .

فتوسُّل سيِّدنا عمر بالعبَّاس هو في حقيقته توسُّلٌ برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّه ما توسَّل به إلَّا لكونه عمّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

قال الإمام ابن عبد البر : " وَرَوَيْنَا مِنْ وُجُوهٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ خَرَجَ يَسْتَسْقِي ، فَخَرَجَ مَعَهُ الْعَبَّاسُ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ وَنَسْتَشْفِعُ بِهِ فَاحْفَظْ فِينَا نَبِيَّكَ كَمَا حَفِظْتَ الْغُلَامَيْنِ لِصَلَاحِ أَبِيهِمَا ، وَأَتَيْنَاكَ مُسْتَغْفِرِينَ مُسْتَشْفِعِينَ ، ثمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾** [نوح: ١٠ - ١٢] ، ثمَّ قَامَ الْعَبَّاسُ وَعَيْنَاهُ تَنْضَحَانِ ... " (١) .

قال الإمام ابن حجر العسقلاني : " وَقَدْ بَيَّنَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي الْأَنْسَابِ صِفَةَ مَا دَعَا بِهِ الْعَبَّاسُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ وَالْوَقْتَ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ ذَلِكَ ، فَأَخْرَجَ بِإِسْنَادٍ لَهُ أَنَّ الْعَبَّاسَ لَمَّا اسْتَسْقَى بِهِ عُمَرُ ، قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ ، وَلَمْ يُكْشَفْ إِلَّا بِتَوْبَةٍ ، وَقَدْ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ بِي إِلَيْكَ لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ ، وَهَذِهِ أَيْدِينَا إِلَيْكَ بِالذُّنُوبِ ، وَنَوَاصِينَا إِلَيْكَ بِا لتَّوْبَةِ ، فَاسْقِنَا الْغَيْثَ ، فَأَرْخَتِ السَّمَاءُ مِثْلَ الْجِبَالِ ، حَتَّى أَخْصَبَتِ الْأَرْضَ ، وَعَاشَ النَّاسُ . وَأَخْرَجَ أَيْضاً مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنِ بن عُمَرَ ، قَالَ : اسْتَسْقَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَامَ الرَّمَادَةِ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَفِيهِ : فَخَطَبَ النَّاسَ عُمَرُ ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرَى لِلْعَبَّاسِ مَا يَرَى الْوَلَدُ لِلْوَالِدِ ، فَاقْتَدُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِرَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَمِّهِ الْعَبَّاسِ وَاتَّخِذُوهُ وَسِيلَةً إِلَى اللهَّ " (٢) .

فالتَّوسُّل بالعبَّاس ما كانَ إلَّا بسبب كونه عمّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فرجع الأمر إلى كونه توسُّلٌ بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُضاف لذلك أنَّ العبَّاس هو من كان يُعاني من جدب السَّماء ، فهو مُضطرٌ وبحاجةٍ لماء السَّماء ، وقد قال الله تعالى : **﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللهَّ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾** [النمل: ٦٢]

قال الإمام محمَّد متولِّي الشَّعراوي (١٤١٨هـ) : " ونقول لمن يكفِّر المتوسِّلين بالنَّبي أو الوليِّ : هذِّبوا هذا القول قليلاً ؛ إنَّ حدوث مثل هذا القول هو نتيجة عدم الفهم ، فالذي يتوسَّل إلى النَّبي أو الولي هو يعتقد أنَّ له

---

(١) انظر : الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمَّنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والإختصار (٧/ ١٥٠) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/ ٤٩٧) .

منزلة عند الله . وهل يعتقد أحد أنَّ الوليَّ يجامله ليعطيه ما ليس له عند الله ؟ طبعاً لا . وهناك من قال : إنَّ الوسيلة بالأحياء مُمكنة ، وأنَّ الوسيلة بالأموات ممنوعة . ونقول له : أنت تضيِّق أمراً مُتسعاً ؛ لأنَّ حياة الحيِّ لا مدخل لها بالتَّوسُّل ، فإن جاء التَّوسُّل بحضرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الله ، فإنَّك قد جعلت التَّوسُّل بحبِّك لمن علمت أنه أقرب منك إلى الله ؛ فحُبُّك له هو الذي يشفع . وإيَّاك أن تظنَّ أنَّه سيأتي لك بما لا تستحق .

والجماعة التي تقول : لا يصحُّ أن نتوسَّل بالنَّبي ؛ لأنَّ النَّبي انتقل إلى الرَّفيق الأعلى ، نقول لهم : انتظروا قليلاً وانتبهوا إلى ما قال سيِّدنا عُمر – رضوان الله عليه – ؛ قال : كنَّا في عهد رسول الله إذا امتنع المطر نتوسَّل برسول الله ونستسقي به . ولَمَّا انتقل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، توسَّل بعمه العبَّاس . وقالوا : لو كان التَّوسُّل برسول الله جائزاً بعد انتقاله لما عدل عمر بن الخطَّاب – رَضِيَ اللهُ عَنْه – عن التَّوسُّل بالنَّبي بعد انتقاله ، وذهب إلى التَّوسُّل بعمِّ النَّبي . ونسأل : أقال عمر " كنا نتوسَّل بنبيِّك والآن نتوسَّل إليك بالعبَّاس ؟ أم قال : والآن نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّك " ؟ .

ولذلك فالذين يمنعون ذلك يوسِّعون الشقَّة على أنفسهم ؛ لأنَّ التَّوسُّل لا يكون بالنَّبي فقط ، ولكن التَّوسُّل أيضاً بمن يَمُتُّ بصلة إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فساعة يتوسَّل واحدٌ إلى غيره يعني أنه يعتقد أنَّ الذي توسَّل به لا يقدر على شيء ، إنني أتوسَّل به إلى الغير ، لأني أعرف أنه لا يستطيع أن ينفذ لي مطلوبي . إذن فلنبعد مسألة الشِّرك بالله عن هذا المجال ، ونقول : نحن نتوسَّل به إلى غيره لأننا نعلم أنَّ المتوسَّل إليه هو القادر وأن المتوسَّل به عاجز ، وهذا هو منتهى اليقين ومنتهى الإيمان .

ولكنَّ المتوسَّل به قد ينتفع وقد لا ينتفع ، وعندما توسَّل سيِّدنا عمر بالعبَّاس عَمّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كان يفعل ذلك من أجل المطر ، والمطر في هذه الحالة لا ينتفع به رسول الله ، لذلك جاء بواحدٍ من آل البيت ، وكأنَّه قال : يا ربُّ عمُّ نبيِّك عطشان فمن أجله نريد المطر .

إذن فتوسُّل عمر بن الخطَّاب بعمِّ النَّبي دليل ضدَّ الذين يمنعون التَّوسُّل بالنَّبي بعد الانتقال إلى الرَّفيق الأعلى . وحتى نخرج من الخلاف ، نقول : إنَّ العمل الصَّالح المتمثِّل في : افعل كذا ولا تفعل كذا هو الوسيلة الخالصة ، وبذلك نخلص من الخلاف ، ولا ندخل في متاهات " (١) .

وقَال الشَّيخ يُوسُف إسمَاعيل النبهَاني : إنَّما استَسقى عُمَرُ – رَضي اللهُ عَنْهُ – بالعَبَّاس ولَمْ يستسق بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ليُبَيِّنَ للنَّاس أنَّ الاستِسْقاء بغير النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَائزٌ ومشروعٌ ولا حَرَجَ

(١) انظر : تفسير الشعراوي ، الخواطر (٥/ ٣١٠٧-٣١٠٨) .

فيهِ ؛ لأنَّ الاستِسقاء بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم كَانَ مَعلوماً عِندَهُم . فَلَرُبَّما يَتوهَّمُ بَعضُ النَّاس أَنَّهُ لا يَجُوزُ الاستسقَاء بغير النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيَّنَ لَهُم عُمَرُ – رَضي اللهُ تعالى عَنْهُ – الجَوَاز . ولو استسقى بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأفهم أَنَّه لا يجوز الاستسقاء بغيره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا يَصِحُّ أنْ يُقَال : إنَّمَا استسقى بالعبَّاس ولَمْ يَستسق بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنَّ العبَّاس حيٌّ والنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَات ؛ لأنَّ الاستِسقَاء إنَّمَا يَكُونُ باِلحيِّ ، فهذا القَولُ باطِلٌ مَردُودٌ بأَدِلَّة كثيرة ؛ منْهَا : تَوسُّلُ الصَّحَابة – رَضي اللهُ تعالى عَنْهُم – بِهِ بَعد وفَاتِهِ ، كَما تَقدَّمَ في القِصَّة التي رَوَاهَا عُثمان بنُ حَنيف – رَضي اللهُ تعالى عَنْهُ – وكَمَا في حَديث بلال بن الحَارث المُتقدِّم ، وكَذَا تَوسُّل آدم الَّذي رَواه عُمَر – رَضي اللهُ تعالى عَنْهُ – كَمَا تَقَدَّم . فكيف يُعتقَدُ عَدَم صِحتِّه بَعد وفَاتِه . وقد روى التَّوسُّل به قبل وجــوده مع أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ في قبره .

فتلخَّص من هذا أنَّه يصحُّ التَّوسُّل به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل وجوده وفي حَيَاتِهِ وبَعدَ وفَاتِهِ ، وأَنَّهُ يَصحُّ التَّوسُّل أيضاً بغيره من الأخيَار ، كَمَا فَعَلهُ عُمر – رَضي الله تعالى عَنْهُ – حينَ استَسْقَى بالعبَّاس – رَضي اللهُ تعالى عَنْهُ – وذلك من أنواعِ التَّوسُّل كَمَا تَقَدم ... والحَاصِل أنَّ مَذهب أَهِل السُّنَّة والجَمَاعَة على صِحَّة التَّوسُّل وجَوَازُه بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حَيَاتِهِ وبَعدَ وَفَاتِهِ ، وكَذَا بِغيره من الأنبيَاء والمُرسلين والأوليَاء والصَّالحين ، كَمَا دلَّت عَليهِ الأحَاديث السَّابقة ، لأنَّا مَعَاشِر أهل السُّنَّة لا نَعتَقِدُ تَأثيراً ولا خَلقاً ولا إيجَاداً ولا إعْدَاماً ولا نَفْعاً ولا ضَراً إلاَّ لله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، فَلا نَعتقِدُ تَأثيراً ولا نَفعاً ولا ضَراً للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا لغيره منَ الأحيَاء والأموَات .

فَلا فَرقَ في التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغَيره منَ الأنبياء والمُرسَلين صَلواتُ الله عَليه وعليهم أجْمَعين ، وكَذَا بالأوليَاء والصَّالحين ، لا فَرقَ بَينَ كَوْنِهم أحيَاءً أو أمواتاً ؛ لأنَّهُم لا يَخلُقُونَ شيئاً ولَيسَ لَهُم تَأثير في شيء ، وإنَّمَّا يُتَبَرَّكَ بهم لِكَونِهم أحِبَّاءُ الله تَعَالى ، والخَلَقُ والتَأثيرُ لله وَحدَه لا شَريكَ لَهُ " (١) .

الدَّلِيْلُ الثَّامِنُ : قال الدَّارمي : حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ النُّكْرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْجَوْزَاءِ أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللهِّ ، قَالَ : قُحِطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطاً شَدِيداً ، فَشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ : " انْظُرُوا قَبْرَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْعَلُوا مِنْهُ كِوًى إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ . قَالَ : فَفَعَلُوا ، فَمُطِرْنَا مَطَراً حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ ، وَسَمِنَتِ الْإِبِلُ حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ ، فَسُمِّيَ عَامَ الْفَتْقِ " (٢) .

---

(١) انظر : شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص١١٧-١١٨) .

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ٢٢٧ برقم ٩٣) .

قال الأستاذ المحقِّق محمود سعيد ممدوح في تخريجه لهذا الأثر : " قلت : هذا إسناد حسن إن شاء الله تعالى ... وبعد مناقشة مستفيضة مع مَنْ ضعَّفه من مدَّعي السَّلفيَّة ، قال : فحاصل ما تقدَّم : أنَّ هذا إسناد حسن أو صحيح ، ورجاله رجال مسلم ما خلا عمرو بن مالك النّكري ، وهو ثقة ، والله تعالى أعلم بالصَّواب " [١] .

فالذي صنعه الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم من فتح الكُوى ، بإشارة من أمِّ المؤمنين عائشة الصِّدِّيقة هو توسُّلٌ بقبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلباً للسُقيا ، وما ذاك إلَّا لأنَّ القبر الشَّريف ضمَّ ذاته الشَّريفة ، والتي بسببها أصبح مكان القبر أشرف البقاع على وجه الأرض ، ... ولم يجد ذلكم الفعل عند أحد من الصَّحابة نكيراً ، ولم يُسمِّه أحدٌ منهم شِركاً ، فكان إجماعاً ...

فهل من يدَّعون السَّلفيَّة أعلم من الصَّحابة وأحرص على سلامة الإيمان من عائشة رضي الله عنها ومن معها من الصَّحابة الكرام الذين وافقوها وبادروا إلى فعل ما أشارت به ؟!!! نبئوني بعلمٍ إن كنتم صادقين ...

وعن سبب كشف قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الإمام الغماري نقلاً عن القاري في " شرح المشكاة " : " قيل في سبب كشف قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السَّماء ، فأمرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به ، فلا يبقى بينه وبين السَّماء حجاب " [٢] .

ومن المعلوم أنَّ فَتحُ الكُوَّة عِنْدَ الجَدْبِ كان سُنَّةُ أهلِ المدينة ، " قال الزِّين المراغي : واعلم أنَّ فتح الكوَّة عند الجدب سُنَّة أهل المدينة حتى الآن ، يفتحون كُوَّة في أسفل قبَّة الحجرة : أي القبَّة الزَّرقاء المقدَّسة من جهة القبلة ، وإن كان السَّقف حائلاً بين القبر الشَّريف وبين السَّماء .

قلت - أي : السَّمهُودي - : وسنَّتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشَّريف من المقصورة المحيطة بالحجرة ، والاجتماع هناك " [٣] .

واجتماعهم عندَ الحُجرة الشَّريفة ما كان إلَّا للتَّوسُّل إلى الله تعالى به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وبِجَاهِهِ ...

قلت : وكعادتهم احتجَّ مدَّعو السَّلفيَّة على هذا الحديث ، وزعموا أنَّه ضعيف ...

فقد ضعَّف الألبانيُّ هذا الأثر بثلاث عِلل :

---

[١] انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة (ص٢٥٣-٢٦١) .

[٢] انظر : الردُّ المحكم المتين على كتاب القول المبين (ص١٩٦) .

[٣] انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٢/ ١٢٣) .

أَوَّلاً : ضعف سعيد بن زيد - أحد رواة الحديث - حيث اقتصر الألباني على النَّقل من بعض كتب التَّراجم (١) . وهذا مردودٌ لأنَّ سعيداً بن زيد من رجال مسلم ، ووثَّقه غير واحد من العلماء ، فقال الدُّوري : " عن يحيى بن معين ، وقال ابن عدي هو عندي في جملة من ينسب إلى الصِّدق ، وقال ابن حبَّان : كان صدوقاً حافظاً (٢) .

وقد ذكره الذَّهبي في جزء من تكلِّم فيه وهو ثقة (٣) ، وعليه فإنَّ سعيد بن زيد لا ينزل عن درجة الحسن .

ثَانِياً : اختلاط أبي النُّعمان (٤) ، واسمه محمَّد بن الفضل المعروف بعارم شيخ البخاري .

وهذا مردودٌ بأَنَّ اختلاط أبي النُّعمان لم يؤثِّر في روايته ، قال الدَّارقطني : تغيَّر بآخره ، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر ، وهو ثقة . وقول ابن حبَّان : وقع في حديثه المناكير الكثيرة بعد اختلاطه ، ردَّه الذَّهبي ، فقال : لم يقدر ابن حبَّان أن يسوق له حديثاً منكراً . والقول فيه ما قاله الدَّارقطني . وبمثل قول الدَّارقطني قال الذَّهبي في السِّير ، وابن حجر في " التَّهذيب " (٥) .

ثَالِثاً : أنَّه موقوف على عائشة رضي الله عنها ، وليس مرفوعاً إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولو صحَّ لم تكن فيه حجَّة ... (٦) . والجواب على ما ذكره الألبانيُّ بأنَّ الحديث صحيح بلا شكٍّ وريبة ، وهو حجَّة من وجهين :

الأَوَّلُ : أنَّ بصحَّته سقط كلام الألباني وتمويهه في التَّضعيف ، وثبت أنَّ التَّوسُّل مذهبٌ للسيِّدة عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها .

الثَّانِي : أنَّه اتِّفاق من حضر من الصَّحابة والتَّابعين على التَّوسُّل برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته (٧) .

---

(١) انظر : التوسل ، الألباني (ص١٤٠) .

(٢) انظر : تهذيب الكمال (١٠/ ٤٤٣) ، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩) ،.

(٣) انظر : جزء من تكلم فيه ص ٨٥ .

(٤) انظر : التوسل ، الألباني (ص١٤١) .

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٦٨) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٤٩) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٧-٨) .

(٦) انظر : التوسُّل (ص١٤١) .

(٧) انظر : هامش ارغام المبتدع (ص٢٤ بتصرُّف) .

الدَّلِيْلُ التَّاسِعُ : وروى الطَّبراني ، قال : " حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَائِلَةَ الْأَصْبَهَانِيُّ ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ عُمَرَ بْنِ شَقِيقٍ ، ثنا مَعْرُوفُ بْنُ حَسَّانَ السَّمَرْقَنْدِيُّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ : يَا عِبَادَ اللهِ ، احْبِسُوا عَلَيَّ ، يَا عِبَادَ اللهِ احْبِسُوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّ للهِ فِي الْأَرْضِ حَاضِراً سَيَحْبِسُهُ عَلَيْكُمْ " (١) .

فَفي هَذا الحَديث نِداء وطَلَبُ نِعَم التَسبُّب في ذلكَ من عِبَاد الله تعالى الَّذين لَمْ يُشَاهدهُم . قال الطَّبراني : " حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التُّسْتَرِيُّ ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوفِيّ ، ثَنَا عَبْدُ الرَّحمن بْنُ سَهْلٍ ، حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عِيسَى ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ ، عَنْ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئاً أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْناً وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ ، فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي ، يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي ، فَإِنَّ للهِ عِبَاداً لَا نَرَاهُمْ " وَقَدْ جُرِّبَ ذَلِكَ (٢) . وفي الحديث دلاله على الاستغاثة وطلب العون والمساعدة من مخلوقات لا نراها ، وفيه نوع من أنواع التَّوسُّل وطلب العون من تلك المخلوقات فيما يقدرون عليه ، مع الإيمان المطلق بأن لا غياث ولا مُغيث حقَّاً إلَّا الله تعالى ، فالغوثُ ليس إلَّا منه تعالى ، وإن كان سبحانه أجراه بفضله وكرمه ومنَّته الإغاثة على يد بعض خلقه على سبيل الكسب ...

الدَّلِيْلُ العَاشِرُ : روى البيهقي قال : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى ، قَالَا : نا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُّ ، نا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، نا رَوْحٌ ، نا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، ح وَأَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ، أنا أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ يَعْقُوبَ ، نا محمَّد بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، نا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ ، أنا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : " إِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ سِوَى الْحَفَظَةِ يَكْتُبُونَ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ ، فَإِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ عَرْجَةٌ فِي الْأَرْضِ لَا يَقْدِرُ فِيهَا عَلَى الْأَعْوَانِ فَلْيَصِحْ ، فَلْيَقُلْ : عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونَا أَوْ أَعِينُونَا رَحِمَكُمُ اللهُ ، فَإِنَّهُ سَيُعَانُ " لَفْظُ حَدِيثِ جَعْفَرٍ ، وَفِي رِوَايَةِ رَوْحٍ : " إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يُسَمَّونَ الْحَفَظَةَ ، يَكْتُبُونَ مَا يَقَعُ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ ، فَمَا أَصَابَ أَحَداً مِنْكُمْ عَرْجَةٌ أَوِ احْتَاجَ إِلَى عَوْنٍ بِفَلَاةٍ مِنَ

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢١٧ برقم ١٠٥١٨) ، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد ، (ص٤٥٥ برقم ٥٠٨) ، أبو يعلى في المسند (٩/ ١٧٧ برقم ٥٢٦٩) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٣٢ برقم ١٧١٠٥ ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى ، وَالطَّبَرَانِيُّ ، وَزَادَ : " " سَيَحْبِسُهُ عَلَيْكُمْ " . وَفِيهِ مَعْرُوفُ بْنُ حَسَّانَ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١١٧ برقم ٢٩٠) ، الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٨٨ برقم ١٧١٠٣) ، وقال : رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة .

الْأَرْضِ فَلْيَقُلْ : أَعِينُونَا عِبَادَ اللهِ ، رَحِمَكُمُ اللهُ ، فَإِنَّهُ يُعَانُ إِنْ شَاءَ اللهُ " [1] . والمقصود بالمُنادى في الرِّواية : الملائكة أو المسلمون من الإنس والجنِّ ... ، وهو مؤيِّد لما جاء في الدَّليل الذي قبله ، وهو قوله في الرِّواية : إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئاً أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْناً وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ ، فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي ، يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي ، فَإِنَّ للهِ عِبَاداً لَا نَرَاهُمْ ...

والمقصود بأَنَّ طلب الاستعانة والاستغاثة ممَّن بيده الغوث لا بأس به ، سواء أكان حاضراً أم غائباً ، لأنَّ الإغاثة تُنسب إلى غير الله على سبيل المجاز ، وأنَّ والفاعل الحقيقي هو الله سُبحانه وتعالى ... وهناك أدلَّة عديدة على مشروعيَّة التَّوسُّل ذكرتها في كتاب : " إتحاف العالمين بمشروعيَّة التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين" ....

وأختم هذا كلامي بأسماء من نقلنا عنهم التَّوسُّل ، ناقلين مقرِّين معتقدين به من غير نكير ، أو قائلين به ، أو عاملين به ... فمن الذين نقلنا عنهم القول بالتَّوسُّل واعتقاده من غير نكير في كتابنا : " إِتْحَافُ العَالَمِين بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاء وَالصَّالِحِيْن " :

أبو عبيدة عامر بن الجرَّاح (١٨هـ) ، عياض بن غنم ابن زهير بن أبي شدَّاد ، أبو سعد الفهري (٢٠هـ) ، عَبْدَ المُلِكِ بْنَ مَرْوَانَ (٨٦هـ) ، سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) ، عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السّلمي الإلبيري القرطبي ، أبو مروان (٢٣٨هـ) ، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيباني (٢٤١هـ) ، أبو محمَّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي الدَّينوري (٢٧٦هـ) ، أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدُّنيا (٢٨١هـ) ، وقال الإمام أبو بكر أحمد بن مروان الدَّينوري المالكي (٣٣٣هـ) ، محمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ ، التميمي ، أبو حاتم ، الدَّارمي ، البُستي (٣٥٤هـ) ، أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) ، أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ) ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النُّعمان بن دينار البغدادي الدَّارقطني (٣٨٥هـ) ، أبو حيان التَّوحيدي ، علي بن محمَّد بن العبَّاس (٤٠٠هـ) ، أبو عبد الله الحاكم محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبّي الطّهماني النَّيسابوري المعروف بابن البيع (٤٠٥هـ) ، منصور بن الحسين الرَّازي ، أبو سعد الآبى (٤٢١هـ) ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى

---

[1] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ١٤٠ برقم ٧٢٩٧) ، البزار في المسند (١١/ ١٨١ برقم ٤٩٢٢) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٣٢ برقم ١٧١٠٤) ، وقال : رَوَاهُ الْبَزَّارُ ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ .

الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النّمري القرطبي (٤٦٣هـ) ، أبو معين الدِّين ناصر خسرو الحكيم القباديانى المروزي (٤٨١هـ) ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) ، أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) ، شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو ، أبو شجاع الدَّيلميّ الهمذاني (٥٠٩هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطَّرابلسي (المتوفى: بعد ٥١٥هـ) ، أبو محمَّد القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ) ، القاضي أبي الحسين ابن أبي يعلى ، محمَّد بن محمَّد (٥٢٦هـ) ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (٥٧٨هـ) ، عبد الحق بن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي ، الأندلسي الأشبيلي ، المعروف بابن الخرَّاط (٥٨١هـ) ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) ، عماد الدِّين الكاتب الأصبهاني ، محمَّد بن محمَّد صفي الدِّين بن نفيس الدِّين حامد ، أبو عبد الله (٥٩٧هـ) ، علي بن أبي بكر بن علي الهروي ، أبو الحسن (٦١١هـ) ، شَرَفُ الدِّين ، عَلِيُّ بنُ المُفَضَّلِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُفَرِّجِ بنِ حَاتِمِ بنِ حَسَنِ بنِ جَعْفَرٍ المَقْدِسِيّ (٦١١هـ) ، ابن جبير ، محمَّد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي ، أبو الحسين (٦١٤هـ) ، موفق الدِّين أبو محمَّد بن عبد الرَّحمن ، ابن الشَّيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشَّارعي الشافعي (٦١٥هـ) ، نصير الدِّين محمَّد بن عبد الله السَّامري الحنبلي (٦١٦هـ) ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ) ، أبو محمَّد جلال الدِّين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السَّعدي المالكي (٦١٦هـ) ، أبو محمَّد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد ، الشهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) ، عبد الكريم بن محمَّد بن عبد الكريم ، أبو القاسم الرَّافعي القزويني (٦٢٣هـ) ، شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٦٢٦هـ) ، علي بن محمَّد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي ، أبو الحسن ابن القطَّان (٦٢٨هـ) ، محمَّد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع ، أبو بكر ، معين الدِّين ، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (٦٢٩هـ) ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدِّين ابن الأثير (٦٣٠هـ) ، سليمان بن موسى الكلاعي ، أبو الرَّبيع (٦٣٤هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن سعيد ابن الدبيثي (٦٣٧هـ) ، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإِربلي ، المعروف بابن المستوفي (٦٣٧هـ) ، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) ، محمَّد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي ، أبو عبد الله ، أفضل الدِّين (٦٤٦هـ) ، عبد الْعَظِيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سَلامَة الْحَافِظ زكى الدِّين أَبُو

محمَّد المنذرى القيرواني ثمَّ المصرى الشَّافِعِي (٦٥٦هـ) ، ابن الأبار ، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (٦٥٨هـ) ، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، كمال الدِّين ابن العديم (٦٦٠هـ) ، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدِّين ، أبو العبَّاس ابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) ، ابن الحدَّاد محمَّد بن منصور بن حبيش (المتوفى: بعد ٦٧٣هـ) ، أبو زكريا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) ، أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) ، عفيف الدِّين اليافعي الشَّافعي (٦٨٣هـ) ، أبو العبَّاس ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد ، محب الدِّين الطَّبري (٦٩٤هـ) ، شرف الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن سعيد البوصيري (٦٩٦هـ) ، محمَّد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري الرّويفعى الإفريقى (٧١١هـ) ، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطُّوفي الصَّرصري ، أبو الرَّبيع ، نجم الدِّين الطُّوفي (٧١٦هـ) ، الإمام عماد الدِّين بن العطَّار (٧٢٤هـ) ، الشَّمْس كَمَال الدِّين الزَّملكاني محمَّد بن عَليّ بن عبد الْوَاحِد الشَّيخ الإِمَام الْعَلامَة الْمُفْتِي قَاضِي الْقُضَاة ذُو الْفُنُون جمال الْإِسْلَام كَمَال الدِّين أَبُو الْمَعَالِي ابْن الزملكاني الْأنْصَارِيّ السّماكي الدِّمَشْقِي كَبِير الشَّافِعِيَّة (٧٢٧هـ) ، محمَّد بن يوسف بن يعقوب ، أبو عبد الله ، بهاء الدِّين الجُنْدي اليمني (٧٣٢هـ) ، أحمد بن عبد الوهَّاب بن محمَّد بن عبد الدَّائم القرشي التَّيمي البكري ، شهاب الدِّين النُّويري (٧٣٣هـ) ، أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدِّين الفاكهاني (٧٣٤هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) ، أبو القاسم ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله ، ابن جزي الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ) ، يوسف بن عبد الرَّحمن بن يوسف ، أبو الحجاج ، جمال الدِّين ابن الزكي أبي محمَّد القضاعي الكلبي المزِّي (٧٤٢هـ) ، عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدِّين الزَّيلعي الحنفي (٧٤٣هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدِّمشقي الحنبلي (٧٤٤هـ) ، تقيُّ الدِّين أبو الفتح السُّبكي (٧٤٤هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن علي بن همام أبو الفتح ، تقيُّ الدِّين ، المعروف بابن الإِمَام (٧٤٥هـ) ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) ، محمَّد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السِّنجاري البخاري ، المعروف بابن الإكفاني (٧٤٩هـ) ، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري ، شهاب الدِّين (٧٤٩هـ) ، تقيُّ الدِّين أحمد بن محمَّد بن علي الأدمي (كان حياً قبل ٧٤٩هـ) ، عمر بن علي بن عمر القزويني ، أبو حفص ، سراج الدِّين (٧٥٠هـ) ، تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) ، إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطّرسوسي ، نجم الدِّين الحنفي

(٧٥٨هـ) ، جمال الدِّين أبو محمَّد عبد الله بن يوسف بن محمَّد الزَّيلعي (٧٦٢هـ) ، محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين المقدسي الرَّامينى ثمَّ الصَّالحي الحنبلي (٧٦٣هـ) ، صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله الصَّفدي (٧٦٤هـ) ، محمَّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرَّحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقَّب بصلاح الدِّين (٧٦٤هـ) ، شمس الدِّين أبو المحاسن محمَّد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدِّمشقي الشَّافعي (٧٦٥هـ) ، خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي ، أبو البقاء (المتوفى: بعد ٧٦٧هـ) ، الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٧٦٨هـ) ، أحمد بن محمَّد بن علي الفيومي ثمَّ الحموي ، أبو العبَّاس (٧٧٠هـ) ، تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) ، أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدِّين السُّبكي (٧٧٣هـ) ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) ، عبد القادر بن محمَّد بن نصر الله القرشي ، أبو محمَّد ، محيي الدِّين الحنفي (٧٧٥هـ) ، خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدِّين الجندي المالكي المصري (٧٧٦هـ) ، محمَّد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشَّهير بلسان الدِّين ابن الخطيب (٧٧٦هـ) ، محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر بن محمَّد بن عبد الله ، أبو حامد ، جمال الدِّين الحبيشي الوَصَابي الشَّافعي (٧٨٦هـ) ، علي بن محمَّد بن أحمد بن موسى ابن مسعود ، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين ، الخزاعي (٧٨٩هـ) ، سعد الدِّين التَّفتازاني الشَّافعي (٧٩١هـ) ، سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري (٨٠٤هـ) ، أبو الفضل زين الدِّين عبد الرَّحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (٨٠٦هـ) ، كمال الدِّين ، محمَّد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشَّافعي (٨٠٨هـ) ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن محمَّد ، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدِّين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ) ، أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، أبو العبَّاس القسنطيني ، ابن قنفذ (٨١٠هـ) ، علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزَّبيدي ، أبو الحسن موفق الدِّين (٨١٢هـ) ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثمَّ القاهري (٨٢١هـ) ، تقيُّ الدِّين أبي بكر الحصني الدِّمشقي الشَّافعي (٨٢٩هـ) ، محمَّد بن أحمد بن علي ، تقيُّ الدِّين ، أبو الطيِّب المكي الحسني الفاسي (٨٣٢هـ) ، شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٨٣٣هـ) ، ابن حجة الحموي ، تقيُّ الدِّين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (٨٣٧هـ) ، محمَّد بن عبد الله أبي بكر بن محمَّد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدِّمشقي الشَّافعي ، شمس الدِّين ، الشَّهير بابن ناصر الدِّين (٨٤٢هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن عمار بن محمَّد بن أحمد المصري المالكي المعروف بابن عمَّار (٨٤٤هـ) ، أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العباس الحسيني العبيدي ، تقيُّ الدِّين المقريزي

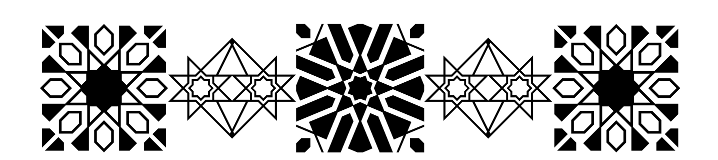
(٨٤٥هـ) ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عَليّ بن أَبي بكر بن عَليّ بن محمَّد بن أَبي بكر ابْن عبد الله بن عمر بن عبد الرَّحمن بن عبد الله أَبُو محمَّد النَّاشِرِيّ (٨٤٨هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن كميل المنصوري الشَّافعي (٨٤٨هـ) ، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة (٨٥١هـ) ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) ، شهاب الدِّين محمَّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (٨٥٢هـ) ، لأبي العبَّاس أحمد بن يحي الوانشريسي المالكي (٨٥٤هـ) ، أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) ، كمال الدِّين محمَّد بن عبد الواحد السّيواسي المعروف بابن الهمام (٨٦١هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، أبو الفضل تقيُّ الدِّين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثمَّ المكِّي الشَّافعي (٨٧١هـ) ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين (٨٧٤هـ) ، أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفَّق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (٨٨٤هـ) ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ) ، علاء الدِّين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الصَّالحي الحنبلي (٨٨٥هـ) ، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشَّرجي ، زين الدِّين الزَّبيدي (٨٩٣هـ) ، عبد الرَّحمن بن عبد السَّلام الصفوري (٨٩٤هـ) ، شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن أحمد بن محمَّد بن عيسى البرنسي الفاسي ، المعروف بـ زرُّوق (٨٩٩هـ) ، إبراهيم بن محمَّد بن محمود بن بدر ، برهان الدِّين ، أبو إسحاق الحلبي القبيباتي الشَّافعيّ النَّاجي (٩٠٠هـ) ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) ، الحسين بن صديق بن الأهدل (٩٠٣هـ) ، عبد الوهاب بن عبد الرَّحمن البريهي السَّكسكي اليمني (٩٠٤هـ) ، علي بن يوسف بن علي بن أحمد، علاء الدِّين الدِّمشقيّ العاتكي الشَّافعي الشَّهير بالبصروي (٩٠٥هـ) ، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصَّالحي ، جمال الدِّين ، ابن المِبْرَد الحنبلي (٩٠٩هـ) ، السُّيوطي (٩١١هـ) ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السَّمهودي (٩١١هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن أحمد الغزال الدمشقيّ ، بدر الدِّين ، الشَّهير بسبط المارديني (٩١٢هـ) ، محمَّد بن قاسم بن محمَّد بن ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين الغزِّي ، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي (٩١٨هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن غازي العثماني المكناسي (٩١٩هـ) ، زين الدِّين عبد الباسط بن أبي الصَّفاء غرس الدِّين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثمَّ القاهري الحنفيّ (٩٢٠هـ) ، إبراهيم بن موسى بن أبي بكر ابن الشَّيخ علي الطَّرابلسي ، الحنفي (٩٢٢هـ) ، أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (٩٢٣هـ) ، زكريا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيى السّنيكي (٩٢٦هـ) ، محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ،

الشَّهير بـ " بَحْرَق " (٩٣٠هـ) ، أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (٩٣٨هـ) ، علي بن خلف المنوفي المالكي المصري أبو الحسن المالكي (٩٣٩هـ) ، محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الطرابلسي المغربي ، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (٩٥٤هـ) ، شهاب الدِّين أحمد بن حمزة الأنصاري الرَّملي الشَّافعي (٩٥٧هـ) ، موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي ، ثمَّ الصَّالحي ، شرف الدِّين ، أبو النَّجا (٩٦٨هـ) ، طاش كبري زادة (٩٦٨هـ) ، زين الدِّين بن إبراهيم بن محمَّد ، المعروف بابن نجيم المصري (٩٧٠هـ) ، أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٣هـ) ، علاء الدِّين علي بن حسام الدِّين ابن قاضي خان القادري الشَّاذلي الهندي البرهانفوري ثمَّ المدني فالمكي الشَّهير بالمتَّقي الهندي (٩٧٥هـ) ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي (٩٧٧هـ) ، عبد الباسط بن موسى بن محمَّد بن إسماعيل العلموي ثمَّ الموقت الدِّمشقي الشَّافعيّ (٩٨١هـ) ، أحمد بن قاسم العبادي (٩٩٢هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرَّملي (١٠٠٤هـ) ، تقيُّ الدِّين بن عبد القادر التَّميمي الدَّاري الغزي (١٠١٠هـ) ، أبو السَّعد زين الدِّين منصور بن أبي النَّصر بن محمَّد الطَّبَلاوي ، سبط ناصر الدِّين محمَّد بن سالم (١٠١٤هـ) ، علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القَّاري (١٠١٤هـ) ، زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) ، أبو العبَّاس أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمَّد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التّكروري ، التّنبكتي (١٠٣٦هـ) ، أبو المواهب بن محمَّد بن علي البكري الصِّدِّيقي المصري الشَّافعي (١٠٣٧هـ) ، محي الدِّين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (١٠٣٨هـ) ، أبو محمَّد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري ، المعروف بابن عاشر (١٠٤٠هـ) ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يحيى ، أبو العبَّاس المقرّي التِّلمساني (١٠٤١هـ) ، منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهّوتي الحنبلي (١٠٥١هـ) ، محمَّد بن علان الصِّدِّيقي الشَّافعي (١٠٥٧هـ) ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (١٠٦٧هـ) ، حسن بن عمَّار بن علي الشّرنبلالي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عمر الخفَّاجي (١٠٦٩هـ) ، محمَّد أحمد الخطيب الشّوبري الشَّافعي (١٠٦٩هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد ميارة الفاسي (١٠٧٢هـ) ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن سليمان المدعو بشيخي زاده ، يعرف بداماد أفندي (١٠٧٨هـ) ، محمَّد بن علي بن محمَّد الحِصْني المعروف بعلاء الدِّين الحصكفي الحنفي (١٠٨٨هـ) ، عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي ، أبو الفلاح (١٠٨٩هـ)

، عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن أحمد البغدادي (١٠٩٣هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الخرشي المالكي الخرشي (١١٠١هـ) ، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي ، نور الدِّين اليوسي (١١٠٢هـ) ، محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي (١١١١هـ) ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (١١١١هـ) ، أحمد بن محمَّد بن أحمد بن عبد الغني الدِّمياطيّ ، شهاب الدِّين الشَّهير بالبناء (١١١٧هـ) ، علي بن أحمد بن محمَّد معصوم الحسني الحسيني ، الشهير بابن معصوم (١١١٩هـ) ، محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزَّرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) ، إسماعيل حقّي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد البديري الحسيني ، الدمياطيّ الأشعري الشَّافعيّ ، أبو حامد (١١٤٠هـ) ، محمَّد بن عيسى بن محمود بن كنان الحنبلي (١١٥٣هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن مصطفى بن عثمان ، أبو سعيد الخادمي الحنفي (١١٥٦هـ) ، إسماعيل بن محمَّد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدِّمشقي ، أبو الفداء (١١٦٢هـ) ، حسين بن محمَّد المحلي الشَّافعي المصري (١١٧٠هـ) ، أحمد بن علي بن عمر بن صالح المنيني (١١٧٢هـ) ، أبو الحسن علي بن خليفة بن رزق الله بن عبد الواحد بن علي المساكني (١١٧٢هـ) ، أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصَّعيدي العدوي (١١٨٩هـ) ، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمل (١٢٠٤هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) ، محمَّد خليل بن علي بن محمَّد بن محمَّد مراد الحسيني ، أبو الفضل (١٢٠٦هـ) ، أبو عبد الله الطالب محمَّد بن أبي بكر الصِّدِّيق البرتلي الولاتي (١٢١٩هـ) ، سليمان بن محمَّد بن عمر البجيرمي الشَّافعي (١٢٢١هـ) ، أبو العباس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (١٢٢٤هـ) ، محمود بن سعيد مقديش الملقب بأبي الثَّناء الصفاقسي (١٢٢٨هـ) ، أحمد بن محمَّد بن إسماعيل الطَّحطاوي الحنفي (١٢٣١هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السَّنَباوي الأزهري ، المعروف بالأمير (١٢٣٢هـ) ، عبد الرَّحمن بن حسن الجبرتي المؤرِّخ (١٢٣٧هـ) ، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد الخلوتي ، الشَّهير بالصَّاوي المالكي (١٢٤١هـ) ، مصطفى بن سعد بن عبده السُّيوطي شهرة ، الرّحيبانى مولداً ثمَّ الدِّمشقي الحنبلي (١٢٤٣هـ) ، محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) ، أحمد بن محمَّد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشَّرواني (١٢٥٣هـ) ، علي بن عبد السَّلام بن علي ، أبو الحسن التُّسُولي المالكي (١٢٥٨هـ) ، شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) ، نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي الهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشَّافعيّ (١٢٩١هـ) ، عبد الغني الغنيمي الحنفي (١٢٩٨هـ) ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش ، أبو عبد الله

المالكي (١٢٩٩هـ) ، عبد الحميد المكي الشَّرواني (١٣٠١هـ) ، أبو الطيِّب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) ، أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدّمياطي (١٣١٠هـ) ، محمَّد بن أحمد بن عبدالله متولِّي (١٣١٣هـ) ، شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن خالد بن محمَّد النَّاصري الدّرعي الجعفري السّلاوي (١٣١٥هـ) ، محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً ، التناري بلداً (١٣١٦هـ) ، عبد الرَّزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) ، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمَّد بن أبي الثَّناء الألوسي (١٣٤٢هـ) ، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التُّونسي المالكي (١٣٤٩هـ) ، يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَّبْهاني (١٣٥٠هـ) ، كامل بن حسين بن محمَّد بن مصطفى البالي الحلبي ، الشَّهير بالغزِّي (١٣٥١هـ) ، محمَّد بخيت المطيعي الحنفي (١٣٥٤هـ) ، أبو عبد الله محمَّد المكِّي البطاوري (١٣٥٥هـ) ، أبو الفيض عبد السَّتَّار بن عبد الوهَّاب البكري الصِّدِّيقي المكِّي الحنفي (١٣٥٥هـ) ، الحسن بن محمَّد بن الغَسَّال الطَّنجي (١٣٥٨هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (١٣٦٠هـ) ، مصطفى وهيب بن إبراهيم البارودي (١٣٦٢هـ) ، عبدالله بن محمَّد الغازي المكِّي الحنفي ، (١٣٦٥هـ) ، محمَّد زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) ، محمَّد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمَّد الحسني الإدريسي ، المعروف بعبد الحي الكتَّاني (١٣٨٢هـ) ، محمَّد عميم الإحسان المجددي البركتي (١٣٩٥هـ) ، عبد القادر بن ملّا حويش السيِّد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ) ، حسن بن محمَّد المشاط المالكي (١٣٩٩هـ) ، عبد السَّلام بن عبد القادر بن محمَّد بن عبد القادر بن الطَّالب بن محمَّد ابن سودة (١٤٠٠هـ) ، محمَّد عبد الله عنان المؤرِّخ المصري (١٤٠٦هـ) ، علي بن مصطفى الطَّنطاوي (١٤٢٠هـ) ، إحسان عبَّاس (١٤٢٤هـ) ، محمَّد إبراهيم محمَّد سالم (١٤٣٠هـ) ، أبو عبد الله محمَّد عبد القادر بن محمَّد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري المالكي الشَّهير بالشَّيخ باي بلعالم (١٤٣٠هـ) ، محمَّد سيِّد طنطاوي (١٤٣١هـ) ، محمَّد سعيد رمضان البُوطي ، بالإضافة إلى أغلب دور الإفتاء في العالمين : العربي والإسلامي ...

فهل هؤلاء كفَّار ، مبتدعة ، خارجون من ربقة الدِّين يا من تدَّعون السَّلفيَّة ؟!!



المَبْحَثُ الخَامِسُ

أَنْكَرُوا رُؤْيَتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اليَقَظَةِ

رؤية الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حال اليقظة أمرٌ من الأمور الخارقة للعادة ، ، فلو ادَّعى شخص أنَّه رأى النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليقظة لا ننكر عليه ذلك إن كان ظاهره الصَّلاح، لأنَّ الأمر يتعلَّق بالكرامة التي يمنحها الله تعالى للولي ، وهي حقٌّ؛ بمعنى أنَّها جائزة الوقوع ، وقد نصَّ العلماء على أنَّ كلّ ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي شريطة عدم التَّحدي ، قال الإمام علي بن سلطان القاري : " ثمَّ ظاهر كلام الإمام في هذا المقام موافق لما عليه جمهور العلماء الأعلام من أنَّ كلّ ما جاز أن يكون معجزة لنبيّ جاز أن يكون كرامة لولي لا فارق بينهما إلَّا التَّحدِّي " (١) .

ونقل الإمام الشَّعراني في يواقيته أنَّ جمهور العلماء ذهبوا إلى ذلك ، فقال : " ثمَّ اعلم أنَّ جمهور العلماء قائلون بأنَّ ما كان معجزة لنبيٍّ جاز أن يكون كرامة لولي ... " (٢) . وقال التَّفتازاني : " نعم قد يرد في بعض المعجزات نصٌّ قاطعٌ على أنَّ أحداً لا يأتي بمثله أصلاً كالقرآن ، وهو لا ينافي الحكم بأنَّ كلّ ما وقع معجزة لنبي يجوز أن يقع كرامة لولي " (٣) . والسَّبب في نيل الوليِّ لهذه المرتبة هو لإنَّه نالها باتِّباعه له ...

وذكر الإمام السُّيوطي " أَنَّ جَمَاعَةَ أَئِمَّةِ الشَّرِيعَةِ نَصُّوا عَلَى أَنَّ مِنْ كَرَامَةِ الْوَلِيِّ أَنْ يَرَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَجْتَمِعُ بِهِ فِي الْيَقَظَةِ، وَيَأْخُذُ عَنْهُ مَا قُسِمَ لَهُ مِنْ مَعَارِفَ وَمَوَاهِبَ، وَمِمَّنْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ: الْغَزَالِيُّ، والبارزي، والتَّاج ابن السُّبكي، والعفيف اليافعي ، وَمِنْ أَئِمَّةِ الْمَالِكِيَّةِ القرطبي، وابن أبي جمرة، وابن الحاج فِي " الْمَدْخَلِ " (٤) .

والنَّاظر في كُتُب أهل العلم يجد أنَّ الكثير منهم تكلَّم عن مسألة رؤية الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حال اليقظة وأجازها ، لأنَّها تقع في دائرة الممكن ، وذهب الكثيرون إلى إثباتها ، وصرَّحوا بوقوعها وحصولها للعديد من العلماء والأولياء الربَّانيِّين الأوفياء الأتقياء الأنقياء ... قال الإمام جلال الدِّين السُّيوطي :

---

(١) انظر : شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان (ص١٦٩) ، الملا علي بن سلطان القاري ، تحقيق مروان الشعار ، دار النفائس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .

(٢) انظر : اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر (١/ ٢٨٨) ، الشعراني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٣) انظر : شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ٢٠٣) .

(٤) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ١٩٧) .

رؤية الأنبيـــــــاء بعد المات ... أدخلوها في حيِّز الممكنـــــــات

قل لمن قـــــــال إنَّها مستحيل ... اترك الخـــوض عنك في الغمرات

أنت لا تعرف المحال ولا الممكـــن ... لا مـــــــــا بالغير أو بالذَّات

فاحترس أن تزلَّ زلَّـــــــة كفر ... وتوق مواقـــــــــع الزلَّات (١)

ثمَّ إنَّ العقل لا يستحيل وقوع مثل هذه الرُّؤية ... خاصَّة وأنَّ من نقلوا وقوعها وحصولها وشهدوا على ذلك هم أئمَّة ثقات عُرفوا بالاستقامة والولاية ... وكيف لا والدَّليل من الحديث النَّبوي – كما سنرى – يدعمهم ويشدُّ من أزرهم ... وخاصَّة إذا عرفنا أنَّ الأنبياء في قبورهم أحياء **!!!**

ومن الأدلَّة التي استشهد بها من ذهبوا إلى جواز الرُّؤية ووقوعها :

رَوَى البُخَارِي بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ، وَلاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي " (٢) ، والحديث نصٌّ صريح وصحيحٌ وواضحٌ على رؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ....

وَرَوَى الطَّبَرَانِي عَنِ ابْنِ ثَعْلَبَةَ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: ادْعُ اللهَ لِي بِالشَّهَادَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ دَمَ ابْنِ ثَعْلَبَةَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَالْكُفَّارِ» قَالَ: «فَكُنْتُ أَحْمِلُ فِي عِظَمِ الْقَوْمِ فَيَتَرَاءَى لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُمْ» ، فَقَالُوا: يَا ابْنَ ثَعْلَبَةَ لَتَغْرِزُ وَتَحْمِلُ عَلَى الْقَوْمِ، فَقَالَ: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَرَاءَى لِي خَلْفَهُمْ، فَأَحْمِلُ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَقِفَ عِنْدَهُ، ثُمَّ يَتَرَاءَى لِي عِنْدَ أَصْحَابِي، فَأَحْمِلُ حَتَّى أَكُونَ مَعَ أَصْحَابِي " (٣) ...

وفي شروحهم للأحاديث السَّابقة أكَّد العلماء على إمكان الرُّؤية ، وذهب الكثير منهم إلى وقوعها وحصولها لعدد من الأولياء النُّجباء ...

---

(١)انظر : الرسائل العشر ، السيوطي (١٨) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٣٣ برقم ٦٩٩٣) .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٠٨ برقم ٨١٥٦) ، مسند الشاميين (٢/ ٢٩٨ برقم ١٣٧٨) ، والحديث حسَّنه ابن كثير في جامع المسانيد (٤/ ٣٦٦ برقم ٥٤١٦) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٧٩) : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ .

ففي شرحه لصحيح البخاري قال الإمام ابن بطَّال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩هـ) : " وقوله: " فسيرانى في اليقظة " ، يعني : تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وصحَّتها وخروجها على الحقّ؛ لأنَّه عليه السَّلام ستراه يوم القيامة في اليقظة جميع أمته من رآه في النَّوم، ومن لم يره منهم " (١) .

وقال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " ومن أوَّل الطَّريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى أنَّهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء ويسمعون أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد . ثمَّ يترقَّى الحال من مشاهدة الصُّور والأمثال، إلى درجات يضيق عنها النُّطق " (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد عبد الواحد بن عمر بن عبد الواحد بن ثابت المعروف: بابن التِّين التُّونسي الصَّفاقسي المالكي (٦١١هـ) في كلامه على حديث الرُّؤية يقظة : " الْمُرَادُ مَنْ آمَنَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَلَمْ يَرَهُ لِكَوْنِهِ حِينَئِذٍ غَائِبًا عَنْهُ فَيَكُونُ بِهَذَا مُبَشِّرًا لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ وَلَمْ يَرَهُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَرَاهُ فِي الْيَقَظَةِ قَبْلَ مَوْتِهِ " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عربي الحاتمي الطَّائي الأندلسي الشَّهير بـ محيي الدِّين بن عربي (٦٣٨هـ) : " ورأيت جميع الرُّسل والأنبياء مشاهدة عين ، وكلَّمت منهم هوداً أخا عاد دون الجماعة ...وصاحبت من الرُّسل وانتفعت به سوى محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جماعة منهم : إبراهيم الخليل قرأت عليه القرآن ، وعيسى تبتُ على يده ... وعاشرت من الرُّسل محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وهوداً، وداود وما بقي فرؤية لا صحبة " (٤) .

وقال الإمام أبو العبَّاس ضياء الدين أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري الأندلسيّ القرطبي المالكي (٦٥٦هـ) : " قد قرَّرنا أنَّ المدرك في المنام أمثلة للمرئيَّات لا أنفس المرئيات ، غير أنَّ تلك الأمثلة تارة تكون مطابقة لحقيقة المرئي ، وقد لا تكون مطابقة . ثمَّ المطابقة قد تظهر في اليقظة على نحو ما أدركت في النَّوم ، كما قد صحَّ عنه ؛ أنَّه قال لعائشة : " أريتك في المنام في سَرَقَةٍ من حرير ، فإذا هي أنت " ، ومعناه : أنَّه رآها في نومه على نحو ما رآها في يقظته .

---

(١) انظر : شرح صحيح البخارى لابن بطال (٩/ ٥٢٧) .

(٢) انظر : المنقذ من الضلال (ص١٧٨) .

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢/ ٣٨٥) .

(٤) انظر : الفتوحات المكية (٤/ ٧٧) ، دار صادر .

قلت : وقد وقع لي هذا مرات . منها : أنِّي لما وصلت إلى تونس قاصدًا إلى الحجّ سمعت أخبارًا سيِّئةٍ عن البلاد المصريَّة من جهة العدو الذي غلب على دمياط ، فعزمت على المقام بتونس إلى أن ينجلي أمر العدو ، فأُريت في النَّوم كأنِّي في مسجد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا جالس قريبًا من منبره ، وأُناس يسلِّمون على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاءني بعض من سلَّم عليه ، فانتهرني وقال : قم فسلِّم على النَّبي صلى الله عليه وسلم، فقمت فشرعت في السَّلام على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فاستيقظت ، وأنا أسلِّم عليه ، فجدَّد الله تعالى لي عزمًا ، ويَسَّر عليَّ فيما كان قد صعب من أسبابي ، وأزال عنِّي ما كنت أتخوَّفه من أمر العدو ، وسافرت إلى أن وصلت إلى الإسكندريَّة عن مدَّة مقدارها ثلاثون يومًا في كنف السَّلامة ، فوجدتها والدِّيار المصريَّة على أشدِّ خوف ، وأعظم كرب ، والعدو قد استفحل أمره ، وعظمت شوكته ، فلم أكمل في الإسكندريَّة عشرة أيَّام حتى كسر الله العدو ، ومكَّن منه من غير صُنع أحد من المخلوقين ، بل : بلطف أكرم الأكرمين ، وأرحم الرَّاحمين . ثمَّ : إنَّ الله تعالى كمَّل عليَّ إحسانه ، وإنعامه ، وأوصلني بعد حجِّ بيته إلى قبر نبيِّه ومسجده ، فرأيته والله في اليقظة على النَّحو الذي رأيته في المنام من غير زيادة ولا نقصان " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) : " قال شيخنا أحمد بن عمر: والذي يزيح هذا الإشكال إن شاء الله تعالى أنَّ الموت ليس بعدم محض، وإنَّما هو انتقال من حال إلى حال، ويدلُّ على ذلك: أنَّ الشُّهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربِّهم يرزقون، فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدُّنيا وإذا كان هذا في الشُّهداء، كان الأنبياء بذلك أحقّ وأولى، مع أنَّه قد صحَّ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أنَّ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء» وأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس، وفي السَّماء وخصوصاً بموسى وقد أخبرنا النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يقتضي أنَّ الله تبارك وتعالى يردّ عليه روحه حتى يردَّ السَّلام على كلِّ من يسلِّم عليه إلى غير ذلك ممَّا يحصل من جملته القطع بأنَّ موت الأنبياء إنَّما هو راجع إلى أن غيِّبوا عنَّا بحيث لا ندركهم، وإن كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة فإنَّهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلَّا من خصه الله بكرامة من أوليائه " (٢) .

---

(١) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٢٤-٢٥) .

(٢) انظر : التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٤٥٩-٤٦٠) .

وقال الإمام عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي (٦٩٩هـ) في كلامه على حديث : " فسيراني في اليقظة " : " ظاهر الحديث يدلُّ على حكمين :

أحدهما : أنّه من رآه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم فسيراه في اليقظة .

الثَّاني : الإخبار بأنَّ الشَّيطان لا يتمثَّل به عليه السَّلام، والكلام عليه من وجوه :

أن يقال : هل هذا على عمومه في حياته عليه السَّلام وبعد مماته؟ أو كان هذا في حياته ليس إلَّا؟

وهل يتمثَّل بغيره من الأنبياء والرُّسل صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين؟ أو هذا من الأمور الخاصَّة به عليه الصَّلاة والسَّلام؟

وهل ذلك لكل من رآه مطلقاً أو خاصَّ بمن فيه الأهليَّة والإتباع لسنَّته عليه الصَّلاة والسَّلام؟

أمَّا قولنا : هل هو على العموم في حياته عليه الصَّلاة والسَّلام وفي مماته أو في حياته لا غير؟

اللفظ يعطي العموم ومن يدَّعي الخصوص به فبغير مخصِّص منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وقد وقع من بعض النَّاس عدم التَّصديق بعمومه، وقال على ما أعطاه به عقله وكيف يكون من هو في دار البقاء يرى في دار الفناء؟ وفي هذا القول وجهان خطيران :

أحدها : أنَّه قد يقع في عدم التَّصديق لعموم قول الصَّادق عليه السَّلام الذي لا ينطق عن الهوى .

والثَّاني : الجهل بقدرة القادر وتعجيزها، كأنّه لم يسمع في قصَّة البقرة وكيف قال الله عزَّ وجلَّ : **﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** [البقرة : ٧٣] ، فضرب قبر الميِّت أو هو نفسه ببعض البقرة فقام حيّاً سويَّاً، وأخبرهم بقاتله وذلك بعد أربعين سنة على ما ذكره أهل العلم ، لأنَّ بني إسرائيل تأخَّر أمرهم في طلب البقرة على الصِّفة التي نعتت لهم أربعين سنة، وحينئذ وجدوها، وكما أخبر أيضاً في السُّورة نفسها في قصَّة العزير، وقصَّة إبراهيم عليه السَّلام في الأربع من الطَّير وكيف قصّ علينا في شأنهما، فالذي جعل ضرب الميّت ببعض البقرة سبباً لحياته، وجعل دعاء إبراهيم عليه السَّلام سبباً لإحياء الطُّيور، وجعل تعجّب العزير سبباً لإحيائه وإحياء حماره بعد بقائه مائة سنة ميّتاً : قادر على أن يجعل رؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم سبباً لرؤيته في اليقظة " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) : " بَلْ بَعْضُهُمْ يَدَّعِي رُؤْيَتَهُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ –، وَهُوَ فِي الْيَقَظَةِ وَهَذَا بَابٌ ضَيِّقٌ وَقَلَّ مَنْ يَقَعُ لَهُ ذَلِكَ الْأَمْرُ إلَّا

---

(١) انظر : سعادة الدارين ، النبهاني (ص٣٨٨) ، نقلاً عن بهجة النفوس (٤/ ٢٣٧– ٢٣٨) .

مَنْ كَانَ عَلَى صِفَةٍ عَزِيزٍ وُجُودُهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ، بَلْ عَدِمَتْ غَالِبًا مَعَ أَنَّا لَا نُنْكِرُ مَنْ يَقَعُ لَهُ هَذَا مِنْ الْأَكَابِرِ الَّذِينَ حَفِظَهُمْ اللهُ – تَعَالَى – فِي ظَوَاهِرِهِمْ وَبَوَاطِنِهِمْ " [1] .

وقال الإمام عمر بن علي بن أحمد الأَنْصَارِي الشَّافعيّ، سراج الدِّين، أبو حفص ابن النَّحويّ، المعروف بابن المُلَقِّن (٨٠٤هـ) : " قال الشيخ عبدالقادر الكيلاني قدس سره : رأيت رسول الله قبل الظُّهر فقال لي : يا بني لمَ لا تتكلَّم ؟!! قلت : يا أبتاه أنا رجل أعجم كيف أتكلَّم على فصحاء بغداد؟! فقال : افتح فاك ففتحته فتفل فيه سبعاً ، وقال : تكلَّم على النَّاس وادع إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة ، فصلَّيت الظُّهر وجلست وحضرني خلق كثير فارتجَّ عليَّ ، فرأيت عليَّاً قائماً بإزائي في المجلس ، فقال لي : يا بني لم لا تتكلَّم ؟!! قلت : يا أبتاه قد ارتجَّ عليَّ ، فقال : افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستَّاً ، فقلت : ولمَ لا تكملها سبعاً ؟ قال : أدباً مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثمَّ توارى عنِّي فتكلَّمت . فقلت : غوَّاص الفكر يغوص في بحر القلب على دُرر المعارف فيستخرجها إلى ساحل الصَّدر فينادي عليه ترجمان اللسان فيشترى بنفائس أثمان حسن الطَّاعة **﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَع ﴾** [النور:٣٦] .

قلت : وكعادتها ... قامت الأيدي العابثة المجرمة بشطب هذه الفقرة من كتاب " طبقات الأولياء" لابن الملقِّن والموجود ضمن المكتبة الشَّاملة ... مع العلم أنِّي رأيت غير عالم من العلماء قد أثبتوها في كتبهم ، ونسبوها لـ " طبقات الأولياء " لابن الملقِّن ... ومنهم على سبيل المثال : محمَّد حبيب بن عبد الله الشَّنقيطي في كتابه : " زاد المسلم فيما اتَّفق عليه البخاري ومسلم وشرحه فتح المنعم ببيان ما احتيج لبيانه من زاد المسلم " (٢/ ٤٧٠) ، تحقيق : محمَّد السيد عثمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت... ومنهم : أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد الحجوجي في كتابه " المنح الوهبيَّة على تلخيص الشَّمائل النَّبويَّة " (ص٣٦٦) ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ... ومنهم : معرفة سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للدكتور محمَّد بن محمَّد المهدي التمسماني (ص٩٨-٩٩) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ... فيا للعار والشَّنار ...

وقال الإمام أبو عبد الله شمس الدِّين محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد بن حريز الزّرعي (٧٥١هـ) : " ولم يشك البخاري فيه بل قال : من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، ولا يتمثَّل الشَّيطان بي " [2] .

---

[1] انظر : المدخل (٣/ ١٩٤) .

[2] انظر : حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٣/ ٢٤٩) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) : " وَكَذَلِكَ مَنْ كُشِفَ لَهُ عَنْهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فَرَآهُ كَذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الْكَرَامَةِ " [١] .

قال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) في رسالته : " تَنْوِيرُ الْحَلَكِ فِي إِمْكَانِ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ وَالْمَلَكِ " : " فَقَدْ كَثُرَ السُّؤَالُ عَنْ رُؤْيَةِ أَرْبَابِ الْأَحْوَالِ لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْيَقَظَةِ، وَإِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ مِمَّنْ لَا قَدَمَ لَهُمْ فِي الْعِلْمِ بَالَغُوا فِي إِنْكَارِ ذَلِكَ وَالتَّعَجُّبِ مِنْهُ وَادَّعَوْا أَنَّهُ مُسْتَحِيلٌ، فَأَلَّفْتُ هَذِهِ الْكُرَّاسَةَ فِي ذَلِكَ وَسَمَّيْتُهَا: تَنْوِيرُ الْحَلَكِ فِي إِمْكَانِ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ وَالْمَلَكِ، وَنَبْدَأُ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْوَارِدِ فِي ذَلِكَ: أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وأبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي» وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ مِثْلَهُ مِنْ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْخَثْعَمِيِّ، وَمِنْ حَدِيثِ أبي بكرة، وَأَخْرَجَ الدَّارِمِيُّ مِثْلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ الْعُلَمَاءُ: اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ (فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ) فَقِيلَ: مَعْنَاهُ فَسَيَرَانِي فِي الْقِيَامَةِ، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ بِلَا فَائِدَةٍ فِي هَذَا التَّخْصِيصِ لِأَنَّ كُلَّ أُمَّتِهِ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ رَآهُ مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يَرَهُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ مَنْ آمَنَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَلَمْ يَرَهُ لِكَوْنِهِ حِينَئِذٍ غَائِبًا عَنْهُ فَيَكُونُ مُبَشِّرًا لَهُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَرَاهُ فِي الْيَقَظَةِ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَقَالَ قَوْمٌ هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ فَمَنْ رَآهُ فِي النَّوْمِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَرَاهُ فِي الْيَقَظَةِ – يَعْنِي بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ – وَقِيلَ: بِعَيْنٍ فِي قَلْبِهِ، حَكَاهُمَا الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ، وَقَالَ الْإِمَامُ أبو محمد بن أبي جمرة فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى الْأَحَادِيثِ الَّتِي انْتَقَاهَا مِنَ الْبُخَارِيِّ: هَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَنْ رَآهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي النَّوْمِ فَسَيَرَاهُ فِي الْيَقَظَةِ، وَهَلْ هَذَا عَلَى عُمُومِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، أَوْ هَذَا كَانَ فِي حَيَاتِهِ؟ وَهَلْ ذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ رَآهُ مُطْلَقًا أَوْ خَاصٌّ بِمَنْ فِيهِ الْأَهْلِيَّةُ وَالِاتِّبَاعُ لِسُنَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ اللَّفْظُ يُعْطِي الْعُمُومَ، وَمَنْ يَدَّعِي الْخُصُوصَ فِيهِ بِغَيْرِ مُخَصِّصٍ مِنْهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَمُتَعَسِّفٌ، قَالَ: وَقَدْ وَقَعَ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ عَدَمُ التَّصْدِيقِ بِعُمُومِهِ، وَقَالَ عَلَى مَا أَعْطَاهُ عَقْلُهُ: وَكَيْفَ يَكُونُ مَنْ قَدْ مَاتَ يَرَاهُ الْحَيُّ فِي عَالَمِ الشَّاهِدِ؟ قَالَ: وَفِي قَوْلِ هَذَا الْقَوْلِ مِنَ الْمَحْذُورِ وَجْهَانِ خَطِرَانِ، أَحَدُهُمَا: عَدَمُ التَّصْدِيقِ لِقَوْلِ الصَّادِقِ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، وَالثَّانِي: الْجَهْلُ بِقُدْرَةِ الْقَادِرِ وَتَعْجِيزِهَا كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ قِصَّةَ الْبَقَرَةِ وَكَيْفَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى**﴾ [البقرة: ٧٣] وَقِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – فِي الْأَرْبَعِ مِنَ الطَّيْرِ، وَقِصَّةَ عُزَيْرٍ، فَالَّذِي جَعَلَ ضَرْبَ الْمَيِّتِ بِبَعْضِ الْبَقَرَةِ سَبَبًا لِحَيَاتِهِ، وَجَعَلَ دُعَاءَ إِبْرَاهِيمَ سَبَبًا لِإِحْيَاءِ الطُّيُورِ، وَجَعَلَ تَعَجُّبَ عُزَيْرٍ سَبَبًا لِمَوْتِهِ وَمَوْتِ حِمَارِهِ ثُمَّ لِإِحْيَائِهِمَا بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ – قَادِرٌ أَنْ يَجْعَلَ

---

[١] انظر : فتح الباري (٧/ ٤) .

رُؤْيَتَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي النَّوْمِ سَبَبًا لِرُؤْيَتِهِ فِي الْيَقَظَةِ، وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ – أَظُنُّهُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي النَّوْمِ فَتَذَكَّرَ هَذَا الْحَدِيثَ وَبَقِيَ يُفَكِّرُ فِيهِ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ – أَظُنُّهَا ميمونة – فَقَصَّ عَلَيْهَا قِصَّتَهُ، فَقَامَتْ وَأَخْرَجَتْ لَهُ مِرْآتَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَنَظَرْتُ فِي الْمِرْآةِ فَرَأَيْتُ صُورَةَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَلَمْ أَرَ لِنَفْسِي صُورَةً، قَالَ: وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ وَهَلُمَّ جَرًّا عَنْ جَمَاعَةٍ مِمَّنْ كَانُوا رَأَوْهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي النَّوْمِ وَكَانُوا مِمَّنْ يُصَدِّقُونَ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَرَأَوْهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْيَقَظَةِ وَسَأَلُوهُ عَنْ أَشْيَاءَ كَانُوا مِنْهَا مُتَشَوِّشِينَ فَأَخْبَرَهُمْ بِتَفْرِيجِهَا وَنَصَّ لَهُمْ عَلَى الْوُجُوهِ الَّتِي مِنْهَا يَكُونُ فَرَجُهَا، فَجَاءَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ، قَالَ: وَالْمُنْكِرُ لِهَذَا لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يُصَدِّقَ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ أَوْ يُكَذِّبَ بِهَا، فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِهَا فَقَدْ سَقَطَ الْبَحْثُ مَعَهُ فَإِنَّهُ يُكَذِّبُ مَا أَثْبَتَتْهُ السُّنَّةُ بِالدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ، وَإِنْ كَانَ مُصَدِّقًا بِهَا فَهَذِهِ مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ لِأَنَّ الْأَوْلِيَاءَ يُكْشَفُ لَهُمْ بِخَرْقِ الْعَادَةِ عَنْ أَشْيَاءَ فِي الْعَالَمَيْنِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ عَدِيدَةٍ، فَلَا يُنْكَرُ هَذَا مَعَ التَّصْدِيقِ بِذَلِكَ، انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ أَبِي جَمْرَةَ، وَقَوْلُهُ: إِنَّ ذَلِكَ عَامٌّ وَلَيْسَ بِخَاصٍّ بِمَنْ فِيهِ الْأَهْلِيَّةُ وَالِاتِّبَاعُ لِسُنَّتِهِ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – مُرَادُهُ وُقُوعُ الرُّؤْيَةِ الْمَوْعُودِ بِهَا فِي الْيَقَظَةِ عَلَى الرُّؤْيَةِ فِي الْمَنَامِ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً تَحْقِيقًا لِوَعْدِهِ الشَّرِيفِ الَّذِي لَا يُخْلَفُ " (١) .

وقال أيضاً : " وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَ فَقِيهٍ فَرَوَى ذَلِكَ الْفَقِيهُ حَدِيثًا، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ بَاطِلٌ، فَقَالَ الْفَقِيهُ: وَمِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَاقِفٌ عَلَى رَأْسِكَ يَقُولُ: إِنِّي لَمْ أَقُلْ هَذَا الْحَدِيثَ، وَكُشِفَ لِلْفَقِيهِ فَرَآهُ، وَفِي كِتَابِ الْمِنَحِ الْإِلَهِيَّةِ فِي مَنَاقِبِ السَّادَةِ الْوَفَائِيَّةِ لابن فارس قَالَ: سَمِعْتُ سَيِّدِي عليا – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – يَقُولُ: كُنْتُ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ الشَّيْخُ يعقوب، فَأَتَيْتُهُ يَوْمًا فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقَظَةً لَا مَنَامًا وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ أَبْيَضُ قُطْنٌ ثُمَّ رَأَيْتُ الْقَمِيصَ عَلَيَّ، فَقَالَ لِي: اقْرَأْ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ وَالضُّحَى وَأَلَمْ نَشْرَحْ ثُمَّ غَابَ عَنِّي، فَلَمَّا أَنْ بَلَغْتُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً أَحْرَمْتُ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ بِالْقَرَافَةِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قُبَالَةَ وَجْهِي فَعَانَقَنِي، وَقَالَ لِي: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ، فَأُوتِيتُ لِسَانَهُ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ. انْتَهَى.

وَفِي بَعْضِ الْمَجَامِيعِ: حَجَّ سَيِّدِي أحمد الرفاعي فَلَمَّا وَقَفَ تُجَاهَ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ أَنْشَدَ:

فِي حَالَةِ الْبُعْدِ رُوحِي كُنْتُ أُرْسِلُهَا ... تُقَبِّلُ الْأَرْضَ عَنِّي فَهْيَ نَائِبَتِي
وَهَذِهِ نَوْبَةُ الْأَشْبَـــاحِ قَدْ حَضَرَتْ ... فَامْدُدْ يَمِينَكَ كَـــيْ تَحْظَى بِهَا شَفَتِي

---

(١) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٠٧-٢٠٩) .

فَخَرَجَتِ الْيَدُ الشَّرِيفَةُ مِنَ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ فَقَبَّلَهَا، وَفِي مُعْجَمِ الشَّيْخِ برهان الدين البقاعي قَالَ: حَدَّثَنِي الْإِمَامُ أبو الفضل بن أبي الفضل النويري أَنَّ السيد نور الدين الإيجي وَالِدَ الشريف عفيف الدين لَمَّا وَرَدَ إِلَى الرَّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، سَمِعَ مَنْ كَانَ بِحَضْرَتِهِ قَائِلًا مِنَ الْقَبْرِ يَقُولُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَلَدِي، وَقَالَ الْحَافِظُ محب الدِّين بن النجار فِي تَارِيخِهِ: أَخْبَرَنِي أبو أحمد داود بن علي بن هبة الله بن المسلمة أَنَا أبو الفرح المبارك بن عبد الله بن محمد بن النقور قَالَ: حَكَى شَيْخُنَا أبو نصر عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن أبي سعد الصُّوفِي الكرخي قَالَ: حَجَجْتُ وَزُرْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ الْحُجْرَةِ إِذْ دَخَلَ الشَّيْخُ أبو بكر الدياربكري وَوَقَفَ بِإِزَاءِ وَجْهِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ دَاخِلِ الْحُجْرَةِ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أبا بكر، وَسَمِعَهُ مَنْ حَضَرَ...

وَمِنْهُمْ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: ثُمَّ أَتَيْتُ عثمان لِأُسَلِّمَ عَلَيْهِ - وَهُوَ مَحْصُورٌ - فَقَالَ: مَرْحَبًا بِأَخِي، رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي هَذِهِ الْخُوخَةِ فَقَالَ: يَا عثمان حَصَرُوكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: عَطَّشُوكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَدْلَى لِي دَلْوًا فِيهِ مَاءٌ فَشَرِبْتُ حَتَّى رَوِيتُ حَتَّى إِنِّي لَأَجِدُ بَرْدَهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ وَبَيْنَ كَتِفَيَّ، فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ نُصِرْتَ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَفْطَرْتَ عِنْدَنَا، فَاخْتَرْتُ أَنْ أُفْطِرَ عِنْدَهُ، فَقُتِلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ. انْتَهَى.

وَهَذِهِ الْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ عَنْ عثمان - مُخَرَّجَةٌ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ بِالْإِسْنَادِ - أَخْرَجَهَا الحارث بن أبي أسامة فِي مُسْنَدِهِ وَغَيْرُهُ، وَقَدْ فَهِمَ الْمُنْصِفُ مِنْهَا أَنَّهَا رُؤْيَةُ يَقَظَةٍ، وَإِنْ لَمْ يَصْلُحْ عَدُّهَا فِي الْكَرَامَاتِ؛ لِأَنَّ رُؤْيَةَ الْمَنَامِ يَسْتَوِي فِيهَا كُلُّ أَحَدٍ، وَلَيْسَتْ مِنَ الْخَوَارِقِ الْمَعْدُودَةِ فِي الْكَرَامَاتِ وَلَا يُنْكِرُهَا مَنْ يُنْكِرُ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمِمَّا ذَكَرَهُ ابن باطيس فِي هَذَا الْكِتَابِ قَالَ: وَمِنْهُمْ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ سَمْعُونَ الْبَغْدَادِيُّ الصُّوفِيُّ، قَالَ أبو طاهر محمد بن علي العلان: حَضَرْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ بْنَ سَمْعُونَ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ الْوَعْظِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّهِ يَتَكَلَّمُ فَكَانَ أَبُو الْفَتْحِ الْقَوَّاسُ جَالِسًا إِلَى جَنْبِ الْكُرْسِيِّ فَغَشِيَهُ النُّعَاسُ وَنَامَ، فَأَمْسَكَ أبو الحسين سَاعَةً عَنِ الْكَلَامِ حَتَّى اسْتَيْقَظَ أبو الفتح وَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ أبو الحسين: رَأَيْتَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي نَوْمِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ أبو الحسين: لِذَلِكَ أَمْسَكْتُ عَنِ الْكَلَامِ خَوفَ أَنْ تَنْزَعِجَ وَيَنْقَطِعَ مَا كُنْتَ فِيهِ، فَهَذَا يُشْعِرُ بِأَنَّ ابْنَ سَمْعُونَ رَأَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقَظَةً لَمَّا حَضَرَ وَرَآهُ أبو الفتح فِي نَوْمِهِ، وَقَالَ أبو بكر بن أبيض فِي جُزْئِهِ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ بَنَانًا الْحَمَّالَ الزَّاهِدَ يَقُولُ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ: كَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ يُعْرَفُ بابن ثابت قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِتِّينَ سَنَةً لَيْسَ إِلَّا لِلسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَرْجِعُ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ

السِّنِينَ تَخَلَّفَ لِشُغْلٍ أَوْ سَبَبٍ فَقَالَ: بَيْنَا هُوَ قَاعِدٌ فِي الْحُجْرَةِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ رَأَى النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَهُوَ يَقُولُ: يَا ابن ثابت لَمْ تَزُرْنَا فَزُرْنَاكَ.

تَنْبِيهَاتٌ:

الْأَوَّلُ: أَكْثَرُ مَا تَقَعُ رُؤْيَةُ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْيَقَظَةِ بِالْقَلْبِ ثُمَّ يَتَرَقَّى إِلَى أَنْ يُرَى بِالْبَصَرِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْأَمْرَانِ فِي كَلَامِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ، لَكِنْ لَيْسَتِ الرُّؤْيَةُ الْبَصَرِيَّةُ كَالرُّؤْيَةِ الْمُتَعَارَفَةِ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ رُؤْيَةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَإِنَّمَا هِيَ جَمْعِيَّةٌ حَالِيَّةٌ وَحَالَةٌ بَرْزَخِيَّةٌ وَأَمْرٌ وُجْدَانِيٌّ لَا يُدْرِكُ حَقِيقَتَهُ إِلَّا مَنْ بَاشَرَهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنِ الشَّيْخِ عبد الله الدلاصي، فَلَمَّا أَحْرَمَ الْإِمَامُ وَأَحْرَمْتُ أَخَذَتْنِي أَخْذَةٌ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَأَشَارَ بِقَوْلِهِ أَخَذَةٌ إِلَى هَذِهِ الْحَالَةِ.

الثَّانِي: هَلِ الرُّؤْيَةُ لَذَاتِ الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِجِسْمِهِ وَرُوحِهِ أَوْ لِمِثَالِهِ؟ الَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ مِنْ أَرْبَابِ الْأَحْوَالِ يَقُولُونَ بِالثَّانِي وَبِهِ صَرَّحَ الْغَزَالِيُّ فَقَالَ: لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يُرَى جِسْمُهُ وَبَدَنُهُ بَلْ مِثَالًا لَهُ صَارَ ذَلِكَ الْمِثَالُ آلَةً يَتَأَدَّى بِهَا الْمَعْنَى الَّذِي فِي نَفْسِهِ، قَالَ: وَالْآلَةُ تَارَةً تَكُونُ حَقِيقَةً وَتَارَةً تَكُونُ خَيَالِيَّةً، وَالنَّفْسُ غَيْرُ الْمِثَالِ الْمُتَخَيَّلِ، فَمَا رَآهُ مِنَ الشَّكْلِ لَيْسَ هُوَ رُوحَ الْمُصْطَفَى وَلَا شَخْصَهُ بَلْ هُوَ مِثَالٌ لَهُ عَلَى التَّحْقِيقِ " (١) .

وقال أيضاً : " فَحَصَلَ مِنْ مَجْمُوعِ هَذِهِ النُّقُولِ وَالْأَحَادِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَيٌّ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ، وَأَنَّهُ يَتَصَرَّفُ وَيَسِيرُ حَيْثُ شَاءَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَفِي الْمَلَكُوتِ وَهُوَ بِهَيْئَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا قَبْلَ وَفَاتِهِ لَمْ يَتَبَدَّلْ مِنْهُ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ مُغَيَّبٌ عَنِ الْأَبْصَارِ كَمَا غُيِّبَتِ الْمَلَائِكَةُ مَعَ كَوْنِهِمْ أَحْيَاءً بِأَجْسَادِهِمْ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ رَفْعَ الْحِجَابِ عَمَّنْ أَرَادَ إِكْرَامَهُ بِرُؤْيَتِهِ رَآهُ عَلَى هَيْئَتِهِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، لَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا دَاعِيَ إِلَى التَّخْصِيصِ بِرُؤْيَةِ الْمِثَالِ " (٢) .

وقال الإمام الشَّعراني (٩٧٣هـ) عن الشَّيخ برهان الدِّين إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري المتبولي (٨٧٧هـ) : كان من أصحاب الدَّوائر الكبرى في الولاية ، ولم يكن له شيخ إلَّا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان يرى النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً في المنام فيخبر بذلك أمَّه، فتقول : يا ولدي إنَّما الرَّجل الذي يجتمع به في اليقظة ! فلمَّا صار يجتمع به في اليقظة ويشاوره في أموره قالت له : الآن قد شرعت في مقام الرُّجوليَّة "(٣) .

---

(١) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٣١٤-٣١٦ باختصار) .

(٢) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٣١٩) .

(٣) انظر : الطبقات الكبرى (٢/ ٨٣) .

وقال الإمام أبو المواهب عبد الوهَّاب بن أحمد بن علي الأنصاري المشهور بـالشَّعراني في كلامه عن الشَّيخ أبي المواهب محمَّد الشَّاذلي (بعد ٨٥٠هـ) : كان رضي الله عنه كثير الرُّؤية لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومن أخباره أنَّه قال : رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سطح الجامع الأزهر عام خمسة وعشرين وثمانمائة فوضع يده على قلبي وقال: يا ولدي الغيبة حرام، ألم تسمع قول الله تعالى : **﴿وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾** [الحجرات: ١٢] ، وكان قد جلس عندي جماعة فاغتابوا بعض النَّاس، ثمَّ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فان كان ولا بدّ من سماعك غيبة النَّاس فاقرأ سورة الإخلاص والمعوِّذتين وأهدِ ثوابها للمغتاب فإنَّ الغيبة والثَّواب يتوارثان و يتواقفان إن شاء الله تعالى، ثمَّ قال لي: ثمَّ تقول : اللهمَّ أقل عثراتنا ، اللهمَّ اغفر زلَّاتنا ، وتصلِّي عليَّ وتقول : وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين " (١) .

وقال أيضاً في ترجمة الشَّيخ موسى بن ماهين الزولي (٥٦٠هـ) : " كان رضي الله عنه كثير المشاهدة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكانت أغلب أفعاله بتوقيف منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٢) .

وجاء في " الفتاوى الحديثيَّة " للإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري، شهاب الدِّين شيخ الإسلام، أبو العبَّاس (٩٧٤هـ) : " (وَسُئِلَ) نفع الله بِعُلُومِهِ ورضى عَنهُ هَل يُمكن الْآن الِاجْتِمَاع بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْيَقَظَة والتلقي مِنْهُ (فَأجَاب) بقوله نعم يُمكن ذَلِك فقد صرح بِأَن ذَلِك من كرامات الْأَوْلِيَاء الْغَزالِيّ والبارزي والتاج السُّبْكِيّ والعفيف اليافعي من الشَّافِعِيَّة والقرطبي وَابْن أبي جَمْرَة من الْمَالِكِيَّة وَقد حكى عَن بعض الْأَوْلِيَاء أَنه حضر مجْلِس فَقِيه فروى ذَلِك الْفَقِيه حَدِيثا فَقَالَ لَهُ الْوَلِيّ هَذَا الحَدِيث بَاطِل قَالَ وَمن أَيْن لَك هَذَا قَالَ هَذَا النَّبِي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَاقِف على راسك يَقُول إِنِّي لم أقل هَذَا الحَدِيث وكشف للفقيه فَرَآهُ ...

(وَسُئِلَ) نفع الله بِهِ هَل تمكن رُؤْيَة النَّبِي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْيَقَظَة (فَأجَاب) بقوله : أنكر ذَلِك جمَاعَة وَجوزهُ آخَرُونَ وَهُوَ الْحق ، فقد أخبر بذلك من لايتَّهم من الصَّالِحين بل اسْتدلَّ بِحَدِيث البُخَارِيّ من رَآنِي فِي الْمَنَام فسيراني فِي الْيَقَظَة ، أَي : بعيني رَأسه وَقيل بِعَين قلبه وَاحْتِمَال إِرَادَة الْقِيَامَة بعيد من لفظ الْيَقَظَة على أَنَّه لَا فَائِدَة فِي التَّقْيِيد حِينَئِذٍ لِأَنَّ أمَّته كلّهم يرونه يَوْم الْقِيَامَة ، من رَآهُ فِي الْمَنَام وَمن لم يره فِي الْمَنَام .

---

(١) انظر : الطبقات الكبرى (٢/ ٧٣) .

(٢) انظر : الطبقات الكبرى (١/ ١٤٠) .

وَفِي شرح ابْن أبي جَمْرَة للأحاديث الَّتِي انتقاها من البُخَارِيّ تَرْجِيح بَقَاء الحَدِيث على عُمُومه فِي حَيَاته ومماته لمن لَهُ أَهْلِيَّة الاتِّبَاع للسّنَّة وَلغيره ، قَالَ : وَمن يدعى الْخُصُوص بِغَيْر تَخْصِيص مِنْهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقد تعسَّف ثمَّ ألزم مُنكر ذَلِك بِأَنَّهُ غير مُصدق بقول الصَّادِق ، وَبِأَنَّهُ جَاهِل بقدرة الْقَادِر ، وَبِأَنَّهُ مُنكر لكرامات الْأَوْلِيَاء مَعَ ثُبُوتهَا بدلائل السّنَّة الْوَاضِحَة ، وَمرَاده بِعُمُوم ذَلِك وُقُوع رُؤْيَة الْيَقَظَة الْمَوْعُود بهَا لمن رَآهُ فِي النَّوم وَلَو مرَّة وَاحِدَة تَحْقِيقاً لوعده الشَّرِيف الَّذِي لَا يخلف ، وَأَكْثر مَا يَقع ذَلِك للعامَّة قبل الْمَوْت عِنْد الاحتضار فَلَا تخرج روحه من جسده حَتَّى يرَاهُ وَفَاء بوعده ، وَأمَّا غَيرهم فَيحصل لَهُم ذَلِك قبل ذَلِك بقلة أَو بِكَثْرَة بِحَسب تأهُّلهم وتعلُّقهم واتِّباعهم للسّنَّة ، إِذْ الْإِخْلَال بهَا مَانع كَبِير .

وَفِي صَحِيح مُسلم عَن عمرَان بن حُصَيْن رَضِي الله عَنهُ أَنَّ الْمَلَائِكَة كَانَت تسلم عَلَيْهِ إِكْرَاماً لَهُ لِصَبْرِهِ على ألم البواسير ، فَلَمَّا كواها انْقَطع سَلام الْمَلَائِكَة عَنهُ ، فَلَمَّا ترك الكي ، أَي : برِئ كَمَا فِي رِوَايَة صَحِيحَة عَاد سلامهم عَلَيْهِ لكَون الكي خلاف السّنَّة منع تسليمهم عَلَيْهِ مَعَ شدَّة الضَّرُورَة إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ يقْدَح فِي التَّوَكُّل وَالتَّسْلِيم وَالصَّبْر .

وَفِي رِوَايَة الْبَيْهَقِيّ : كَانَت الْمَلَائِكَة تصافحه فَلَمَّا كوى تنحَّت عَنهُ .

وَفِي كتاب " المنقذ من الضَّلَالَة " لحجَّة الْإِسْلَام بعد مدح الصُّوفِيَّة وَبَيَان أَنَّهم خير الْخلق حَتَّى أَنَّهم وهم فِي يقظتهم يشاهدون الْمَلَائِكَة وأرواح الْأَنْبِيَاء ، ويسمعون مِنْهُم أصواتاً ، ويقتبسون مِنْهُم فَوَائِد ثمَّ يترقَّى الْحَال من مُشَاهدَة الصُّور والأمثال إِلَى دَرَجَات يضيق عَنْهَا نطاق النَّاطِق .

وَقَالَ تِلْمِيذه أَبُو بكر بن الْعَرَبِيّ الْمَالِكِي : ورؤية الْأَنْبِيَاء وَالْمَلَائِكَة وَسَمَاع كَلَامهم مُمكن لِلْمُؤمنِ كَرَامَة وللكافر عُقُوبَة .

وَفِي الْمدْخل لِابْنِ الْحَاج الْمَالِكِي : رُؤْيَته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْيَقَظَة بَاب ضيِّق ، وَقلَّ من يَقع لَهُ ذَلِك إِلَّا من كَانَ على صفة عَزِيز وجودهَا فِي هَذَا الزَّمَان بل عدمت غَالِباً مَعَ أَنَّنا لَا ننكر من يَقع لَهُ هَذَا من الأكابر الَّذين حفظهم الله تَعَالَى فِي ظواهرهم وبواطنهم ، قَالَ : وَقد أنكر بعض عُلَمَاء الظَّاهِر ذَلِك محتجّاً بِأَنَّ الْعين الفانية لَا ترى الْعين الْبَاقِيَة وَهُوَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي دَار الْبَقَاء والرَّائي فِي دَار الفناء ، وردّ بِأَنَّ الْمُؤمن إِذا مَاتَ يرى الله وَهُوَ لَا يَمُوت وَالْوَاحد مِنْهُم يَمُوت فِي كلِّ يَوْم سبعين مرّة ، وَأَشَارَ الْبَيْهَقِيّ إِلَى ردِّه بِأَنَّ نَبيّنَا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رأى جمَاعَة من الْأَنْبِيَاء لَيْلَة الْمِعْرَاج .

وَقَالَ الْبَارِزِيّ : وَقد سمع من جمَاعَة من الْأَوْلِيَاء فِي زَمَاننَا وَقبله أَنهم رَأَوْا النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقظة حَيا بعد وفاقه ، وَنقل اليافعي وَغَيره عَن الشَّيْخ الْكَبِير أبي عبد الله الْقرشِي أَنَّه وَقع بِمصْر غلاء كَبِير فتوجَّه للدُّعَاء بِرَفْعِهِ ، فَقيل : لَا تدع فَلَا يسمع لأحد مِنْكُم فِي هَذَا الْأَمر دُعَاء ، فسافرت إِلَى الشَّام فَلَمَّا وصلت إِلَى قريب ضريح الْخَلِيل عَلَيْهِ وعَلى نَبيّنَا أفضل الصَّلَاة وَالسَّلَام تَلَقَّانِي فَقلت : يَا رَسُول الله اجْعَل ضيافتي عنْدك الدُّعَاء لأهل مصر ، فَدَعَا لَهُم فَفرَّج الله عَنْهُم ، فَقَالَ اليافعي : فَقَوله : تَلَقَّانِي الْخَلِيل قَول حقّ لَا يُنكره إِلَّا جَاهِل بِمَعْرِفَة مَا يرد عَلَيْهِم من الْأَحْوَال الَّتِي يشاهدون فِيهَا ملكوت السَّمَوَات وَالْأَرْض وَيَنْظُرُونَ الْأَنْبِيَاء أَحيَاء غير أموات كَمَا نظر النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِلَى جمَاعَة من الْأَنْبِيَاء فِي السَّمَاء وَسمع خطابهم ، وَقد تقرَّر أَنَّ مَا جَازَ للأنبياء معْجزَة جَازَ للأولياء كَرَامَة بِشَرْط عدم التَّحدِّي .

وَحكى ابْن الملقِّن فِي " طَبَقَات الْأَوْلِيَاء " أَنَّ الشَّيْخ عبد الْقَادِر الجيلي قَالَ رَأَيْت النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قبل الظُّهْر فَقَالَ لي : يَا بني لم لَا تَتَكَلَّم ، قلت : يَا أبتاه أَنا رجل أعجمي ، كَيفَ أَتكَلّم على فصحاء بَغْدَاد ؟!! فَقَالَ لي : افْتَحْ فَاك ففتحته فتفل فِيهِ سبعاً وَقَالَ : تكلَّم على النَّاس وادع إِلَى سَبِيل رَبِّك بالحكمة وَالْمَوْعِظَة الْحَسَنَة ، فَصلَّيت الظُّهْر وَجَلَست وحضرني خلق كثير فارتجَّ عليَّ فَرَأَيْت عليّاً قَائِماً بإزائي فِي الْمجْلس ، فَقَالَ : يَا بنيَّ لم لَا تَتَكَلَّم ؟!! فَقلت : يَا أبتاه قد ارتجَّ عليَّ ، فَقَالَ : افْتَحْ فَاك ففتحته فتفل فِيهِ سِتّاً ، قلت : لم لَا تكملها سبعاً ؟!! قَالَ : أدباً مَعَ رَسُول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ثمَّ توارى عنِّي فتكلَّمت .

وَقَالَ فِي تَرْجَمَة غَيره : كَانَ كثير الرُّؤْيَة للنَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقظة وَمَنَاماً ، وَذكر الْكَمَال الأدفوي عَمَّن أَخذ عَنهُ ابْن دَقِيق الْعِيد وَغَيره عَن غَيره . وَقَالَ التَّاج ابْن عَطاء الله عَن شَيْخه الْكَامِل الْعَارِف أبي الْعَبَّاس المرسي : صافحتُ بكفِّي هَذِه رَسُول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَحكى ابْن فَارس عَن سَيِّدي عَليّ وفا قَالَ : كنت وَأَنا ابْن خمس سِنِين اقْرَأ الْقُرْآن على رجل فَأَتَيْته مرَّة فَرَأَيْت النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقظة لَا مناماً وَعَلِيهِ قَمِيص أَبيض قطن ثمَّ رَأَيْت الْقَمِيص عليّ فَقَالَ لي : اقْرَأ فَقَرَأت عَلَيْهِ سُورَة وَالضُّحَى وألم نشرح ثمَّ غَابَ عنِّي ، فَلَمَّا أَن بلغت إِحْدَى وَعشْرين سنة أَحرمت بِصَلَاة الصُّبْح بالقرافة فَرَأَيْت النَّبِي قبالة وَجْهي فعانقني ، فَقَالَ : وَأَمَّا بنِعْمَة رَبِّك فَحدِّث ، فأتبت لِسَانه من ذَلِك الْوَقْت . والحكايات فِي ذَلِك عَن أَوْلِيَاء الله كَثِيرَة جدَّاً ، وَلَا يُنكر ذَلِك إِلَّا معاند أَو محروم " (١) .

---

(١) انظر : الفتاوى الحديثية (ص٢١١-٢١٣ ببعض الاختصار) .

ونبَّه الإمام علي بن (سلطان) محمَّد، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) ، إلى أنَّ رؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تستلزم خروجه من القبر ، فقال : " أَنَّ رُؤْيَتَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقَظَةً لَا تَسْتَلْزِمُ خُرُوجَهُ مِنْ قَبْرِهِ؛ لِأَنَّ مِنْ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ كَمَا مَرَّ أَنَّ اللهَّ يَخْرِقُ لَهُمُ الْحُجُبَ فَلَا مَانِعَ عَقْلًا، وَلَا شَرْعًا، وَلَا عَادَةً أَنَّ الْوَلِيَّ وَهُوَ بِأَقْصَى الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ يُكْرِمُهُ اللهَّ تَعَالَى بِأَنْ لَا يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الذَّاتِ الشَّرِيفَةِ، وَهِيَ فِي مَحَلِّهَا مِنَ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ سَاتِرًا وَلَا حَاجِبًا بِأَنْ يَجْعَلَ تِلْكَ الْحُجُبَ كَالزُّجَاجِ الَّذِي يَحْكِي مَا وَرَاءَهُ وَحِينَئِذٍ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْوَلِيُّ يَقَعُ نَظَرُهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَيٌّ فِي قَبْرِهِ يُصَلِّي، وَإِذَا أُكْرِمَ إِنْسَانٌ بِوُقُوعِ بَصَرِهِ عَلَيْهِ، فَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يُكَرَّمَ بِمُحَادَثَتِهِ وَمُكَالَمَتِهِ وَسُؤَالِهِ عَنِ الْأَشْيَاءِ وَأَنَّهُ يُجِيبُهُ عَنْهَا، وَهَذَا كُلُّهُ غَيْرُ مُنْكَرٍ شَرْعًا، وَلَا عَقْلًا، وَإِذَا كَانَتِ الْمُقَدِّمَاتُ وَالنَّتِيجَاتُ غَيْرَ مُنْكَرَيْنِ عَقْلًا وَلَا شَرْعًا، فَإِنْكَارُهُمَا أَوْ إِنْكَارُ أَحَدِهِمَا غَيْرُ مُلْتَفَتٍ إِلَيْهِ، وَلَا مُعَوَّلٍ عَلَيْهِ " (١) .

وقال الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) في شرحه لحديث : " طوبى لمن رآني " : أي : وأثرت فيه بركة نظري إليه ورؤيته لي " ولمن رأى من رآني ولمن رأى من رأى من رآني " . والعارفون يرونه في عالم الحسِّ يقظة ، حتى قال الشَّيخ أبو العبَّاس المرسي: لو احتجب عنِّي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرْفة عين ما عددت نفسي من الفقراء . وفي رواية : من المسلمين ، وكان بعضهم يعيد كلَّ صلاة غفل فيها عن شهوده ولو سهواً ، ويقول: من توارى عنه شهوده في صلاته ولم يصافحه فيها فهي خداج لأنَّه الذي يمد جميع العمال بشريعته في مراتب الكمال ، وهذا المقام وإن عسر على النَّاس ولا يقول به كثير ، فكلٌّ ميسَّر لما خلق له ، فمن أهَّله الله لمقام صعب المرتقى فهو عنده من أسهل الأمور " (٢) .

وقال الإمام محمَّد علي بن محمَّد بن علَّان بن إبراهيم البكري الصدِّيقي الشَّافعي (١٠٥٧هـ) : " ... وقال قوم: هو على ظاهره فيمن رآه مناماً فلا بدَّ أن يراه يقظة بعيني رأسه، وقيل بعيني قلبه حكاهما ابن العربي. وقد نقل عن جمع من الصَّالحين رؤياه مناماً ثمَّ رأوه بعد ذلك يقظة، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوِّفين فأرشدهم إلى النَّجاة من ذلك وجاء الأمر كذلك، وهذا نوع من كرامات الأولياء وأكثر من يقع له ذلك، وقد صرَّح بوقوع هذه الكرامة جمع منهم الغزالي وابن العربي وابن عبد السَّلام، وفي كون المرئي جسمه أو مثاله

---

(١) انظر : جمع الوسائل في شرح الشمائل (٢/ ٢٣٧) .

(٢) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (٤/ ٢٨٠) .

خلاف، قال بالثَّاني الغزالي، وقال ابن العربي: إن رآه بصفته المعلومة فإدراك حقيقته وإلَّا فإدراك لمثاله، وقال المصنِّف: الصَّحيح أنَّه يراه حقيقة سواء رآه على صفته المعروفة أو غيرها، وأيَّد الحافظ قول من فرَّق بين كون المرئي بصفته أو بغيرها ، فيكون الأوَّل حقيقة والثَّاني للمثال " (١) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (١٠٨٩هـ) : " وذكر الشَّيخ عبد القادر الشَّاذلي في كتاب ترجمته أنَّه كان يقول: رأيت النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظة فقال لي: «يا شيخ الحديث» . فقلت له: يا رسول! الله أمن أهل الجنَّة أنا؟ قال: «نعم» ، فقلت: من غير عذاب يسبق. فقال: «لك ذلك» .

وقال الشَّيخ عبد القادر: قلت له كم: رأيت النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظة؟ فقال: بضعاً وسبعين مرَّة " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدِّين بن محمَّد الزّرقاني المالكي (١١٢٢هـ) : " وعن الشَّيخ أبي السُّعود بن أبي العشائر بن سفيان بن الطيِّب الواسطي، ثمَّ المصري، ذكره الحافظ المنذري في معجم شيوخه وأثنى عليه، وكان من أوسع الأولياء دائرة في السُّلوك، وله كرامات وخوارق، وكلام عال في الحقائق مات سنة سبع وأربعين وستمائة، ودفن بالقرافة، "قال: كنت أزور شيخنا أبا العبَّاس" البصير، أحمد بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الأنصاري، الخزرجي، الأندلسي برع في علوم الشَّرع ببلده، ثمَّ سافر على قدم التَّجريد، فدخل الصَّعيد، ثمَّ أقام بالقاهرة يقرئ النَّاس وينفعهم، أجاز سبعة آلاف رجل بالقراءات السَّبع، وكان بارعًا في الحديث، حافظًا لمتونه، عارفًا بعلله ورجاله، حسن الاستنباط بذهن وقَّاد. مات سنة ثلاث وعشرين وستمائة، "وغيره من صلحاء مصر فلمَّا انقطعت واشتغلت وفتح عليّ، لم يكن لي شيخ إلَّا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و" ذكر "أنَّه كان يصافحه عقب كلِّ صلاة" وذلك يقظة، وحسبه بذلك شرفًا " (٣) .

وقال الإمام أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدِّين النّفراوي الأزهري المالكي (١١٢٦هـ) : " يَجُوزُ رُؤْيَتُهُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – فِي الْيَقَظَةِ وَالْمَنَامِ بِاتِّفَاقِ الْحُفَّاظِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا هَلْ يَرَى الرَّائِي ذَاتَه الشَّرِيفَةَ حَقِيقَةً أَوْ يَرَى مِثَالًا يَحْكِيهَا، فَذَهَبَ إلَى الْأَوَّلِ جَمَاعَةٌ وَذَهَبَ إلَى الثَّانِي الْغَزَالِيُّ وَالْقَرَافِيُّ وَالْيَافِعِيُّ

(١) انظر : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٥/ ٣١٦-٣١٧) .

(٢) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٧٧) .

(٣) انظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٧/ ٢٩٥) .

وَآخَرُونَ، وَاحْتَجَّ الْأَوَّلُونَ بِأَنَّهُ سِرَاجُ الْهِدَايَةِ وَنُورُ الْهُدَى وَشَمْسُ الْمَعَارِفِ كَمَا يَرَى النُّورَ وَالسِّرَاجَ وَالشَّمْسَ مِنْ بُعْدٍ، وَالْمَرْئِيُّ جُرْمُ الشَّمْسِ بِأَعْرَاضِهِ فَكَذَلِكَ الْبَدَنُ الشَّرِيفُ، فَلَا تُفَارِقُ ذَاتُهُ الْقَبْرَ الشَّرِيفَ، بَلْ يَخْرِقُ اللهُ الْحُجُبَ لِلرَّائِي وَيُزِيلُ الْمَوَانِعَ حَتَّى يَرَاهُ كُلُّ رَاءٍ وَلَوْ مِنْ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ أَوْ تُجْعَلُ الْحُجُبُ شَفَّافَةً لَا تَحْجُبُ مَا وَرَاءَهَا، وَالَّذِي جَزَمَ بِهِ الْقَرَافِيُّ أَنَّ رُؤْيَاهُ مَنَامًا إدْرَاكٌ بِجُزْءٍ لَمْ تَحُلَّهُ آفَةُ النَّوْمِ مِنْ الْقَلْبِ فَهُوَ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ لَا بِعَيْنِ الْبَصَرِ بِدَلِيلِ أَنَّهُ قَدْ يَرَاهُ الْأَعْمَى. وَقَدْ حَكَى ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ وَجَمَاعَةٌ أَنَّهُمْ رَأَوْا النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقَظَةً. وَرُوِيَ: «مَنْ رَآنِي مَنَامًا فَسَيَرَانِي يَقَظَةً» . وَمُنْكِرُ ذَلِكَ مَحْرُومٌ لِأَنَّهُ إنْ كَانَ مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ فَالْبَحْثُ مَعَهُ سَاقِطٌ لِتَكْذِيبِهِ مَا أَثْبَتَتْهُ السُّنَّةُ أَشَارَ إلَى جَمِيعِ ذَلِكَ شَيْخُ مَشَايِخِنَا اللَّقَانِيُّ فِي شَرْحِ جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ " [١] .

وقال الإمام شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) : " فقد وقعت رؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته لغير واحد من الكاملين من هذه الأمَّة والأخذ منه يقظة، قال الشَّيخ سراج الدِّين بن الملقِّن في " طبقات الأولياء " :

قال الشَّيخ عبد القادر الكيلاني قُدِّس سرُّه: رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الظُّهر فقال لي: يا بني لمَ لا تتكلَّم؟ قلت: يا أبتاه أنا رجل أعجم كيف أتكلَّم على فصحاء بغداد ؟!! فقال: افتح فاك ففتحته فتفل فيه سبعاً ، وقال: تكلَّم على النَّاس وادع إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة ، فصلَّيت الظُّهر وجلست وحضرني خلق كثير فأرتجَّ عليَّ ، فرأيت عليَّاً كرَّم الله تعالى وجهه قائماً بإزائي في المجلس ، فقال لي: يا بني لمَ لا تتكلَّم؟ قلت: يا أبتاه قد أرتجَّ عليَّ ، فقال: افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستَّاً ، فقلت: لمَ لا تكملها سبعاً ؟!! قال: أدباً مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمَّ توارى عنِّي ، فقلت: غوَّاص الفكر يغوص في بحر القلب على دُرر المعارف فيستخرجها إلى ساحل الصَّدر فينادي عليها سمسار ترجمان اللسان فتشتري بنفائس أثمان حسن الطَّاعة في بيوت إذن الله أن ترفع .

وقال أيضا في ترجمة الشَّيخ خليفة بن موسى النَّهر ملكي: كان كثير الرُّؤية لرسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام يقظة ومناماً ، فكان يقال: إنَّ أكثر أفعاله يتلقَّاه منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظة ومناماً ورآه في ليلة واحدة سبع عشرة مرَّة ، قال له في إحداهنَّ: يا خليفة لا تضجر منِّي فكثير من الأولياء مات بحسرة رؤيتي.
وقال الشَّيخ تاج الدِّين بن عطاء الله في " لطائف المنن " : قال رجل للشَّيخ أبي العبَّاس المرسي : يا سيِّدي صافحني بكفِّك هذه ، فإنَّك لقيت رجالاً وبلاداً ، فقال: والله ما صافحت بكفِّي هذه إلَّا رسول الله صَلَّى اللهُ

[١] انظر : الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٢/ ٣٦٠) .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال: وقال الشَّيخ لو حجب عنِّي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرْفة عين ما عددت نفسي من المسلمين، ومثل هذه النُّقول كثير من كتب القوم جدَّاً " (١) .

وأجاب الإمام الآلوسي من يسأل فيقول : لماذا لم تظهر هذه الرُّؤية في صدر الإسلام الأوَّل؟ بقوله : " إنَّ تلك الرُّؤية من خوارق العادة كسائر كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء عليهم السَّلام ، وكانت الخوارق في الصَّدر الأوَّل لقرب العهد بشمس الرِّسالة قليلة جداً ، وأنّى يرى النَّجم تحت الشُّعاع أو يظهر كوكب وقد انتشر ضوء الشَّمس في البقاع ، فيمكن أن يكون قد وقع ذلك لبعضهم على سبيل النُّدرة ، ولم تقتض المصلحة إفشاءه، ويمكن أن يقال: إنَّه لم يقع لحكمة الابتلاء أو لخوف الفتنة أو لأنَّ في القوم من هو كالمرآة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو ليهرع النَّاس إلى كتاب الله تعالى وسنَّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يهمهم ، فيتَّسع باب الاجتهاد ، وتنتشر الشَّريعة ، وتعظم الحجَّة التي يمكن أن يعقلها كلُّ أحد أو لنحو ذلك ...

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد درويش، أبو عبد الرَّحمن الحوت الشَّافعي (١٢٧٧هـ) : " ... ثمَّ أَنَّ كثيراً من الصَّالِحِين يَقُول: إِنَّه يرى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظة وَلَا يُنكر هَذَا مِنْهُم وَإِنَّمَا هِيَ رُؤْيَة روحانيَّة لَا جسمانيَّة ، وَلذَلِك يرَاهُ الْبَعْض دون الْبَعْض فِي الْمَكَان الْوَاحِد ، وَلَو كَانَ بجسمه لرآه كلُّ أحد؛ لِأَنَّ رُؤْيَة الْجِسْم لَا تتَوَقَّف على صَلَاح التَّقْوَى، بل رَآهُ الْكفَّار فِي حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشرار الْخلق وخيارهم. وَاعْلَم أَنَّ الشَّيْطَان لَا يُمكنهُ أَن يتَمَثَّل بِصُورَة الْأَنْبِيَاء – عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام – وَهَذَا لطف وكرامة من الله – تَعَالَى – زِيَادَة فِي حفظهم وعصمتهم مِنْهُ حَتَّى لَا يقدر على التَّشكُّل بشكلهم ، فَإِذا أكْرم الله عبدا بِرُؤْيَة رَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظة يمثل لَهُ نوره الشَّرِيف بِصُورَة جِسْمه الْكَرِيم، وَرُبمَا ظَنَّه الرَّائِي أَنَّه الْجِسْم الشَّرِيف لغَلَبَة الْحَال. وَمن ذَلِك مَا وَقع لسيِّدنا الرِّفَاعِي – رَضِي الله عَنهُ – حِين زار النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأنْشد عِنْد الْحُجْرَة الشَّرِيفَة الْبَيْتَيْنِ الْمَشْهُورين وهما:

فِي حَالَة الْبعد روحي كنت أرسلها … تقبِّل الأَرْض عني وَهِي نائبتـــــي

وَهَذِه دولة الأشبـــاح قد حضرت … فامدُد يَمِينك كي تحظى بهَا شفتي

فمثلت لَهُ الْيَد الشَّرِيفَة وَقبَّلهَا ، وَالْخَبَر الْمَذْكُور مَشْهُور من قبل الإِمَام الْمَذْكُور صلوَات الله وَسَلَامه وتحياته الطَّيِّبَات وَبَرَكَاته على سيدنَا مُحَمَّد وَجَمِيع الْأَنْبِيَاء وَالْمُرْسلِينَ وعَلى آل كل وَصَحبه وعَلى الْأَوْلِيَاء الْكِرَام " (٢) .

(١) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١١/ ٢١٤) .

(٢) انظر : أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب (ص٣٥٧) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ) : " وَسَمِعْت سَيِّدِي عَلِيًّا الْخَوَّاصَ يَقُولُ لَا يَصِحُّ خُرُوجُ شَيْءٍ مِنْ أَقْوَالِ الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ عَنْ الشَّرِيعَةِ أَبَدًا عِنْدَ أَهْلِ الْكَشْفِ قَاطِبَةً وَكَيْفَ يَصِحُّ خُرُوجُهُمْ عَنْ الشَّرِيعَةِ مَعَ اطِّلَاعِهِمْ عَلَى مَوَادِّ أَقْوَالِهِمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَمَعَ اجْتِمَاعِ رُوحِ أَحَدِهِمْ بِرُوحِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَسُؤَالِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ تَوَقَّفُوا فِيهِ مِنْ الْأَدِلَّةِ هَلْ هَذَا مِنْ قَوْلِك يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ لَا يَقَظَةً وَمُشَافَهَةً وَكَذَلِكَ كَانُوا يَسْأَلُونَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَبْلَ أَنْ يُدَوِّنُوهُ فِي كُتُبِهِمْ وَيُدِينُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهِ وَيَقُولُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ فَهِمْنَا كَذَا مِنْ آيَةِ كَذَا وَفَهِمْنَا كَذَا مِنْ قَوْلِك فِي الْحَدِيثِ الْفُلَانِيِّ كَذَا فَهَلْ تَرْضَاهُ أَمْ لَا وَيَعْمَلُونَ بِمُقْتَضَى قَوْلِهِ وَإِشَارَتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَمَنْ تَوَقَّفَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَشْفِ الْأَئِمَّةِ وَمِنْ اجْتِمَاعِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ حَيْثُ الْأَرْوَاحُ قُلْنَا لَهُ هَذَا مِنْ جُمْلَةِ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ بِيَقِينٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْمُجْتَهِدُونَ أَوْلِيَاءَ فَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَلِيٌّ أَبَدًا " (١) .

وجاء في فتاوى الدكتور نوح علي سلمان القضاة مفتي المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة (١٤٣٢هـ) : " السُّؤال : هل يمكن رؤية النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليقظة؟

الجواب : هذا أمر لم تجرِ به العادة ، ولا يُستبعد أن يحصل هذا لبعض الأولياء كرامةً لهم من الله تعالى، لأنَّ الكرامة كما عرَّفها العلماء: أمرٌ خارق للعادة، فلو ادَّعى شخص أنَّه رأى النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليقظة لا ننكر عليه ذلك إن كان ظاهر الصَّلاح، ولكن إذا قال أنَّه رأى النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظةً أو مناماً فأمره بكذا أو نهاه عن كذا ويريد بذلك أن يزيد في أحكام الشَّريعة لا نقبل منه، لأنَّ الله تبارك وتعالى أتمَّ لنا الدِّين ولا مجال لزيادة فيه ولا نقص، وقد قال الله تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾** [المائدة:٣] ، فإذا احتجَّ بقول الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي" رواه البخاري، نقول له: النَّائم لا يصلح للتَّلقِّي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّ من شرط التلقِّي في رواية الحديث اليقظة، كما أنَّ الشَّكَّ يتطرَّق إلى من يريد تغيير أحكام الدِّين برؤيا في المنام، ولو فُتِح هذا الباب لتلاعب النَّاس بالإسلام، ولهذا اتَّفق العلماء على أنَّ الاحتجاج بالرُّؤيا باطل، إذا صادم نصَّاً من القرآن أو السُّنَّة" (٢) .

---

(١) انظر : فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك (١/ ٩٢) .

(٢) انظر : فتاوى الشيخ نوح علي سلمان" (فتاوى الحياة العامّة / فتوى رقم/ ٦٨) ، التاريخ : ٠٢-٠٨-٢٠١٢م .

وقالت " دار الإفتاء المصريَّة " : إنَّه روى البخارى ومسلم وغيرهما أنَّ النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:" من رآنى فى المنام فسيرانى، فى اليقظة، ولا يتمثَّل الشَّيطان بي "، ووضع الحافظ السُّيوطى رسالة فى رؤية النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مناماً ويقظة سمَّاها : " تنوير الحَلك فى إمكان رؤية النَّبى جهاراً أو الملك "، كما تحدَّث عنها غيره مثل القسطلانى في " المواهب اللدنيَّة " بشرح الزّرقاني ، وقد استخلصت من ذلك ما يأتي:

(١) رؤية النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى المنام جائزة، على خلاف فى رؤية الشخص أو المثال، وما يحتاج إلى تعبير وما لا يحتاج إليه، وذلك كرؤية الإنسان لأى شخص بعد وفاته.

(٢) من رآه فى المنام فسيراه، تحقيقاً للوعد الذى جاء فى الحديث، على خلاف فى هذه الرُّؤية، إن كانت فى الدُّنيا أو فى الآخرة، أو كانت لمن رآه حال حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصَّة، أو عامَّة لكلِّ إنسان إلى يوم القيامة.

(٣) رؤيته يقظة بعد موته، ليس هناك نصٌّ يمنعها، فهى ممكنة، على خلاف فى هذه الرُّؤية: فإن كانت مثاليَّة أى صورة يستحضرها الإنسان حتى تبدو كأنَّها الحقيقة فذلك لا مانع منه، ويحمل عليه ما يراه بعض الصَّالحين، وإن كانت رؤية شخصيَّة وكان الرَّائى قد رآه فى قبره فذلك لا مانع منه، كما رأى النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موسى عليه السَّلام فى قبره، وهى لأصحاب الكرامات، والكرامات معترف بها كالمعجزات، مع التَّحفُّظ على أنَّ هذه الرُّؤية الشَّخصيَّة ربما لا تكون تماماً كالرُّؤية بالعين الباصرة المتعارفة عند النَّاس.

(٤) حوادث رؤية النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته كثيرة، لكن أسانيد رواياتها ظنيَّة، وهناك مندوحة لعدم تصديقها، والرَّائى لا بدَّ أن يكون عدلاً، وفى الوقت نفسه يكون متثبِّتاً ممَّا رآه، كامل العقل والقدرة على الإخبار به كما حدث، وبدون ذلك تقوى التُّهمة، وكلّ راوٍ له استعداده فى التَّحمُّل والنَّقل، والأداء ربَّما لا يعتبر تماماً عن الرُّؤية.

(٥) ما يُدَّعى أنَّه أمِرَ به أو نهى عنه فى الرُّؤية الشَّخصيَّة لا يمكن أن يعارض الثَّابت فى القرآن والسنَّة.

(٦) ينبغى لمن حصل له ذلك ألَّا يستغلَّه استغلالاً سيِّئاً لمصلحة نفسه أو لغرض آخر لا يتَّفق مع الدِّين، وهو حرٌّ فى تصديق ما يراه، لكن لا يفرضه على غيره.

(٧) يجب الاهتمام بتنفيذ ما جاء فى القرآن والسُّنَّة، فالاعتصام بهما سبيل الهدى وحماية من الضَّلال، والدِّين واضح وكامل وتام ليس فى حاجة إلى زيادات بعد ما جاء عن الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والأئمَّة المجتهدين. وكلُّ ما يقال عن الجديد فلا بدَّ أن يأخذ شرعيَّته من أصول الدِّين.

(٨) الخلاف فى مسألة الرُّؤية غير مفيد، والوقت الذى يبذل فيه تأييداً أو إنكاراً ينبغى أن يبذل فيما هو أهم، فالقضايا والمشكلات كثيرة، ومن مصلحة العدو أن ننصرف عنها إلى هوامش ليست من صحيح العقيدة الإسلاميَّة وأصول التَّشريع.

(٩) لا يجوز مطلقاً أن يرمى أحد بالكفر لتكذيبه دعوى جواز الرُّؤية الشَّخصيَّة للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو وقوعها، ولا أن يرمى أحد بالزَّيغ والضَّلال لمجرَّد القول بها، فإذا تجاوزت الحدّ بأي نوع من التَّجاوز كان التَّفاهم بالحسنى لتصحيح الخطأ أو الحدّ من التَّعصُّب.

(١٠) مسألة الرُّؤية هذه ليست من العقائد المفروضة التى يترتَّب على إنكارها الكفر، فالعقائد لا تثبت إلَّا بما يفيد العلم اليقينى ولا يوجد عليها دليل فى القرآن الكريم، ودليلها من السنَّة ليس قطعيَّاً فى دلالته، فالاحتمال موجود حتى على فرض قطعيَّة الثُّبوت بالحديث الصَّحيح الذى لم يبلغ مبلغ التَّواتر [١].

ونختم الكلام في هذه المسألة بوصيَّة للإمام الشَّعراني رضي الله عنه قال فيها : " فسلّم يا أخي للفقراء ما يدَّعونه من مثل ذلك ، ولا تنكر عليهم إلَّا ما صرَّحت الشَّريعة بمنعه، فقد أجمعوا على أنَّ كلّ من أنكر شيئاً من مقاماتهم حرم الوصول إليه ، فافهم ذلك ، والحمد لله ربّ العالمين " [٢] .

ومع كلِّ ما سبق بيانه وجدنا البعض يُنكر ما جاء في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ " ، متعلِّلاً بحجج واهية ... متجاهلاً صريح منطوق الحديث الصَّحيح ...

قال الشَّيخ ابن تيمية : " وَقَدْ يَرَى أَحَدُهُمْ فِي الْيَقَظَةِ مَنْ يَقُولُ لَهُ: أَنَا الْخَلِيلُ، أَوْ أَنَا مُوسَى، أَوْ أَنَا الْمَسِيحُ، أَو مُحَمَّدٌ، أَوْ أَنَا فُلَانٌ لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ، أَوِ الْحَوَارِيِّينَ، وَيَرَاهُ طَائِرًا فِي الْهَوَاءِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَلَا تَكُونُ تِلْكَ الصُّورَةُ مِثْلَ صُورَةِ ذَلِكَ الشَّخْصِ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي حَقًّا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي» ، فَرُؤْيَتُهُ فِي الْمَنَامِ حَقٌّ، وَأَمَّا فِي الْيَقَظَةِ فَلَا يُرَى بِالْعَيْنِ هُوَ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْمَوْتَى، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ قَدْ يَرَى فِي الْيَقَظَةِ مَنْ يَظُنُّهُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، إِمَّا عِنْدَ قَبْرِهِ وَإِمَّا عِنْدَ غَيْرِ قَبْرِهِ.

وَقَدْ يَرَى الْقَبْرَ انْشَقَّ، وَخَرَجَ مِنْهُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، فَيَظُنُّ أَنَّ الْمَيِّتَ نَفْسَهُ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ، أَوْ أَنَّ رُوحَهُ تَجَسَّدَتْ وَخَرَجَتْ مِنَ الْقَبْرِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ جِنِّيٌّ تَصَوَّرَ فِي صُورَتِهِ لِيُضِلَّ ذَلِكَ الرَّائِيَ، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَتْ مِمَّا تَكُونُ تَحْتَ

---

[١] من فتاوى دار الإفتاء المصريَّة .

[٢] انظر : سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين (ص٤٠١) ، النبهاني ، دار الكتب العلمية .

التُّرَابِ وَيَنْشَقُّ عَنْهَا التُّرَابُ، فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ قَدْ تَتَّصِلُ بِالْبَدَنِ، فَلَا يُحْتَاجُ فِي ذَلِكَ إِلَى شَقِّ التُّرَابِ، وَالْبَدَنُ لَمْ يَنْشَقَّ عَنْهُ التُّرَابُ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ تَخْيِيلٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَقَدْ جَرَى مِثْلُ هَذَا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ.

وَيَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ هَذَا مِنْ كَرَامَاتِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَيَكُونُ مِنْ إِضْلَالِ الشَّيَاطِينِ " (١) . مع العلم أنَّ ابن تيمية أجاز انكشاف أنوار ليلة القدر لبعض النَّاس بأن يرى يقظة أنوارها أو أن يرى من يقول له له : هذه ليلة القدر ... قال ابن تيمية : " مِنْ أَشْهَرِ الْعَلَامَاتِ فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ رُوِيَ فِي عَلَامَاتِهَا " أَنَّهَا لَيْلَةٌ بلجة مُنِيرَةٌ " ، وَهِيَ سَاكِنَةٌ لَا قَوِيَّةُ الْحَرِّ وَلَا قَوِيَّةُ الْبَرْدِ وَقَدْ يَكْشِفُهَا اللَّهُ لِبَعْضِ النَّاسِ فِي الْمَنَامِ أَوْ الْيَقَظَةِ. فَيَرَى أَنْوَارَهَا أَوْ يَرَى مَنْ يَقُولُ لَهُ هَذِهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ وَقَدْ يُفْتَحُ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ الْمُشَاهَدَةِ مَا يَتَبَيَّنُ بِهِ الْأَمْرُ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ " (٢) .

فكيف يرى المرء في حال اليقظة علامات ليلة القدر الحسِّيَّة ولا يرى الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!!!

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " السُّؤال الثَّالث من الفتوى ال رقم (٥٤٢٨) :

س٣: ما معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة » ؟

ج: معنى الحديث على هذه الرِّواية: أنَّ من رأى النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام على صورته التي كان عليها في الدُّنيا فسيرى تأويل رؤياه ووقوع ما أشارت إليه من الخبر في دنياه؛ لأنَّ رؤياه على صورته حقّ؛ لما دلَّ عليه قوله آخر الحديث: «فإنَّ الشَّيطان لا يتمثَّل بي » .

انظر تفسير هذا الحديث في " فتح الباري " لابن حجر رحمه الله في كتاب التَّعبير، وليس المراد أنَّه يرى ذات الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيقظته، وقد روى البخاري الحديث في كتاب التَّعبير عن أنس رضي الله عنه قال: قال النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلفظ: «من رآني في المنام فقد رآني، فإنَّ الشَّيطان لا يتمثل بي » ... الحديث، ومعناه: من رأى النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صورته التي كان عليها في الدُّنيا فرؤياه حقّ، فإنَّ الشَّيطان لا يتمثَّل بصورته، وروى مسلم في صحيحه هذا الحديث بلفظ: «من رآني في المنام فسيراني، أو فكأنَّما رآني » على الشَّك، ولم يذكر كلمة اليقظة، ومعناه: صدق الرُّؤيا وأن تأويلها سيتحقَّق.

وبالله التَّوفيق. وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد، وآله وصحبه وسلَّم.

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (انظر : ٣/ ٣٤٨-٣٤٩) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٨٦) .

اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء " [١] .

وجاء فيها أيضاً : " فتوى رقم (٩٨٩٨) :

س: ورد في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه، أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثَّل الشَّيطان بي » ، فهل معنى ذلك: أنَّ الإنسان يمكن أن يرى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليقظة، حيث إنَّه حصل نقاش كبير حول هذا الموضوع وادَّعى ناس أنَّهم رأوا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليقظة واستدلُّوا بهذا الحديث؟

ج: مضت سُنَّة الله أن جعل النَّاس أحياء في الدُّنيا بعد أن كانوا أمواتاً؛ ليبلوهم أيُّهم أحسن عملاً، ثمَّ يميتهم فيها عند انتهاء آجالهم ثمَّ يبعثهم يوم القيامة للحساب والجزاء، قال الله تعالى: **﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** [البقرة:٢٨] ، وقال سبحانه في سورة المؤمنون: **﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾** [المؤمنون:١٥] ، **﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾** [المؤمنون:١٦] ، وجعل سبحانه تلك السُّنَّة الكونيَّة عامَّة للأنبياء والمرسلين حتى نبيّنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال الله تعالى: **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾** [الزمر:٣٠] ، **﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾** [الزمر:٣١] ، فتوفِّي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدما بلَّغ الرِّسالة وأكمل الله به دينه وأقام به الحجَّة على خلقه، وصلَّى عليه أصحابه رضي الله عنهم صلاة الجنازة، ودفنوه حيث مات في حجرة عائشة رضي الله عنها، وقام من بعده الخلفاء الرَّاشدون، وقد جرى في أيَّامهم أحداث ووقائع فعالجوا ذلك باجتهادهم ولم يرجعوا في شيء منها إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فمن زعم بعد ذلك أنَّه رآه في اليقظة حيَّاً وكلَّمه أو سمع منه شيئاً قبل يوم البعث والنُّشور فزعمه باطل؛ لمخالفته النُّصوص والمشاهدة وسُنَّة الله في خلقه، وليس في هذا الحديث دلالة على أنَّه سيرى ذاته في اليقظة في الحياة الدُّنيا؛ لأنَّه يحتمل أنَّ المراد بأنَّه: فسيراني يوم القيامة، ويحتمل أنَّ المراد: فسيرى تأويل رؤياه؛ لأنَّ هذه الرُّؤيا صادقة بدليل ما جاء في الروايات الأخرى من قوله صلى الله عليه وسلم: «فقد رآني » الحديث. وقد يراه المؤمن في منامه رؤيا صادقة على صفته التي كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها أيَّام حياته الدُّنيويَّة.

وإذا أردت زيادة الفائدة فارجع إلى ما كتبه العلَّامة أحمد بن حجر شرحاً لهذا الحديث في كتابه " فتح الباري" .

وبالله التَّوفيق. وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد، وآله وصحبه وسلَّم.

---

[١] انظر : : فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٤٨٤-٤٨٥) .

اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء " [١] .

وجاء فيها أيضاً : " س٦: هل صحيح أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمكن أن يُرى في اليقظة، كما يزعم الصُّوفيَّة في أنَّهم يرونه يقظة؟

ج٦: الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفِّي، وهو حيٌّ في قبره حياة برزخيَّة لا يعلم كيفيَّتها إلَّا الله جلَّ وعلا، وأمَّا دعوى أنَّه يُرى يقظة فهذا ليس بصحيح؛ لعدم الدَّليل الدَّالِّ عليه، ولأنَّه ثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أوَّل من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، فدلَّ ذلك على أنَّه لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ويدلُّ على ذلك في حقِّه وحقِّ غيره قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾ [الزمر:٣٠] ، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ**﴾ [المؤمنون:١٥] ، فدلَّ على أنَّه ليس هناك خروج من القبور قبل يوم القيامة.

وبالله التَّوفيق. وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد، وآله وصحبه وسلَّم.

اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء " [٢] .

وجاء فيها أيضاً : " السُّؤال الثَّاني عشر من الفتوى رقم (٩٤٥٠) :

س١٢: كيف رؤية أرباب الأحوال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليقظة؟

ج١٢: النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يراه أحد في الدُّنيا بعد وفاته وإنَّما يرى في النَّوم، فمن رآه على صورته في النَّوم فقد رآه؛ لأنَّ الشَّيطان لا يتمثَّل في صورته، كما صحَّ بذلك الأحاديث عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأمَّا ما يدَّعيه بعض الصُّوفيَّة من أنَّهم يرون النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظة فهو باطل لا أصل له.

وبالله التَّوفيق. وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد، وآله وصحبه وسلَّم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء " [٣] .

وبعد هذا الاستعراض للمسألة بين المُثبتين والنَّافين لرؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليقظة أقول :

أَوَّلاً : المعروف أنَّ أغلب من نفوا الرُّؤية في اليقظة هم ممَّن يحارب التَّأويل ولا يعترف به ، بل يسمُّونه طاغوتاً ، فكيف ساغ لهم أن يؤولوا قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " «مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ، وَلاَ

---

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٤٨٥-٤٨٧) .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٧٣-٢٧٤) .

(٣) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٣٠١-٣٠٢) .

يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي» " ، مع أنَّه نصٌّ واضحٌ صحيحٌ صريحٌ مُحكم لا يقبل التَّأويل ؛ والمعروف أنَّ اليقظة هي الانتباه، والانتباه ضد النَّوم ؟!!! ...

ثانياً : رؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليقظة واقعة في دائرة الممكنات التي لا تستحيل على القدرة الإلهيَّة وهذا هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ... والرُّؤية تأتي على صورة مثال الجسد ، بمعى أنَّ الرُّوح تتشكَّل على صورة الجسد ، وقد حدث مثل هذا لسيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإسراء والمعراج حيث مرَّ في طريقه على سيِّدنا موسى وعيسى وإبراهيم فوجدهم قياماً يُصلُّون ثمَّ اجتمع يقظة بجميع الأنبياء والرُّسل وصلَّى بهم إماماً في المسجد الأقصى ... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»، قَالَ: " فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ، جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ " (١) .

ثالثاً : ومن الغرائب أنَّ اللجنة الدَّائمة استندت في فتاويها في هذه المسألة على ما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني في " فتح الباري " ... مع العلم أنَّهم سبق لهم أن بدَّعوه وكفَّروه ... فكيف يستشهدون على ما يعتقدون بكلام كافر ؟!!!

فقد نصَّ إمامهم سفر الحوالي على أنَّ الحافظ ابن حجر العسقلاني كان متذبذباً في عقيدته ، فيقول : " ولو قيل : أنَّ الحافظ – رحمه الله – كان متذبذباً في عقيدته لكان ذلك أقرب إلى الصَّواب ، كما يدلُّ عليه شرحه لكتاب التَّوحيد (٢) .

تَنْبِيه : قامت الأيدي العابثة بشطب هذه الفقرة من نسخة " منهج الأشاعرة في العقيدة " الموجودة في المكتبة الشَّاملة ... (الإصدار السَّادس) ، وهذه خيانة علميَّة مكشوفة ، وبالتَّالي نحكم بسقوط الأمانة العلميَّة عمَّن يشرفون على المكتبة الشَّاملة ، فليتنبَّه ...

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٥٦ برقم ١٧٢) .

(٢) انظر: منهج الاشاعرة في العقيدة ، سفر حوالي (ص٢٨) .

وقال عالمهم : عبد المحسن البدر : " ومن العلماء الذين مَضوا وعندهم خلل في مسائل من العقيدة ، ولا يستغني العلماء وطلبة العلم عن علمهم ، بل إنَّ مؤلَّفاتهم من المراجع المهمَّة للمشتغلين في العلم ، الأئمة : البيهقي والنَّووي ، وابن حجر العسقلاني [1] .

واتَّهم الشَّيْخ ابن باز الإمامين : النَّووي ، وابن حجر العسقلاني – رحمهما الله – بأنَّ لهما أغلاط في العقيدة ، ولذا فهما ليسا من أهل السُّنَّة والجماعة ... فقد جاء في فتاوى ابن باز : " سائل يقول : هناك من يحذر من كتب الإمام النَّووي وابن حجر رحمهما الله تعالى ، ويقول : إنَّهما ليسا من أهل السُّنَّة والجماعة ، فما الصَّحيح في ذلك ؟

ج : لهم أشياء غلطوا فيها في الصِّفات ، ابن حجر والنَّووي وجماعة آخرون ، لهم أشياء غلطوا فيها ، ليسوا فيها من أهل السُّنَّة ، وهم من أهل السُّنَّة فيما سلموا فيه ولم يحرِّفوه هم وأمثالهم ممَّن غلط " [2] .

وصنَّف المدعو : عبد الله سعدي الغامدي العبدلي كتاباً سمَّاه : " الأخطاء الأساسيَّة في العقيدة وتوحيد الألوهيَّة من فتح الباري بشرح صحيح البخاري " ، تأليف : أحمد بن حجر العسقلاني .... فيا للعجب ....

مع العلم أنَّ الحافظ ابن حجر صرَّح في كلامه على اجتماع الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأنبياء في ليلة المعراج بأنَّ أرواحهم تشكَّلت بصور أجسادهم ، قال الإمام ابن حجر العسقلاني : " وَقَدِ اسْتُشْكِلَ رُؤْيَةُ الْأَنْبِيَاءِ فِي السَّمَاوَاتِ مَعَ أَنَّ أَجْسَادَهُمْ مُسْتَقِرَّةٌ فِي قُبُورِهِمْ بِالْأَرْضِ ، وَأُجِيبَ بِأَنَّ أَرْوَاحَهُمْ تَشَكَّلَتْ بِصُوَرِ أَجْسَادِهِمْ أَوْ أُحْضِرَتْ أَجْسَادُهُمْ لِمُلَاقَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ تَشْرِيفًا لَهُ وَتَكْرِيمًا" [3] .

وأكَّد على هذا الإمام ابن تيميَّة ، فقال : " وَأَمَّا رُؤْيَتُهُ وَرُؤْيَةُ غَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فِي السَّمَاءِ لَمَّا رَأَى آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَرَأَى يَحْيَى وَعِيسَى فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ وَيُوسُفَ فِي الثَّالِثَةِ وَإِدْرِيسَ فِي الرَّابِعَةِ وَهَارُونَ فِي الْخَامِسَةِ وَمُوسَى فِي السَّادِسَةِ وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّابِعَةِ أَوْ بِالْعَكْسِ فَهَذَا رَأَى أَرْوَاحَهُمْ مُصَوَّرَةً فِي صُوَرِ أَبْدَانِهِمْ " [4] .

وما قاله الحافظ ابن حجر وأكَّده الإمام ابن تيمية هو أحد قولي من أثبت رؤية الأولياء للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حال اليقظة ، قالوا : فقد يكون اجتماع الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأنبياء وإمامتهم اجتماع

---

(١) انظر : رفقاً أهل السنة بأهل السنة (ص٣٢-٣٣) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (٢٨/ ٤٧) .

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧/ ٢١٠) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ٣٢٨) .

بأجسادهم الحقيقيَّة ... وهذا أيضاً لا يمتنع على قدرة الله تعالى ، ويؤيِّد ذلك ما جاء في رواية أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «لَمَّا جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبُرَاقِ ... وفيه : " ثُمَّ بُعِثَ لَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَأَمَّهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ اللَّيْلَةُ " (١) .

رَابِعَاً : وسواء كانت الرُّؤية رؤية جسده الحقيقي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو رؤية صورة مثال الجسد ... المهم أنَّ الرُّؤية في حال اليقظة ثابتة ، وخرق العادة جائز للولي ، فإذا جازت الرُّؤية للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معجزة ، جازت للأولياء كرامة ، كما ذكرنا سابقاً ... فرؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظة من قبل الأولياء جائزة الوقوع عقلاً وشرعاً ، ولا يستلزم ذلك خروجه من قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد ردَّ الإمام علي بن (سلطان) محمَّد، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري على من ينفى الرُّؤية يقظة لهذا السَّبب ، فقال : " وَأَنْكَرَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ الْأَهْدَلُ الْيَمَنِيُّ حَيْثُ قَالَ: الْقَوْلُ بِذَلِكَ يُدْرَكُ فَسَادُهُ بِأَوَائِلِ الْعُقُولِ ؛ لِاسْتِلْزَامِهِ خُرُوجَهُ مِنْ قَبْرِهِ، وَمَشْيَهُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَمُخَاطَبَتَهُ لِلنَّاسِ، وَمُخَاطَبَتَهُمْ لَهُ، وَخُلُوَّ قَبْرِهِ عَنْ جَسَدِهِ الْمُقَدَّسِ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُ فِيهِ شَيْءٌ بِحَيْثُ يُزَارُ مُجَرَّدُ الْقَبْرِ، وَيُسَلِّمُ عَلَى غَائِبٍ، وَأَشَارَ كَذَلِكَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الرَّدِّ عَلَى الْقَائِلِ بِأَنَّ الرَّائِيَ لَهُ فِي الْمَنَامِ رَأَى حَقِيقَةً، ثُمَّ يَرَاهُ كَذَلِكَ فِي الْيَقَظَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ جَهَالَاتٌ، وَلَا يَقُولُ بِشَيْءٍ مِنْهَا مَنْ لَهُ أَدْنَى مَسْكَةٍ مِنَ الْمَعْقُولِ، وَمُلْتَزِمُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مُخْبِلٌ مَخْبُولٌ. انْتَهَى.

وَهَذِهِ الْإِلْزَامَاتُ كُلُّهَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا بِلَازِمٍ لِذَلِكَ، وَدَعْوَى اسْتِلْزَامِهِ لِذَلِكَ عَيْنُ الْجَهْلِ أَوِ الْعِنَادِ، وَبَيَانُهُ أَنَّ رُؤْيَتَهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقَظَةً لَا تَسْتَلْزِمُ خُرُوجَهُ مِنْ قَبْرِهِ؛ لِأَنَّ مِنْ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ كَمَا مَرَّ أَنَّ اللهَ يَخْرِقُ لَهُمُ الْحُجُبَ فَلَا مَانِعَ عَقْلًا، وَلَا شَرْعًا، وَلَا عَادَةً أَنَّ الْوَلِيَّ وَهُوَ بِأَقْصَى الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ يُكْرِمُهُ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ لَا يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الذَّاتِ الشَّرِيفَةِ، وَهِيَ فِي مَحَلِّهَا مِنَ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ سَاتِرًا وَلَا حَاجِبًا بِأَنْ يَجْعَلَ تِلْكَ الْحُجُبَ كَالزُّجَاجِ الَّذِي يَحْكِي مَا وَرَاءَهُ وَحِينَئِذٍ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْوَلِيُّ يَقَعُ نَظَرُهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَيٌّ فِي قَبْرِهِ يُصَلِّي، وَإِذَا أُكْرِمَ إِنْسَانٌ بِوُقُوعِ بَصَرِهِ عَلَيْهِ، فَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يُكَرَّمَ بِمُحَادَثَتِهِ وَمُكَالَمَتِهِ وَسُؤَالِهِ عَنِ الْأَشْيَاءِ وَأَنَّهُ يُجِيبُهُ عَنْهَا، وَهَذَا كُلُّهُ غَيْرُ مُنْكَرٍ شَرْعًا، وَلَا عَقْلًا، وَإِذَا كَانَتِ الْمُقَدِّمَاتُ وَالنَّتِيجَاتُ غَيْرَ مُنْكَرَيْنِ عَقْلًا وَلَا شَرْعًا، فَإِنْكَارُهُمَا أَوْ إِنْكَارُ أَحَدِهِمَا غَيْرُ مُلْتَفَتٍ إِلَيْهِ، وَلَا مُعَوَّلٍ عَلَيْهِ، وَبِهَذَا

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (٢/ ٣٦٢)، الطبري في التفسير (١٤/ ٤٢٢) ، ابن كثير في التفسير (٥/ ١١)

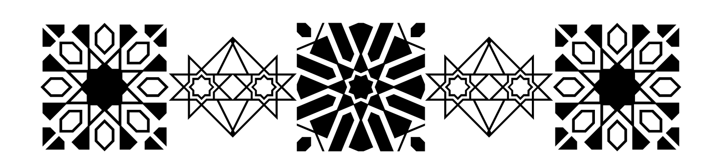
يُعْلَمُ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ غَيْرُ لَازِمٍ أَيْضًا، كَيْفَ، وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ بِأَنَّ الرُّؤْيَا فِي النَّوْمِ رُؤْيَةٌ تَحْقِيقِيَّةٌ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ " (١) .

خَامِسَاً : في ردِّه على كلام صَاحِبُ " فَتْحِ الْبَارِي " ... وَهَذَا مُشْكِلٌ جِدًّا، وَلَوْ حُمِلَ عَلَى الظَّاهِرِ لَكَانَ هَؤُلَاءِ صَحَابَةً، وَلَأَمْكَنَ بَقَاءُ الصُّحْبَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " ، قال الإمام علي القاري : " وَيُرَدُّ بِأَنَّ الشَّرْطَ فِي الصَّحَابِيِّ أَنْ يَكُونَ رَآهُ فِي حَيَاتِهِ حَتَّى اخْتَلَفُوا فِي مَنْ رَآهُ بَعْدَ مَوْتِهِ وَقَبْلَ دَفْنِهِ هَلْ يُسَمَّى صَحَابِيًّا أَمْ لَا؟ عَلَى أَنَّ هَذَا أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ، وَالْأُمُورُ الَّتِي كَذَلِكَ لَا يُغَيَّرُ لِأَجْلِهَا الْقَوَاعِدُ الْكُلِّيَّةُ " (٢) .

سَادِسَاً : وردَّ القاري على من يقول : " أَنَّهُ لَمْ يُحْكَ ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَا مَنْ بَعْدَهُمْ، وَلِأَنَّ فَاطِمَةَ اشْتَدَّ حُزْنُهَا عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَتْ كَمَدًا بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَبَيْتُهَا مُجَاوِرٌ لِضَرِيحِهِ الشَّرِيفِ، وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْهَا رُؤْيَتُهَا تِلْكَ الْمُدَّةَ " بقوله : " بِأَنَّ عَدَمَ نَقْلِهِ لَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ وُقُوعِهِ، بَلْ، وَلَا عَدَمَ وُقُوعِهِ عَلَى جَوَازِ تَحَقُّقِهِ فَلَا حُجَّةَ فِي ذَلِكَ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ مُقَرَّرٌ فِي مَحَلِّهِ " (٣) .

سَابِعَاً : إنَّ الذين أوَّلوا قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ " بأنَّ من رآه في المنام فسيراه في القيامة ، فالتَّخصيص لا فائدة منه ، لأنَّ كلّ أفراد الأمَّة سيروه يوم القيامة من رآه منهم ، ومن لم يره... ثمَّ إنَّ أجماع علماء الأصول قام على أنَّه إذا فُقدَ المخصِّص فاللفظ باقٍ على عمومه وظاهره، إذ التَّخصيصُ بغير مخصِصٍ باطل عند الجميع ... كما أنَّ الرَّسول الصَّلاة والسَّلام ولم يقل : سوف يراني ...

ثَامِنَاً : أمَّا الذين صرَّحوا بأنَّ إثبات الرُّؤية في حال اليقظة مخالفٌ لمنطوق قوله تعالى : **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾** [الزمر :٣٠] ، وقوله : **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾** [آل عمران :١٤٤] ... فهذا يحصل لو قُلنَا بأنَّ جسده عليه الصَّلاة والسَّلام يخرج بحيث يكون القبر الشّريف خاليًا ... وقد سبق نقل ردِّ الإمام علي بن سلطان القاري على ذلك ...



---

(١) انظر : جمع الوسائل في شرح الشمائل (٢/ ٢٣٧) ، المطبعة الشرفية ، مصر .

(٢) انظر : المرجع السابق (٢/ ٢٣٨) .

(٣) انظر : المرجع السابق (٢/ ٢٣٨) .

المَبْحَثُ السَّادِسُ

اعْتَبَرُوا قَبْرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صنماً ، وَأَنَّ وُجُوْد القبَّة الخَضْرَاء عَلَى قَبْرِهِ بِدْعَة ، وَجُمْلَة مِنْ فَتَاوِيْهِمْ بِحَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام

إنَّ النَّاظر في مسيرة أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب يجزم بأنَّ القوم عندهم ضغينة للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويبدو هذا واضحاً في كلِّ مسألة تتعلَّق به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

فقد زعم محمَّد بن عبد الوهَّاب أنَّ الاعتقاد في الصَّالحين : توسُّلاً ، وتبرُّكاً ، عبادة للأصنام ، من فعله كفر ، وتبرَّأ منه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (١) .

ولذلك سمُّوا كلَّ متوسِّلٍ به بالصَّنم ، حتى تطاول أشقاهم على مقام سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسمَّى قبره بالصَّنم ، فقد كتب المدعو : عبد العزيز بن يحيى البرعي اليمني كتاباً سمَّاه : " قوارع الأسنة في الردِّ على أعداء السنَّة " ، قال فيه تحت عنوان : " عُبَّاد الأصنام " : إنَّ عبادة الأصنام في زماننا كثيرة ... ومن تلك الأصنام : قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٢) .

فالبرعي في كلامه هذا يُسمِّي قبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصَّنم ... وهذا كلامٌ خطير يُخشى على صاحبه أن يقع في دائرة ...

وقال محمَّد ناصر الدِّين الألباني (١٤٢٠هـ) وهو يتكلَّم عن المسجد النَّبويِّ : " ... قلت : وممَّا يؤسف له أن هذا البناء قد بني عليه منذ قرون إن لم يكن قد أزيل تلك القبَّة الخضراء العالية ، وأحيط القبر الشَّريف بالنَّوافذ النُّحاسيَّة ، والزَّخارف ، والسّجف ، وغير ذلك ممَّا لا يرضاه صاحب القبر نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل قد رأيت حين زرت المسجد النبوي الكريم وتشرَّفت بالسَّلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة (١٣٦٨هـ) ، رأيت في أسفل حائط القبر الشّمالي محراباً صغيراً ، ووراءه سدَّة مرتفعة عن أرض المسجد قليلاً ، إشارة إلى أنَّ هذا المكان خاص للصَّلاة وراء القبر ، فعجبت حينئذ كيف ظلَّت هذه الظَّاهرة الوثنيَّة !!! قائمة في عهد دولة التَّوحيد ... " (٣) .

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٧٨) .

(٢) انظر : قوارع الأسنة في الردِّ على أعداء السنة (ص٢٨) .

(٣) انظر : تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص٦٨) .

فبناء على ما قاله الألباني ، فإنَّ الأمَّة ظلَّت حامية للوثنيَّة قروناً عديدة حتى جاء هذا (السَّاعاتي) المنقذ لها من شرِّ براثن الوثنيَّة التي تعيش فيها ، فهل يجوز وصف الأمَّة بالضَّلال والشرك ؟!!! ثمَّ كيف سكت السَّلفُ الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم على المظاهر الشِّركيَّة التي قال بها من يدَّعون السَّلفيَّة زوراً وعدواناً ، وإثماً وبهتاناً ...

كيف سكت السَّلفُ الصَّالحُ على وجود القبر داخل المسجد ؟ أليس عمر بن عبد العزيز هو من قام بتوسعة المسجد وضمِّ القبر إليه ؟!!!

أمَّا كلام البرعي فيحمل في طيَّاته منتهى قلَّة الحياء وقلة الأدب مع الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مع أنَّنا لم نرَ ولم نسمع عن أحدٍ من العالمين أنَّه عبَد القبر الشَّريف ، وهذا مصداق حديث الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ " (١) .

وقد استجاب الله تعالى لدعاء الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم يجعله وثناً يُعبد من دون الله تعالى ، بالرَّغم من زيارة مئات الملايين لقبره عليه الصَّلاة والسَّلام ، تلك الزِّيارة التي اعتبرها ابن تيمية ومعه من يدَّعون السَّلفيَّة معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ، ومع ذلك فلم يلتفت أحد لفتواهم بل لسائر فتاويهم ، وتهافت النَّاس لزيارة قبره الشريف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تهافت المحبِّ للقيا الحبيب أو كتهافت الظمآن على الماء ، ولسان الحال يقول :

أمرُّ على الدِّيار ديار ليلـــــــــى   أقبِّـــل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبُّ الديار شغفن قلبـــــي   ولكن حبُّ من سكن الدِّيارا

وفي ذلك قال الشَّاعر عمر بهاء الدِّين الأميري :

الحجرُ الأســــــودُ قبّلتُـــــهُ   بشفَتَيْ قلبيْ وكُلّي وَلَــــــهْ
لا لاعتِقـــــــادي أنّه نافعٌ   بل لِهُيــــامي بالّـذي قبّلَـه
محمدٌ أطهرُ أنفاســـــــــــهِ   كانت على صفْحـاتِهِ مُرسَلَةْ
قبّلتُ ما قبّلـــــــهُ ثغرهُ النَّـ   ـاطِقُ بالوَحيِ ابتِغـــاءَ الصِّلَةْ

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٢٤٠ برقم ٥٩٣) .

فما قبَّله هو ولا غيره إلَّا لأنَّ الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبَّله ، ولم نسمع أنَّ أحداً عبد الحجر الأسود أو مقام إبراهيم ...

وقد أَكَّد على ما سبق إمامهم ابن باز ، فقد أفتى بأَنَّ وجود القبَّة الخضراء على ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام بدعة ، فقد جاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة :

" إقامة القبَّة على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست حجَّة :

السُّؤال الأوَّل من الفتوى رقم (٦٢٥٨) :

س١ : ما هي حقيقة التَّصوُّف ؟ وهل في التَّصوُّف جوانب حسنة وجوانب سيِّئة ؟ هل التَّصوُّف مفصول عن الفقه ؟ أرجو من فضيلتكم التحدُّث إليَّ عن الحضرة النَّبويَّة التي توجد في المفهوم الصُّوفي ، وهل هي حقيقة ؟ عندي في السُّودان بعض رجال المتصوِّفة يستدلُّون على بناء القباب على الميِّت بالقبَّة المشيَّدة على قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ما حكم الدِّين في ذلك ؟ ما هي حقيقة هذه الأسماء : الغوثي ، والقطبي ، ورجال الكون في المفهوم الصُّوفي ؟

ج١ : أولاً : اقرأ في ذلك كتاب " مدارج السَّالكين " لابن قيِّم الجوزيَّة وكتاب " هذه هي الصُّوفيَّة " لعبد الرَّحمن الوكيل فيما يتعلَّق بمسائل التَّصوُّف .

ثانياً : ليس في إقامة القبَّة على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجَّة لمن يتعلَّل بذلك في بناء قباب على قبور الأولياء والصَّالحين ؛ لأنَّ إقامة القبَّة على قبره لم تكن بوصيَّة منه ، ولا من عمل أصحابه رضي الله عنهم ، ولا من التَّابعين ولا أحد من أئمَّة الهدى في القرون الأولى التي شهد لها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخير ، إنَّما كان ذلك من أهل البدع !!! وقد ثبت أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " ، وثبت عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال لأبي الهياج : " ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟! ألَّا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته " ، رواه مسلم ؛ فإذا لم يثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بناء قبَّة على قبره ، ولم يثبت ذلك عن أئمَّة الخير ، بل ثبت عنه ما يبطل ذلك ، لم يكن لمسلم أن يتعلَّق بما أحدثه المبتدعة !!! من بناء قبَّة على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبالله التَّوفيق . وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم .

اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء [1]

---

[1] انظر : فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٦٤-٢٦٥) .

وقال المدعو صالح العصيمي : " إنَّ استمرارَ هذه القبَّةِ على مدى ثمانيةِ قرونٍ لا يعني أنَّها أصبحت جائزة ، ولا يعني أنَّ السُّكوتَ عنها إقرارٌ لها ، أو دليلٌ على جوازها ، بل يجبُ على ولاةِ المسلمين إزالتها !!! وإعادة الوضع إلى ما كان عليه في عهدِ النبوَّةِ ، وإزالة القبَّةِ والزَّخارفِ والنُّقوشِ التي في المساجدِ ، وعلى رأسها المسجد النَّبوي ، ما لم يترتَّب على ذلك فتنةٌ أكبر منه ، فإن ترتَّبَ عليه فتنةٌ أكبر ، فلوليِّ الأمرِ التَّريُّث مع العزمِ على استغلالِ الفرصة متى سنحت " (١) . وهذه من العصيمي وغيره من المتمسلفة فتوى صريحة لهدم القبَّة الخضراء ، متى سنحت الفرصة لذلك !!! دون النَّظر لمشاعر المسلمين جميعاً ، ودون النَّظر لما سيحدثه الهدم من إساءة للحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّ القبَّة حول قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

وما أرى فتاويهم بحقِّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبره الشَّريف إلَّا لأنَّ في قلوبهم شيء منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال الإمام التَّقي الحصني في كلامه عن ابن تيمية : " ... وهذا وغيره يدلُّ على أنَّ عنده ضغينة للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولصاحبيه ، وكذا لأُمَّته ، ليفوِّت عليهم هذا الخير الذي رتَّبه على زيارة قبره عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام ، فاحذروه ، واحذروا تزويق مقالته المطوي تحتها أخبث الخبائث ، فإنَّها لا تجوز إلَّا على عاميٍّ أو بليد الذِّهن كالحمار يحمل أسفاراً " (٢) .

وإلَّا فما معنى أن يعتبر ابن تيمية في تعليقه على قصَّة العُتبي من رأى الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام ضعيفاً في دينه ، وبه نفاق ، ومن المؤلَّفة قلوبهم ... قال ابن تيمية : " وَأَمَّا مَا ذكره بعض الْفُقَهَاء من حِكَايَة الْعُتْبِي عَن الْأَعرَابِي الَّذِي أَتى قبر النَّبي ، وَقَالَ : يَا خير الْبَرِيَّة إِنَّ الله يَقُول : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء : ٦٤] ، وَإِنِّي قد جِئْت ، وَأَنَّه رَأْي النَّبي فِي الْمَنَام ، وَأمره أَن يبشِّر الْأَعرَابِي ، فَهَذِهِ الْحِكَايَة وَنَحْوهَا مِمَّا يذكر فِي قبر النَّبي وقبر غَيره من الصَّالِحين ، فَيَقَع مثلهَا لمن فِي إيمَانه ضعف ، وَهُوَ جَاهِل بِقدر الرَّسُول وَبِمَا أمر بِهِ ، فَإِن لم يعف عَن مثل هَذَا لِحَاجَتِهِ وَإِلَّا اضْطربَ إيمَانه وَعظم نفَاقه ، فَيكون فِي ذَلِك بِمَنْزِلَة الْمُؤَلّفَة بالعطاء فِي حَيَاة النَّبي ، كَمَا قَالَ : إِنِّي لأتألف رجَالاً بِمَا فِي قُلُوبهم من الْهَلَع والجزع وَأكل رجَالاً إِلَى مَا جعل الله فِي قُلُوبهم من الْغَنِيّ وَالْخَيْر ، مَعَ أَنَّ أَخذ ذَلِك المَال مَكْرُوه لَهُم ، فَهَذِهِ أَيْضاً مثل هَذِه الْحَاجَات " (٣) .

---

(١) انظر : بدعِ القبورِ ، أنواعها ، وأحكامها (ص٢٥٣) .

(٢) انظر : دفع شبه من شبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيِّد الجليل الإمام أحمد (ص١١٢) .

(٣) انظر : جامع الرسائل (٢/ ٣٧٨) ، قاعدة في المحبة (ص١٩٢) .

وما معنى أن يُنكر ابن تيمية أن تكون البُقعة التي ضمَّت جسد الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من الكعبة ومن كلِّ بقاع الأرض ، كما نقل القاضي عياض في الشِّفا ، فقد جاء في فتاوى ابن تيمية : " وَسُئِلَ أَيْضاً : عَنْ رَجُلَيْنِ تَجَادَلَا ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : إنَّ تُرْبَةَ محمَّد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَقَالَ الْآخَرُ : الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ . فَمَعَ مَنْ الصَّوَابُ ؟ فَأَجَابَ :

الْحَمْدُ للهَّ ، أَمَّا نَفْسُ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا خَلَقَ اللهَّ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ . وَأَمَّا نَفْسُ التُّرَابِ فَلَيْسَ هُوَ أَفْضَلَ مِنْ الْكَعْبَةِ البيت الْحَرَام بَلْ الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَلَا يُعْرَفُ أَحَدٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ فَضَّلَ تُرَابَ الْقَبْرِ عَلَى الْكَعْبَةِ إلَّا الْقَاضِي عِيَاضٌ ، وَلَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إلَيْهِ ، وَلَا وَافَقَهُ أَحَدٌ عَلَيْهِ ، وَاَللهَّ أَعْلَمُ " (١) .

قلت : وهو في كلامه هذا يَهرُفُ بما لا يَعرف ، فقد نقلنا سابقاً أقوال العلماء في هذه المسألة ، وأنَّ القاضي عياض (٥٤٤هـ) نقل الإجماع على أنَّ البُقعة التي ضمَّت جسد الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من الكعبة ومن كلِّ بقاع الأرض ، ولم يخالفه فيما قال أحدٌ إلَّا ابن تيمية الذي خالف الإجماع في غير ما مسألة ، وممَّا يُثبت هذا ما قاله العلماء في تأييد ما ذهب إليه القاضي عياض ، فقد نقل الإمام النَّووي قول عياض مقرّاً له ، فقال : " وَنَقَلَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي آخِرِ كِتَابِ الْحَجِّ مِنْ شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ إجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ مَوْضِعَ قَبْرِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْأَرْضِ ، وَأَنَّ الْخِلَافَ فِيمَا سِوَاهُ " (٢) .

وقال الإمام ابن كثير : " وقد حكى ذلك عياض السّبتي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه والله أعلم ، ونقل الاتِّفاق على أنَّ قبره الذي ضمَّ جسده بعد موته أفضل بقاع الأرض .

وقد سبقه إلى حكاية هذا الإجماع القاضي أبو الوليد الباجي ، وابن بطَّال ، وغيرهما ، وأصل ذلك ما روي أنَّه لمَّا مات صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختلفوا في موضع دفنه فقيل بالبقيع ، وقيل بمكة ، وقيل ببيت المقدس ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : إنَّ الله لم يقبضه إلَّا في أحبِّ البقاع إليه " (٣) .

وما معنى أن يزعم ابن تيمية أنَّ معرفة قبور الأنبياء ، وكذا زيارتها ليس لها فائدة ، فقد قال : " ... وَقَدْ حَصَلَ مَقْصُودُهُمْ وَمَقْصُودُهُ مِنْ السَّلَامِ عَلَيْهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِي مَسْجِدِهِ وَغَيْرِ مَسْجِدِهِ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي إتْيَانِ الْقَبْرِ فَائِدَةٌ لَهُمْ وَلَا لَهُ ، بِخِلَافِ إتْيَانِ مَسْجِدِ قُبَاء ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَهُ كُلَّ سَبْتٍ فَيُصَلُّونَ فِيهِ اتِّبَاعاً لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٨) .

(٢) انظر : المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) (٧/ ٤٧١) .

(٣) انظر : الفصول في السيرة (ص٢٩٠) .

وَسَلَّمَ . فَإِنَّ الصَّلَاةَ فِيهِ كَعُمْرَةٍ ، وَيَجْمَعُونَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِهِ يَوْمَ الْجُمْعَةِ إِذْ كَانَ أَحَدُ هَذَيْنَ لَا يُغْنِي عَنْ الْآخَرِ ، بَلْ يَحْصُلُ بِهَذَا أَجْرٌ زَائِدٌ . وَكَذَلِكَ إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى الْبَقِيعِ وَأَهْلِ أُحُدٍ ، كَمَا كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو لَهُمْ كَانَ حَسَناً ، لِأَنَّ هَذَا مَصْلَحَةٌ لَا مَفْسَدَةَ فِيهَا ، وَهُمْ لَا يَدْعُونَ لَهُمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ حَتَّى يُقَالَ : هَذَا يُغْنِي عَنْ هَذَا " (١) .

هذا ما قاله ابن تيمية ، وهو كلام خطير لا يقوله إلَّا من كان في قلبه شيء من سيِّد ولد آدم عليه الصَّلاة والسَّلام ، مع أنَّ علماء الأمَّة أجمعوا على استحباب زيارة قبره الشَّريف بأَبي هو وأُمِّي ، قال القاضي عياض : " وَزِيَارَةُ قَبْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْمُسْلِمِينَ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا ، وَفَضِيلَةٌ مُرَغَّبٌ فيها " (٢) .

فابن تيمية يزعم فيما نقلنا عنه في النُّصوص السَّابقة أنَّ الوقوف للدُّعاء عند القبر الشَّريف بِدْعَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ يفعل ذلك ، ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصِدُ الدُّعَاءَ عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ، وكذا لم يتحرى أحد منهم الدعاء عند أيٍّ من قبور الأنبياء ... وقد وصل الأمر بمن يتمسحون بالسَّلفيَّة إلى المُطالبة بإخراج قبر النَّبي محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وحجراته من حرم المسجد النَّبويِّ الشَّريف ، لتكون الحجرة خارج المسجد الذي تتمُّ فيه الصَّلاة حالياً ...

ففي دراسة بعنوان : " عمارة مسجد النَّبي عليه السَّلام ودخول الحجرات فيه دراسة عقديَّة " ، قدَّمها المدعو الدكتور علي بن عبدالعزيز الشّبل ، عضو هيئة التَّدريس في جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة في الرِّياض ، اقترح فيها نقل قبر النَّبي محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وحُجراته من حَرم المسجد النَّبويِّ الشَّريف ، لتكون الحجرة خارج المسجد الذي تتمُّ فيه الصَّلاة حالياً . وطالب فيها بهدم الجدار القبلي العثماني المجيدي ، وتوسيع مقدِّمة المسجد إلى الجنوب ، كما طالب المومى إليه بتشكيل لجنة متخصِّصة من أهل العلم المعروفين ، لدراسة حاجة المسجد النَّبويِّ الشَّريف ، وتتبُّع ما فيه من البدع المحدثات ذات الخطر على الدِّين والعقيدة ، ومن ضمنها أبيات العتبي الشِّعريَّة المكتوبة في محيط الحجرة ، زاعماً أنَّ ذلك لصفاء التَّوحيد !!! ومنعاً للشِّرك والتَّوسُّل والاستغاثة بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبره وهو ميِّت .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤١٦) .

(٢) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٩٤) .

ونُشرت الدَّراسةُ المذكورة في المجلَّة العلميَّة المحكَّمة !!!! الصَّادرة عن مركز البحث العلمي وإحياء التُّراث الإسلاميِّ ، التَّابع للرِّئاسة العامَّة لشئون المسجد الحرام والمسجد النَّبويِّ . فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم ...

وقال الشَّيخ ابن باز : " ... أمَّا احتجاج بعض الجهلة بوجود قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقبر صاحبيه في مسجده ، فلا حجَّة في ذلك ؛ لأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُفن في بيته وليس في المسجد ، ودُفن معه صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولكن لمَّا وسَّع الوليد بن عبد الملك بن مروان المسجد أُدخل البيت في المسجد ؛ بسبب التَّوسعة ، وغلط في هذا ، وكان الواجب أن لا يُدخله في المسجد ؛ حتَّى لا يحتجّ الجهلة وأشباههم بذلك ، وقد أنكر عليه أهل العلم ذلك ، فلا يجوز أن يُقتدى به في هذا ، ولا يظنٌّ ظانٌّ أنَّ هذا من جنس البناء على القبور أو اتِّخاذها مساجد ؛ لأنَّ هذا بيت مستقل أدخل في المسجد ؛ للحاجة للتَّوسعة ، وهذا من جنس المقبرة التي أمام المسجد مفصولة عن المسجد لا تضرُّه ، وهكذا قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفصول بجدار وقضبان . وينبغي للمسلم أن يبيِّن لإخوانه هذا ؛ حتى لا يغلطوا في هذه المسألة . والله وليُّ التَّوفيق " [1] .

وجاء في فتاوى ابن باز : " س : قال الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ألا إنَّ من كان قبلكم كانوا يتَّخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتَّخذوا القبور مساجد ، فإنِّي أنهاكم عن ذلك " . وله أحاديث تنهى عن بناء المساجد على القبور ، فإذا وجد القبر ، فعلينا التَّسوية ، والمسجد النَّبويُّ أسأل الله أن يطعمني زيارته ، ولكن من زار المسجد النَّبويَّ ، وجد أنَّ قبر النَّبي بارز غير مسوَّى مع الأرض ، ويصلَّى عليه أحياناً ، أنا أسأل مع السَّائلين هل هناك رخصة لقبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط ، وهذا غير وارد . أفتونا جزاكم الله خيراً ؟

ج : النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُفن في بيته ، والصَّحابة رأوا دفنه في البيت حتى لا يتخذ قبره مسجداً ، هذا هو الأصل لكن لمَّا وسَّع أمير المؤمنين في وقته الوليد بن عبد الملك في المائة الأولى مسجد الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدخل الحجرة في المسجد ، ومن ذلك الوقت دخلت في المسجد ، وإلَّا فهو مدفون في بيته عليه الصَّلاة والسَّلام ، فلا حجَّة فيه لأحد من النَّاس ؛ لأنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام لم يُدفن في المسجد ، وإنَّما دُفن في بيته ، ودخلت الحجرة برمَّتها في التَّوسعة .

---

[1] انظر : مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (١٣ / ٢٣٨) .

أمَّا النَّاس فلا يجوز لهم أن يدفنوا في المساجد ، والرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن من فعل ذلك ، قال : " لعن الله اليهود والنَّصارى اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ، فلا يجوز الدَّفن في المساجد ، ولا يجوز بناء مساجد على القبور ، فكلُّ هذا منكر ، لعن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فعله ، والواجب الحذر من ذلك ، أمَّا قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يدفن في المسجد ، بل دُفن في بيته ، ولكن عند التَّوسعة أُدخل البيت في المسجد ، وكان هذا من أخطاء الوليد عفا الله عنه " (١) .

قلت : لقد اشتمل كلام الشَّيخ ابن باز على ألوان من التَّدليس والمراوغة وعدم المصداقيَّة ، وإليك البيان :

أمَّا زعمه بأنَّ من أَمَرَ بضمِّ القبر للمسجد إنَّما هو الوليد بن عبد الملك فكذبٌ صُراح ، لأنَّ التَّاريخ يشهد بأنَّ من قام بضمِّ القبر للمسجد إنَّما هو الخليفة الرَّاشد الخامس عمر بن عبد العزيز ، وكان إماماً عالماً فقيهاً ...قال الإمام الذَّهبيُّ في ترجمته له : " الإِمَامُ ، الحَافِظُ ، العَلاَّمَةُ ، المُجْتَهِدُ ، الزَّاهِدُ ، العَابِدُ ، السَّيِّدُ ، أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ حَقّاً ، أَبُو حَفْصٍ القُرَشِيُّ ، الأُمَوِيُّ ، المَدَنِيُّ ، ثُمَّ المِصْرِيُّ ، الخَلِيْفَةُ ، الزَّاهِدُ ، الرَّاشِدُ ، ... وَكَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الاجْتِهَادِ ... وَكَانَ ثِقَةً ، مَأْمُوْناً ، لَهُ فِقْهٌ وَعِلْمٌ وَوَرَعٌ ، وَرَوَى حَدِيْثاً كَثِيْراً ، وَكَانَ إِمَامَ عَدْلٍ - رَحِمَهُ اللهُ ، وَرَضِيَ عَنْهُ " (٢) .

قال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) : " ... وَذَكَرَ ابن جرير : أَنَّه فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ كِتَابُ الْوَلِيدِ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العزيز يَأْمُرُهُ بِهَدْمِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَإِضَافَةِ حُجَرِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّ يُوَسِّعَهُ مِنْ قِبْلَتِهِ وَسَائِرِ نَوَاحِيهِ ، حَتَّى يَكُونَ مِائَتَيْ ذِرَاعٍ فِي مِائَتَيْ ذِرَاعٍ ، فَمَنْ باعك ملكه فاشتره مِنْهُ وَإِلَّا فقوِّمه لَهُ قِيمَةَ عَدْلٍ ثُمَّ اهدمه وَادْفَعْ إِلَيْهِمْ أَثْمَانَ بُيُوتِهِمْ ، فَإِنَّ لَكَ فِي ذَلِكَ سَلَفَ صِدْقٍ عُمَرَ وَعُثْمَانَ .

فَجَمَعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وُجُوهَ النَّاسِ وَالْفُقَهَاءَ الْعَشَرَةَ وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الْوَلِيدِ ، ... فَعِنْدَ ذَلِكَ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْوَلِيدِ بِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ الْعَشَرَةُ الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِالْخَرَابِ وَبِنَاءِ الْمَسْجِدِ عَلَى مَا ذَكَرَ، وَأَنْ يُعَلِّيَ سُقُوفَهُ . فَلَمْ يَجِدْ عُمَرُ بُدّاً مِنْ هَدْمِهَا ، ... فَأَدْخَلَ فِيهِ الْحُجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ - حُجْرَةَ عَائِشَةَ - فَدَخَلَ الْقَبْرُ فِي الْمَسْجِدِ .. " (٣) .

---

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٢/ ٢٣٢) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤-١١٥) .

(٣) انظر : البداية والنهاية(٩/ ٨٩) .

فعُمر بن عبد العزيز هو من أَدْخَلَ القبرَ في المسجد ، وليس الوليد بن عبد الملك ، ولو كان فيه محذور لما أطاع هو ومن معه من الفقهاء أمرَ الوليد بن عبد الملك ، لأنَّه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق . مع أنَّ ابن باز – كما جاء في كلامه – يجعل الأمر غلطاً ممَّن قام بعمليَّة ضمِّ القبر للمسجد ، وهذا الكلام يدلُّ دلالة واضحة على أنَّ من حضر من العلماء الذين استشارهم سيِّدنا عمر بن عبد العزيز من الفقهاء والعلماء ما كانوا يفهمون التَّوحيد ، حتَّى جاء ابن باز ليعلمهم الخطأ من الصَّواب ، وأنَّهم فيما صنعوا قد ضلُّوا السَّبيل ...

ومن المعلوم يقيناً أنَّ الخليفة الرَّاشد عمر بن عبد العزيز ، كَانَ إِذَا وَقَعَ لَهُ أَمْرٌ مُشْكِلٌ جَمَعَ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ ، واستشارهم ، وكان لا يقطع أمراً ، ولا يصدرُ إلَّا عن أمرهم ونُصحهم ، قال الإمام ابن كثير : " وَبَنَى فِي مُدَّةِ وِلَايَتِهِ هَذِهِ مَسْجِدَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَسَّعَهُ عَنْ أَمْرِ الْوَلِيدِ لَهُ بِذَلِكَ ، فَدَخَلَ فِيهِ قَبْرُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ كَانَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ مُعَاشَرَةً ، وَأَعْدَلِهِمْ سِيرَةً ، كَانَ إِذَا وَقَعَ لَهُ أَمْرٌ مُشْكِلٌ جَمَعَ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ عَيَّنَ عَشَرَةً مِنْهُمْ ، وَكَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْراً بِدُونِهِمْ أَوْ مَنْ حَضَرَ مِنْهُمْ ، وَهُمْ عُرْوَةُ وَعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، وأبو بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، وأبو بكر بن سليمان بن خَيْثَمَةَ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ محمَّد بن حزم ، وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ . وَكَانَ لَا يَخْرُجُ عَنْ قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ... " (١) . فهؤلاء هم العلماء الذين وافقوا عُمر بن عبد العزيز على ضمِّ القبر الشَّريف إلى المسجد ... ويُضاف لما سبق : أنَّ الفترة التي أُدخل فيها القبر الشَّريف إلى المسجد كانت ما بين عامي (٨٨هـ - ٩١هـ) ، وهي فترة كان فيها بعض الصَّحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، مثل : سهل بن سعد ، قال ابن عبد البر : " وَاختلف في وقت وفاة سهل بن سعد . فقيل : توفِّي سنة ثمان وثمانين ، وهو ابن ستٍّ وتسعين سنة . وقيل : توفِّي سنة إحدى وتسعين ، وقد بلغ مائة سنة " (٢) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابيُّ الجليل أنس بن مالك ، : قال ابن كثير " وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي سَنَةِ وَفَاتِهِ ، فَقِيلَ : سَنَةَ تِسْعِينَ ، وَقِيلَ : إِحْدَى وَتِسْعِينَ ، وَقِيلَ : ثِنْتَيْنِ وَتِسْعِينَ ، وَقِيلَ : ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " (٣) .

---

(١) انظر : البداية والنهاية (٩/ ٢١٩) .

(٢) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٦٤) .

(٣) انظر : البداية والنهاية (٩/ ٩٢) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابيُّ الجليل عبد الله بْن ثعلبة بْن صغير ، قال ابن عبد البر في ترجمته : " وتوفِّي سنة تسع وثمانين ، وَهُوَ ابْن ثلاث وتسعين . وقيل : سنة سبع وثمانين ، وَهُوَ ابْن ثلاث وثمانين " (١) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابيُّ الجليل المقدام بن معديكرب بن عمرو بن يزيد بن معديكرب بْن عَبْد اللهِّ بْن وهب بْن ربيعة بن الحارث بن معاوية بن ثور بن عفير الكندي . قال ابن عبد البر في ترجمته : " مات سنة سبع وثمانين " (٢) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابيُّ الجليل عبد الله بْن بسر المازني . قال ابن عبد البر في ترجمته : " مات بالشَّام سنة ثمانين " (٣) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابيُّ الجليل يوسف بن عبد الله بن سلام . قال ابن عساكر : " قال خليفة بن خيَّاط : توفِّي في خلافة عمر بن عبد العزيز " (٤) .

وعاش فيها أيضاً الصَّحابيُّ الجليل أبو الطُّفيل عامر بن واثلة ، قال ابن عبد البر : " ومات سنة مائة أو نحوها . ويقَالَ : إنَّه آخر من مات ممَّن رأى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٥) .

ولم نعلم لهؤلاء الصَّحابة الكرام نكيراً لما صنع عمر بن عبد العزيز من إدخال القبر إلى المسجد . وأمَّا إنكار ابن المسيّب لهدم حُجرات الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم يكن إنكاره لذات الإدخال ، بل كان لسبب آخر ذكره صاحب الطَّبقات ، قال : " سَمِعْتُ عَطَاءً الْخُرَاسَانِيَّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ عُمَرُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ يَقُولُ وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ : أَدْرَكْتُ حُجَرَ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ عَلَى أَبْوَابِهَا الْمُسُوحُ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ . فَحَضَرْتُ كِتَابَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يُقْرَأُ يَأْمُرُ بِإِدْخَالِ حُجَرِ أَزْوَاجِ النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَمَا رَأَيْتُ أَكْثَرَ بَاكِيًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

---

(١) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٨٧٦) .

(٢) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٤٨٢) .

(٣) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٨٧٤) .

(٤) انظر : تاريخ دمشق ، ابن عساكر (٧٤/ ٢٤٤) .

(٥) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٩٨) .

قَالَ عَطَاءٌ : فَسَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ : وَاللهَّ لَوَدِدْتُ أَنَّهُمْ تَرَكُوهَا عَلَى حَالِهَا يَنْشَأُ نَاشِئٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَيَقْدَمُ الْقَادِمُ مِنَ الأُفُقِ فَيَرَى مَا اكْتَفَى بِهِ رَسُولُ اللهَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حَيَاتِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا يُزَهِّدُ النَّاسَ فِي التَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ " (١) .

فسعيد بن المسيّب عليه رحمة الله تعالى ما أنكر إدخال القبر إلى المسجد ، وإنَّما كان يرى إبقاء حُجرات الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كي تكون سبيلاً للزُّهد والتَّقلُّل من الدُّنيا وزينتها ، مع العلم أنَّ من يزعمون السَّلفيَّة لم يُبقوا على أيِّ أثر من آثار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا آثار الصَّحابة الكرام الذين أداروا ظهورهم للدُّنيا زاهدين متقلِّلين ، في الوقت الذي نرى فيه من يدَّعون السَّلفيَّة في بحار الدُّنيا المتلاطمة يسبحون ويمرحون ، وأطايب الطَّعام يأكلون ، وفاخر المركبات يركبون ، فهم بالدِّين حطام الدُّنيا يجمعون ، وبه يتمتَّعون ....

فمن يكون ابن باز إذا وُضع معهم ؟!!! وإنَّني والله أقسم بالله العظيم غير حانث أنَّه لولا الدَّعم المالي والإعلامي منقطع النَّظير لعاش ابن باز وابن عثيمين ووو... ولم يسمع بهم أحد من العالمين ... ولله في خلقه شؤون .

ومن جهة أخرى فإنَّ الدَّفن في المسجد لا يتعلَّق أبداً بسيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل شاركه في ذلك العديد من إخوانه الأنبياء ، فقد ذكر أهل العلم أنَّ جمعاً من الأنبياء مدفونون في بيت الله الحرام ، قال الإمام أبو الوليد محمَّد بن عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغسَّاني المكِّي المعروف بالأزرقي (٢٥٠هـ) : " حَدَّثَنِي مَهْدِيُّ بْنُ أَبِي الْمَهْدِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحمن بْنُ عَبْدِ اللهَّ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ محمَّد بْنِ سَابِطٍ ، عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : كَانَ النَّبي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا هَلَكَتْ أُمَّتُهُ لَحِقَ بِمَكَّةَ فَيَتَعَبَّدُ فِيهَا النَّبي ، وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى يَمُوتَ فِيهِ ، فَمَاتَ بِهَا نُوحٌ ، وَهُودٌ ، وَصَالِحٌ ، وَشُعَيْبٌ ، وَقُبُورُهُمْ بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحَجَرِ " (٢) .

وقال الإمام الأزرقي أيضاً : " قَالَ محمَّد بْنُ سَابِطٍ : كَانَ النَّبي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هَلَكَتْ أُمَّتُهُ لَحِقَ بِمَكَّةَ ، فَتَعَبَّدَ فِيهَا النَّبي وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى يَمُوتَ ، فَمَاتَ بِهَا نُوحٌ ، وَهُودٌ ، وَصَالِحٌ ، وَشُعَيْبٌ ، وَقُبُورَهُمْ بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحِجْرِ . حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ أَبِي الْمَهْدِيِّ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ ، عَنْ أَبِي خَيْثَمٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ

---

(١) انظر : الطبقات الكبرى (١/ ٣٨٧) .

(٢) انظر : أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار ، الأزرقي (١/ ٦٨) .

الرَّحمن بْنَ سَابِطٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ ضَمْرَةَ السَّلُولِيَّ ، يَقُولُ : مَا بَيْنَ الرُّكْنِ إِلَى الْمَقَامِ إِلَى زَمْزَمَ إِلَى الْحِجْرِ قَبْرُ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ نَبِيّاً ، جَاءُوا حُجَّاجاً فَقُبِرُوا هُنَالِكَ ، فَتِلْكَ قُبُورُهُمْ غَوْرُ الْكَعْبَةِ " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن الحسن الشَّيباني : " أَخْبَرَنَا أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَالِمٌ الْأَفْطَسُ ، قَالَ : مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَيَهْرَبُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ يَعْبُدُ رَبَّهَا ، وَإِنَّ حَوْلَهَا لَقُبُورَ ثَلَاثِمِائَةِ نَبِيٍّ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن الحسن الشَّيباني : " أَخْبَرَنَا أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ ، قَالَ : قَبْرُ هُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ " (٣) .

وقد أخبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ " فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ قَبْرُ سَبْعِينَ نَبِيّاً " (٤) .

أمَّا ما زعمه ابن باز في قوله : " ... وقد أنكر عليه أهل العلم ذلك ، فلا يجوز أن يُقتدى به في هذا " . فهذا محض كذب وافتراء ... وقد تقدَّم ما قاله ابن كثير من جمعِ عمر بن عبد العزيز العلماء والفقهاء ، وأنَّه استشارهم في المسألة حتى صدروا على رأي واحد ، وهو تنفيذ ما أمر به الوليد بن عبد الملك من زيادة مساحة مسجد الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضمِّ القبر الشَّريف إلى المسجد ... ولم يخالف في ذلك أحد ، فكان إجماعاً ...

فكيف سكت علماء الأمَّة قروناً طويلة على وجود ما ذكره مدَّعو السَّلفيَّة من المظاهر الوثنيَّة في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أليس الأجدر بعلماء الأمَّة أن ينبِّهوا إلى هذه المسألة الخطيرة ، وأن يعملوا على إزالتها من قديم الزَّمان ؟!!! أم أنَّ التَّوحيد لا يعلمه إلا من نسبوا أنفسهم زوراً وبهتاناً إلى السَّلف ؟!!! ألا يعتبر السَّابقون سلفاً لمن طالبوا بإزالة المظاهر الشِّركيَّة الوثنيَّة من مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ !!! ألا يُعتبر زمان سيِّدنا عمر بن عبد العزيز زمن السَّلف ؟!!! أليس هو من قام بضمِّ القبر الشَّريف للمسجد ؟!!! والضمُّ كان بموافقة من حضر في ذلك الزَّمان من جهابيذ العلماء وأساطينهم ...

ويستمرُّ مسلسل ابن تيمية بحقِّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدرجة أنَّه وصف من صلَّى في بيت لحم حيث وُلد المسيح عليه السَّلام بالضَّالِّ الخَارِجُ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ، وَيُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ ، فيقول : "

---

(١) انظر : أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار ، الأزرقي (٢/ ١٣٣) .

(٢) انظر : الآثار (٢/ ٢٩٠ برقم ٢٦٥) .

(٣) انظر : الآثار (٢/ ٢٩٢ برقم ٢٦٦) .

(٤) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه (٤/ ٢٣٧ برقم ٢٥٩٤) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤١٤ برقم ١٣٥٢٥) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ٢٩٧ برقم ٥٧٦٩ ، وقال : رَوَاهُ الْبَزَّارُ ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ) .

وَأَمَّا زِيَارَةُ " مَعَابِدِ الْكُفَّارِ " مِثْلَ الْمَوْضِعِ الْمُسَمَّى " بِالْقُمَامَةِ " أَوْ " بَيْتِ لَحْمٍ " أَوْ " صَهْيُون " أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ مِثْلُ " كَنَائِسِ النَّصَارَى " فَمَنْهِيٌّ عَنْهَا . فَمَنْ زَارَ مَكَاناً مِنْ هَذِهِ الْأَمْكِنَةِ مُعْتَقِداً أَنَّ زِيَارَتَهُ مُسْتَحَبَّةٌ وَالْعِبَادَةَ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ الْعِبَادَةِ فِي بَيْتِهِ : فَهُوَ ضَالٌّ خَارِجٌ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ " (١) .

مع أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلَّى في بيت لحم أثناء رحلة الإسراء والمعراج ، فقد روى البزَّار بسنده عن شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، كَيْفَ أُسْرِيَ بِكَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِكَ ؟ قَالَ : " صَلَّيْتُ لِأَصْحَابِي صَلَاةَ الْعَتَمَةِ بِمَكَّةَ مُعْتِماً ، فَأَتَانِي جِبْرِيلُ بِدَابَّةٍ بَيْضَاءَ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ ، فَقَالَ : ارْكَبْ ، فَاسْتَصْعَبَتْ عَلَيَّ ، فَأَدَارَهَا بِأُذُنِهَا حَتَّى حَمَلَتْنِي عَلَيْهَا ، فَانْطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا تَضَعُ حَافِرَهَا حَيْثُ أَدْرَكَ طَرْفُهَا ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ ، فَقَالَ : انْزِلْ فَنَزَلْتُ ، ثمَّ قَالَ : صَلِّ فَصَلَّيْتُ ثمَّ رَكِبْنَا ، فَقَالَ لِي : أتدري أَيْنَ صَلَّيْتَ ؟ قُلْتُ : اللهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : صَلَّيْتَ بِيَثْرِبَ صَلَّيْتَ بِطَيْبَةَ ، ثمَّ انطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا تَضَعُ حَافِرَهَا حَيْثُ أَدْرَكَ طَرْفُهَا ، حَتَّى بَلَغْنَا أَرْضًا بَيْضَاءَ ، فَقَالَ لِي : انْزِلْ فَنَزَلَتْ ، ثمَّ قَالَ لِي : صَلِّ فَصَلَّيْتُ ثمَّ رَكِبْنَا ، فَقَالَ : تَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ ؟ قُلْتُ : اللهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : صَلَّيْتَ بِمَدْيَنَ صَلَّيْتَ عِنْدَ شَجَرَةِ مُوسَى ، ثمَّ انْطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا تَضَعُ حَافِرَهَا أَوْ يَقَعُ حَافِرَهَا حَيْثُ أَدْرَكَ طَرْفُهَا ، ثمَّ ارْتَفَعْنَا ، فَقَالَ : انْزِلْ فَنَزَلْتُ ، فَقَالَ : صَلِّ فَصَلَّيْتُ ثمَّ رَكِبْنَا ، فَقَالَ لِي : أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ ؟ قُلْتُ : اللهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : صَلَّيْتَ بِبَيْتِ لَحْمٍ حَيْثُ وُلِدَ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ... " (٢) .

وزعم ابن تيمية أنَّ من سلَّم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند قبره ، ثمَّ سمع ردَّ السَّلام عليه من القبر ، فإنَّ الشَّيطان هو من ردَّ عليه ...

قال ابن تيمية : " ... وَكَانَ أَصْحَابُهُ خَيْرُ الْقُرُونِ وَهُمْ أَعْلَمُ الْأُمَّةِ بِسُنَّتِهِ وَأَطْوَعُ الْأُمَّةِ لِأَمْرِهِ ، وَكَانُوا إذَا دَخَلُوا إلَى مَسْجِدِهِ لَا يَذْهَبُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إلَى قَبْرِهِ لَا مِنْ دَاخِلِ الْحُجْرَةِ وَلَا مِنْ خَارِجِهَا . وَكَانَتْ الْحُجْرَةُ فِي زَمَانِهِمْ يُدْخَلُ إلَيْهَا مِنْ الْبَابِ إذْ كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِيهَا . وَبَعْدَ ذَلِكَ إلَى أَنْ بُنِيَ الْحَائِطُ الْآخَرُ . وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ التَّمَكُّنِ مِنْ الْوُصُولِ إلَى قَبْرِهِ لَا يَدْخُلُونَ إلَيْهِ ؛ لَا لِسَلَامِ وَلَا لِصَلَاةِ عَلَيْهِ وَلَا لِدُعَاءِ لِأَنْفُسِهِمْ وَلَا لِسُؤَالِ عَنْ حَدِيثٍ أَوْ عِلْمٍ وَلَا كَانَ الشَّيْطَانُ يَطْمَعُ فِيهِمْ حَتَّى يُسْمِعَهُمْ كَلَاماً أَوْ سَلَاماً فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ هُوَ كَلَّمَهُمْ وَأَفْتَاهُمْ وَبَيَّنَ لَهُمْ الْأَحَادِيثَ أَوْ أَنَّهُ قَدْ رَدَّ عَلَيْهِمْ السَّلَامَ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ مِنْ خَارِجٍ كَمَا طَمِعَ الشَّيْطَانُ فِي غَيْرِهِمْ

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٤) .

(٢) أخرجه البزار في المسند (٨/ ٤٠٩ برقم ٣٤٨٤) .

فَأَضَلَّهُمْ عِنْدَ قَبْرِهِ وَقَبْرِ غَيْرِهِ : حَتَّى ظَنُّوا أَنَّ صَاحِبَ الْقَبْرِ يُحَدِّثُهُمْ وَيُفْتِيهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ فِي الظَّاهِرِ وَأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ الْقَبْرِ وَيَرَوْنَهُ خَارِجًا مِنْ الْقَبْرِ ... " (١) .

مع أنَّ ابن تيمية ذكر في فتاويه أنَّ سعيد بن المسيّب كان يسمع الأذان من قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيَّام الحرَّة ، فقال : " وَكَانَ " سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ " فِي أَيَّامِ الْحَرَّةِ يَسْمَعُ الْأَذَانَ مِنْ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْقَاتَ الصَّلَوَاتِ وَكَانَ الْمَسْجِدُ قَدْ خَلَا فَلَمْ يَبْقَ غَيْرُهُ " (٢) .

وقد ذكره مقرّاً له ، حيث لم يتعقَّبه بشيء ... وهذا من تناقضاته ، وما أكثرها ...

وأنكر ابن تيمية رؤية الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظة ، فقال : " وَقَدْ يَرَى أَحَدُهُمْ فِي الْيَقَظَةِ مَنْ يَقُولُ لَهُ : أَنَا الْخَلِيلُ ، أَوْ أَنَا مُوسَى ، أَوْ أَنَا الْمَسِيحُ ، أَو محمَّد ، أَوْ أَنَا فُلَانٌ لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ ، أَوِ الْحَوَارِيِّينَ ، وَيَرَاهُ طَائِراً فِي الْهَوَاءِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، وَلَا تَكُونُ تِلْكَ الصُّورَةُ مِثْلَ صُورَةِ ذَلِكَ الشَّخْصِ .

وَقَدْ قَالَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي حَقّاً فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي " ، فَرُؤْيَتُهُ فِي الْمَنَامِ حَقٌّ ، وَأَمَّا فِي الْيَقَظَةِ فَلَا يُرَى بِالْعَيْنِ هُوَ ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْمَوْتَى ، مَعَ أَنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ قَدْ يَرَى فِي الْيَقَظَةِ مَنْ يَظُنُّهُ نَبِيّاً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، إِمَّا عِنْدَ قَبْرِهِ وَإِمَّا عِنْدَ غَيْرِ قَبْرِهِ .

وَقَدْ يَرَى الْقَبْرَ انْشَقَّ ، وَخَرَجَ مِنْهُ صُورَةُ إِنْسَانٍ ، فَيَظُنُّ أَنَّ الْمَيِّتَ نَفْسَهُ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ ، أَوْ أَنَّ رُوحَهُ تَجَسَّدَتْ وَخَرَجَتْ مِنَ الْقَبْرِ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ جِنِّيٌّ تَصَوَّرَ فِي صُورَتِهِ لِيُضِلَّ ذَلِكَ الرَّائِيَ ... " (٣) .

وكلام ابن تيمية هذا مناقض لما جاء في البخاري من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ ، وَلاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي " (٤) .

ومن الأدلَّة على جواز رؤية الرُّسل يقظة : ما روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ ، فَقَالَ : " أَيُّ وَادٍ هَذَا ؟ " فَقَالُوا : هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ ، قَالَ : " كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٨٧-٣٨٨) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١١/ ١٨٠-٢٨١) .

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٣٤٨) .

(٤) أخرجه البخاري ، (٩/ ٣٣ برقم ٦٩٩٣) ، أحمد في المسند (٥/ ٣٠٦ برقم ٢٢٩٧٨) ، مسلم (٤/ ١٧٧٥ برقم ٢٢٦٦) ، أبو داود (٤/ ٣٠٥ برقم ٥٠٢٣) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٩٦ برقم ٦٦٠) ، مسند الشاميين (٣/ ٢٨ برقم ١٧٣٩) ، ابن المقرئ في المعجم (ص٢٩٧ برقم ٩٦٤) ، البغوي في شرح السنة (١٢/ ٢٢٧ برقم ٣٢٨٨) ، البيهقي في دلائل النبوة ، (٧/ ٤٥) .

هَابِطاً مِنَ الثَّنِيَّةِ ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ " ، ثمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى ، فَقَالَ : " أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ ؟ " قَالُوا : ثَنِيَّةُ هَرْشَى ، قَالَ : " كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي " (١) .

ومن الأدلَّة أيضاً : ما رواه الحاكم والطَّبراني بِسَنَدِهِمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ قَرِيبَةٌ مِنْهُ إِذْ رَدَّ السَّلَامَ ثمَّ قَالَ : " يَا أَسْمَاءُ ، هَذَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مَعَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ سَلَّمُوا عَلَيْنَا فَرُدِّي عَلَيْهِمُ السَّلَامَ " ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ لَقِيَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا قَبْلَ مَمَرِّهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ ، فَقَالَ : لَقِيتُ الْمُشْرِكِينَ فَأُصِبْتُ فِي جَسَدِي مِنْ مَقَادِيمِي ثَلَاثاً وَسَبْعِينَ بَيْنَ رَمْيَةٍ وَطَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ ، ثمَّ أَخَذْتُ اللِّوَاءَ بِيَدِي الْيُمْنَى فَقُطِعَتْ ، ثمَّ أَخَذْتُ بِيَدِي الْيُسْرَى فَقُطِعَتْ ، فَعَوَّضَنِي اللهُ مِنْ يَدِي جَنَاحَيْنِ أَطِيرُ بِهِمَا مَعَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ أَنْزِلُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتُ ، وَآكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا مَا شِئْتُ ، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ : هَنِيئًا لِجَعْفَرٍ مَا رَزَقَهُ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ لَا يُصَدِّقُ النَّاسُ ، فَاصْعَدِ الْمِنْبَرَ فَأَخْبِرْ بِهِ ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثمَّ قَالَ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ جَعْفَراً مَعَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ لَهُ جَنَاحَانِ عَوَّضَهُ اللهُ مِنْ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيَّ " ثمَّ أَخْبَرَهُمْ كَيْفَ كَانَ أَمْرُهُ حَيْثُ لَقِيَ الْمُشْرِكِينَ ، فَاسْتَبَانَ لِلنَّاسِ بَعْدَ الْيَوْمِ الَّذِي أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ جَعْفَرًا لَقِيَهُمْ ؛ فَلِذَلِكَ سُمِّيَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ " (٢) .

وروى الحاكم أيضاً بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَرَّ بِي جَعْفَرٌ اللَّيْلَةَ فِي مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَهُوَ مُخَضَّبُ الْجَنَاحَيْنِ بِالدَّمِ أَبْيَضُ الْفُؤَادِ " (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٥٢ برقم ١٦٦ ، واللفظ له) ، أحمد في المسند (١٨٥٤) ، ابن ماجه (٢/ ٩٦٥ برقم ٢٨٩١) ، ابن خزيمة في الصحيح (٤/ ١٧٥ برقم ٢٦٣٣) ، أبو عوانة في المستخرج (٢/ ٤٢١ برقم ٣٦٨٢) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٥٩ برقم ١٢٧٥٦) ، ابن مَنْدَه في الإيمان (٢/ ٧٣٦ برقم ٧٢٣) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٣٧٣ برقم ٣٣١٣ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجَاه) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٢٢٣) ، ابن بشران في الأمالي (ص٣٢٩ برقم ٧٦٧) ، البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٦٦ برقم ٩٠١٤) ، شعب الإيمان (٥/ ٤٥٨ برقم ٣٧١٥) ، أبو عوانة في المسند (٢/ ٤٢١ برقم ٣٦٨٢) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (٤/ ٤١٧ برقم ٢٥٤٢) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٢٣٢ برقم ٤٩٣٧ ، واللفظ له) ، الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٨٧ برقم ٦٩٣٦) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٢٣٤ برقم ٤٩٤٣ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه) .

فإذا كان جعفر بن أبي طالب ، وهو بلا شكٍّ أدنى مرتبة ومنزلة من سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء إلى عالم الدُّنيا ، ورآه من هو فيها ، فرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى منه بذلك ، مع التَّأكيد هنا على أنَّ المَوْتُ لَيْسَ بِعَدَمٍ مَحْضٍ وَلَا فَنَاءٍ صِرْف وإِنَّما هوَ انتقَالٌ من عالمِ الدُّنيا إِلى عالم البرزخ ، وقد توسَّعت في هذه المسألة في كتابي : " التنصُّلُ مِمَّن مَنَعَ التَّوَسُّل " ....

وقد أكَّد على ذلك طائفة طيِّبة من علماء الأمَّة الذين نصُّوا على جواز وإمكانيَّة رؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدُّنيا يقظة ...

قال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) في كلامه عن الصُّوفيَّة : " ... ومن أوَّل الطَّريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات ، حتى أنَّهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة ، وأرواح الأنبياء ، ويسمعون أصواتاً ، ويقتبسون منهم فوائد . ثمَّ يترقَّى الحال من مشاهدة الصُّور والأمثال ، إلى درجات يضيق عنها النُّطق ، فلا يحاول معبِّر أن يعبِّر عنها إلَّا اشتمل لفظه على خطأ صريح ، لا يمكنه الاحتراز عنه " (١) .

وجاء في الفتاوى الحديثيَّة للإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٤هـ) : " وَسُئِلَ نفع الله بِهِ : هَل تمكن رُؤْيَة النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْيَقَظَة ، فَأَجَاب بقوله : أنكر ذَلِك جمَاعَة ، وَجوَّزهُ آخَرُونَ ، وَهُوَ الْحق ، فقد أخبر بذلك من لا يتَّهم من الصَّالِحين ، بل اسْتدلَّ بِحَدِيث البُخَارِيّ : " من رَآنِي فِي الْمَنَام فسيراني فِي الْيَقَظَة " ، أَي : بعيني رَأسه . وَقيل : بِعَين قلبه ، وَاحْتِمَال إِرَادَة الْقِيَامَة بعيد من لفظ : " الْيَقَظَة " على أَنَّه لَا فَائِدَة فِي التَّقْيِيد حِينَئِذٍ ، لِأَنَّ أُمَّته كلّهم يرونه يَوْم الْقِيَامَة ، من رَآهُ فِي الْمَنَام ، وَمن لم يره فِي الْمَنَام .

وَفِي شرح ابْن أبي جَمْرَة للأحاديث الَّتِي انتقاها من البُخَارِيّ تَرْجِيح بَقَاء الحَدِيث على عُمُومه فِي حَيَاته ومماته لمن لَهُ أَهْلِيَّة الِاتِّبَاع للسّنة وَلغيره ، قَالَ : وَمن يدعي الْخُصُوص بِغَيْر تَخْصِيص مِنْهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقد تعسف ، ثمَّ ألزم مُنكر ذَلِك بِأَنَّهُ غير مُصدق بقول الصَّادِق ، وَبِأَنَّهُ جَاهِل بقدرة الْقَادِر ، وَبِأَنَّهُ مُنكر لكرامات الْأَوْلِيَاء مَعَ ثُبُوتهَا بدلائل السّنة الْوَاضِحَة .

وَمرَاده بِعُمُوم ذَلِك : وُقُوع رُؤْيَة الْيَقَظَة الْمَوْعُود بهَا لمن رَآهُ فِي النَّوم وَلَو مرَّة وَاحِدَة تَحْقِيقاً لوعده الشَّرِيف الَّذِي لَا يخلف . وَأَكْثَر مَا يَقع ذَلِك للعامَّة قبل الْمَوْت عِنْد الاحتضار ، فَلَا تخرج روحه من جسده حَتَّى يرَاهُ

(١) انظر : المنقذ من الضلال ، أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي ، (ص١٧٨–١٧٩) ، دار الكتب الحديثة ، مصر .

وَفَاء بوعده ، وَأما غَيرهم فَيحصل لَهُم ذَلِك قبل ذَلِك بقلَّة أَو بِكَثْرَة بِحَسب تأهّلهم وتعلّقهم واتّباعهم للسّنَّة إِذْ الْإِخْلَال بهَا مَانع كَبِير .

وَفِي صَحِيح مُسلم عَن عمرَان بن حُصَيْن رَضِي الله عَنهُ : أَنَّ الْمَلَائِكَة كَانَت تسلم عَلَيْهِ إِكْرَاماً لَهُ لِصَبْرِهِ على ألم البواسير ، فَلَمَّا كواها انْقَطع سَلام الْمَلَائِكَة عَنهُ ، فَلَمَّا ترك الكي ، أَي : برِئ كَمَا فِي رِوَايَة صَحِيحَة عَاد سلامهم عَلَيْهِ لكَون الكي خلاف السّنَّة ، منع تسليمهم عَلَيْهِ مَعَ شدَّة الضَّرُورَة إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ يقْدَح فِي التَّوَكُّل وَالتَّسْلِيم وَالصَّبْر .

وَفِي رِوَايَة الْبَيْهَقِيّ كَانَت الْمَلَائِكَة تصافحه ، فَلَمَّا كوى تنحَّت عَنهُ . وَفِي كتاب " المنقذ من الضَّلَالَة " لحجَّة الْإِسْلَام بعد مدح الصُّوفِيَّة وَبَيَان أَنَّهم خير الْخلق : حَتَّى أَنَّهم وهم فِي يقظتهم يشاهدون الْمَلَائِكَة وأرواح الْأَنْبِيَاء ، ويسمعون مِنْهُم أصواتاً ، ويقتبسون مِنْهُم فَوَائِد ، ثمَّ يترقَّى الْحَال من مُشَاهدَة الصُّور والأمثال إِلَى دَرَجَات يضيق عَنْهَا نطاق النَّاطِق .

وَقَالَ تِلْمِيذه أَبُو بكر بن الْعَرَبِيّ الْمَالِكِي : ورؤية الْأَنْبِيَاء وَالْمَلَائِكَة وَسَمَاع كَلَامهم مُمكن لِلْمُؤمنِ كَرَامَة ، وللكافر عُقُوبَة .

وَفِي " الْمدْخل " لِابْنِ الْحَاج الْمَالِكِي : رُؤْيَته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْيَقَظَة بَاب ضيِّق ، وَقل من يَقع لَهُ ذَلِك إِلَّا من كَانَ على صفة عَزِيز وجودهَا فِي هَذَا الزَّمَان ، بل عدمت غَالباً ، مَعَ أَنَّا لَا ننكر من يَقع لَهُ هَذَا من الأكابر الَّذين حفظهم الله تَعَالَى فِي ظواهرهم وبواطنهم . قَالَ : وَقد أنكر بعض عُلَمَاء الظَّاهِر ذَلِك محتجّاً بِأَنَّ الْعين الفانية لَا ترى الْعين الْبَاقِيَة ، وَهُوَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي دَار الْبَقَاء ، والرَّائي فِي دَار الفناء ورد بِأَنَّ الْمُؤمن إِذا مَاتَ يرى الله وَهُوَ لَا يَمُوت وَالْوَاحد مِنْهُم يَمُوت فِي كلِّ يَوْم سبعين مرَّة .

وَأَشَارَ الْبَيْهَقِيّ إِلَى رده بِأَنَّ نَبينَا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رآى جمَاعَة من الْأَنْبِيَاء لَيْلَة الْمِعْرَاج . وَقَالَ الْبَارِزِيّ : وَقد سمع من جمَاعَة من الْأَوْلِيَاء فِي زَمَاننَا وَقبله أَنَّهم رَأَوْا النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقظة حَيّاً بعد وفاته .

وَنقل اليافعي وَغَيره عَن الشَّيْخ الْكَبِير أبي عبد الله الْقرشِي أَنَّه وَقع بِمصْر غلاء كَبِير فَتوجه للدُّعَاء بِرَفْعِهِ ، فَقيل : لَا تدع فَلَا يسمع لأحد مِنْكُم فِي هَذَا الْأَمر دُعَاء فسافرت إِلَى الشَّام ، فَلَمَّا وصلت إِلَى قريب ضريح الْخَلِيل عَلَيْهِ وعَلى نَبينَا أفضل الصَّلَاة وَالسَّلَام تلقانِي ، فَقلت : يَا رَسُول الله اجْعَل ضيافتي عنْدك الدُّعَاء لأهل مصر ، فَدَعَا لَهُم فَفرج الله عَنْهُم . فَقَالَ اليافعي : فَقَوله : " تلقانِي الْخَلِيل " قَول حق لَا يُنكره إِلَّا جَاهِل بِمَعْرِفَة

مَا يرد عَلَيْهِم من الْأَحْوَال الَّتِي يشاهدون فِيهَا ملكوت السَّمَوَات وَالْأَرْض ، وَيَنْظُرُونَ الْأَنْبِيَاء أَحيَاء غير أموات ، كَمَا نظر النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِلَى جمَاعَة من الْأَنْبِيَاء فِي السَّمَاء ، وَسمع خطابهم .

وَقد تقرَّر أَنَّ مَا جَازَ للأنبياء معْجزَة جَازَ للأولياء كَرَامَة ، بِشَرْط عدم التحدِّي . وَحكى ابْن الملقِّن فِي طَبَقَات الْأَوْلِيَاء أَنَّ الشَّيخ عبد الْقَادِر الجيلي ، قَالَ رَأَيْت : النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قبل الظّهْر ، فَقَالَ لي : يَا بُني ، لِمَ لَا تَتَكَلَّم ؟ قلت : يَا أبتاه ، أَنا رجل أعجمي ، كَيفَ أَتكَلّم على فصحاء بَغْدَاد ؟ فَقَالَ لي : افْتَحْ فَاك ، ففتحته ، فتفل فِيهِ سبعاً ، وَقَالَ : تكلم على النَّاس وادع إِلَى سَبِيل رَبِّك بالحكمة وَالْمَوْعِظَة الْحَسَنَة ، فَصلَّيت الظُّهْر ، وَجَلَست ، وحضرني خلق كثير ، فارتجَّ عليَّ ، فَرَأَيْت علياً قَائِماً بإزائي فِي الْمجْلس ، فَقَالَ : يَا بُني ، لِمَ لَا تَتَكَلَّم ؟ فَقلت : يَا أبتاه ، قد ارتجَّ عليَّ ، فَقَالَ : افْتَحْ فَاك ، ففتحته ، فتفل فِيهِ سِتّاً ، قلت : لِمَ لَا تُكملها سبعاً ، قَالَ : أدباً مَعَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمَّ توارى عنِّي ، فتكلَّمت .

وَقَالَ فِي تَرْجَمَة غَيره : كَانَ كثير الرُّؤْيَة للنَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقظة وَمناماً . وَذكر الْكَمَال الأدفوي عَمَّن أَخذ عَنهُ ابْن دَقِيق الْعِيد وَغَيره عَن غَيره . وَقَالَ التَّاج ابْن عَطاء الله عَن شَيْخه الْكَامِل الْعَارِف أبي الْعَبَّاس المرسي : صافحت بكفي هَذِه رَسُول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – . وَحكى ابْن فَارس عَن سَيِّدي عَليّ وفا ، قَالَ : كنت وَأَنا ابْن خمس سِنِين اقْرَأ الْقُرْآن على رجل ، فَأَتَيْته مرّة فَرَأَيْت النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقظة لَا مناماً ، وَعَلِيهِ قَمِيص أَبيض قطن ثمَّ رَأَيْت الْقَمِيص عليَّ ، فَقَالَ لي : اقْرَأ ، فَقَرَأت عَلَيْهِ سُورَة وَالضُّحَى ، وألم نشرح ، ثمَّ غَابَ عني ، فَلَمَّا أَن بلغت إِحْدَى وَعشْرين سنة أَحرمت بِصَلَاة الصُّبْح بالقرافة ، فَرَأَيْت النَّبي قبالة وَجْهي ، فعانقني ، فَقَالَ : وَأما بِنِعْمَة رَبك فَحدث ، فأثبت لِسَانه من ذَلِك الْوَقْت . والحكايات فِي ذَلِك عَن أَوْلِيَاء الله كَثِيرَة جداً ، وَلَا يُنكر ذَلِك إِلَّا معاندٌ أَو محروم " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ) : " قال شيخنا أحمد بن عمر : والذي يزيح هذا الإشكال إن شاء الله تعالى : أنَّ الموت ليس بعدم محض ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال ، ويدلُّ على ذلك : أنَّ الشُّهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين مستبشرين ، وهذه صفة الأحياء في الدُّنيا ، وإذا كان هذا في الشُّهداء ، كان الأنبياء بذلك أحقُّ وأولى ، مع أنَّه قد صحَّ عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أنَّ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء " ، وأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس ، وفي السَّماء ، وخصوصاً بموسى ، وقد أخبرنا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يقتضي أنَّ الله تبارك وتعالى

---

(١) انظر : الفتاوى الحديثية (ص٣٩٢-٣٩٤) .

يردُّ عليه روحه حتى يردّ السَّلام على كلِّ من يسلِّم عليه ، إلى غير ذلك ممَّا يحصل من جملته القطع بأنَّ موت الأنبياء إنَّما هو راجع إلى أن غيِّبوا عنَّا بحيث لا ندركهم ، وإن كانوا موجودين أحياء ، وذلك كالحال في الملائكة ، فإنَّهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصَّه الله بكرامة من أوليائه " (١) .

ومن مظاهر الضَّغينة الموجودة عند من يزعمون السَّلفية للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ما زعمه ابن تيمية – كذباً وزوراً – من اتِّفاق الأئمَّة على النَّهيِّ عن تقبيل القبر الشَّريف ، وكذا حجرة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ادِّعاء منه وافتراء على أنَّ ذلك لغاية المحافظة على التَّوحيد ...

وفي ذلك يقول ابن تيمية : " وَاتَّفَقَ الْأَئِمَّةُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمَسُّ قَبْرَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يُقَبِّلُهُ " (٢) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " وَكَذَلِكَ حُجْرَةُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحُجْرَةُ الْخَلِيلِ ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ الْمَدَافِنِ الَّتِي فِيهَا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ صَالِحٌ : لَا يُسْتَحَبُّ تَقْبِيلُهَا ، وَلَا التَّمَسُّحُ بِهَا بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ ؛ بَلْ مَنْهِيٌّ عَنْ ذَلِكَ " (٣) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " وَأَمَّا التَّمَسُّحُ بِالْقَبْرِ – أَيَّ قَبْرٍ كَانَ – وَتَقْبِيلُهُ ، وَتَمْرِيغُ الْخَدِّ عَلَيْهِ ، فَمَنْهِيٌّ عَنْهُ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ !!! وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلَمْ يَفْعَلْ هَذَا أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا ، بَلْ هَذَا مِنْ الشِّرْكِ " (٤) . وقد رددتُ عليهم في هذه المسألة وغيرها الكثير في كتابنا : " إِتْحَافُ العَالِمَيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوَسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن " ...

ويستمرُّ ابن تيمية في إبعاد النَّاس عن قبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيزعم أنَّ الدُّعاء غير مُستجاب عند قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيقول : " إذا كانت قبور الأنبياء عليهم السَّلام ليست ترياقاً مجرَّباً ، فكيف تكون قبور الشُّيوخ ترياقاً مجرَّباً " (٥) .

ويقول ابن تيمية أيضاً : " ... وَمَعَ هَذَا لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ : إنَّ الدُّعَاءَ مُسْتَجَابٌ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَلَا أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَتَحَرَّى الدُّعَاءَ مُتَوَجِّهاً إِلَى قَبْرِهِ ، بَلْ نَصُّوا عَلَى نَقِيضِ ذَلِكَ " (٦) .

---

(١) انظر : التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٤٥٩-٤٦٠) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٢٣) ، الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية (ص٣١) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٣٦) ، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٤٤٠) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٩١) .

(٥) انظر : الرد على البكري ، ابن تيمية الحراني ، (٢/ ٤٦٩) .

(٦) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ١١٧) ، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٤٢٧) .

ويتمادى ابن تيمية في هذه المسألة ، فيزعم أنَّ اعتقاد استجابة الدُّعاء عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وزيارته لتلك الغاية من المحرَّمات والمنكرات المبتدعة !!! ، ويزعم أنَّ ما ذهب إليه في هذه المسألة محطّ اتِّفاق بين أئمَّة الدِّين ... وفي ذلك يقول : " المرتبة الثَّانية : أن يظن أنَّ الدُّعاء عند قبره مستجاب أو أنَّه أفضل من الدُّعاء في المساجد والبيوت ، فيقصد زيارته لذلك أو للصَّلاة عنده أو لأجل طلب حوائجه منه ، فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتِّفاق أئمَّة المسلمين ، وهي محرَّمة ، وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمَّة الدِّين " (١) .

وكلام ابن تيمية محض افتراء وتقوُّل ، ويُردُّ عليه بما روى ابن أبي شيبة ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ مَالِكِ الدَّارِ ، قَالَ : وَكَانَ خَازِنَ عُمَرَ عَلَى الطَّعَامِ ، قَالَ : أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا ، فَأَتَى الرَّجُلَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ : " ائْتِ عُمَرَ فَأَقْرِئْهُ السَّلَامَ ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّكُمْ مُسْتَقِيمُونَ ، وَقُلْ لَهُ : عَلَيْكَ الْكَيْسُ ، عَلَيْكَ الْكَيْسُ " ، فَأَتَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَبَكَى عُمَرُ ثمَّ قَالَ : يَا رَبِّ لَا آلُو إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ " (٢) .

وممَّا يردُّ افتراء وزعم ابن تيمية أنَّ الدُّعاء لا يُستجاب عند القبر الشَّريف : ما رواه الدَّارمي ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ النُّكْرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْجَوْزَاءِ أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ ، قَالَ : قُحِطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطاً شَدِيداً ، فَشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ : " انْظُرُوا قَبْرَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْعَلُوا مِنْهُ كِوًى إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ . قَالَ : فَفَعَلُوا ، فَمُطِرْنَا مَطَراً حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ ، وَسَمِنَتِ الْإِبِلُ حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ ، فَسُمِّيَ عَامَ الْفَتْقِ " (٣) .

قال الأستاذ المحقِّق محمود سعيد ممدوح في تخريجه لهذا الأثر : " قلت : هذا إسناد حسن إن شاء الله تعالى ... وبعد مناقشة مستفيضة مع من ضعَّفه من مدَّعي السَّلفيَّة ، قال : فحاصل ما تقدَّم : أنَّ هذا إسناد حسن أو صحيح ، ورجاله رجال مسلم ما خلا عمرو بن مالك النّكري ، وهو ثقة ، والله تعالى أعلم بالصَّواب " (٤) .

فالذي صنعه الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم من فتح الكوى ، بإشارة من أمِّ المؤمنين عائشة الصِّدِّيقة هو توسُّلٌ بقبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلباً للسُّقيا ، وما ذاك إلَّا لأنَّ القبر الشَّريف ضمَّ ذاته الشَّريفة ، والتي

---

(١) انظر : الرد على البكري (١/ ١٤٦) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٥٦ برقم ٣٢٠٠٢) ، البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٤٧) .

(٣) أخرجه الدارمي(١/ ٢٢٧ برقم ٩٣) .

(٤) انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة ، محمود سعيد ممدوح ، (ص٢٥٣-٢٦١).

بسببها أصبح مكان القبر أشرف البِقاع على وجه الأرض ... ولم يجد ذلكم الفعل عند أحد من الصَّحابة نكيراً ، ولم يُسمِّه أحدٌ منهم شركاً ، فكان إجماعاً ... فهل من يدَّعون السَّلفيَّة أعلم من الصَّحابة وأحرص على سلامة الإيمان من عائشة رضي الله عنها ومن معها من الصَّحابة الكرام الذين وافقوها وبادروا إلى فعل ما أشارت به ؟!!! نبئوني بعلمٍ إن كنتم صادقين ...

وعن سبب كشف قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الإمام الغماري نقلاً عن القاري في " شرح المشكاة " : " قيل في سبب كشف قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السَّماء ، فأمرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به ، فلا يبقى بينه وبين السَّماء حجاب " [1] .

ومن المعلوم أنَّ فَتحُ الكوَّة عِنْدَ الجَدْبِ كان سُنَّةُ أهلِ المدينة ، " قال الزَّين المراغي : واعلم أنَّ فتح الكوَّة عند الجدب سُنَّة أهل المدينة حتى الآن ، يفتحون كوَّة في أسفل قبة الحجرة : أي القبَّة الزَّرقاء المقدَّسة من جهة القبلة ، وإن كان السَّقف حائلاً بين القبر الشَّريف وبين السَّماء .

قلت - أي : السَّمهُودي - : وسنَّتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشَّريف من المقصورة المحيطة بالحجرة ، والاجتماع هناك " [2] .

واجتماعهم عندَ الحُجرة الشَّريفة ما كان إلا للتَّوسُّل إلى الله تعالى به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وبِجَاهِهِ ...

قلت : وكعادتهم احتجَّ مدَّعو السَّلفيَّة على هذا الحديث ، وزعموا أنَّه ضعيف .. فقد ضعَّف الألباني هذا الأثر بثلاث علل :

(١) ضعف سعيد بن زيد - أحد رواة الحديث - حيث اقتصر الألباني على النَّقل من بعض كتب التَّراجم [3] .

وهذا مردودٌ لأنَّ سعيداً بن زيد من رجال مسلم ، ووثَّقه غير واحد من العلماء ، فقال الدُّوري : " عن يحيى بن معين ، وقال ابن عدي : هو عندي في جملة من يُنسب إلى الصِّدق ، وقال ابن حبَّان : صدوق [4] . وقد ذكره الذَّهبي في " جزء من تكلَّم فيه وهو ثقة " [5] ، وعليه فإنَّ سعيد بن زيد لا ينزل عن درجة الحسن .

---

[1] انظر : الردُّ المحكم المتين على كتاب القول المبين (ص١٩٦) .

[2] انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٢/ ١٢٣) .

[3] انظر : التوسل ، الألباني (ص١٤٠) .

[4] انظر : تهذيب الكمال (١٠/ ٤٤٣) ، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩) .

[5] انظر : جزء من تكلم فيه (ص ٨٥) .

(٢) اختلاط أبي النُّعمان (١) ، واسمه محمَّد بن الفضل المعروف بعارم شيخ البخاري . وهذا مردودٌ بأَنَّ اختلاط أبي النُّعمان لم يؤثر في روايته ، قال الدَّارقطني : تغيَّر بآخره ، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر وهو ثقة . وقول ابن حبَّان : وقع في حديثه المناكير الكثيرة بعد اختلاطه . ردَّه الذَّهبي فقال : لم يقدر ابن حبَّان أن يسوق له حديثاً منكراً ، والقول فيه ما قاله الدَّارقطني . وبمثل قول الدَّارقطني قال الذَّهبي في السِّير ، وابن حجر في التَّهذيب (٢) .

(٣) أنَّه موقوف على عائشة رضي الله عنها ، وليس مرفوعاً إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولو صحَّ لم تكن فيه حجَّة ... (٣) . والجواب على ما ذكره الألباني بأنَّ الحديث صحيح - كما بيَّنَّا - بلا شكٍّ وريبة ، وهو حجَّة من وجهين :

الأوَّلُ : أنَّ بصحَّته سقط كلام الألباني وتمويهه في التَّضعيف ، وثبت أنَّ التَّوسُّل مذهب للسيِّدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها .

الثَّانِي : أنَّه اتِّفاق من حضر من المسلمين صحابة ممَّن كانوا صحابة وغيرهم ، وفي ذلك تثبيت مع أثر عثمان بن حنيف في إرشاد الرَّجل للتَّوسُّل بعد وفاة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤) .

ثمَّ إنَّ جمهور العلماء ذكروا في كتبهم أنَّ الدُّعاء عند الصَّالحين مُستجاب ، فقد جاء في كتاب الفروع للمرداوي : " قَالَ إبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ : الدُّعَاءُ عِنْدَ قَبْرٍ مَعْرُوفٍ التِّرْيَاقُ الْمُجَرَّبُ " (٥) .

وقال الإمام تاج الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة عُثْمَان بن عبد الرَّحمن الشهرزوري : " ... فدفنوه بِطرف مَقَابِر الصُّوفِيَّة ـ وقبره على الطَّرِيق فِي طرفها الغربي ظَاهر يزار ويتبرَّك بِهِ ، قيل : وَالدُّعَاء عِنْد قَبره مُستجاب " (٦) . وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقيِّ الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة أَحْمد بن على بن أَحْمد بن محمَّد بن الْفرج بن لال أَبُو بكر الهمذاني : " وَالدُّعَاء عِنْد قَبره مُستجاب " (٧) .

---

(١) انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٤١) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٦٨) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٤٩) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٧-٨) .

(٣) انظر : التَّوسُّل (ص١٤١) .

(٤) انظر : هامش ارغام المبتدع (ص٢٤ بتصرُّف) .

(٥) انظر : كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع (٣/ ٢٢٩) .

(٦) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٣٢٨) .

(٧) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٢٠) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة أَحْمَد بْن عَلِيّ أَبُو بَكْر الهَمَذَاني الشَّافعي الفقيه ، المعروف بابن لال : " والدُّعاء عند قبره مُسْتَجَاب " (١) .

وقال الإمام ابن الجزري (٨٣٣هـ) ، في ترجمة الإمام الشَّاطبي (٥٩٠هـ) : " ... ودفن بالقرافة بين مصر والقاهرة بمقبرة القاضي الفاضل عبد الرَّحيم البيساني ، وقبره مشهور معروف يقصد للزِّيارة ، وقد زرته مرَّات وعرض عليَّ بعض أصحابي الشَّاطبيَّة عند قبره ، ورأيت بركة الدُّعاء عند قبره بالإجابة " (٢) .

وقال الإمام ابن قاضي شهبة (٨٥١هـ) في ترجمة أحمد بن علي بن أحمد بن بلال أبو بكر الهمداني : " والدَّعاء عند قبره مُستجاب " (٣) .

وقال الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (٨٨٤هـ) ، في ترجمة السُّلطان نور الدِّين الشَّهيد (٥٧٨هـ) : " قيل إنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب " (٤) .

وقال الإمام السَّخاوي (٩٠٢هـ) في ترجمة عَلِيّ بن أَحْمد بن أبي بكر بن أَحْمد أَبُو الْحسن الْآدَمِيّ ثمَّ الْمصْرِيّ الشَّافِعِي (٧٦٦هـ) : " ... وَيُقَال أَن الدُّعَاء عِنْد قَبره مُستجاب " (٥) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد العكري الدِّمشقي (١٠٨٩هـ) ، في ترجمة صبح بن أحمد الحافظ أبو الفضل التَّميمي الأحنفي الهمذاني السّمسار (٣٨٤هـ) : " ... والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة أبي بكر أحمد بن علي بن أحمد الهمذاني (٣٩٨هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة الملك العادل أبو القسم محمود بن زنكي (٥٩٧هـ) : " وروي أَنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة سيف الدِّين أبو الحسن علي بن يوسف بن أبي الفوارس القيمري (٦٥٣هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة الشَّيخ أبو بكر بن داود الصَّالحي (٨٠٦هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " (١) .

---

(١) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٨/ ٧٨٣) .

(٢) انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٢٣) .

(٣) انظر : طبقات الشافعية (١/ ١٥٥) .

(٤) انظر : كنوز الذهب في تاريخ حلب (١/ ٢٧٩) .

(٥) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٥/ ١٦٤) .

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) ، في ترجمة الشَّيخ إبراهيم أبو إسحق برهان الدِّين الدِّمشقي : " ... ودفن بالمغارة المعروفة بمغارة الشَّيخ إبراهيم في سفح جبل قاسيون في صالحيَّة دمشق ، يُزار ويُتبرَّك به ، والمشهور أنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب ، ولأهل دمشق اعتقاد بزيارته " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (١٣٦٠هـ) ، في ترجمة الشَّيخ أبو زيد عبد الرَّحمن بن عبد الله الهزميري (٧٠٦هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " (٣) .

فإذا كان الدُّعاء عند قبور الصَّالحين مُستجاب كما نصَّ عليه أساطين العلم وجهابيذه ، فما بالك بقبر سيِّد الخلق ، وحبيب الخلق سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!!!

ونبقى مع مصائب ابن تيمية في حقِّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حيث أنكر سؤال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حال حياته ، فقال : " وَقَالَ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِابْنِ عَبَّاسٍ : " إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَّ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهَّ " الْحَدِيثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ – فِي : سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ". وَأَوَّلُهُ فِيهِ : " يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللهَّ يَحْفَظْكَ " ... الْحَدِيثَ ، وَهُوَ فِي الْمُسْنَدِ ، وَلَمْ يَقُلْ : سَلْنِي ، وَلَا اسْتَعِنْ بِي . وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : **﴿فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾** [الشرح: ٧ – ٨] (٤) . مع أنَّ أحد الصَّحابة طلب من رسول الله الجنَّة ، فقد روى مسلم وغيره بسندهم عن رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ ، قَالَ : كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَقَالَ لِي : " سَلْ " ، فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ . قَالَ : " أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ " ، قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ . قَالَ : " فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ " (٥) .

ويسيء ابن تيمية إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بسبب موقفه من فاطمة الزَّهراء رضي الله عنها ، فقد قال ابن تيمية في حقِّها : " وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مَا يُحْكَى عَنْ فَاطِمَةَ وَغَيْرِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْقَوَادِحِ كَثِيرٌ ، مِنْهَا

---

(١) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣/ ١٠٩) (٣/ ١٥٠) ، (٤/ ٢٧٨) ، (٥/ ٢٦٠) ، (٧/ ٥٧) ، بالترتيب .

(٢) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١/ ٣٣) .

(٣) انظر : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ٢٨٨) .

(٤) انظر : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٤/ ٢٤٤) .

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٣ برقم ٤٨٩ ، واللفظ له) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٣١) .

كَذِبٌ ، وَبَعْضُهَا كَانُوا فِيهِ مُتَأَوِّلِينَ . وَإِذَا كَانَ بَعْضُهَا ذَنْباً ، فَلَيْسَ الْقَوْمُ مَعْصُومِينَ ، بَلْ هُمْ مَعَ كَوْنِهِمْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، لَهُمْ ذُنُوبٌ يَغْفِرُهَا اللهُ لَهُمْ " (١) .

ولم يذكر ابن تيمية ما له من اعتراضات على الزَّهراء رضي الله عنها ... فما هي القوادح التي سجَّلها ابن تيمية على بضعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أساء له ابن تيمية بإساءته إلى فاطمة ، فقد صحَّ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال : " فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي ، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي " (٢) ...

ومن مصائب وطامَّات ابن تيمية في حقِّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : زعمه أنَّ زوجات الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِلنَ ما نِلنَ من الأجر والمثوبة لا بسبب صلتهنَّ بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزواجهنَّ منه ... بل بسبب قنوتنهنَّ وتقواهنَّ ... قال ابن تيمية : " وَلِهَذَا حَصَلَ لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِذَا قَنَتْنَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَمِلْنَ صَالِحًا، لَا لِمُجَرَّدِ الْمُصَاهَرَةِ، بَلْ لِكَمَالِ الطَّاعَةِ. كَمَا أَنَّهُنَّ لَوْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ لَضُوعِفَ لَهُنَّ الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ؛ لِقُبْحِ الْمَعْصِيَةِ " (٣) .

ومعنى كلامه : أنَّ السَّبب فيما وصلت إليه أُمَّهات المؤمنين زوجات الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس بسبب كونهنَّ زوجاته بل بسبب تقواهنَّ وطاعتهنَّ لله تعالى ... أي أنَّ زواجهنَّ منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُفدهنَّ بشيء ...

وهذه طامَّة من طامَّاته وجريمة كبيرة منه بحقِّ سيِّد الخلق سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... فنساؤه ما قيل لهنَّ أمَّهات المؤمنين إلَّا بكونهنَّ زوجات له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذا شرفٌ وتشريفٌ لهنَّ رضي الله عنهنَّ جميعاً ، ثم إنَّ الله تعالى جعل لهن نصيباً عظيماً بسبب ذلك ، فلا يصلَّى أحدٌ عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا ويُصلى

---

(١) انظر : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٤/ ٢٤٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢١ برقم ٣٧١٤ ، واللفظ له) ، مسلم (٤/ ١٩٠٣ برقم ٢٤٤٩) ، أحمد في المسند (٤/ ٣٢٦ برقم ١٩١١٨) ، ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/ ٣٦١ برقم ٢٩٥٤) ، النسائي في السنن الكبرى (٧/ ٣٩٤ برقم ٨٣١٢) ، فضائل الصحابة (ص٧٨ برقم ٢٦٥) ، أبو عوانة في المستخرج (٣/ ٧٠ برقم ٤٢٣٣) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٢/ ٥١٣ برقم ٤٩٨٦) ، ابن حبَّان في الصحيح (١٥/ ٥٣٥ برقم ٧٠٦٠) ، الآجري في الشريعة (٥/ ٢١٢٢ برقم ١٦١١) ، الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٤٠٤ برقم ١٠١١) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٨٦ برقم ٤٨١١ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٠٦) ، البغوي في شرح السنة (١٤/ ١٥٨ برقم ٣٩٥٧) ، أبو عوانة في المسند (٣/ ٧٠ برقم ٤٢٣٣) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (١٣/ ١٣٤ برقم ٧١٨١) ، البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٤٠ برقم ٢٠٨٦٢) .

(٣) انظر : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٨/ ٢١٦) .

عليهنَّ معه لأنَّهنَّ داخلات في أهل بيته ... قال الإمام ابن كثير : " ثُمَّ الَّذِي لَا يَشُكُّ فِيهِ مَنْ تَدَبَّر الْقُرْآنَ أَنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاخِلَاتٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** [الأحزاب:٣٣] ، فَإِنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ مَعَهُنَّ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ: **﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ﴾** [الأحزاب:٣٤] ، أَيِ: اعْمَلْنَ بِمَا يُنْزِلُ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. قَالَهُ قَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَاذْكُرْنَ هَذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي خُصِصْتُنَّ بِهَا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، أَنَّ الْوَحْيَ يَنْزِلُ فِي بُيُوتِكُنَّ دُونَ سَائِرِ النَّاسِ، وَعَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ أَوْلَاهُنَّ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ، وَأَحْظَاهُنَّ بِهَذِهِ الْغَنِيمَةِ، وَأَخَصُّهُنَّ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ الْعَمِيمَةِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوحيُ فِي فِرَاشِ امْرَأَةٍ سِوَاهَا، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ " (١) ، فما نزل القرآن في بيوتهنَّ إلَّا لكونهنَّ أزواجه ، وهذه نعمة كبيرة خصَّهنَّ الله تعالى بها ...

فمن فضل الله تعالى على أزواج الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه جعل المؤمنين يصلُّوا عليهنَّ عند صلاتهم على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصَّلاة وخارج الصَّلاة ... فقد روى البخاري ومسلم بسنديهما عن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ " (٢) .

وفي خارج الصَّلاة أكَّد العلماء على الصَّلاة والسَّلام على الآل تبعًا للصَّلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وكذا احترامهم وتبجيلهم وتعزيرهم ... لأنَّهم وصية النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلينا ، قال الله تعالى : **﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** ، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ " (٣) .

وبسبب كونهنَّ أزواج النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضَّلهنَّ الله على عموم النِّساء، ولذلك قال الله تعالى : **﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾** [الأحزاب: ٣٢] ، قال الإمام الرَّازي في تفسيرها : " يَعْنِي فِيكُنَّ غَيْرُ ذَلِكَ أَمْرٌ

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٦/ ٤١٥) .

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٦ برقم ٣٣٦٩) ، مسلم (١/ ٣٠٦ برقم ٤٠٧) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٧/ ١٧٠ برقم ١١١٠٤) .

لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِكُنَّ وَهُوَ كَوْنُكُنَّ أُمَّهَاتِ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَزَوْجَاتِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ، وَكَمَا أَنَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ كَأَحَدٍ مِنَ الرِّجَالِ " (١) .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور : " وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُنَّ اتَّصَلْنَ بِالنَّبِيءِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام اتِّصَالًا أقرب مِنْ كُلِّ اتِّصَالٍ وَصِرْنَ أنيساته ملازمات شؤونه فَيَخْتَصِصْنَ بِاطِّلَاعٍ مَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ غَيْرُهُنَّ مِنْ أَحْوَالِهِ وَخُلُقِهِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَيَتَخَلَّقْنَ بِخُلُقِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَقْتَبِسُ مِنْهُ غَيْرُهُنَّ، وَلِأَنَّ إِقْبَالَهُ عَلَيْهِنَّ إِقْبَالٌ خَاصٌّ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حبّب إِلَيْكُم مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ» (٢) .

وبسبب كونهنَّ أزواج الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصبحن أمَّهات للمؤمنين ، قال تعالى : **﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾** [الأحزاب:٦] ، قال القرطبي في تفسيرها : " شَرَّفَ اللهُ تَعَالَى أَزْوَاجَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ جَعَلَهُنَّ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْ فِي وُجُوبِ التَّعْظِيمِ وَالْمَبَرَّةِ وَالْإِجْلَالِ وَحُرْمَةِ النِّكَاحِ عَلَى الرِّجَالِ، وَحَجْبِهِنَّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُنَّ بِخِلَافِ الْأُمَّهَاتِ " (٣) . فالسَّبب في أنَّه تعالى أوجب لهنَّ الأمومة على كلِّ مؤمن هو لما لهنَّ من شرف صُحبة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وبسبب كونهنَّ أزواج النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجب على جميع المؤمنين أن يحسنوا الظَّنَّ بهنَّ ، والتَّوقير والتَّعظيم لهنَّ ، ومحبَّتهنَّ والتَّرضِّي عنهنَّ ، وأن يذبُّوا عنهنَّ ما وسعهم الذَّب ، وأن يردُّوا على من انقصهنَّ أو إحداهنَّ ، وأن يقتفوا أثرهنَّ ، كما يجب على نساء المسلمين أن يجعلن من أزواج النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدوة لهنَّ ، من خلال دراسة سيرهنَّ والسَّير على سَنَنِهِنَّ ...

ولذلك قام الصَّحابة في هذا الواجب خير قيام ، وتمثَّل ذلك في العديد من الصُّور ... ومنها قيامهم بإطلاق ما في أيديهم من سبايا بني المُصْطَلِق لما تزوَّج الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جويرية بنت الحارث ، وقالوا : أصهار رسول الله ... فقد روى أحمد في مسنده بسنده عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ - أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ - وَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ، فَأَتَتْ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا، قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي فَكَرِهْتُهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى

---

(١) انظر : نفسير الرازي (٢٥/ ١٦٧) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» (٢٢/ ٧) .

(٣) انظر : تفسير القرطبي (١٤/ ١٢٣) .

مِنْهَا مَا رَأَيْتُ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ - أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ - فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي. قَالَ: " فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ ". قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " أَقْضِي كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ " قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: " قَدْ فَعَلْتُ ". قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ، فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ، قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا " (١) .

ومن مصائب وطامّات ابن تيمية في حقِّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : زعمه أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ارتاب في أمر السِّيدة عائشة أُمِّ المؤمنين فيما يتعلَّق بفرية الإفك ...

فأدرج في الحديث عبارة **(وَكَانَ قَدِ ارْتَابَ فِي أَمْرِهَا)** ، وهي عبارة جاء بها من عند نفسه ، حيث أنَّها لم توجد في أيٍّ من دواوين السُّنَّة ...

قال ابن تيمية : " وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ قَالَ لِعَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ النَّبِيُّ بَرَاءَتَهَا، **(وَكَانَ قَدِ ارْتَابَ فِي أَمْرِهَا)** ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ» (٢) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٣/ ٣٨٥ برقم ٢٦٣٦٥) ، قال الأرنؤوط : " إسناده حسن من أجل محمد بن إسحاق، وقد صرح بالتحديث هنا فانتفت شبهة تدليسه. وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. يعقوب: هو ابن إبراهيم بن سعد الزهري.

وهو عند ابن إسحاق في "السير والمغازي" ص٢٦٣، ومن طريقه أخرجه ابن راهويه في "مسنده" (٧٢٥) ، وأبو داود (٣٩٣١) ،وابن الجارود فى "المنتقى" (٧٠٥) ، وأبو يعلى في "مسنده" (٤٩٦٣) ،والطبرى فى "التاريخ" ٢/ ٦١٠، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٤٧٤٨) ،وفى "شرح معانى الآثار ٣/ ٢١،" وابن حبان في "صحيحه" (٤٠٥٤) و (٤٠٥٥) ، والطبرانى فى "الكبير" (١٥٩) / ٢٤،والحاكم في "المستدرك" ٤/ ٢٦، والبيهقى فى "السنن" ٩/ ٧٤-٧٥، وابن الأثير في "أسد الغابة"،٧٥-٥٦/ ٧ بهذا الإسناد.

وأورده ابن هشام في "سيرته" ٢/ ٢٩٤-٢٩٥.

وأخرجه الواقدي في "المغازي"،١/ ٤١١وابن سعد فى "طبقاته" ٨/ ١١٦، والحاكم ٤/ ٢٦-٢٧ من طريق محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، عن عائشة، به. وفي مطبوع الواقدي عن ثوبان بدلاً من محمد بن عبد الرحمن.

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٧/ ٨٠-٨١) .

ونصُّ الحديث في صحيح البخاري هو : " ... سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، وَعَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدَ اللهِ بْنَ عَبْدِ اللهِ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا فَبَرَّأَهَا اللهُ، كُلٌّ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنَ الحَدِيثِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ» ، قُلْتُ: إِنِّي وَاللهِ لاَ أَجِدُ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ **﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾** [يوسف: ١٨] ، وَأَنْزَلَ اللهُ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾** [النور:١١] العَشْرَ الآيَـــاتِ " (١) .

والزِّيادة التي زادها ابن تيمية من كِيْسِه لا توجد في أيٍّ من روايات البخاري ومسلم أو غيرهما . . . ، وهي تحمل سوء ظنٍّ من الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحقِّ عائشة ، وهو أمرٌ يتعارض مع جلال النُّبوَّة ، وحكمٌ استباقيٌّ لما سيحكم الله تعالى به ، وهذا ليس من شأن الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام، لأنَّ الاستعجال بالحكم يؤدِّي إلى عواقب وخيمة ، فهذا سيِّدنا سليمان عليه الصَّلاة والسَّلام يقول للهدهد بعدما أبلغه السَّبب في تأخُّره : **﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ﴾** [النمل:٢٧]

مع العلم أنَّ الزِّيادة المذكورة تعتبر هديَّة جزيلة قدَّمها ابن تيمية للرَّافضة الذين ما زالوا يتَّهمون أُمَّ المؤمنين السيِّدة عائشة بالفاحشة التي أنزل الله تعالى براءتها منها في قرآن يُتلى إلى قيام السَّاعة ...قال الله تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ * لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلا جاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكاذِبُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيما أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا سُبْحانَكَ هَذَا بُهْتانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [النور:١١-١٧]

والسُّؤال هنا : بما أنَّ جميع روايات قصَّة الإفك لم تشتمل على أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ارتابَ في أمر السيِّدة عائشة ، فمن أين وكيف فهم ابن تيمية ارتياب الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمرها ؟!! مع العلم

---

(١) انظر : صحيح البخاري (٦/ ٧٦ برقم ٤٦٩٠) . وانظر : صحيح البخاري (٣/ ١٧٣ برقم ٢٦٦١) ، (٥/ ١١٦ برقم ٤١٤١) ، (٦/ ١٠١ برقم ٤٧٥٠) ، صحيح مسلم (٤/ ٢١٢٩ برقم ٢٧٧٠) .

أنّ ما جاء في روايات البخاري ومسلم يردُّ افتراء ابن تيمية ، فقد جاء في الرِّواية المطوَّلة للبخاري وكذا رواية مسلم : " مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا " [١] .

ثمَّ لو تصفَّحنا كُتُب السُّنَّة لرأينا الأحاديث تترى في الثَّناء على الحَصَان الرَّزان الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق ...

رَوَى البُخَارِيُّ ومسلم بِسَنَدِهِمَا عَن عَمْرُو بْنُ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: " أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» ، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا» ... [٢] .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ "[٣] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهَا: " أُرِيتُكِ فِي المَنَامِ مَرَّتَيْنِ، أَرَى أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَاكْشِفْ عَنْهَا، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ " [٤]

وَعَنِ الحَكَمِ، سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، قَالَ: لَمَّا بَعَثَ عَلِيٌّ، عَمَّارًا، وَالحَسَنَ إِلَى الكُوفَةِ لِيَسْتَنْفِرَهُمْ خَطَبَ عَمَّارٌ فَقَالَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ابْتَلاَكُمْ لِتَتَّبِعُوهُ أَوْ إِيَّاهَا» [٥] .

وَعَنْ هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ، وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ، أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ، قَالَتْ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا

---

[١] انظر : صحيح البخاري (٣/ ١٧٣برقم ٢٦٦١) ، (٥/ ١١٦برقم ٤١٤١) ، (٦/ ١٠١برقم ٤٧٥٠) ، (٩/ ١١٣برقم ٧٣٦٩) ، صحيح مسلم (٤/ ٢١٢٩ برقم) .

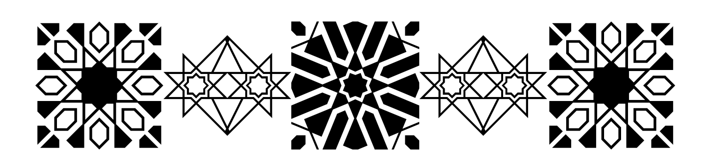
[٢] أخرجه البخاري (٥/ ٥ برقم ٣٦٦٢) ، مسلم (٤/ ١٨٥٦ برقم ٢٣٨٤) .

[٣] أخرجه البخاري (٤/ ١٥٨ برقم٣٤١١) / مسلم (٤/ ١٨٨٦برقم ٢٤٣١) .

[٤] أخرجه البخاري (٥/ ٥٦ برقم ٣٨٩٥) ، مسلم (٤/ ١٨٨٩ برقم ٢٤٣٨) .

[٥] أخرجه البخاري (٥/ ٢٩ برقم ٣٧٧٢) .

كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ لاَ تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا» (١) ...



(١) أخرجه البخاري (٥/ ٣٠ برقم ٣٧٧٥)

❁❁❁ المَبْحَثُ السَّابِعُ ❁❁❁

حَكَمُوا بِكُفْرِ وَالِدَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من المعلوم أنَّ الوهَّابيَّة ما زالوا يحكمون بكفر والدي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويستدلُّون بعدَّة أدلَّة من القرآن والسُّنَّة ، وكذا بخطأ النَّاسخ لـ " الفقه الأكبر " لأبي حنيفة ، فإنَّه لَمَّا رأى تكرُّر (ما) في قوله عن والديّ المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما ماتا) ظنَّ أنَّ إحداهما زائدة فحذفها ... مع أنَّ الأدلَّة من القرآن والسُّنَّة على نجاتهما متوافرة ...

فمن أشهر الأدلَّة التي استدلَّ بها الجمهور على نجاة والديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قوله تعالى : **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** [الإسراء: ١٥] .

ووجه الدّلالة من الآية : أنَّ الله تعالى نفى حصول العذاب إلَّا بعد إرسال الرُّسل الذين هم حُجَّة الله على عباده. ومن المعلوم يقيناً أن والديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يرسل الله تعالى إليهما رسولاً يدعوهم إلى الله تعالى ويطالبهم بتكليف منه سبحـــانه ، قال تعالى: **﴿وَما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾** [سبأ: ٤٤] ، وقال سبحانه : **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾** [السجدة: ٣] ، وهذه الآية خصَّصت ما جاء من عموم في قوله تعالى :**﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَما كانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾** [فاطر: ٤٤] .

ومن المعلوم يقيناً – كذلك– أنَّ والديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاشوا في فترة انقطاع الرُّسل ، قال تعالى : **﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [المائدة: ١٩] ، والفترة ، مصدر للدّلالة على المرَّة من " فتر يفتر فتوراً "، "والفتور هو سكونٌ بعد حدَّة ، ولين بعد شدَّة ، وضعف بعد قوَّة ، أي سكون حال عن مجيء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (١) .

وروى البخاري بسنده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال : فترة بين عيسى ومحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ ستمائة سنة " (٢) .

---

(١) انظر : المفردات في غريب القرآن (ص٦٢٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٧١ برقم ٣٩٤٨) .

وعليه ، فقوله تعالى: ﴿**وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء: ١٥] ، دليلٌ صريحٌ واضحٌ على نجاة والديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذلك أنَّ الزَّمان الذي عاش فيه والده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان خالياً من الرُّسل الذين فترَ إرسالهم في ذلك الزَّمان ، كما نصَّت على ذلك آيات الكتاب العزيز ، وبما أنَّ الأمر كذلك فإنَّ تعذيب من عاش في ذلك الزَّمان منفيٌّ بقوله تعالى: ﴿**وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء: ١٥] .

وقد أطبق العلماء على الاستدلال بهذه الآية على نجاة والديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال الإمام السُّيوطي : " وَهَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الَّتِي أَطْبَقَتْ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ عَلَى الِاسْتِدْلَالِ بِهَا فِي أَنَّهُ لَا تَعْذِيبَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ ، وَرَدُّوا بِهَا عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ فِي تَحَكُّمِ الْعَقْلِ ، أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرَيْهِمَا ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿**وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء: ١٥] ، قَالَ: إِنَّ اللهَّ لَيْسَ بِمُعَذِّبٍ أَحَداً حَتَّى يَسْبِقَ إِلَيْهِ مِنَ اللهَّ خَبَرٌ، أَوْ تَأْتِيهِ مِنَ اللهَّ بَيِّنَةٌ " (١) .

وإلى ما ذهب إليه الإمام السُّيوطي في تفسير الآية ذهب أهل العلم بالتَّفسير .

قال الإمام الطَّبري: " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي قَوْمٍ إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ بِالرُّسُلِ ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِالْآيَاتِ الَّتِي تَقْطَعُ عُذْرَهُمْ .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : ﴿**وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء: ١٥] إِنَّ اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ يُعَذِّبُ أَحَداً حَتَّى يَسْبِقَ إِلَيْهِ مِنَ اللهَّ خَبَراً، أَوْ يَأْتِيَهُ مِنَ اللهَّ بَيِّنَةٌ، وَلَيْسَ مُعَذِّباً أَحَداً إِلَّا بِذَنْبِهِ " (٢).

وذكر الإمام ابن كثير أنَّ الآية " إِخْبَارٌ عَنْ عَدْلِهِ تَعَالَى ، وَأَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَداً إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ بِإِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿**كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا ما نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ**﴾ [المُلْكِ: ٨، ٩] ، وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قالُوا بَلى وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ**﴾ [الزُّمَر: ٧١] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا**

---

(١) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٤٥) .

(٢) انظر : تفسير الطَّبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١٤/ ٥٢٦) .

نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُدْخِلُ أَحَداً النَّارَ إِلَّا بَعْدَ إِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ " (١) .

وقال الإمام الصَّاوي في حاشيته على تفسير الجلالين : " وعموم هذه الآية ، يدلُّ على أنَّ أهل الفترة جميعاً ناجون بفضل الله ، ولو غيّروا وبدّلوا ، وما ورد من تخصيص بعض أفراد ، كحاتم الطَّائي وامرئ القيس بدخولهم النار ، فهي أحاديث أحاد لا تعارض القطعي " (٢) .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور: " دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ اللهَّ لا يُؤَاخِذُ النَّاس إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُرْشِدَهُمْ رَحْمَةً مِنْهُ لَهُمْ . وَهِيَ دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى انْتِفَاءِ مُؤَاخَذَةِ أَحَدٍ مَا لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةُ رَسُولٍ مِنَ الله إِلَى قوم ، فَهِيَ حُجَّةٌ لِلْأَشْعَرِيِّ نَاهِضَةٌ عَلَى الْمَاتُرِيدِيِّ وَالْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ اتَّفَقُوا عَلَى إِيصَالِ الْعَقْلِ إِلَى مَعْرِفَةِ وُجُودِ اللهَّ ، وَهُوَ مَا صَرَّحَ بِهِ صَدْرُ الشَّرِيعَةِ فِي التَّوْضِيحِ فِي الْمُقَدِّمَاتِ الْأَرْبَعِ . فَوُجُودُ اللهَّ وَتَوْحِيدُهُ عِنْدَهُمْ وَاجِبَانِ بِالْعَقْلِ فَلَا عُذْرَ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهَّ وَعَطَّلَ وَلَا عُذْرَ لَهُ بَعْدَ بَعْثَةِ رَسُولٍ " (٣) .

وعليه ، فالعذاب لا يكون إلَّا بعد الإعذار والإنذار من خلال بعثة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد سبق وأوضحنا أنَّ الزَّمن الذي عاش فيه والده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلا من إرسال الرُّسل ، وذلك بنصِّ القرآن الكريم ، وهذا القول هو ما ذهب إليه جمهور المفسِّرين عند تفسيرهم لقوله تعالى : **﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** [الإسراء: ١٥] .

والعذاب الذي نصَّت الآية على نفيه عام في الدُّنيا والآخرة ، قال الإمام الشَّوكاني: " وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُهُمْ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ ، وَبِهِ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ " (٤) .

قلت : ومن العلماء الذين أشاروا إلى أنَّ التَّعذيب المنفي بالآية يشمل الدُّنيا والآخرة : الإمام ابن عطيَّة ، الإمام القرطبي ، الإمام أبو حيَّان ، الإمام الكلبي ، وغيرهم (١) .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم (٥/ ٥٢-٥٣) .

(٢) انظر : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (٣/ ٣١٣) .

(٣) انظر : التحرير والتنوير ١٥/ ٥٢) .

(٤) انظر : فتح القدير (٣/ ٢٥٤) .

وفي تفسير قول الله تعالى : ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩] قال الإمام الألوسي : " واستدلَّ بالآية على إيمان أبويه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما ذهب إليه كثير من أجلَّة أهل السنَّة ، وأنا أخشى الكفر على من يقول فيهما رضي الله تعالى عنهما على رغم أنف على القارئ وأضرابه بضدّ ذلك" (٢) .

قلت : وخصَّ الألوسي (علي القاري) بالذِّكر هنا ، لأنَّه اعتمد في شرح الفقه الأكبر على النُّسخة المحرَّفة ، التي فيها أنَّ والديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماتا على الكفر . وقد تكفَّل الإمام الكوثري بردِّ ذلك ، فقال : " وفي بعض النُّسخ : وأبوا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماتا على الفطرة ، والفطرة سهلة التَّحريف إلى الكفر في الخط الكوفي ، وفي أكثرها : (ما ماتا على الكفر) . كأنَّ الإمام الأعظم يريد به الرَّدّ على من يروي حديث : " أبي وأبوك في النَّار " ، ويرى كونهما من أهل النَّار ، لأنَّ إنزال المرء في النَّار لا يكون إلَّا بدليل يقيني ، وهذا الموضوع ليس بموضوع عملي حتى يكتفي فيه بالدَّليل الظنِّي .

ويقول الحافظ محمَّد مرتضى الزَّبيدي شارح " الإحياء " و " القاموس " في رسالته : " الانتصار لوالدي النَّبي المختار " : " وكنت رأيتها بخطِّه عند شيخنا أحمد مصطفى العمري الحلبي ، مفتي العسكر ، العالم المعتمر ، ما معناه : إنَّ النَّاسخ لَمَّا رأى تكرُّر (ما) في (ما ماتا) ظنَّ أنَّ إحداهما زائدة فحذفها ، فذاعت نسخته الخاطئة ، ومن الدَّليل على ذلك سياق الخبر ، لأنَّ أبا طالب والأبوين لو كانوا على حالة واحدة لجمع الثلاثة في الحكم بجملة واحدة لا بجملتين مع عدم التَّخالف بينهم في الحكم .

وهذا رأيٌ وجيهٌ من الحافظ الزَّبيدي ، إلا أنَّه لم يكن رأى النُّسخة التي فيها (ما ماتا) ، وإنَّما حكى ذلك من رآها . وإنِّي بحمد الله رأيت لفظ (ما ماتا) في نسختين بدار الكتب المصريَّة قديمتين ، كما رأى بعض أصدقائي لفظي (ما ماتا) و(على الفطرة) في نسختين بمكتبة شيخ الإسلام المذكورة ، وعلي القاري بنى شرحه على النُّسخة الخاطئة ، وأساء الأدب ، سامحه الله " (٣) .

قال الإمام السُّيوطي : " ... ثمَّ رَأَيْتُ الْإِمَامَ أَبَا الْحَسَنِ الْمَاوَرْدِيَّ أَشَارَ إِلَى نَحْوِ مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ فخر الدِّين إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُصَرِّحْ كَتَصْرِيحِه ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ " أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ " : لَمَّا كَانَ أَنْبِيَاءُ اللهَّ صَفْوَةَ عِبَادِهِ وَخِيرَةَ

---

(١) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٤٤) ، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٣١) ، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٤٣) ، البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢٣) .

(٢) انظر : روح المعاني (١٠/ ١٣٥) .

(٣) انظر : مقدمات الإمام الكوثري (ص١٦٩-١٧٠) .

خَلْقِهِ لِمَا كَلَّفَهُمْ مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّهِ وَالْإِرْشَادِ لِخَلْقِهِ اسْتَخْلَصَهُمْ مِنْ أَكْرَمِ الْعَنَاصِرِ ، وَاجْتَبَاهُمْ بِمُحْكَمِ الْأَوَاصِرِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِنَسَبِهِمْ مِنْ قَدْحٍ وَلِمَنْصِبِهِمْ مَنْ جَرْحٍ ؛ لِتَكُونَ الْقُلُوبُ لَهُمْ أَصْفَى ، وَالنُّفُوسُ لَهُمْ أَوْطَا ، فَيَكُونُ النَّاس إِلَى إِجَابَتِهِمْ أَسْرَعَ وَلِأَوَامِرِهِمْ أَطْوَعَ ، وَأَنَّ اللهَّ اسْتَخْلَصَ رَسُولَهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ أَطْيَبِ الْمَنَاكِحِ ، وَحَمَاهُ مِنْ دَنَسِ الْفَوَاحِشِ ، وَنَقَلَهُ مِنْ أَصْلَابِ طَاهِرَةٍ إِلَى أَرْحَامِ مُنَزَّهَةٍ ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللهَّ ﴿ **وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٩] ، أَيْ : تَقَلُّبُكَ مِنْ أَصْلَابِ طَاهِرَةٍ مِنْ أَبٍ بَعْدَ أَبٍ إِلَى أَنْ جَعَلَكَ نَبِيّاً ، فَكَانَ نُورُ النُّبُوَّةِ ظَاهِراً فِي آبَائِهِ ، ثمَّ لَمْ يُشْرِكْهُ فِي وِلَادَتِهِ مِنْ أَبَوَيْهِ أَخٌ وَلَا أُخْتٌ لِانْتِهَاءِ صَفْوَتِهِمَا إِلَيْهِ ، وَقُصُورِ نَسَبِهِمَا عَلَيْهِ ، لِيَكُونَ مُخْتَصّاً بِنَسَبٍ جَعَلَهُ اللهَّ لِلنُّبُوَّةِ غَايَةً وَلِتَفَرُّدِهِ نِهَايَةً ، فَيَزُولُ عَنْهُ أَنْ يُشَارَكَ فِيهِ وَيُمَاثَلَ فِيهِ ، فَلِذَلِكَ مَاتَ عَنْهُ أَبَوَاهُ فِي صِغَرِهِ ، فأَمَّا أَبُوهُ فَمَاتَ وَهُوَ حَمْلٌ ، وأمَّا أُمُّهُ فَمَاتَتْ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ ، وَإِذَا خَبَرْتَ حَالَ نَسَبِهِ وَعَرَفْتَ طَهَارَةَ مَوْلِدِهِ عَلِمْتَ أَنَّهُ سُلَالَةُ آبَاءٍ كِرَامٍ ، لَيْسَ فِي آبَائِهِ مُسْتَرْذَلٌ وَلَا مَغْمُوزٌ مُسْتَبْذَلٌ ، بَلْ كُلُّهُمْ سَادَةٌ قَادَةٌ ، وَشَرَفُ النَّسَبِ وَطَهَارَةُ الْمَوْلِدِ مِنْ شُرُوطِ النُّبُوَّةِ " [1] .

وقال تعالى : ﴿**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزى**﴾ [طه: ١٣٤] .

قال الإمام الطَاهر بن عاشور في تفسيرها : " وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ بِوَحْدَانِيَّةِ خَالِقِ الْخَلْقِ يَقْتَضِيهِ الْعَقْلُ لَوْلَا حَجْبُ الضَّلَالَاتِ وَالْهَوَى ، وَأَنَّ مَجِيءَ الرُّسُلِ لِإِيقَاظِ الْعُقُولِ وَالْفِطَرِ ، وَأَنَّ اللهَّ لَا يُؤَاخِذُ أَهْلَ الْفَتْرَةِ عَلَى الْإِشْرَاكِ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً ، وَأَنَّ قُرَيْشاً كَانُوا أَهْلَ فَتْرَةٍ قَبْلَ بَعْثَةِ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " [2] .

ووالداه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قريش ، وهما من أهل الفترة ، وقد ماتا قبل بعثته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

ثمَّ إنَّ والديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ماتا قبل البعثة ، فقد مات والده وأمُّه حامل به لشهرين ، وماتت أمُّه وهو ابن ستِّ سنوات ، والله تعالى يقول : ﴿**مَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ [الإسراء: ١] . وقد أفضنا في الدَّليل

---

[1] انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٦٧) .

[2] انظر : التحرير والتنوير (١٦/ ٣٤٦-٣٤٧).

الأوَّل على نجاتهما بما قاله أساطين العلم في تفسيرهم لهذه الآية ، ونقلنا إجماعهم على أنَّه لا عذاب إلَّا بعد الإعذار بإرسال الرُّسل .

كما أنَّ والديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا على الحنيفيَّة ، ولم يثبت عنهما شرك ، وعلى هذا كان طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، وغيرهما ، وهذا المسلك ذهبت إليه طائفة من العلماء ، منهم : الإمام الفخر الرَّازي ، حيث قال في كتابه : " أسرار التَّنزيل " (١) ما نصّه : " قيل إنَّ آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمُّه ، واحتجُّوا عليه بوجوه ، منها :

أنَّ آباء الأنبياء ما كانوا كفَّاراً ، ويدلُّ عليه وجوه ، منها قوله تعالى : **﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾** [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩] ، قيل معناه : أنَّه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد ، وبهذا التَّقدير ، فالآية دالَّة على أنَّ جميع آباء محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا مسلمين ، وحينئذ يجب القطع بأنَّ والد إبراهيم ما كان من الكافرين ، إنَّما ذاك عمُّه ، أقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى : **﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾** [الشعراء: ٢١٩] ، على وجوه أخرى . وإذا وردت الرِّوايات بالكلِّ ولا منافاة بينهما ، وجب حمل الآية على الكلِّ ، ومتى صحَّ ذلك ثبت أنَّ والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان ، ثمَّ قال : وممَّا يدلُّ على أنَّ أباء محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ما كانوا مشركين قوله عليه السَّلام : " لم أزل أُنقل من أصْلاب الطَّاهرين إلى أرحَام الطَّاهرات " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدِّين بن محمَّد الزّرقاني المالكي (١١٢٢هـ) : " ... وقد بينَّا لك أيُّها المالكي حكم الأبوين ، فإذا سئلت عنهما ، فقل : هما ناجيان في الجنَّة ، إمَّا لأنَّهما أحييا حتى آمنا ؛ كما جزم به الحافظ السّهيلي ، والقرطبي ، وناصر الدِّين بن المنير ، وإن كان الحديث ضعيفاً ؛ كما جزم به أوَّلهم ووافقه جماعة من الحفَّاظ ؛ لأنَّه في منقبة وهي يعمل فيها بالحديث الضعيف . وإمَّا لأنهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها ؛ كما جزم به الأبِّي . وأمَّا لأنهما كانا على الحنيفيَّة والتَّوحيد لم يتقدَّم لهما شرك ؛ كما قطع به الإمام السَّنوسي ، والتِّلمساني المتأخِّر محشي

(١) انظر : أسرار التنزيل وأنوار التأويل ، الرَّازي (ص٢٧٠-٢٧١) .

(٢) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (١/ ٥٧ برقم ١٥) .

الشِّفاء ، فهذا ما وقفنا عليه من نصوص علمائنا ولم نرَ لغيرهم ما يخالفه إلَّا ما يشم من نفس ابن دحية ، وقد تكفَّل بردِّه القرطبي " [1] .

وقال الإمام إبراهيم بن محمَّد الباجوري : " إذا علمت أنَّ أهل الفترة ناجون على الرَّاجح ، علمت أنَّ أبويه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناجيان لكونهما من أهل الفترة ، بل جميع آبائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمَّهاته ناجون ومحكوم بإيمانهم ، لم يدخلهم كفر ، ولا رجس ، ولا عيب ، ولا شيء مما كان عليه الجاهليَّة بأدلَّة نقليَّة ، كقوله تعالى : **﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾** [الشعراء:٢١٩] ، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لم أزل أنتقل من الأصلاب الطَّاهرات إلى الأرحام الزَّاكيات " ، وغير ذلك من الأحاديث البالغة مبلغ التَّواتر " [2] .

وقد دلَّت آيات عديدة على أنَّ آباءه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا على الحنيفيَّة ، من ذلك [3] :

قوله تعالى : **﴿وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** [الزخرف: ٢٨] .

أخرج عبد بن حميد ، عن ابن عبَّاس في قوله : **﴿وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** ، قال : لا إله إلَّا الله في عقبة ، قال : عقب إبراهيم ولده " [4] .

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر ، عن مجاهد في قوله : **﴿وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** ، قال : الإخلاص والتَّوحيد لا يزال في عقبة من يقولها من بعده [5] .

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة في قوله تعالى : **﴿وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** ، قال : في الإسلام أوصى بها ولده [6] .

وأخرج عبد بن حميد ، عن الزُّهري ، قال : عقب الرَّجل ولده الذُّكور والإناث وأولاد الذُّكور [7] .

---

[1] انظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١/ ٣٤٩) .

[2] انظر : تحفة المريد على جوهرة التوحيد (ص٢٠) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأخيرة ، ١٩٥٩م .

[3] انظر الحاوي للفتاوى (٢/ ٢١٦ فما بعدها) .

[4] انظر : الدر المنثور (٧/ ٣٧٣) ، ابن كثير في التفسير (ص١٥٣٧) .

[5] انظر : الدر المنثور (٧/ ٣٧٣) .

[6] انظر : تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٢) .

[7] انظر : الدر المنثور (٧/ ٣٧٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] .

أخرج ابن جرير عن مجاهد في هذه الآية ، قال : فاستجاب الله تعالى لإبراهيم عليه السَّلام دعوته في ولده ، فلم يعبد أحدٌ من ولده صنماً بعد دعوته ، وجعل هذا البلد آمناً ، ورزق أهله من الثَّمرات ، وجعله إماماً ، وجعل من ذرِّيَّته من يقيم الصَّلاة ، وتقبل دعاءه ، وأراه مناسكه وتاب عليه (١) .

وأخرج البيهقي في " شعب الإيمان " عن وهب بن منبِّه أنَّ أدم لَمَّا أهبط إلى الأرض استوحش ، فذكر الحديث بطوله في قصَّة البيت الحرام — وفيه من قول الله لآدم في حقِّ إبراهيم عليهما السَّلام : واجعله أمَّة واحداً ، قانتاً قائماً بأمري ، داعياً إلى سبيلي ، أجتبيه وأهديه إلى صراط مستقيم ، أبتليه فيصبر ، وأعافيه فيشكر ، وآمره فيعقل ، وينذر لي فيفي ، ويعدني فينجز ، أستجيب دعوته في ولده ، وذرِّيَّته من بعده ، وأُشفّعه فيهم ، وأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحماته وسقاته وخدمه وخزَّانه وحجَّابه ... " (٢) .

قال الإمام السُّيوطي : " هَذَا الْأَثَرُ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ مُجاهِدٍ الْمَذْكُورِ آنِفاً ، وَلَا شَكَّ أَنَّ وِلَايَةَ الْبَيْتِ كَانَتْ مَعْرُوفَةً بِأَجْدَادِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى أَنِ انْتَزَعَهَا مِنْهُمْ عمرو الخزاعي ، ثمَّ عَادَتْ إِلَيْهِمْ، فَعُرِفَ أَنَّ كُلَّ مَا ذُكِرَ عَنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنَّ أَوْلَى النَّاس بِهِ سِلْسِلَةُ الْأَجْدَادِ الشَّرِيفَةِ الَّذِينَ خُصُّوا بِالِاصْطِفَاءِ ، وَانْتَقَلَ إِلَيْهِمْ نُورُ النُّبُوَّةِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، فَهُمْ أَوْلَى بِأَنْ يَكُونُوا هُمُ الْبَعْضُ الْمُشَارُ إِلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ : ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنا وَتَقَبَّلْ دُعاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] (٣) .

وعن سفيان بن عيينة قال : لم يعبد أحدٌ من ولد إسماعيل الأصنام لقوله : ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ، قيل : فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم قال : لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوا الأصنام ودعا لهم بالأمن ، فقال : ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ، ولم يدع

---

(١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٧/ ١٧) ، الدر المنثور (٥/ ٤٥) .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٤٥٢ برقم ٣٩٨٥) .

(٣) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٦٢) .

لجميع البلدان بذلك ، وقال : ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] فيه وقد خصَّ أهله وقال : ﴿رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] (١) .

وقد ساق السُّيوطي آثاراً عديدة يعلم من مجموعها أنَّ أجداد الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا على دين إبراهيم الخليل عليه الصَّلاة والسَّلام ، فإذا أضفنا إليها دعوات إبراهيم عليه السَّلام لذرِّيته من إسماعيل عليه السَّلام : ﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ، ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنا وَتَقَبَّلْ دُعاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] ، ﴿وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨] ، علمنا أنَّ من ذرِّيته من بقي على الإيمان إلى أن وصل الأمر إلى جدِّه عبد المطَّلب وأبيه عبد الله ، تلك السِّلسلة الطَّيِّبة التي خصّت بالاصطفاء وانتقل إليهم نور النُّبوة واحداً بعد واحد ، فهم أولى بأن يكونوا هم البعض المُشار إليهم في دعاء إبراهيم عليه السَّلام في الآيات السَّابقة . وكان عمرو بن لحي أوَّل من أدخل عبادة الأصنام إلى جزيرة العرب ، وهو أوَّل من زاد في التَّلبية : لبَّيك لا شريك لك ، إلَّا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك "(٢) .

وذكر المسعودي أنَّ العرب كانت في جاهليتها فِرقاً : منهم الموحَّد المقرّ بخالقه ، المصدِّق بالبعث والنُّشور ، الموقن بأنَّ الله يثيب المطيع ، ويعاقب العاصي (٣) ...

ومن هؤلاء الموحِّدين : جدُّه عبد المطَّلب ، يقول الإمام أبو الفتح محمَّد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشَّهرستاني (٥٤٨هـ) : " ظهر بعض الظُّهور في أسارير عبد المطلب : سيِّد الوادي ، شيبة الحمد ، وسجد له الفيل الأعظم ، وعليه قصَّة أصحاب الفيل .

وببركة ذلك النُّور دفع الله تعالى شرَّ أبرهة وأرسل عليهم طيراً أبابيل .

وببركة ذلك النُّور رأى تلك الرُّؤيا في تعريف موضع زمزم ، ووجدان الغزالة والسُّيوف التي دفنتها جُرْهُم .

وببركة ذلك النُور ألهم عبد المطَّلب النَّذر الذي نذر في ذبح العاشر من أولاده ، وبه افتخر النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام حين قال : " أنا ابن الذَّبيحين " (١) .

---

(١) انظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٥٥٧) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (٢/ ١٨٨) .

(٣) انظر : مروج الذهب (١/ ٢١٩) .

وببركة ذلك النُّور كان عبد المطَّلب يأمر أولاده بترك الظُّلم والبغي ، ويحثُّهم على مكارم الأخلاق ، وينهاهم عن دنيَّات الأمور .

وببركة ذلك النُّور قال لأبرهة : إنَّ لهـــذا البيت ربَّاً يحفظه ويذبُّ عنه ، وفيه قال وقد صعد إلى جبل أبي قبيس :

لا هُمَّ إنَّ المرء يمــنع رحله فامنع رحـــالك

لا يغلبنَّ صليبُهم ومحالهم عذراً محـــــالك

إن كنت تاركهـــم وكعــبتنا فأمرٌ مَا بدا لك

وببركة ذلك النُّور كان يقول في وصاياته : إنَّه لن يخرج من الدُّنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة ، إلى أن هلك رجل ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة ، فقيل لعبد المطَّلب في ذلك ، ففكَّر ، وقال : والله إنَّ وراء هذه الدَّار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه ، ويعاقب فيها المسيء بإساءته [2] ...

وممَّا يدعم القول بإيمان عبد المطَّلب ، انتساب وافتخار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به يوم حُنين بقوله : "... أنا النَّبيُّ لا كذب ، أنا ابن عبد المطَّلب " [3] .

ومن المعلوم أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن الانتساب للمشركين ، وذلك فيما رواه البيهقي بسنده عن أبي هريرة مرفوعاً : " إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عَيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ ، النَّاس بَنُو آدَمَ ،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٩ برقم ٤٠٤٨) .

(٢) انظر : الملل والنحل (٣/ ٨٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٣٠ برقم ٢٨٦٤) ، مسلم (٣/ ١٤٠٠ برقم ١٧٧٦) ، أبو داود الطيالسي (٢/ ٨٢ برقم ٧٤٢) ، سعيد بن منصور في السنن (٢/ ٣٥٠ برقم ٢٨٣٨) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤١٦ برقم ٣٦٩٨٣) ، الأدب (ص٣٨٤ برقم ٤١٧) ، أحمد في المسند (٤/ ٢٨٠ برقم ١٨٦٦٠) ، فضائل الصحابة (٢/ ٩٤٣ برقم ١٨٢٠) ، الترمذي (٣/ ٢٥١ برقم ١٦٨٨) ، ابن أبي عاصم في الجهاد (٢/ ٦٠٣ برقم ٢٥٤) ، النسائي في السنن الكبرى (٨/ ٢٨ برقم ٨٥٧٥) ، عمل اليوم والليلة (ص٣٩٤ برقم ٦٠٥) ، الروياني في المسند (١/ ٢٠٨ برقم ٢٧٩) ، أبو عوانة في المستخرج (٤/ ٢٨٠ برقم ٦٧٥٨) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ٣٧٨ برقم ٣٣٢٢) ، ابن حبان (١١/ ٩٠ برقم ٤٧٧٠) ، الطبراني في المعجم الكبير (٥/ ١٩٠ برقم ٥٠٥٤) ، ابن السُّنِّي في عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد (ص٣٦٧ برقم ٤١٤) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ١٣٢) ، البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٧٩ برقم ١٣٢) .

وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْخَرُونَ بِرِجَالٍ ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تُدْفَعُ " (١) .

والأدلَّة على نجاتهما رضي الله عنهما كثيرة ، وقد ضمَّنتها رسالة بعنوان : " كشفُ الخفا في مصير والديّ المُصطفى " ... ومع ما قدَّمناه وغيره الكثير في نجاتهما رأينا البعض يحكم بكفرهما وبالتَّالي هلاكهما ...

وذهب إلى القول بكفرهما الإمام ابن تيمية ومن شايعه من المُغترِّين به ، اعتماداً منه على الأحاديث الدالَّة على هلاكهم ... والأدلَّة التي استدلُّوا بها على هلاك والديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هي:

الحَدِيْثُ الأَوَّلُ : روى مسلم بسنده عَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيْنَ أَبِي ؟ قَالَ : " فِي النَّارِ " ، فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ ، فَقَالَ : " إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ " (٢) .

والجواب عن الحديث بالآتي :

أَوَّلاً : أنَ الحديث معارض لمنطوق قول الله تعالى : **﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** [الإسراء: ١٥] .

ثَانِياً : أنَّ الحديث معارض لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصَّحيح الذي رواه الزُّهري عن سالم عن أبيه قال : جاء أعرابي إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال: يا رسول الله إنَّ أبي كان يصِلُ الرَّحم ، وكان وكان ، فأين هو ؟ قال في النَّار ، قال : فكأنَّه وجد من ذلك ، فقال : يا رسول الله : فأين أبوك ؟ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حيثما مررت بقبر مشرك فبشِّره بالنار . قال : فأسلم الأعرابي بعد ، وقال : لقد كلَّفني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعباً، ما مررت بقبر كافر إلَّا بشَّرته بالنَّار" (٣) .

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٢٥ برقم ٤٧٦٤) .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٩١ برقم ٣٤٧) .

(٣) أخرجه ابن ماجة (١/ ٥٠١ برقم ١٥٧٣) ، كما رواه كل من الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٤٥ برقم ٣٢٦) ، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد (ص٥٤٦ برقم ٥٩٥) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (٣/ ٢٠٤ برقم ١٠٠٥) عَن الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ .

وذكر الأستاذ العلَّامة حسَّان عبد المنان في تعليقه على سنن ابن ماجة (ص١٧٢) أن البوصيري قال : هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات ، محمد بن إسماعيل : وثَّقه ابن حبَّان والدارقطني والذهبي ، وباقي رجال السند على شرط الشيخين .

ثَالِثَاً : ومن الأجوبة على هذا الحديث ما ذكره الإمام الشَّعراوي ، قال : " إذا صحّ هذا الحديث فهو ممَّا قبل أن ينزل قوله تعالى : **﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾** [الإسراء: ١٥] لأنَّه لا عقوبة إلَّا بتحريم ، ولا تحريم إلَّا بنصّ ، ولهذا كان العفو عمَّن لم تبلغه الدَّعوة ، فيكون الحديث إن صحَّ علميَّاً منسوخاً بالآية فضلاً وعدلاً من الله تعالى . وقد نقل الثقات مؤرِّخو السِّيرة الشَّريفة كلّهم تقريباً بإسنادهم عن عبد الله والد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصَّة المرأة التي دعته إلى نفسها فاستعصم ، وقال شعراً يؤكِّد إيمانه بالله واستمساكه بالشَّرائع السَّماوية السَّابقة ، ولم يثبت أنَّه مات كافراً أو أنَّه عبد وثناً .

وقد يكون قوله : " إنَّ أَبي في النَّار " لما قاله الله تعالى : **﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا﴾** [مريم: ٧١] ، أي : إنَّ أبي وأباك سَيردان النَّار في طريقهما إلى الجنَّة ، وورود إشراف كبقيَّة المؤمنين ، وهذا الرَّأي عند بعض العلماء أوسط وأرجح وأرضى ..." (١) . فبهذين الجوابين أجاب الإمام الشَّعراوي عن الحديث ، وهما بلا شكّ محتملان ، والله أعلم .

رَابِعَاً : أنَّ الحديث من أخبار الآحاد ، وأخبار الآحاد ليست حجَّة في العقيدة ، على ما ذهب إليه جمهور الأصوليين ، منهم: الباقلَّاني ، الخطيب البغدادي ، ابن فورك ، الغزالي ، القاضي عبد الجبَّار ، الرَّازي ، البيهقي ، الكرماني ، القاسمي ، النَّووي ، الكاساني ، ابن عبد البرّ ، عبد القاهر البغدادي ، وغيرهم كثير (٢) ...

أمَّا ما ذكره السيوطي في الحاوي (٢/ ٢٢٦) عند روايته لهذا الحديث من طريق معمر عن ثابت وقوله بأنَّ معمراً أثبت من حمَّاد وأنَّ حمَّاداً تكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مناكير ذكروا أن ربيبه (ابن أبي العوجاء) دسَّها في كتبه ... فالحق أن حماد بن سلمة أوثق أصحاب ثابت على الإطلاق بإجماع أهل الجرح والتعديل ، قال ابن رجب الحنبلي في شرح علل الترمذي (٢/ ٦٩٠-٦٩١) : حكى مسلم في كتاب " التمييز " إجماع أهل المعرفة على أن حماد بن سلمة أثبت النَّاس في ثابت ، وأمَّا معمر فهو على إمامته إلا أن له عن ثابت غرائب ومناكير ، قال علي بن المديني : وفي أحاديث معمر عن ثابت أحاديث غرائب ومنكرة ، وقال العقيلي : أنكرهم رواية عن ثابت عن معمر ، وقال ابن معين : حديث معمر عن ثابت مضطرب كثير الأوهام . وأما دعوى أن حماداً كان له ربيب يدسُّ في كتبه فهي دعوى لا تصح ، انفرد بروايتها أبو عبد الله بن الثلجي الكذاب ، كما قال ابن عدي في الكامل (٢/ ٦٧٦) .

(١) انظر : عصمة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص٩٩-١٠٠) .

(٢) انظر : الفرق بين الفرق (ص٣٢٥) ، المستصفى (١/ ١٤٢) ، شرح الكوكب المنير (٢/ ٣٥١) ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (٢/ ١٢٣) ، الإحكام ، الآمدي (٢/ ٣٢ فما بعدها) ، شرح العضد على ابن الحاجب (٢/ ٥٦) ، نهاية السول في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول (١/ ٢٣) ، (٢/ ٣٧٥) ، أساس التقديس (ص١٩٢) ، الأسماء والصفات (ص٤٥٠) .

ونسبهُ جماعة إلى الأكثر من أهل الأصول [1] ...

كما نسبه ابن حزم إلى الحنفيَّة والشَّافعيَّة وجمهور المالكيَّة ، وإلى جميع المعتزلة [2] .

خَامِسَاً : أنَّ المقصود بالأب هنا العمّ ، وقد ورد تسمية العمّ أباً في كتاب الله ، قال تعالى في قصَّة يعقوب : **﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** [البقرة: ١٣٣] ، فإسماعيل لم يكن من آبائهم ، وإنَّما كان عمّهم ، كما هو معلوم ...

قال الألوسي: " وقدَّم إِسْماعِيلَ في الذكر على إِسْحاقَ لكونه أسنّ منه وعدّه من آباء يعقوب مع أنَّه عمّه تغليباً للأكثر على الأقل أو لأنَّه شبَّه العمّ بالأب لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوَّة ، فأطلق عليه لفظه ، ويؤيِّده ما أخرجه الشَّيخان " عمُّ الرَّجل صنو أبيه " [3] .

وحينئذ يكون المراد- بآبائك- ما يطلق عليه اللفظ كيلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز ، والآية على حدِّ ما أخرجه ابن أبي شيبة وغيره من قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : "احفظوني في العبَّاس فإنَّه بقيَّة آبائي " [4] .

وعليه ، فالمقصود بالأب الوارد في الحديث إنَّما هو عمّه ...

الحَدِيْثُ الثَّانِي : روى مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : زَارَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ ، فَقَالَ: " اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي ، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ " [5] .

قالوا: ومنعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الاستغفار لأمّه دليل على أنَّها ماتت كافرة ...

والجواب عن هذا الحديث بالآتي :

---

[1] انظر : المعتمد في أصول الفقه (٢/ ٥٥٦) ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (٢/ ١٢٣) .

[2] انظر : الإحكام في أصول الأحكام (١/ ١٠٧) ، إرشاد الفحول (ص٤٨) ، المسودة في أصول الفقه (ص٢٤٧-٢٤٨) .

[3] أخرجه مسلم (٢/ ٦٧٦) .

[4] انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٣٨٨) ، والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٢٨٢ برقم ٤٢٠٩) ، الروض الداني (المعجم الصغير) (١/ ٣٤٤ برقم ٥٧٢) ، ابن أبي شيبة في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (٦/ ٣٨٢ برقم ٣٢٢١٢).

[5] أخرجه مسلم (٢/ ٦٧١ برقم ٩٧٦) .

أ- في سند الحديث : يزيد بن كيسان اليشكري ، أبو إسماعيل ، ويقال : أبو منين الكوفي . ويزيد هذا ثقة ، وثَّقه ابن معين ، والنَّسائي ، وأحمد ، والدَّارقطني ، لكن تكلَّم فيه غير واحد .

قال علي بن المديني عن القطَّان عن صالح : وسط ليس هو ممَّن يعتمد عليه .

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : يُكتب حديثه ، محلّه الصِّدق ، صالح الحديث . قلت : يحتجّ بحديثه ؟ قال : بعض ما يأتي به صحيح وبعض لا . وقال ابن حبَّان في الثِّقات : كان يخطئ ويخالف لم يفحش خطؤه حتى يعدل به عن سبيل العدول ولا أتى بمناكير فهو مقبول إلَّا ما يعلم أنَّه أخطأ فيه فيترك خطؤه كغيره من الثِّقات ، وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالحافظ عندهم (١) .

وقال أبو حاتم : لا يحتجُّ به (٢) .

وعليه، فيزيد بن كيسان مع كونه ثقة إلَّا أنَّه يخطئ من غير تعمّد ، وفي حالة خطئه لا بدَّ أن يترك حديثه ، حاله في هذا كحال بقيَّة الثِّقات الذين تُطرح رواياتهم في حال الخطأ ، تماماً كما في هذه الرِّواية ، خاصَّة وأنَّها تعارض منطوق قول الله تعالى : **﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** [الإسراء: ١٥] .

وللحديث طريق ثانية من رواية عبد الله بن مسعود (٣) .

وفيها : أيُّوب بن هانئ : قال ابن معين : ضعيف ، وقال ابن عدي : لا أعرفه ، وقال أبو حاتم ، شيخ صالح . وقال ابن حجر : صدوق فيه لين (٤) .

وللحديث ، طريق ثالثة من رواية سليمان بن بريدة عن أبيه ، فذكره (٥) .

وفي سنده محمَّد بن الحسين القطَّان : قال الإسماعيلي: سمعت عبد الله بن ناجية يكذبه يقول : روى عن سلمان بن توبة ، وقد مات قبل أن يسمع منه .

وروى عنه ابن عَدِي عدَّة أحاديث يخالف في أسانيدها .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَاكِمُ : أَحضَرُونِي مَجْلِسَه غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَلَمْ يَصِحَّ لِي عَنْهُ شَيْء (١) .

---

(١) انظر : تهذيب التهذيب (١١/ ٣٥٦) ، التاريخ الكبير (٨/ ٣٥٤) .

(٢) انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٤/ ٤٣٩) .

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (١/ ١٩٠) ، ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٣٤١) .

(٤) انظر : تهذيب التهذيب (١/ ٤١٤) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣/ ٥٠١) .

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (١/ ١٨٩) ، ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٣٤١) .

ب- " أنَّ الاستغفار فرع على المؤاخذة على الذَّنب ، ومن لم تبلغه الدَّعوة لم يذنب حتى يؤاخذ على ذنبه ، فلا حاجة إلى الاستغفار له من ذنب لم يفعله ولن يؤآخذه الله عليه ، فيقع الاستغفار آنئذ لغواً ، وليس من شأن الأنبياء اللغو .

ج- أنَّ أهل بيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنهم أمُّه لا يدخلون النَّار ، لما أخرجه ابن جرير عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في آية: **﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾** [الضحى: ٥] ، قال : من رضا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألَّا يدخل أحد من أهل بيته النَّار " (٢) .

د- وممَّا يؤكد نجاة أمِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رواه أبو نعيم الأصبهاني في كتاب " دلائل النُّبوَّة " عن أمّ سماعة بنت أبي رُهْم ، عن أُمها قالت : شهدت آمنة بنت وهب في علَّتها التي ماتت فيها ومحمَّد غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثمَّ قالت :

بـــــارك الله فيك من غلام   يا ابن الذي من حومـــة الحِمام

نجا بعــــــون الملك المِنعام   فُودِي غداة الضرب بالسهام

بمـــــائة من إبل سوام   إن صحَّ ما أبصرتُ في منامي

فأنت مبعـــــوث إلى الأنام   من عند ذي الجلال والإكرام

تُبعث في الحلِّ وفي الحــــرام   تبعث بالتحقيـــق والإسلام

دين أبيك البَرِّ إبراهــــام   تبعثُ بالتخفيـــف والإسلام

أن لا تواليهــــــا مع الأقوام   فاللهُ أنهاك عن الأصنــــــام

ثمَّ قالت : كلّ حيّ ميِّت ، وكلّ جديد بال ، وكلّ كبير يفنى ، وأنا ميِّتة وذكري باقي ، وقد تركت خيراً ، وولدت طهراً ، ثمَّ ماتت (٣) ...

فهذا الكلام من أُمِّه رضي الله عنها يدلُ على إيمانها وتوحيدها ، وقد نقل هذا الكلام أغلب أصحاب السِّيرة النَّبويَّة .

---

(١) انظر : لسان الميزان (٧/ ٨٧) ، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣١٩) .

(٢) انظر : عصمة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص٩٧-٩٨) ، والأثر أخرجه الطَّبري في التفسير (٢٤/ ٤٨٧) ، ابن كثير في التفسير (٨٨/ ٤٢٦) .

(٣) انظر : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ١٦٤-١٦٥) .

قال الإمام السُّيوطي بعد نقله الأبيات السَّابقة : " فَأَنْتَ تَرَى هَذَا الْكَلَامَ مِنْهَا صَرِيحاً فِي النَّهْيِ عَنْ مُوَالَاةِ الْأَصْنَامِ مَعَ الْأَقْوَامِ ، وَالِاعْتِرَافِ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ ، وَيُبْعَثُ وَلَدُهَا إِلَى الْأَنَامِ مِنْ عِنْدِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بِالْإِسْلَامِ .

وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ مُنَافِيَةٌ لِلشِّرْكِ ، وَقَوْلُهَا : تُبْعَثُ بِالتَّحْقِيقِ ، كَذَا هُوَ فِي النُّسْخَةِ ، وَعِنْدِي أَنَّهُ تَصْحِيفٌ وَإِنَّمَا هُوَ بِالتَّخْفِيفِ ، ثمَّ إِنِّي اسْتَقْرَأْتُ أُمَّهَاتِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - فَوَجَدْتُهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ؛ فأم إسحاق ، وَمُوسَى ، وَهَرُونَ ، وَعِيسَى ، وحواء أم شيث مَذْكُورَاتٌ فِي الْقُرْآنِ ، بَلْ قِيلَ بِنُبُوَّتِهِنَّ ، وَوَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ بِإِيمَانِ هاجر أم إسماعيل ، وأم يعقوب ، وَأُمَّهَاتِ أَوْلَادِهِ ، وأم داود ، وَسُلَيْمَانَ، وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَى ، وَشَمْوِيلَ ، وَشَمْعُونَ ، وَذِي الْكِفْلِ ، وَنَصَّ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى إِيمَانِ أم نوح ، وأم إبراهيم ، وَرَجَّحَهُ أبو حيان فِي تَفْسِيرِهِ ...

فَأُمَّهَاتُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كُلُّهُنَّ مُؤْمِنَاتٌ ... فَكَذَلِكَ أُمُّ النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " (١) .

أمَّا ما ورد في بعض الرِّوايات من أنَّ السَّبب في نزول قوله تعالى: **﴿مَا كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾** [التوبة: ١١٣] حتى ختم الآية : **﴿وَما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾** [التوبة: ١١٤] ، أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يستغفر لأمِّه فمُنع من ذلك ...

فإضافة إلى كون الحديث ضعيف ، فقد تباينت أقوال العلماء في سبب نزول الآية وتأويلها ، على أقوال :

القَوْلُ الأَوَّلُ : أنَّها نزلت في شأن أبي طالب عمّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يستغفر له بعد موته ، فنهاه الله عن ذلك .

القَوْلُ الثَّانِي : أنَّها نزلت في أُم الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذلك أنَّه أراد أن يستغفر لها فمنع من ذلك .

---

(١) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٦٩-٢٧٠) .

القَوْلُ الثَّالِثُ : أنّها نزلت من أجل أنَّ قوماً من أهل الإيهان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين ، فنهوا عن ذلك .

القَوْلُ الرَّابِعُ : أنَّ الاستغفار في هذا الموضع بمعنى الصَّلاة ...

القَوْلُ الخَامِسُ : أنَّ الاستغفار في هذا الموضع بمعنى الدُّعاء [١]...

فأقوال العلماء في سبب الآية متضاربة ، وكلّ ما تطرَّق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال ، هذا علاوة على أنَّ الحديث المرفوع الوارد في ذلك فيه مقال .

يُضـــاف لما سبق أنَّ الحديث من أخبار الآحاد التي لا يحتجُّ بها في العقــائد ، كما تقدَّم عن جمهور الأصوليين ...

الحَدِيْثُ الثَّالِثُ : روى البزّار بسنده عَن ابْنِ بُرَيدة ، عَن أَبيهِ ، رَضِي اللهُ عَنْهُ ، قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِوَدَّانَ ، أَوْ بِالْقُبُورِ ، سَأَلَ الشَّفَاعَةَ لأُمِّه ، أَحْسَبُهُ قَالَ : فَضَرَبَ جبريلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ ، وَقال : لا تَسْتَغْفِرْ لِمَنْ مَاتَ مُشْرِكاً ، فَرَجَعَ ، وهُو حزينٌ [٢] .

والحديث ضعيف ، في سنده محمَّد بن جابر اليمامي السّحمي : ضعَّفه ابن معين ، والنَّسائي .

وقال البخاري : ليس بالقوي .

وقال أبو حاتم : ساء حفظه في الآخر ، وذهبت كتبه .

قلت : وأضرّ .

وقال أحمد : لا يحدِّث عنه إلَّا شرٌّ منه .

وقال ابن حبَّان : كان أعمى يلحق في كتبه ما ليس من حديثه ويسرق ، وما ذكر به فيحدث به [٣] .

ذكر ابن جرير في سبب نزول قوله تعالى : **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ﴾** [البقرة: ١١٩] ، قَال : قَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ : **﴿وَلَا تَسْأَلْ﴾** جَزْماً بِمَعْنَى النَّهْيِ

---

[١] انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٤/ ٥٠٩ فما بعدها) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٤/ ٢٢١ فما بعدها) ، الدر المنثور (٤/ ٣٠٠ فما بعدها) ، أسباب النزول (ص١٧٧-١٧٨) .

[٢] أخرجه البزار في المسند (١٠/ ٣٢٦ برقم ٤٤٥٣ ، وقال : وَلا نَعْلَمُ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ بِهَذَا الإِسْنَادِ إلاَّ محمَّد بْنُ جَابِرٍ) .

[٣] انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣/ ٤٩٦) .

مَفْتُوحَ التَّاءِ مِنْ تَسْأَلْ ، وَجَزْمِ اللَّامِ مِنْهَا . وَمَعْنَى ذَلِكَ عَلَى قِرَاءَةِ هَؤُلَاءِ : إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً لَتُبَلِّغَ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ ، لَا لِتَسْأَلَ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حَالِهِمْ .

وَتَأَوَّلَ الَّذِينَ قَرَءُوا هَذِهِ الْقِرَاءَةَ مَا حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ ، عَنْ محمَّد بْنِ كَعْب ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ أَبَوَايَ " . «فَنَزَلَتْ **﴿وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾** " (١) . والأثر كما قال السُّيوطي مرسل ضعيف الإسناد ، في سنده : الحسن بن يحيى ، قال النَّسائي : لا شيء ، خفيف الدِّماغ (٢) .

وفي السَّند أيضاً : موسى بن عبيدة الرّبذي : قال أحمد : لا يكتب حديثه ، وقال النَّسائي وغيره : ضعيف ، وقال ابن عدي : الضَّعف على رواياته بيِّن ، وقال ابن معين : ليس شيء ، وقال مرَّة : لا يحتجُّ بحديثه ، وقال يحيى بن سعيد : كنا نتَّقي حديثه ، وقال ابن سعد : ثقة ، وليس بحجَّة ، وقال : يعقوب بن شيبة : صدوق ضعيف الحديث جدَّاً (٣) .

الحَدِيْثُ الرَّابِعُ : روى أحمد وغيره بسندهم عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : جَاءَ ابْنَا مُلَيْكَةَ إِلَى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَا : إِنَّ أُمَّنَا كَانَتْ تُكْرِمُ الزَّوْجَ ، وَتَعْطِفُ عَلَى الْوَلَدِ ، - قَالَ : وَذَكَرَ الضَّيْفَ - غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ وَأَدَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . قَالَ : " أُمُّكُمَا فِي النَّارِ " ، فَأَدْبَرَا ، وَالشَّرُّ يُرَى فِي وُجُوهِهِمَا ، فَأَمَرَ بِهِمَا ، فَرُدَّا ، فَرَجَعَا وَالسُّرُورُ يُرَى فِي وُجُوهِهِمَا ، رَجِيَا أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ شَيْءٌ ، فَقَالَ : " أُمِّي مَعَ أُمِّكُمَا " (٤) .

---

(١) انظر : تفسير الطَّبري (٢/ ٤٨٠-٤٨١) ، الدر المنثور (١/ ٢٧١) .

(٢) انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (١/ ٥٢٥) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٦/ ٣٣٧) ، تهذيب التهذيب (٢/ ٣٢٥) .

(٣) انظر : تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٥٧-٣٥٨) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٤/ ٢١٣) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٣٢٨ برقم ٣٧٨٧) ، قال الأرنؤوط في تخريجه للمسند : " إسناده ضعيف لضعف عثمان - وهو ابن عمير البجلي أبو اليقظان - ، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح غير سعيد بن زيد - وهو ابن درهم الأزدي أخو حماد بن زيد - فمختلف فيه . عارِم بن الفضل : هو محمَّد بن الفضل السدوسي ، وعارم لقبه ، وإبراهيم : هو ابن يزيد النخعي ، وعلقمة : هو ابن قيس النخعي ، والأسود : هو ابن يزيد النخعي

وأخرجه البزار (٣٤٧٨) " زوائد "، والطبراني في " الكبير " (١٠٠١٧) من طريق عارم - شيخ أحمد - ، بهذا الإسناد . قال البزار : لا نعلمه يروى بهذا اللفظ من حديث علقمة عن عبد الله إلَّا من هذا الوجه . وقد روى الصعْق بن حزْن عن علي بن الحكم ، عن عثمان بن عمير ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، وأحسب أن الصعق غلط في هذا الإسناد.

والحديث ضعيف ، في سنده : عثمان بن عمير ، قال الذَّهبي: ضعَّفوه ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقال النَّسائي: ليس بالقوي ، وقال الدَّارقطني وغيره : ضعيف . وقال أحمد بن حنبل : ضعيف الحديث ، وقال ابن عدي : ردئ المذهب ، وقال ابن أبي حاتم : ضعيف ، سألت أبي عنه ، فقال : ضعيف الحديث مُنكر الحديث ، كان شعبة لا يرضاه (١) .

قلت : ونظراً لجلاء المسألة ووضوحها وإطباق المنصفين المُخبتين على التَّصريح بنجاة أبوي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد أُلِّفت في نجاتهما العديد من المؤلَّفات ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

(١) الانتصار لوالدي النَّبي المختار (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم) ، للسيِّد مرتضى الزَّبيدي .

(٢) إرشاد الغبي في إسلام آباء النَّبي ، تأليف أحد علماء الهند ، كما في كشف الظُّنون .

(٣) تحقيق آمال الرَّاجين في أنَّ والديّ المصطفى من النَّاجين ، لابن الجزاز .

(٤) التَّعظيم والمنَّة في أنَّ أبويّ المصطفى في الجنَّة ، للإمام السُّيوطي .

(٥) حديقة الصَّفا في والدي المصطفى ، للإمام السيِّد مرتضى الزَّبيدي .

(٦) الدَّرجة المنيفة في الآباء الشَّريفة ، للإمام السُّيوطي .

(٧) ذخائر العابدين في نجاة والد المكرَّم سيِّد المرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، للأسبيري .

(٨) مرشد الهدى في نجاة أبوي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، للرُّومي .

قلنا: من طريق الصعْق بالإسناد المذكور أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٠٠١٨) ، والحاكم ٢/ ٣٦٤-٣٦٥، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وعثمان بن عمير هو أبو اليقظان ، فتعقبه الذهبي بقوله : لا والله ، فعثمان ضعفه الدارقطني ، والباقون ثقات .

وأورده الهيثمي في "المجمع" ١٠/ ٣٦١-٣٦٢ ، وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني ، وفي أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير، وهو ضعيف .

قال السندي : وأدت، بهمزة ، والوأد : دفن البنات حية ، ومنه قوله تعالى : (وإذا الموؤودة سئِلت) [التكوير: ٨] .

والشر : أي : الحزن والغم .

أمي مع أمكما : أجاب عنه السيوطي بأنه حديث ضعيف ، أي لأن عثمان بن عمر ضعفه الدارقطني .

وبأنه ليس فيه أن أمه في النار ، فيحتمل المعية في البرزخ ، معناه : أن أمي في القبر كأمكما ، والحامل على التعبير به والتورية دفع الفتنة عن السائل .

وبأنه قاله قبل أن يخبر فيها أنها في الجنة ، وذلك لما في آخر الحديث أنه : ما سألتها ربي ، فهذا يدل على أنه لم يكن وقعت بعد بينه وبين ربه مراجعة في أمرها ، ثمَّ وقعت بعد ذلك. انتهى .

ونحن نطأ عقبيه: أي : نتبعه في الدِّين ، أو في المشي خلفه ، والثاني خلاف ا لمعلوم في عاداته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣/ ٥٠) ، تهذيب التهذيب (٧/ ١٤٥).

(٩) مسالك الحنفا في والدي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، للإمام السُّيوطي .
(١٠) مطلع النيِّرين في إثبات نجاة أبوي سيِّد الكونين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، للمنيني .
(١١) نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشَّريفين ، للإمام السُّيوطي .
(١٢) هدايا الكرام في تنزيه آباء النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، للبديعي .
(١٣) أمَّهات النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، للمدائني .
(١٤) الأنوار النَّبويَّة في آباء خير البريَّة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، للرّفيعي الأندلسي .
(١٥) بلوغ المآرب في نجاة أبوي المصطفى وعمّه أبي طالب ، للأزهري اللاذقي
(١٦) بلوغ المرام في آباء النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام ، لإدريس بن محفوظ .
(١٧) تأديب المتمرِّدين في حقِّ الأبوين ، لعبد الأحد بن مصطفى الكتاهي السّيواسي.
(١٨) الرَّدّ على من اقتحم القدح في الأبوين الكريمين ، للبخشي .
(١٩) سَدَاد الدِّين و سِدَاد الدِّين في إثبات النَّجاة والدَّرجات للوالدين ، السيِّد محمَّد بن رسول البرزنجي .
(٢٠) قرَّة العين في إيمان الوالدين ، للدويخي
(٢١) القول المختار فيما يتعلق بأبوي النَّبي المختار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، للدّيربي .
(٢٢) المقامة السُّندسيَّة في الآباء الشَّريفة المصطفويَّة ، للإمام السيُّوطي .
(٢٣) الجواهر المضيّة في حقِّ أبوي خير البريَّة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، للتمرتاشي .
(٢٤) سبيل السَّلام في حكم آباء سيد الأنام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، لمحمد بن عمر بالي .
(٢٥) أخبار آباء النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، للكوفي ذريعه .
(٢٦) أنباء الأصفيا في حق آباء المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، للرُّومي الأماسي .
(٢٧) تحفة الصَّفا فيما يتعلَّق بأبوي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، للغنيمي .
(٢٨) رسالة في أبوي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، للفناري .
(٢٩) سبيل النَّجاة ، للسُّيوطي .
(٣٠) آباء النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، لابن عمَّار .

(٣١) السَّيف المسلول في القطع بنجاة أبوي الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، لأحمد الشّهرزوري .

(٣٢) خلاصة الوفا في طهارة أصول المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم من الشِّرك والجفا ، لمحمد بن يحي الطَّالب .

(٣٣) مباهج السُّنَّة في كون أبوي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم في الجنَّة ، لابن طولون.

(٣٤) سعادة الدَّارين بنجاة الأبوين ، محمَّد علي بن حسين المالكي .

(٣٥) القول المسدَّد في نجاة والدي سيّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، محمَّد بن عبد الرَّحمن الأهدل .

(٣٦) نخبة الأفكار في تنجية والديّ المختار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، لمحمد بن السيِّد إسماعيل الحسني.

(٣٧) إيجاز الكلام في والدي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، لمحمد بن محمَّد التَّبريزي .

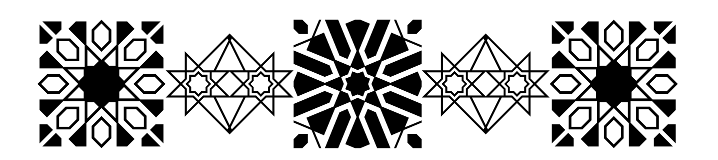
(٣٨) السُّبل الجليَّة في الآباء العليَّة ، للإمام السُّيوطي .

(٣٩) كنى آباء النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، لابن الكلبي .

(٤٠) أسماء أجداد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، للبرماوي .

(٤١) العقد المنظَّم في أمَّهات النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، للسيِّد مرتضى الزَّبيدي .

(٤٢) أمَّهات النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، لابن المديني [١] ...



---

[١] انظر : موقع أحباب الكلتاوية ، مقال بعنوان : كتب ألفت في نجاة والدي المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

المَبْحَثُ الثَّامِنُ

هَدَمُوا الآثَارِ المُتعَلِّقَة بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من المعلوم أنَّ الآثار النَّبويَّة أساس مهمٌّ في دراسة السِّيرة النَّبويَّة على وجه الخصوص والتَّاريخ الإسلامي على وجه العموم ، ورحم الله الشَّريف الرضيَّ؛ القائل في قصيدة " قَرِّبُوهنّ ليُبْعِدْنَ المَغَارَا " :

تَصِفُ الدَّارُ لنـــــا قُطَّانَها المعالي والمســـــاعي والنِّجَارَا

وإذا لمْ تَدرِ ما قَـــــومٌ مَضوا فَسَل الآثـــارَ واستَنْب الدِّيارا

وتنبعُ اهميَّة وجود الآثار للدَّارسين في كونها سبيلاً لتوطيد وربط العلاقة بين الحاضر والمستقبل، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش حاضره منفصلاً عن ماضيه، لأنَّ الماضي المُشرق لا بدَّ وأن يكون للحاضر نوراً يضيء العتمات ويبدِّد غياهب الظَّلام ... فكيف إذا كان الماضي سيرة أعظم مخلوق جعله الله تعالى أسوة حسنة للخلائق جميعا ؟!! قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب:٢١] . قال ابن كثير: " هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ " (١) .

فآثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي بمثابة سيرة حيَّة نابضة ماثلة للعيان تراها الخلائق مهما تعاقب الليل والنَّهار ، وهي مشتملة على وقائع حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من ميلاده وطفولته وشبابه، وبداية بعثته وأخلاقه ... حتى التحق بالرَّفيق الأعلى ...

ودراسة الآثار النَّبويَّة فيها الكثير من الفوائد العظيمة، والمنافع المتعدِّدة، التي ينبغي التعرُّف عليها والاستفادة منها، ومن أعظم تلك الفوائد :

أَوَّلاً : الاقْتِدَاءُ وَالتَّأَسِّي وَتَحْصِيلُ الدُّرُوْس وَالعِبَر:

فوجود الآثار النَّبويَّة سبيل أقوم وأمثل لتحقيق التَّأسِّي والاقتداء ... لأنَّها باعث للزُّهد وعدم الرُّكون للدُّنيا ، وسبيل أقوم وأمثل للانصراف للآخرة والعمل لها ، ولذلك لَمَّا جاء الأمر بتوسعة المسجد النَّبوي من عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز والي المدينة المنوَّرة ، حزن أبو سعيد الخدري بسبب ذلك وتمنَّى أن لو بقيت لأنَّ بقائها أدعى للزُّهد والتَّقلُّل من الدُّنيا ... قال صاحب " الطَّبقات " ، قال : " سَمِعْتُ عَطَاءً الْخُرَاسَانِيَّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ عُمَرُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ يَقُولُ وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ الْقَبْرِ

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٩١) .

وَالْمِنْبَرِ : أَدْرَكْتُ حُجَرَ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ عَلَى أَبْوَابِهَا الْمُسُوحُ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ . فَحَضَرْتُ كِتَابَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يُقْرَأُ يَأْمُرُ بِإِدْخَالِ حُجَرِ أَزْوَاجِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا رَأَيْتُ أَكْثَرَ بَاكِياً مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

قَالَ عَطَاءٌ : فَسَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ : وَاللهَّ لَوَدِدْتُ أَنَّهم تَرَكُوهَا عَلَى حَالِهَا يَنْشَأُ نَاشِئٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَيَقْدَمُ الْقَادِمُ مِنَ الأُفُقِ فَيَرَى مَا اكْتَفَى بِهِ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَيَاتِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا يُزَهِّدُ النَّاس فِي التَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ " (١) .

وما ذلك إلَّا بسبب ما كانت عليه حجرات أمَّهات المؤمنين من بساطة ... جاء في الرَّدِّ على الأخنائي لابن تيمية : " قال أبو زيد: حدَّثني هارون بن معروف ، حدَّثنا ضمرة بن ربيعة عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن سعيد بن المسيّب قال: وددت لو تركوا لنا مسجد نبيِّنا على حاله وبيوت أزواجه رضي الله عنهنَّ ومنبره ليقدم القادم فيعتبر.

قال ابن عطاء عن أبيه: وكانت بيوت أزواج النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم الرَّجل فيمس سقف البيت، والحجرات سقف عليها المسوح.

قال أبو زيد: حدَّثنا محمَّد بن يحيى عن الواقدي عن عبد الله بن زيد الهذلي قال: رأيت بيوت أزواج النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين هدمها عمر بن عبد العزيز كانت باللبن ولها حجر من جريد مطرود بالطِّين، عددت تسعة أبيات بحجراتها، وهي ما بين بيت عائشة إلى الباب الذي يلي باب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى منزل أسماء بنت الحسن اليوم. ورأيت بيت أمِّ سلمة زوج النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحجرتها من لبن، فسألت ابن ابنها فقال: لَمَّا غزا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غزوة دومة الجندل بنت حجرتها بلبن، فلمَّا نظر إلى اللبن فدخل عليها أوَّل نسائه فقال (ما هذا البناء)؟ فقالت: أردت أن أكف أبصار النَّاس، فقال " يا أمَّ سلمة، إنَّ شر ما ذهبت فيه أموال النَّاس البنيان ".

قال الواقدي: فحدَّثت بهذا الحديث معاذ بن محمَّد الأنصاري فقال: سمعت عطاء الخراساني في مجلس فيه عمران بن أبي أنس يقول وهو بين القبر والمنبر: أدركت حجرات أزواج النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جريد على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد يقرأ، فأمر بإدخالها في المسجد، فما رأيت يومًا كان أكثر من ذلك اليوم باكيًا. فسمعت سعيد بن المسيب يقول: والله لوددت

---

(١) انظر : الطبقات الكبرى (١/ ٣٨٧) .

أنَّهم تركوها على حالها، ينشأ ناس من المدينة ويقدم قادم من الأفق، فيرى ما اكتنَّ به النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، فيكون ذلك ممَّا يزهد الناس في التَّكاثر والتَّفاخر.

قال: فلمَّا فرغ عطاء الخراساني من حديثه قال عمران بن أبي أنس: كان فيها أربعة أبيات بلبن له حجر من جريد، وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها على أبوابها مسوح الشَّعر، ذرعت السّتر فوجدته ثلاثة أذرع في ذراع وعظم الذِّراع. فأمَّا ما ذكرت من كثرة البكاء فلقد رأيتني وأنا في المسجد فيه نفر من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو سلمة بن عبد الرَّحمن وأبو أمامة ابن سهل بن حنيف وخارجة بن زيد وإنَّهم يبكون حتى أخضل الدَّمع لحاهم، وقال يومئذ أبو أمامة: ليتها تُركت حتى يقصر النَّاس عن البناء، ويرى النَّاس ما رضي الله لنبيِّه وخزائن الدُّنيا بيده " (١) .

فسعيد بن المسيّب عليه رحمة الله تعالى ما أنكر إدخال القبر إلى المسجد ، وإنَّما كان يرى إبقاء حجرات الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كي تكون سبيلاً للزُّهد والتَّقلُّل من الدُّنيا وزينتها ، مع العلم أنَّ من يزعمون السَّلفيَّة لم يُبقوا على أي أثر من آثار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا آثار الصَّحابة الكرام الذين أداروا ظهورهم للدنيا زاهدين متقلِّلين ، في الوقت الذي نرى فيه من يدَّعون السَّلفيَّة في بحار الدُّنيا المتلاطمة يسبحون ، وفي رغد من العيش يتنعَّمون ...

مع العلم أنَّ السَّلف الصَّالح دأبوا على قصد الصَّلاة في مسجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقصد التَّبرُّك برؤية روضته ومنبره وتحسُّس مواضع قدمية صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... فقد نقل القاضي عياض عن إسْحَاق بن إبْرَاهِيم الْفَقِيه – ابن راهويه – (٢٣٨هـ) قَالَ : " ومِمَّا لَمْ يَزَل من شَأْن من حَجّ الْمُرُور بالمَدِينَة وَالْقَصْد إلَى الصَّلاَة فِي مسجد رَسُول اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالتَّبَرُّك بِرُؤْيَة رَوْضَتِه ، وَمنْبَرِه ، وَقَبْرِه ، وَمَجْلِسِه ، وَمَلامِس يَدَيْه ، وَمَوَاطِئ قَدَمَيْه ، وَالعَمُود الذى كان يستند إلَيْه وَيَنْزِل جِبْرِيل بِالْوَحْي فِيه عَلَيْه وَبِمَن عمَّره وقصده مِن الصَّحَابَة وأئِمَّة الْمُسْلِمين والاعْتِبَار بِذَلِك كُلّه " (٢) .

ثَانِيَاً : التَّبرُّك بالآثار النَّبويَّة : وقد سبق الكلام على ذلـــك ... كما أنَّ للعبد الفقير كتاباً في هذه المسألة ...

---

(١) انظر : الإخنائية (أو الرد على الإخنائي) (ص٣١٩-٣٢٢) ، دار الخراز ، جدة .

(٢) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء (٢/ ٨٥) .

ثَالِثَاً : الْمُسَاهَمَةُ الْمُبَاشِرَةُ فِي دِرَاسَةِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّة : فدراسة الأماكن التَّاريخيَّة من مظانِّها تُعطي الباحث والدَّارس انطباعاً حيَّاً ومباشراً لكلِّ جزئيَّة في دراستهم ، كما تساعد على حلِّ الكثير من الإشكاليَّات التي قد تختفي باختفائها ، وبالتَّالي تتشكَّل صورة صادقة عن كلِّ مسألة من المسائل المراد بحثها ، وتكون نسبة الغلط أو الخطأ قليلة إذا ما قيست بعدم وجودها ...

ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ السَّلف والخلف على حدٍّ سواء حافظوا على الآثار النَّبويَّة وسائر الآثار الإسلاميَّة في مكَّة والمدينة وسائر بلاد المسلمين ، حتى وصل الأمر بالإمام مالك إلى المشي حافياً في مدينة رسول الله تأدُّباً معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكي لا تطأ نعله موضعاً داسه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... فقد جاء في " ترتيب المدارك وتقريب المسالك " : " قال الشَّافعي : رأيت بباب مالك كراعاً من أفراس خراسان وبغال مصر ، فقلت : ما أحسنها! فقال : هي هبة منِّي إليك.

فقلت : دع لنفسك منها دابَّة تركبها.

قال : أنا أستحي من الله أن أطأ تربة نبي الله بحافر دابَّة " (١) .

كما كان السَّلف الصَّالح حريصون على الحفاظ على كلِّ شيء يمتُّ بصلة للحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتَّبرُّك به ، فقدر روى الذَّهبي في " تاريخ الإسلام " ، قال : " قال أبو بَكْر الخَلَّال: أخبرني عصمة بْن عصام قال: حدَّثنا حنبل قال: أعطى بعض ولد الفضل بن الرَّبيع أَبَا عبد الله وهو فِي الحبس ثلاث شعرات فقال: هذه مِنْ شَعْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأوصى عند موته أن يجعل على كلِّ عين شعرة، وشعرة على لسانه. ففعل به ذلك عند موته " (٢) .

وعلى هذا السَّنن في الحفاظ على آثار النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء ما كان منها متعلِّقاً بذاته كشعره وريقه وأدواته وثيابه ...وكذا المواضع التي صلَّى فيها أو عاش فيها ، ولم يخالف في ذلك أحد من أهل العلم ... حتى جاء من يدَّعون الحرص على التَّوحيد من المتمسلفة الذين عاثوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد ، فطمسوا معالم أكثر الآثار النَبويَّة ، حتَّى أصبحت لا تمتُّ بأدنى صلة للتَّاريخ الإسلامي ، حيث استُبدلت بناطحات السَّحاب والفنادق الفاخرة ، ومواقف السيَّارات ، والحمَّامات ، ولم يسلم من تلك الآثار إلَّا ما تمَّ نقله إلى الآستانة من قِبَل الدَّولة العثمانيَّة ، مع العلم أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) انظر : ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢/ ٥٣) ، وانظر : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (/ ٤٣) .

(٢) انظر " تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٥/ ١٠٦٣) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٣٧) ، مناقب الإمام أحمد (ص٥٤٥) .

وَسَلَّمَ نهي عن هدم آطام المدينة ، فقد روى البزّار بسنده عَن ابْنِ عُمَر؛ أَن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَن آطَامِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُهْدَمَ (١) ، وجاء في رواية الطّحاوي : " لَا تَهْدِمُوا الْآطَامَ ، فَإِنَّهَا زِينَةُ الْمَدِينَةِ " (٢) ، والآطام هي الحصون ، قال الجوهري : " الأَطْمُ مثل الأَجْمِ، يُخَفَّفُ ويُثَقَّلُ، والجمع آطامٌ، وهي حصونٌ لأهل المدينة " (٣) ... ولكن لم يمتثل أحد لهذا التَّوجيه النَّبوي ، فأزيلت العديد العديد من المعالم التَّاريخيَّة بما في ذلك الأطُم التي تمثِّل تاريخ الأمَّة ...كـ : أُطُم الضَّحْيَان في منطقة العُصْبة ، وأُطُم بني واقف الذي كان موجوداً في منطقة جنوب شرق مسجد قباء ... واستُبدلت تلك المعالم التَّاريخيَّة والدِّينيَّة بـ : (الشِّيراتون) ، و(الماريوت) ، و(الهيلتون) ، و(الانتركونتنتال) ، و(دُبي) ، و(الأوبروي) ، و(ميايينيوم) ، و(موفنبيك) ، و(جولدن توليب) ، و(الرُّويال) ... ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله تعالى ...

ومن أهمِّ المعالم الأثريَّة والدِّينيَّة التي تمَّ هدمها :

أَوَّلاً : مسجد الفَضِيخ ويسمَّى أيضاً بمسجد الشَّمس : وهو الذي صلَّى فيه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثناء غزوة بني النَّضير : ويقع شمال مسجد قبا ، على شفير وادي بطحان ...

ثَانِيَاً : مسجد ثنيَّة الوداع : وهو أحد المساجد التي صلَّى فيها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة المنوَّرة، ويقع شمال المدينة المنوَّرة ، عند جبل سلع الذي أزيل مع المسجد ...

ثَالِثَاً : مسجد القرصة : يقع في الحرة الشَّرقيَّة ، وهو داخل مزرعة كانت لسعد بن معاذ رضي الله عنه، وكان عليه السَّلام يأتي دور الأنصار فيصلِّي في مساجدهم، وكان هذا واحداً منها.

قال السَّمهودي : " مسجد القرصة " لرزين عن يحيي بن أبي قتادة عن مشيخة قومه أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأتي دور الأنصار فيصلِّي في مساجدهم ، فصلَّى في مسجد القرصة ، والقرصة ضيعة لسعد بن معاذ . قال المراغي : لعلها القرصة المعروفة اليوم بطرف الحرَّة الشَّرقيَّة من جهة الشِّمال لقربها من بني عبد الأشهل رهط سعد غير أنَّ المسجد لا يعرف فيها اليوم . قلت رأيت بها على رابية قريب البئر أثر مسجد ، والله أعلم" (٤) ، وقد تمَّ هدمه ...

---

(١) أخرجه البزار في المسند (١٢/ ٢٣٠ برقم٥٩٥١) ، الطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ١٩٣ برقم ٦٣٢٢) .

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ١٩٤ برقم ٦٣٢٤) .

(٣) انظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ١٨٦٢) .

(٤) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (٢/ ٣٣٦-٣٣٧) .

رَابِعَـــاً : مَسْجِدُ بَنِي ظفر: من الأوس يقع شرقي البقيع على يمين شارع الملك عبدالعزيز .

خَامِسَاً : مَسْجِدُ بَنِي قُرِيْظَةَ : يقع على باب حديقة تعرف بحاجزة .

سَادِسَاً : مَسْجِدُ بَنِي جُهَيْنَةَ وَبلي : خطَّه الرَّسول بيده وصلَّى فيه أيضاً. ي يقع خلف مكتبة الملك عبدالعزيز غرب المسجد النَّبوي وخلف المدرسة النَّاصريَّة.

سَابِعَـاً : مَسْجِدُ عتبان بِن مَالِك : بقباء شمال مسجد الجمعة على ضفَّة وادي الرَّانوناء .

ثَامِنــاً : مصلَّى شعْب الجَرَار : وهو الذي صلَّى به الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معركة أُحُد قاعداً من الجراح ، وصلُّوا خلفه الصَّحابة قعوداً ، ويقع ملاصقاً لجبل أحد .

وهناك مساجد أخرى تمَّ هدمها ... مثل : مسجد أبي قبيس، ومسجد الكبش ، ومسجد الكوثر، ومسجد الجنّ ، ومسجد جبل النَّور ...

تَاسِعَاً : هَدْمُ البَيْت الذِي وُلِدَ فِيْهِ الحَبِيْبُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِب : ويقع في شرق السَّاحة الشَّرقيَّة للمسجد الحرام من جهة الصَّفا بسوق الليل ، قال الإمام الأزرقي : " حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، قَالَ: سَمِعْتُ جَدِّي وَيُوسُفَ بْنَ مُحَمَّدٍ، يُثْبِتَانِ أَمْرَ الْمَوْلِدِ، وَأَنَّهُ ذَلِكَ الْبَيْتُ، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ عِنْدَ أَهْـــلِ مَكَّةَ " [1] .

قال الإمام الطَّبري : " ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ عَامَ الْفِيلِ لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ، وَقِيلَ إِنَّهُ وُلِدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدَّارِ الَّتِي تُعْرَفُ بِدَارِ ابْنِ يُوسُفَ، وقيل: ان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَهَبَهَا لِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمْ تَزَلْ فِي يَدِ عَقِيلٍ حَتَّى تُوُفِّيَ، فَبَاعَهَا وَلَدُهُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ، أَخِي الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ، فَبَنَى دَارَهُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا دَارُ ابْنِ يُوسُفَ، وَأَدْخَلَ ذَلِكَ الْبَيْتَ فِي الدَّارِ، حَتَّى أَخْرَجَتْهُ الْخَيْزُرَانُ فَجَعَلَتْهُ مَسْجِدًا يُصَلَّى فِيهِ " [2] .

وتمَّ هدم هذا المسجد الذي بني مكـــــان البيت من قِبَل الوهَّابيّة سنة (١٩٥١هـ) ، وبُنيت مكانه مكتبة عامَّة ...

عَاشِرَاً : دَارُ سَعْدِ بن خَيْثَمَة : وهو أوَّل بيت نزله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند مجيئه المدينة المنوَّرة، وهو جنوب مسجد قباء قرابة عشرين متراً، وقد بنى النَّاس على أنقاضه مسجداً يعبدون الله فيه

---

(١) انظر : أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار (٢/ ١٩٩).

(٢) انظر : تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري) (٢/ ١٥٦) .

، قال السَّمهودي :" مسجد دار سعد بن خيثمة بقباء " نقل المطري عن أبن زبالة إنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلَّى في المسجد الذي في دار سعد بن خيثمة بقباء وجلس فيه ثمَّ ذكر المطري أشياء فيها مناقشة بينَّاها في الأصل ، وتقدَّم في مسجد قباء أنَّ دار سعد هذه تلي مسجد قباء في قبلته " [1] . وقد تمَّ هدمه في عام (١٩٨٧م) ، وأُقيم مكانه موقف للسيَّارات ...

حَادِيْ عَشَر : بَيْتُ أَبِي بَكْر الصِّدِّيْق : ويقع بمحلَّة المسفلة بمكَّة المكرَّمة ، والمسفلة هي " كلّ ما نزل عن المسجد الحرام " [2] .

ثَانِي عَشَر : بَيْتُ الأَرْقَم بن أَبِي الأَرْقَم : وهو البيت الذي اتَّخذه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكاناً للاجتماع بأصحابه في بداية الدَّعوة الإسلاميَّة ، وكان على جبل الصَّفا بالقرب من الكعبة المشرَّفة ، ومكانه الآن فوق أنفاق الصَّفا المؤدِّية إلى حي العزيزيَّة ، وقد أصبحت أثراً بعد عين ... وقد أسلم فيه عدد كبير من كبار الصَّحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطَّاب رضي الله عنهم جميعاً ...

ثَالِثُ عَشَر : بِئرُ أَرِيْس : قال ابن خلّكان : " بئر بالمدينة ثمَّ بقبا مقابل مسجدها، قال أحمد بن يحيى بن جابر:

نُسبت إلى أَرِيس رجل من المدينة من اليهود، عليها مال لعثمان بن عفان، رضي الله عنه، وفيها سقط خاتم النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من يد عثمان في السَّنة السَّادسة من خلافته، واجتهد في استخراجه بكلِّ ما وجد اليه سبيلاً فلم يوجد إلى هذه الغاية، فاستدلُّوا بعدمه على حادث في الإسلام عظيم، وقالوا:

إنَّ عثمان لما مال عن سيرة من كان قبله كان أوَّل ما عوقب به ذهاب خاتم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من يده، وقد كان قبله في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثمَّ في يد عثمان، رضي الله عنهم "[3] .

رَابِعُ عَشَر : بئرُ غَرْس: قال ابن خلِّكان : " جاء ذكرها في غير حديث وهي بقباء، وكان النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يستطيب ماءها ويبارك فيه وقال لعليّ، رضي الله عنه، حين حضرته الوفاة: إذا أنا متّ فاغسلني من ماء بئر غرس بسبع قرب، وقد ورد عنه، عليه الصَّلاة والسَّلام، أنَّه بصق فيها وقال:

---

(١) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (٢/ ٣٣٦) .

(٢) انظر : معجم البلدان (٥/ ١٨٧) .

(٣) انظر : معجم البلدان (١/ ٢٩٨) .

إنَّ فيها عيناً من عيون الجنَّة، وفي حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو قاعد على شفير غرس: رأيت الليلة كأني جالس على عين من عيون الجنَّة، يعني بئر غرس، وقال الواقدي: كانت منازل بني النَّضير ناحية الغرس وما والاها مقبرة بني حنظلة. ووادي الغرس: بين معدن النّقرة وفدك " (١) .

وقال ابن سعد : " أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ ، أَخْبَرَنَا عَاصِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَكَمِيُّ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نِعْمَ الْبِئْرُ بِئْرُ غَرْسٍ هِيَ مِنْ عُيُونِ الْجَنَّةِ وَمَاؤُهَا أَطْيَبُ الْمِيَاهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْتَعْذَبُ لَهُ مِنْهَا وَغُسِّلَ مِنْ بِئْرِ غَرْسٍ.

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ ، أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ رُقَيْشٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : جِئْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبَاءً فَانْتَهَى إِلَى بِئْرِ غَرْسٍ وَإِنَّهُ لَيَسْتَقِي مِنْهَا عَلَى حِمَارٍ ثُمَّ نَقُومُ عَامَّةَ النَّهَارِ مَا نَجِدُ فِيهَا مَاءً فَمَضْمَضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدَّلْوِ وَرَدَّهُ فِيهَا فَجَاشَتْ بِالرَّوَاءِ. " (٢) .

خَامِسُ عَشَر : هَدْمُ بَقِيْع الغَرْقَد : وقد تمَّ هدمه على دفعتين : الدّفعة الأولى كانت في عام (١٢٢٠هـ) ثمَّ أعيد ترميمه ثانية على يد العثمانيين بعد دحر الوهَّابيَّة ... وبعد أن استولى الوهَّابيَّة مرَّة ثانية على المدينة المنوَّرة أجبروا المشايخ والمفتين على الفتيا بهدمه فهُدم ، وحصل ذلك في عام (١٣٤٤هـ) ، حيث اختلط الحابل بالنَّابل فما عاد النَّاس يعرفون أصحاب القبور ، بل طمست أماكن القبور بالكليَّة ...

ومن أهمِّ القباب التي تمَّ هدمها في البقيع : قبَّة السيِّدة فاطمة الزَّهراء بنت محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقبَّة أزواج النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقبَّة عمَّات النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقبَّة مرقد الصَّحابي الجليل أبي سعيد الخدري ، وقبَّة مرقد السيِّدة حليمة السَّعديَّة مرضعة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقبَّة الحسن السِّبط، وقبَّة زين العابدين، وقبَّة محمَّد الباقر، وقبَّة جعفر الصَّادق ، وقبَّة العبَّاس ابن عبد المطَّلب عمّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

سَادِسُ عَشَر : العزم على هدم قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

---

(١) انظر : معجم البلدان (٤/ ١٩٣) .

(٢) انظر : انظر : الطبقات الكبير (١/ ٤٣٣-٤٣٤) .

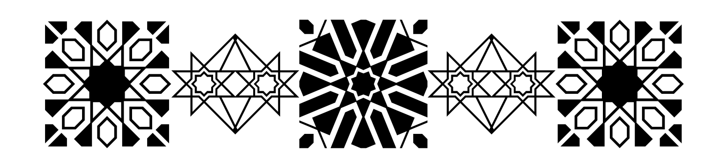
فلم يكتف الوهَّابيُّون بما صنعوه من قتل ونهب وسلب وهدم للتُّراث الإسلامي وللآثار النَّبويَّة ... بل عمدوا إلى محاولة هدم قبر الرَّسول الأعظم محمَّد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبَّته ، بعد أن صرَّح وأفتى علماؤهم بوجوب هدمها ... وقد تكلَّمنا سابقاً عن ذلك ... مع العلم أنَّه لا يوجد مانعٌ شرعيٌّ يمنع من وجود قبَّة على قبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!!! ... فأيُّ ابتداع في الدِّين يعنيه وجود القبَّة فوق قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!!! وما هي المضارّ المترتِّبة على وجود القُبَّة ؟!!

مع العلم أنَّ الأمر عندهم لم يقف عند وجود قبَّة فوق قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل تعدَّى إلى المطالبة بإخراج القبر الشَّريف خارج المسجد ... فقد صرَّح الألبانيُّ بأنَّ من البدع المذمومة في زماننا : إبقاء قبر النَّبي في مسجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) .

ومن المفارقات العجيبة في هذا الباب أنَّ الوهَّابيَّة في الوقت الذي فيه هدموا ودمَّروا الآثار النَّبويَّة والإسلاميَّة ، حافظوا على آثار مؤسِّس نِحلتهم : محمَّد بن عبد الوهَّاب ، وقاموا بترميم ما تأثَّر منها بسبب عوامل الزَّمن ... كبيت الشَّيخ الأوَّل ، بيت الشَّيخ الثَّاني ، ومسجد الشَّيخ الأوَّل ، مسجد الشَّيخ الثَّاني ، وتكيَّة الشَّيخ بعد الضُّحى ، تكيَّة الشَّيخ بعد العصر ، تكيَّة الشَّيخ قبل أن ينام ...

كما تجد ألواناً من الزِّينة والعناية والاهتمام منقطع النَّظير لجلب انتباه الزَّائر ...

وفي مدينة عنيزة أقاموا متحفاً للشَّيخ ابن عثيمين ، حوى العديد من مقتنياته ومتعلَّقاته ... مثل : نظَّارات قراءة استخدمها الشَّيخ ، آخر قلم استخدمه الشَّيخ ... كما عمدوا إلى المحافظة على جميع الآثار اليهوديَّة في الجزيرة العربيَّة وأحاطوها بالحماية اللازمة ... فيا للعار والشَّنار ...



(١) انظر : مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسُّنَّة وآثار السلف وسرد ما ألحق النَّاس بها من البدع (ص٦٠) .

المَبْحَثُ التَّاسِعُ

مَنَعُوا تَسْوِيْدُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّشَهُّد فِي الصَّلَاة

السيِّد هو الْفَاضِلِ والْمالِكِ وَالْحَكِيمِ ورئِيسِ القوم وَالْمُقَدَّمِ عندهم ...

قال ابن فارس : " فَأَمَّا السِّيَادَةُ فَقَالَ قَوْمٌ: السَّيِّدُ: الْحَلِيمُ. وَأَنْكَرَ نَاسٌ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنَ الْحِلْمِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا سُمِّيَ سَيِّدًا لِأَنَّ النَّاسَ يَلْتَجِئُونَ إِلَى سَوَادِهِ. وَهَذَا أَقْيَسُ مِنَ الْأَوَّلِ وَأَصَحُّ. وَيُقَالُ فُلَانٌ أَسْوَدُ مِنْ فُلَانٍ، أَيْ أَعْلَى سِيَادَةً مِنْهُ " (١) .

وقال الزَّبيدي : " السِّيَادةُ : الشرفُ، يُقَال : سَاد يَسُود سُوداً، وسُؤْدُداً وسِيادَةً، وسَيْدُودَةً، هاذِه قد ذَكَرَها الجوهريُّ وَغَيره.

وَفِي الْمِصْبَاح: سادَ يَسُودُ سِيَادَةً، والاسمُ السُّودَد، وَهُوَ المَجْدُ والشَّرفُ، فَهُوَ سَيِّدٌ، والأُنثى سَيِّدةٌ.

والسائِدُ: السَّيِّدُ، أَو دُونَه .

قَالَ الفرَّاءُ: يُقَال هذا سَيِّدُ قَومِه اليومَ، فإِذا أَخبرْتَ أَنَّهُ عَن قليلٍ يكون سيِّدَهم قلتَ: هُوَ سائدُ قَوْمِهِ عَن قليلٍ...

قَالَ ابْن سِيدَه: وَعِنْدِي أَنَّ سادَة جمعُ سائِدٍ، على مَا يَكثُر فِي هاذا النَّحْو. وأَمّا قامةٌ وعالَةٌ فجمعُ قَائِم وعائلٍ، لَا جَمْعُ قَيِّمٍ وعَيِّلٍ كَما زَعَمَ هُوَ، وَذَلِكَ لأَنَّ فَيْعِلاً لَا يُجمَع على فَعَلَةٍ إِنَّما بابُه الْوَاو والنُونُ، وَرُبما كُسِّرَ مِنْهُ شيءٌ على غَيْرِ فعَلَة، كأَمواتٍ وأَهْوِناءَ.

وفِي الصّحاح، نقلاً عَن أَهل الْبَصْرَة: وَقَالُوا إِنما جَمَعَت العربُ الجَيِّد ، والسَّيِّد على جَيَائِدَ و سَيَائِد ، على غير قِياس، لأَن جمْعَ فَيْعِل فياعِلُ، بِلَا هَمْز.

والسَّيِّد هُوَ: الرَّئيسُ. وَقَالَ ابْن شُمَيل: السَّيِّد: الّذِي فاق غيْرَه بالعَقْل وَالْمال، والدَّفْعِ والنَّفْعِ، الْمُعْطِي مالَهُ فِي حُقُوقِه، الْمُعِينُ بنَفْسه.

وَقَالَ عِكْرِمةُ: السَّيِّد الّذِي لَا يَغْلِبُه غَضَبُه.

وَقَالَ قَتَادةُ: هُوَ العابِدُ، الوَرِعُ، الحَلِيمُ. وَقَالَ أَبو خَيْرَةَ: سُمِّي سَيِّداً لأَنَّه يَسُودُ سَوَادَ الناسِ... وَقيل السيِّد: الْكَرِيم... وَعَن الفرّاءِ: السَّيِّد: المَلِك، والسَّيِّدُ: السَّخِيُّ. وسَيِّدُ العَبْدِ: مَوْلاه. وسَيِّدُ المرأَةِ: زَوْجُها، وبذالك فسَّروا قولَه تَعَالَى: **﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾** [يُوسُف: ٢٥] ... (١) .

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة (٣/ ١١٤) .

ومن المعلوم أنَّ الأحاديث النَّبويَّة جاءت تترى تبيِّن سيادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الخلائق جميعاً... من ذلك :

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ " (٢) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ " (٣) .

---

(١) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (٨/ ٢٢٤-٢٢٥) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٦/ ٥٧٠ برقم ١٠٩٧٢) ، قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد حسن. يحيى: هو ابن أبي كثير.

وأخرجه مسلم (٢٢٧٨) ، وأبو داود (٤٦٧٣) ، والبيهقى ٩/ ٤ من طريق عبد الله بن فروخ، عن أبي هريرة " .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٧/ ١٠ برقم ١٠٩٨٧) ، قال الأرنؤوط : " حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد، وهو ابن جُدعان، هُشيم: هو ابن بشير، وأبو نضْرة: هو المنذر بن مالك بن قُطعة العبْدي العوقي.

وأخرجه ابنُ ماجه (٤٣٠٨) من طريق هُشيم، بهذا الإسناد، بزيادة: "وبيدي لواءُ الحمد ولا فخر".

وأخرجه الترمذي مطولاً بذكر قصة الشفاعة برقم (٣١٤٨) ، ومختصراً برقم (٣٦١٥) من طريق سفيان- وهو ابن عيينة- عن علي بن زيْد بن جُدعان، به.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد رُوي بهذا الإسناد عن أبي نضْرة، عن ابن عباس، عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قلنا: قد سلف في مسند ابن عباس برقم (٢٥٤٦) بذكر قصة الشفاعة. وله شاهد أيضاً من حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٢٧٨) ، سيرد ٢/ ٥٤٠. وثالث من حديث أنس سلف في مسند ابن عباس برقم (٣٦٩٣) ، وسيرد ٣/ ١٤٤. ورابع من حديث واثلة بن الأسقع عند ابن حبان (٦٢٤٢) و (٦٤٧٥) . وخامس من حديث عبد الله بن سلام عند أبي يعلى (٧٤٩٣) ، وابن حبان (٦٤٧٨) ، وإسناده ضعيف.

وفي الباب في بعض أقسام الحديث أيضاً عن أبي بكر، سلف حديثه مطولاً برقم (١٥) . وعن أبي هريرة عند البخاري (٣٣٤٠) ، سيرد ٢/ ٤٣٥. وعن عبادة بن الصامت عند الحاكم ١/ ٣٠. وعن ابن عمر عند الترمذي (٣٦٩٢) . وعن أنس عند الترمذي (٣٦١٠) بلفظ: "أنا أول الناس خروجاً إذا بُعثوا". وعن ابن عباس عند الترمذي (٣٦١٦) . وعن جابر عند ابن أبي عاصم في "السنة" (٧٩٤) .

قال السندي: قوله: "أنا سيدُ ولد آدم": قيل: السيدُ: هو الذي يفوقُ قومه في الخير، وقيل: هو الذي يُفْزع إليه في النوائب والشدائد، فيقوم بأمورهم، ويتحمل مكارههم، ويدفعها عنهم. وفي "النهاية": السيدُ يُطلق على الربِّ، والمالك، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، ومتحمل أذى قومه، والزوج، والرئيس، والمُقدم.

والولد، بفتحتين: يطلق على الواحد والجمع، والثاني هو المراد، وجاء في الجمع: وُلْد، بضم فسكون، كأسْد في جمع أسد، والمشهور في الحديث بفتحتين، ويُحتمل أن يكون بضم فسكون، والمرادُ نوعُ الإنسان ليشمل آدم، أو بنو آدم، ولا شك أن فيهم من هو أفضل من آدم، فيلزم من كونه سيد ولد آدم

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنَا سَيِّدُ القَوْمِ يَوْمَ القِيَامَةِ ... " (١) .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ...

وفي المقابل وردت بعض الأحاديث يوهم ظاهرها التَّعارض مع الأحاديث السَّابقة ، حيث منعت إطلاق لفظ السيِّد على سوى الله تعالى ...

ومن تلك الأحاديث : قَالَ أَحْمَدُ :حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنِي شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ؟ فَقَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " السَّيِّدُ اللهُ "، قَالَ: أَنْتَ أَفْضَلُهَا فِيهَا قَوْلًا وَأَعْظَمُهَا فِيهَا طَوْلًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لِيَقُلْ أَحَدُكُمْ بِقَوْلِهِ، وَلَا يَسْتَجِرُّهُ الشَّيْطَانُ " (٢) .

أنه أفضل من آدم أيضاً. والتقييدُ بيوم القيامة لظهور سيادته هناك بلا منازع، وأما هاهنا فقد نازعه ملوكُ الكفار، فهو مثلُ قوله: (لمن المُلْكُ اليوم لله الواحد القهار) [غافر: ١٦] .

والحديثُ يدل على أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضلُ الآدميين، والآدمى أفضلُ من الملك عند أهل السنة، فيلزم عندهم إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضلُ الخلق، ولعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك إما لأنه أوحي إليه أن يقول، ليعرف قدره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليكون إيمانهم به على حسبه، أو لأنه قصد به التحديث بالنعمة، فلا يُنافي حديث "لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير" لأن المراد هناك ليس له أن يقول افتخارا ونحوه، ولهذا أتبعه بقوله: "ولا فخر"، أي: إن هذه الفضيلة التي نلتُها كرامة من الله تعالى، لم أنلْها من قبل نفسي، ولا بلغْتُها بقُوتي، فليس لي أن أفتخر بها، وعلى هذا فمعنى "لا فخر"، أي: لا يليق بي ذلك، أو: ما قُلْتُ ذلك افتخاراً، فالجملة لدفع توهم أنه قاله افتخاراً، وقيل: هي حال، بتقدير: أقول هذا ولا فخر. والفخْرُ: ادعاء العظم والمباهاةُ بالأشياء.

أول من تنشق عنه الأرض: كناية عن كونه أول من يُبعث " .

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٣٤ برقم ٣٣٤٠) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٦/ ٢٣٥ برقم ١٦٣٠٧)، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم كسابقه.

وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٢١١) ، وأبو داود (٤٨٠٦) ، والنسائي في "الكبرى، (١٠٠٧٦) - وهو في "عمل اليوم والليلة" (٢٤٧) - وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١٤٨٤) ، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص٢٢ من طريق أبي نضرة، عن مُطَرِّف، بهذا الإسناد.

وأخرجه البيهقي في "الدلائل" ٥/ ٣١٨ من طريق أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير، قال: وَفَدَ أبي.. فذكره نحوه.

قال السندي: قوله: "السيد الله": أشار إلى أن اسم السيد يطلق على المالك، وهذه الصفة حقيقة لله تعالى، ففي إطلاقه إيهام تركه أَوْلى. نعم، قد يطلق على معانٍ يصح بها إطلاقه على غيره تعالى أيضاً، لكن تركه أقرب، سيما إذا كان فيه خوف الافتخار.

وقال الحَلِيمي في تفسير "السيد" من كتابه "المنهاج في شعب الإيمان" ١/ ١٩٢: ومعناه المحتاجُ إليه على الإطلاقِ، فإن سيدَ الناسِ هو رأسُهم الذي إليه يرجِعُونَ، وبأمره يعملُون، وعن رأيه يصدرون، ومن قوته يستمدون، فإذا كانت الملائكة والإنسُ والجن خلقاً للباري جَلَّ ثناؤه ولم يكن بهم غُنيةٌ عنه

وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا سَيِّدَنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَيَا خَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا، فَقَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا محمَّد بْنُ عَبْدِ الله، وَرَسُولُ الله، وَالله، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَا رَفَعَنِي اللهُ " (١) .

والحقّ أنَّ هذه الأحاديث خرجت مخرج تعليم كراهية المدح والتَّمادح وتفضيل بعض النَّبيِّين على بعض ...

ونظير ذلك ما رواه الشيخان بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ، أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لاَ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، وَالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا القَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلاَنٍ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ» فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثمَّ قَالَ: " لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ ... " الحديث (٢) .

وروى مسلم بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ» (٣) .

وحاصل ما ذكره العلماء من تأويلات لأحاديث النَّهي ، ينتظم في النّقاط التَّالية :

في بدء أمرهم وهو الوجودُ، إذ لو لم يوجدهم لم يوجدوا، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد، ولا في العوارض العارضة أثناء البقاء، كان حقاً له جل ثناؤه أن يكون سيداً، وكان حقاً عليهم أن يدعوه بهذا الاسم.

قوله: فيها، أي: في قريش، متعلِّق ب "قولاً".

قوله: طولاً، بالفتح، أي: سَعَة وقدرة لنفاذ حكمك فيهم.

وقوله: ليقل أحدُكُم بقوله ولا يستجره الشيطان. قال ابن الأثير: أي لا يستعلينكم فيتخذكم جريًّا، أي: رسولاً ووكيلاً، وذلك أنهم كانوا مدحوه، فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه، يريد: تكلموا بما يحضركم من القــتول ولا تتكلفوا كأنكم وكلاء الشيطان ورسلَه تنطِقُون عن لسانه " .

(١) أخرجه أحمد (٢١/ ١٦٦ برقم ١٣٥٢٩) ، قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف مؤمل بن اسماعيل، وقد توبع.

وأخرجه الضياء في "المختارة" (٢٠٧٩) من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، بهذا الإسناد.

وأخرجه أيضاً (٢٠٨٠) من طريق أحمد بن عمر الوكيعي، عن مؤمَل، به.

وأخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" (٢٤٨) من طريق العلاء بن عبد الجبار، عن حماد بن سلمة، عن ثابت وحميد، عن أنس. وهذا إسناد صحيح، والعلاء بن عبد الجبار ثقة " .

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٩ برقم ٣٤١٤) واللفظ له ، مسلم (٤/ ١٨٤٣ برقم ٢٣٧٣) .

(٣) أخرج مسلم (٤/ ١٨٣٩ برقم ٢٣٦٩) .

(١) إنَّما نهى عن ذلك من يقوله برأيه لا من يقوله بدليل أو من يقوله بحيث يؤدِّي إلى تنقيص المفضول أو يؤدِّي إلى الخصومة والتَّنازع .

(٢) أو المراد : لا تفضِّلوا بجميع أنواع الفضائل ، بحيث لا يترك للمفضول فضيلة ، فالإمام مثلاً إذا قلنا أنَّه أفضل من المؤذِّن لا يستلزم نقص فضيلة المؤذِّن بالنِّسبة إلى الأذان .

(٣) وقيل : النَّهي عن التَّفضيل إنما هو في حقِّ النُّبوَّة نفسها كقوله تعالى : **﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾** [البقرة:٢٨٥] ، ولم ينه عن تفضيل بعض الذَّوات على بعض لقوله : **﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلنَا بَعْضَهُم عَلَى بَعْض﴾** [البقرة:٢٥٣] ، قال القرطبي : " وهذا قول حسن، فإنَّه جمع بين الآي والحديث من غير نسخ " (١) .

فالنُّبوَّة خصلة واحدة لا تفاضل فيها ، وإنَّما التَّفضيل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطاف والمعجزات المتباينات ، وأمَّا النُّبوَّة في نفسها فلا تتفاضل ، وإنَّما التَّفاضل في أمور أخر زائدة عليها ، ولذلك كان منهم الرُّسل ، ومنهم أولو العزم من الرُّسل ، ومنهم من رُفع مكاناً عليَّاً ، ومنهم من أُوتي الحُكم صبيَّاً ، وأوتي داود زبوراً ، وبعضهم البيِّنات ، ومنهم من كلَّم الله ورفع بعضهم درجات (٢) .

(٤) الأخبار الواردة في النَّهي عن التَّخيير إنَّما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء على المخايرة ، لأنَّ المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلى الازدراء بالآخر فيفضي إلى الكفر ، فأمَّا إذا كان التَّخيير مستنداً إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرُّجحان ، فلا يدخل في النَّهي " (٣) .

(٥) أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال هذا ، لأنَّ التَّفضيل إذا كان على وجه الحميَّة والعصبيَّة وهوى النَّفس كان مذموماً ، بل نفس الجهاد إذا قاتل الرَّجل حميَّة وعصبيَّة كان مذموماً ، فإنَّ الله حرَّم الفخر ، وقد قال تعالى : **﴿وَلَقَد فَضَّلنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْض﴾** [الإسراء:٥٥] ، وقال تعالى : **﴿تِلكَ الرُّسل فَضَّلنَا بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ مِنهُم مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعضَهُم دَرَجَات﴾** [البقرة:٢٥٣] ، فعُلم أنَّ المذموم إنَّما هو التَّفضيل على وجه الفخر ، أو على وجه الانتقاص بالمفضول .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي (٣/ ٢٦٣) .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٣/ ٢٦٢ ، صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٣٨) ، الشفا (١/ ٤٤١) .

(٣) انظر : فتح الباري (٦/ ٤٤٦) ، (٦/ ٤٥٢) .

(٦) أنَّ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لا تفضِّلوني على موسى " ، وقوله : " لا تفضِّلوا بين الأنبياء " نهي عن التَّفضيل الخاص ، أي : لا يفضل بعض الرُّسل على بعض بعينه ، بخلاف قوله : " أنا سيِّد ولد آدم ولا فخر " فإنَّه تفضيل عام فلا يمنع منه ، وهذا كما لو قيل : فلان أفضل أهل البلد ، لا ينصب على أفرادهم ، بخلاف ما لو قيل لأحدهم : فلان أفضل منك (١) .

(٧) أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك تواضعاً منه ، مع علمه أنَّه أفضل الأنبياء (٢) .

(٨) أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك قبل العلم بتفضيل الله له على سائر الأنبياء والرُّسل مع مراعاته لعلوِّ مراتبهم الباذخة ، وجلالة مناصبهم الشَّامخة ، ثمَّ أعلمه الله تعالى بأنَّه سيِّد الأوَّلين والآخرين ، وأفضل جميع الأنبياء والمرسلين ، وأمر بتبليغ ذلك فبلَّغه كما أمر ، فالقرآن ناسخ للمنع عن التَّفضيل (٣) .

(١٠) ليس مقام التَّفضيل إليكم ، إنَّما هو إلى الله عزَّ وجلَّ ، وعليكم الانقياد والتَّسليم له ، والإيمان به (٤) .

(١١) إنَّما خصّ سيّدنا يونس بالذِّكر خشية على من سمع قوله تعالى : **﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوْت﴾** [القلم:٤٨] ، أن يقع في نفسه تنقيصه ، والحطّ من مرتبته ، فبالغ في ذكر فضله سدَّاً لهذه الذَّريعة (٥) .

وممَّا يُستدلُّ به على فضله وتفضيله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سائر الأنبياء والمرسلين أنَّ الله تعالى لم يخاطب الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمثل ما خاطب به بقيَّة الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام ... فقد خاطبه بقوله سبحانه وتعالى : : **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾** ، وبقوله : **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾** ، بينما خاطب غيره من الأنبياء والمرسلين بقوله تعالى : **﴿قالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ﴾** ، **﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾** ، **﴿قالَ أَراغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ﴾** ، **﴿فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ يَا مُوسى﴾** ، **﴿إِذْ قالَ اللهُ يَا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** ...

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص ١٧٠-١٧٢) ، تفسير القرطبي (٣/ ٢٦٢) ، تفسير ابن كثير (ص ٢٦٢) ، طبع بيت الأفكار الدولية ، الرياض .

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث (ص ٧٨) ، اليواقيت والجواهر (٢/ ٢٢) ، البداية والنهاية (١/ ٣٣١) ، دلائل النبوة (٥/ ٣٧٩) .

(٣) انظر : لوامع الأنوار البهية ٢/ ٢٩٨ ، التحرير والتنوير (٢/ ٤٨٤) ، تفسير القرطبي (٣/ ٢٦٢) ، مشكل الآثار للطحاوي (٣/ ١٢) ، صحيح مسلم شرح النووي (١٥/ ٣٨) .

(٤) انظر : تفسير القرطبي (٣/ ٢٦٢) ، صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٣٨) .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير (ص ٢٦٢) .

وطالبنا سبحانه وتعالى بالأدب معه عليه الصَّلاة والسَّلام ، فقال سبحانه : **﴿إِنَّا أَرْسَلناكَ شَاهِدًا ومُبَشِّرًا ونَذِيرًا * لِتُؤمِنُوا بِالله ورَسُولِهِ وتُعَزِّرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيْلًا﴾** [الفتح: ٨-٩] ، ومِن توقيره وتعزيره : تَسوِيدُه عند ذكر اسمه في كلِّ حين ، فلا تجوز مساواته بغيره من المخلوقين عليه الصَّلاة والسَّلامُ في هذا الباب ، قال الإمام السدِّي في معنى **﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾** : " تُسوِّدوه " (١) .

وفي آية أُخرى طالبنا ربُّنا سبحانه وتعالى بقوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله ورَسُولِهِ واتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوتِ النَّبي وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالقَولِ كجَهْرِ بَعْضِكُمْ لبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ الله أولَئِكَ الَّذِينَ امتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَّغفِرةٌ وأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** [الحجرات: ١-٣] . والآيات الكريمات تنهى عن التَّقديم بين يديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والمعنى : لا تعجلوا بأمر وَلا بفعل حَتَّى يأمركم رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما وحذَّرت الآيات من رفع الصَّوت فوق صوته عليه الصَّلاةُ والسَّلام أو الجهر له بالقول ...

كما نهى سبحانه وتعالى أن نُخاطبه كما نخاطب غيره ، فقال : **﴿لا تَجعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾** [النور: ٦٣] ، فعن قتادة قال : " أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُهابَ نَبِيُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ يُبَجَّلَ وَأَنْ يُعَظَّمَ وَأَنْ يُسَوَّدَ " (٢) .

وفيما يلي عرضٌ لبعض أقوال أهل العلم في استحباب الإتيان بلفظ "سيِّدنا" قبل ذكر اسمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التَّشهُّد في الصَّلاة وغيرها ...

قال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) : " الفصل السَّابع عشر: في زيادة قول المصلِّي سيِّدنا :

ذكر المجد اللغوي ما حاصله أنَّ كثيراً من النَّاس يقولون : اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد وإنَّ في ذلك بحثاً : أمَّا في الصَّلاة فالظَّاهر أنَّه لا يقال اتِّباعاً للفظ المأثور ووقوفاً عند الخبر الصَّحيح وإمَّا في غير الصَّلاة فقد أنكر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على من خاطبه بذلك كما في الحديث المشهور وإنكاره يحتمل أن يكون تواضعاً منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكراهة منه أن يحمد ويمدح مشافهة أو لأنَّ ذلك كان من تحيَّة الجاهليَّة أو لمبالغتهم في المدح حيث

---

(١) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٥/ ٣١٣) ، الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٦٧) ، فتح القدير (٥/ ٥٦) ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن (١٣/ ٩٣) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٥٥) .

قالوا : أنت سيِّدنا وأنت والدنا ، وأنت أفضلنا علينا فضلاً وأنت أطولنا علينا طولاً وأنت الجفنة الغراء وأنت، وأنت فرد عليهم وقال : قولوا بقولكم ولا تستهوينكم الشَّياطين ، وقد صحَّ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أنا سيِّد ولد آدم " ، وقوله للحسن : " إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ " (١) ، وقوله لسعد : " قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ " (١) ، وورد قول

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٤/ ٣٣ برقم ٢٠٣٩٢) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط البخاري. أبو موسى- واسمه إسرائيل بن موسى- من رجال البخاري، وباقي رجاله ثقات من رجال الشيخين. سفيان: هو ابن عيينة، والحسن الراوي عن أبي بكرة: هو البصري.

وهو عند المصنف في "فضائل الصحابة" (١٣٥٤) .

وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٢٥٩٠) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، بهذا الإسناد.

وأخرجه الحميدي (٧٩٣) ، والبخاري في "الصحيح" (٢٧٠٤) و (٣٧٤٦) و (٧١٠٩) ، وفي "التاريخ الأوسط" ١/ ١٢٢، والنسائي في "المجتبى" ٣/ ١٠٧، وفي "الكبرى" (١٧١٨) و (٨١٦٦) ، وفي "عمل اليوم والليلة" (٢٥٢) ، والبزار في "مسنده" (٣٦٥٥) ، والطبراني في "الكبير" (٢٥٩٠) ، والقطيعي في زوائده على "فضائل الصحابة" لأحمد (١٤٠٠) ، والبيهقي في "الاعتقاد" ص ٣٧٦-٣٧٧، وفي "الدلائل" ٦/ ٤٤٢ من طريق سفيان بن عيينة، به. وذكر في أوله في بعض روايات البخاري قصة الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية، وقال البخاري عند الموضع الأول في "الصحيح" وفي "التاريخ الأوسط": قال لي علي بن عبد الله- وهو ابن المديني-: إنما ثبت لنا سماع الحسن من أبي بكرة بهذا الحديث.

وأخرجه البخاري (٣٦٢٩) من طريق حسين بن علي الجعفي، عن أبي موسى، به.

وأخرجه أبو داود (٤٦٦٢) ، والترمذي (٣٧٧٣) ، والطبراني (٢٥٩٣) ، والحاكم ٣/ ١٧٤-١٧٥، والبيهقي في "الدلائل" ٦/ ٤٤٣، وابن الأثير في "أسد الغابة" من طريق أشعث بن عبد الملك الحمراني، والطبراني (٢٥٩٢) ، والخطيب في "تاريخه" ١٣/ ١٨ من طريق منصور بن زاذان ويونس بن عبيد، والطبراني (٢٥٩٤) من طريق إسماعيل بن مسلم، و (٢٥٩٥) من طريق أبي الأشهب جعفر بن حيان العطاردي، خمستهم عن الحسن البصري، به.

وقد روي عن الحسن من وجوه أخرى: فأخرجه النسائي في "الكبرى" (٨١٦٥) ، وفي "عمل اليوم والليلة" (٢٥٣) من طريق أشعث بن عبد الملك، عن الحسن، عن بعض أصحاب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني أنس بن مالك.

وأخرجه في "عمل اليوم والليلة" (٢٥٤) من طريق عوف الأعرابي، عن الحسن قال: بلغني أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ...

وأخرجه (٢٥٥) من طريق داود بن أبي هند، و (٢٥٦) من طريق هشام بن حسان، كلاهما عن الحسن، عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلاً.

وروي عن الحسن البصري، عن أم سلمة، ذكره المزي في "التحفة" ٩/ ٣٩.

وفي الباب عن جابر بن عبد الله، أخرجه يحيى بن معين في "فوائده" كما في "الإتحاف" ٣/ ١٧١، ومن طريقه البيهقي في "الدلائل" ٦/ ٤٤٣-٤٤٤، والخطيب ٨/ ٢٧، وإسناده قوي.

وفي باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنه لسيد" حديث أبي هريرة عند النسائي في "عمل اليوم والليلة" (٢٥٠) ، والطبراني (٢٥٩٦) ولفظه: عن المقبري قال: كنا مع أبي هريرة جلوساً، فجاء حسن بن علي بن أبي طالب، فسلم علينا، فرددنا عليه، وأبو هريرة لا يعلم، فمضى، فقيل له: يا أبا هريرة هذا حسن بن علي قد سلم علينا، فقام فلحقه، فقال: يا سيدي، فقلنا له: تقول: يا سيدي؟!

سهل بن حنيف للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يا سيِّدي " في حديث عند النَّسائي في " عمل اليوم والليلة " [٢] ، وقول ابن مسعود : اللهمَّ صلِّ على سيِّد المرسلين ، كما تقدَّم ، وفي كلِّ هذا دلالة واضحة وبراهين لائحة على جواز ذلك ، والمانع يحتاج إلى إقامة دليل سوى ما تقدَّم لأنَّه لا ينهض دليلاً مع حكاية الإحتمالات المتقدِّمة . وقد قال الأسنوي رحمه الله في المهمَّات : في حفظي قديماً أن الشَّيخ عز الدِّين بن عبد السَّلام بناه أعني الإتيان بسيِّدنا قبل محمَّد على أنَّ الأفضل هل هو سلوك الأدب أم إمتثال الأمر فعلى الأوَّل يستحبّ دون الثَّاني لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قولوا اللهمَّ صلِّ على محمَّد " ، قلت : وقرأت بخطِّ بعض محقِّقي من أخذت عنه ما

قال: إني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "إنه لسيد".

قوله: "سيد" قال السندي: أي: نافع للخلائق، وفيه أن السيادة بالنفع لهم لا بالحكم عليهم، وإن كان هناك ضرر عليهم في ذلك فقد يكون ترك الإمارة هو السيادة إذا كان صلاح الخلق فيه.

وقال الخطابي في "معالم السنن" ٤/ ٣١١: وقد خرج مصداق هذا القول فيه بما كان من إصلاحه بين أهل الشام وأهل العراق وتَخَلِّيه عن الأمر خوفاً من الفتنة وكراهية لإراقة الدم، ويسمى ذلك العام سنة الجماعة ... " .

[١] أخرجه أحمد في المسند (١٧/ ٢٥٩ برقم ١١١٦٨) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. محمد: هو ابن جعفر غُنْدر، وشعبة: هو ابن الحجاج، وسعد بن إبراهيم: هو ابن عبد الرحمن بن عوف، وأبو أمامة بن سهل: هو أسعد بن سهل بن حنيف، معروف بكنيته.

وأخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٤٢٥، والبخاري (٤١٢١) ، ومسلم (١٧٦٨) (٦٤) ، وأبو داود (٥٢١٦) ، والنسائي في "الكبرى" (٨٢٢٢) ، والبيهقي في "الشعب" (٨٩٢٦) من طريق محمد بن جعفر، بهذا الإسناد.

وأخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٢٩٦٤) ، وابن سعد ٣/ ٤٢٤-٤٢٥، وعبد بن حميد في "المنتخب" (٩٩٥) ، والبخاري في "صحيحه" (٣٠٤٣) و (٣٨٠٤) و (٦٢٦٢) ، وفي "الأدب المفرد" (٩٤٥) ، وأبو داود (٥٢١٥) ، والطبراني في "الكبير" (٥٣٢٣) ، وأبو نعيم في "الحلية" ٣/ ١٧١، والبيهقي في "السنن"٦/ ٥٧-٥٨ و٩/ ٦٣ و٩٦-٩٧، وفي "الشعب" (٨٩٢٥) ، والبغوي في "شرح السنة" (٢٧١٨) من طرق عن شعبة، به.

وأخرجه الطحاوي مختصراً في "شرح مشكل الآثار" (١١٢٠) من طريق علقمة بن وقاص الليثي، عن أبي سعيد، به، بلفظ: "قوموا إلى سيدكم". وسيأتي بالأرقام (١١١٧٠) و (١١١٧١) و (١١٦٨٠) . وفي الباب عن عائشة، سيرد ٦/ ١٤١-١٤٢، وإسناده حسن.

وعن سعد بن أبي وقاص عند النسائي في "الكبرى" (٨٢٢٣) ، وهو من رواية محمد بن صالح، عن سعد بن إبراهيم، عن عامر بن سعد، عن أبيه. قال الحافظ في "الفتح" ٧/ ٤١٢، ورواية شعبة أصح (قلنا: يعني روايتنا هذه: سعد بن إبراهيم، عن أبي أمامة) ، ويحتمل أن يكون لسعد بن إبراهيم فيه إسنادان.

قال السندي: قوله: فلما دنا قريباً من المسجد، أي: من المسجد الذي كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه.

قوله: "قوموا إلى سيدكم": استدل به للقيام للداخل، ورد بأنه لا يدل على القيام له، وإنما يدل على القيام إليه، وفرق بينهما " .

[٢] انظر : عمل اليوم والليلة (١/ ٢٥٢ برقم ٢٥٧) .

نصَّه، الأدب مع من ذكر مطلوب شرعاً بذكر السيِّد، ففي حديث الصَّحيحين: " قوموا إلى سيِّدكم " أي سعد بن معاذ وسيادته بالعلم والدِّين ، وقول المصلِّين : اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد فيه الإتيان بما آمرنا به وزيادة الأخبار بالواقع الذي هو أدب فهو أفضل من تركه فيما يظهر من الحديث السَّابق وإن تردَّد في أفضليته الشَّيخ الاسنوي وذكر أنَّ في حفظه قديماً أن الشَّيخ ابن عبد السَّلام بناه على أنَّ الأفضل سلوك الأدب أو إمتثال الأمر ، والله المعين " (١) .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن زكريَّا الأنصاري، زين الدِّين أبو يحيى السّنيكي (٩٢٦هـ) : " قَالَ ابْنُ ظَهِيرَةَ الْأَفْضَلُ الْإِتْيَانُ بِلَفْظِ السِّيَادَةِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ جَمْعٌ وَبِهِ أَفْتَى الْجَلَالُ الْمَحَلِّيُّ جَازِمًا بِهِ قَالَ؛ لِأَنَّ فِيهِ الْإِتْيَانَ بِمَا أُمِرْنَا بِهِ وَزِيَادَةَ الْإِخْبَارِ بِالْوَاقِعِ الَّذِي هُوَ أَدَبٌ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ تَرْكِهِ، وَإِنْ تَرَدَّدَ فِي أَفْضَلِيَّتِهِ الْإِسْنَوِيُّ. اهـ.

وَحَدِيثُ «لَا تُسَيِّدُونِي فِي الصَّلَاةِ» بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ كَمَا قَالَهُ بَعْضُ مُتَأَخِّرِي الْحُفَّاظِ وَقَوْلُهُ الْأَفْضَلُ الْإِتْيَانُ بِلَفْظِ السِّيَادَةِ أَشَارَ إلَى تَصْحِيحِهِ " (٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الطَّرابلسي المغربي، المعروف بالحطَّاب الرُّعيني المالكي (٩٥٤هـ) : " وَقَالَ الْأَبِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ مَا يُسْتَعْمَلُ مِنْ لَفْظِ الْمَوْلَى وَالسَّيِّدِ يَعْنِي فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَسَنٌ وَإِنْ لَمْ يَرِدْ وَالْمُسْتَنَدُ قَوْلُهُ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ» وَقَدْ طَلَبَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ تَأْدِيبَ مَنْ قَالَ: لَا يَقُولُهَا فِي الصَّلَاةِ وَإِنْ قَالَهَا بِطَلَبٍ فَتَغَيَّبَ حَتَّى شَفَعَ فِيهِ قَالَ: وَكَأَنَّهُ رَأَى تَغَيُّبَهُ تِلْكَ الْمُدَّةِ عُقُوبَتَهُ وَذَكَرَ الْبُرْزُلِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَقُولَهَا يَعْنِي لَفْظَةَ السَّيِّدِ أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا إنْ صَحَّ عَنْهُ غَايَةُ الْجَهْلِ، قَالَ: وَاخْتَارَ شَيْخُ شُيُوخِنَا الْمَجْدُ اللُّغَوِيُّ صَاحِبُ الْقَامُوسِ تَرْكَ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ اتِّبَاعًا لِلَفْظِ الْحَدِيثِ وَالْإِتْيَانَ بِهِ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ وَذَكَرَ الْحَافِظُ السَّخَاوِيُّ فِي آخِرِ الْبَابِ الْأَوَّلِ مِنْ الْقَوْلِ الْبَدِيعِ كَلَامَهُ وَذَكَرَ عَنْ ابْنِ مُفْلِحٍ الْحَنْبَلِيِّ نَحْوَ ذَلِكَ وَذَكَرَ عَنْ الشَّيخ عِزِّ الدِّين بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ أَنَّ الْإِتْيَانَ بِهَا فِي الصَّلَاةِ يَنْبَنِي عَلَى الْخِلَافِ هَلْ الْأَوْلَى امْتِثَالُ الْأَمْرِ أَوْ سُلُوكُ الْأَدَبِ؟ (قُلْت) وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي وَأَفْعَلُهُ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا الْإِتْيَانُ بِلَفْظِ السَّيِّدِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ " (٣) .

---

(١) انظر : القَولُ البَدِيعُ في الصَّلاةِ عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ (ص١٠٧-١٠٨) .

(٢) انظر : أسنى المطالب في شرح روض الطالب (١/ ١٦٦) .

(٣) انظر : مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (١/ ٢٠-٢١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري، شهاب الدِّين شيخ الإسلام، أبو العبَّاس (٩٧٤هـ) : " المسألة الثَّامنة:

في زيادة (سيِّدنا) قبل (محمَّد) خلاف، فأمَّا في الصَّلاة: فقال المجد اللغوي: (الظَّاهر أنَّه لا يقال؛ اقتصاراً على الوارد) ، وقال الإسنوي : (في حفظي: أنَّ الشَّيخ عز الدِّين بن عبد السَّلام بناه على أنَّ الأفضل امتثال الأمر أو سلوك الأدب؟ فعلى الثَّاني: يستحب) اهـ

وهذا هو الذي مِلتُ إليه في «شرح الإرشاد» وغيره؛ لأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا جاء وأبو بكر رضي الله تعالى عنه يؤم النَّاس فتأخَّر.. أمره أن يثبت مكانه، فلم يمتثل، ثمَّ سأله بعد الفراغ عن ذلك، فأبدى له أنَّه إنَّما فعله تأدُّبا بقوله: (ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدَّم بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فأقرَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك ، وهذا فيه دليل أيّ دليل على أنَّ سلوك الأدب أولى من امتثال الأمر الذي علم من الآمر عدم الجزم بقضيَّته، ثمَّ رأيت عن ابن تيمية أنَّه أفتى بتركها وأطال فيه، وأنَّ بعض الشَّافعيَّة والحنفيَّة ردُّوا عليه، وأطالوا في التَّشنيع عليه، وهو حقيق بذلك.

وورد عن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً- وهو أصحّ-: «حسِّنوا الصَّلاة على نبيِّكم» ، وذكر الكيفيَّة، وقال فيها: «على سيِّد المرسلين» ، وهو شامل للصَّلاة وخارجها.

وعن المحقِّق الجلال المحلِّي أنَّه قال: (الأدب مع من ذكر مطلوب شرعاً بذكر السيِّد؛ ففي حديث «الصَّحيحين» : «قوموا إلى سيِّدكم» أي: سعد بن معاذ، وسيادته بالعلم والدِّين، وقول المصلِّي: «اللهمَّ؛ صلِّ على سيِّدنا محمَّد» فيه الإتيان بما أمرنا به وزيادة الإخبار بالواقع الذي هو أدب؛ فهو أفضل من تركه فيما يظهر من الحديث السَّابق وإن تردَّد في أفضليَّته الشَّيخ جمال الدِّين الإسنوي، وذكر أنَّ في حفظه قديما أنَّ الشَّيخ ابن عبد السَّلام بناه على أنَّ الأفضل سلوك الأدب أو امتثال الأمر؟) اهـ

ووقع لبعض من كتب على «الحاوي» أنَّه قـــال : إنَّ زيادة (سيِّدنا) مبطلة للصَّلاة، وهو غلط واضح فاجتنبه " [١] .

وقال الإمام أحمد بن قاسم العبادي (٩٩٢هـ) في حاشيته على " تحفة المحتاج في شرح المنهاج " : " (قَوْلُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ) قَالَ فِي شَرْحِ الرَّوْضِ قَالَ فِي الْمُهِمَّاتِ وَاشْتَهَرَ زِيَادَةُ سَيِّدِنَا قَبْلَ محمَّد وَفِي كَوْنِهِ أَفْضَلَ نَظَرٌ فِي حِفْظِي أَنَّ الشَّيخ عِزَّ الدِّين بَنَاهُ عَلَى أَنَّ الْأَفْضَلَ سُلُوكُ الْأَدَبِ أَمْ امْتِثَالُ الْأَمْرِ فَعَلَى الْأَوَّلِ يُسْتَحَبُّ دُونَ الثَّانِي اهـ. مَا فِي

---

[١] انظر : الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود ص١٣٣-١٣٤) .

شَرْحِ الرَّوْضِ وَاعْتَمَدَ الْجَلَالُ الْمَحَلِّيُّ أَيْ فِي غَيْرِ شَرْحِهِ أَنَّ الْأَفْضَلَ زِيَادَتُهَا وَأَطَالَ فِي ذَلِكَ وَقَالَ إنَّ حَدِيثَ «لَا تُسَيِّدُونِي فِي الصَّلَاةِ» بَاطِلٌ " (١) .

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدِّين الرَّملي : " والأفضلُ الإتيانُ بلفظِ السِّيادَة كما قاله ابن ظهيرة، وصرَّح به جمعٌ ، وبه أفتى الشَّارح ، لأنَّ فيه الإتيان بما أمرنا وزيادة الأخبار بالواقع الذي هو أدب فهو أفضل من تركه " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن علَّان الصدِّيقي الشَّافعي الأشعري المكِّي (١٠٥٧هـ) : " قال الأسنوي : اشتهر زيادة سيِّدنا قبل محمَّد وفي كونه أفضل نظر ، وفي حفظي : أنَّ الشَّيخ عز الدِّين بن عبد السَّلام بناه على أنَّ الأفضل سلوك الأدب أو امتثال الأمر ، فعلى الأوَّل يستحب دون الثَّاني اهـ، وبتأمَّل تأخُّر الصدِّيق رضي الله عنه لَمَّا ائتم به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع قوله : " مكانك " وكذا إقراره على ذلك وامتناع علي رضي الله عنه في وقعة الحديبية من محوه لاسمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أمره له بمحوه ، فقال : والله لا أمحوه ، يعلم أنَّ الأولى سلوك الأدب ، وهو متَّجه ، وإن قال بعضهم : الأشبه الاتِّباع ولا يعرف إسناد ذلك إلى أحد من السَّلف اهـ، وإنكاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على من خاطبه بذلك إنَّما هو لكونه ضمَّ إليه ألفاظًا من ألفاظ الجاهليَّة وتحياتهم كما يعرف ذلك بمراجعة الحديث ، وقد صحَّ حديث : " أنا سيِّد ولد آدم ولا فخر " ، وجاء عن ابن مسعود مرفوعًا وموقوفًا وهو أصحّ : أحسنوا الصَّلاة على نبيِّكم ، وذكر كيفيَّة ، منها : اللهمَّ صلِّ على سيِّد المرسلين، وحديث : " لا تسيِّدوني في الصَّلاة " موضوع، وقول بعض الشَّافعيَّة : إنَّ ذلك مبطل غلط فلا يقال ينبغي مراعاته، وفي شرح مسلم للأبي : اتَّفق أنَّ طالبًا قال : لا يزاد في الصَّلاة لفظ سيِّدنا لأنَّه لم يرد وإنَّما يقال : اللهمَّ صلِّ على محمَّد فنقمها عليه الطَّلبة وبلغ الأمر إلى القاضي ابن عبد السَّلام فأرسل وراءه الأعوان فاختفى مدَّة حتى شفع فيه حاجب الخليفة فخلَّى عنه ، وكأنَّه رأى أن تغييبه تلك المدَّة عقوبته اهـ. قال بعض الأئمَّة المحقِّقين من المتأخِّرين :

---

(١) انظر : حاشية أحمد بن قاسم العبادي على تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٢/ ٨٦-٨٧) . قال السخاوي في تخريجه لحديث : " لا تسيدوني في الصلاة " : " لا أصل له " انظر : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة (ص٧٢٠ برقم ١٢٩٢) ، وقال العجلوني : " قال في "المقاصد": لا أصل له، وقال الناجي في أوائل مولده المسمى بـ "كنز العفاة": وأما النقل عن سيد الورى: "لا تسودوني في الصلاة"؛ فكذب مولد مفترى، والعوام مع إيرادهم له يلحنون فيه أيضًا فيقولون: "لا تسيدوني" بالياء؛ وإنما اللفظة بالواو " انظر : " كشف الخفاء ومزيل الإلباس (٢/ ٤٣٦ برقم ٣٠١٨) .

(٢) انظر : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج في الفقه على مذهب الإمام الشافعي (١/ ٥٣٠) .

قول المصلِّي : اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد فيه الإتيان بما أمرنا به ، وزيادة الإخبار بالواقع الذي هو أدب ، فهو أفضل من تركه فيما يظهر من الحديث السَّابق وإن تردَّد في أفضليَّته الأسنوي اهـ، وبه يرد ما وقع لصاحب القاموس ميلًا إلى ما أطال به ابن تيمية وغيره في ذلك " (١) .

وقال الإمام أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدِّين النّفراوي الأزهري المالكي (١١٢٦هـ) : " وَعَبَّرَ بِسَيِّدِنَا إشَارَةً إلَى جَوَازِ اسْتِعْمَالِهِ فِيهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) : " قَالَ الْإِسْنَوِيُّ: قَدْ اشْتَهَرَ زِيَادَةُ سَيِّدِنَا قَبْلَ محمَّد عِنْدَ أَكْثَرِ الْمُصَلِّينَ، وَفِي كَوْنِ ذَلِكَ أَفْضَلَ نَظَرٌ اهـ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ أَنَّهُ جَعَلَهُ مِنْ بَابِ سُلُوكِ الْأَدَبِ، وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ سُلُوكَ طَرِيقِ الْأَدَبِ أَحَبُّ مِنْ الِامْتِثَالِ، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ «أَبِي بَكْرٍ حِينَ أَمَرَهُ رَسُولُ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنْ يَثْبُتَ مَكَانَهُ فَلَمْ يَمْتَثِلْ وَقَالَ: مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –» ، وَكَذَلِكَ امْتِنَاعُ عَلِيٍّ عَنْ مَحْوِ اسْمِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ الصَّحِيفَةِ فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ: لَا أَمْحُو اسْمَك أَبَدًا، وَكِلَا الْحَدِيثَيْنِ فِي الصَّحِيحِ فَتَقْرِيرُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَهُمَا عَلَى الِامْتِنَاعِ مِنْ امْتِثَالِ الْأَمْرِ تَأَدُّبًا مُشْعِرٌ بِأَوْلَوِيَّتِهِ " (٣) .

وقال الإمام محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) : " ... وَاعْتُرِضَ بِأَنَّ هَذَا مُخَالِفٌ لِمَذْهَبِنَا لِمَا مَرَّ مِنْ قَوْلِ الْإِمَامِ مِنْ أَنَّهُ لَوْ زَادَ فِي تَشَهُّدِهِ أَوْ نَقَصَ فِيهِ كَانَ مَكْرُوهًا. قُلْت: فِيهِ نَظَرٌ؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ زَائِدَةٌ عَلَى التَّشَهُّدِ لَيَسَتْ مِنْهُ، نَعَمْ يَنْبَغِي عَلَى هَذَا عَدَمُ ذِكْرِهَا فِي " وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ " وَأَنَّهُ يَأْتِي بِهَا مَعَ إبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – " (٤) .

وجاء في " الدُّر المختار " : " وَنُدِبَ السِّيَادَةُ لِأَنَّ زِيَادَةَ الْإِخْبَارِ بِالْوَاقِعِ عَيْنُ سُلُوكِ الْأَدَبِ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ تَرْكِهِ، ذَكَرَهُ الرَّمْلِيُّ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ؛ وَمَا نُقِلَ: لَا تُسَوِّدُونِي فِي الصَّلَاةِ فَكَذِبٌ، وَقَوْلُهُمْ لَا تُسَيِّدُونِي بِالْيَاءِ لَحْنٌ أَيْضًا وَالصَّوَابُ بِالْوَاوِ " (٥) .

---

(١) انظر : الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٢/ ٣٥٣) .

(٢) انظر : الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٧) .

(٣) انظر : نيل الأوطار (٢/ ٣٣٧-٣٣٨) .

(٤) انظر : رد المحتار على الدر المختار (١/ ٥١٤) .

(٥) انظر : رد المحتار على الدر المختار (١/ ٥١٣-٥١٤) .

وقال الإمام عبد الحميد الدَّاغستاني الشّرواني (١٣٠١هـ) في حاشيته على " تحفة المحتاج" : " وَالْأَفْضَلُ الْإِتْيَانُ بِلَفْظِ السِّيَادَةِ كَمَا قَالَهُ ابْنُ ظَهِيرَةَ وَصَرَّحَ بِهِ جَمْعٌ وَبِهِ أَفْتَى الشَّارِحُ لِأَنَّ فِيهِ الْإِتْيَانَ بِمَا أُمِرْنَا بِهِ وَزِيَادَةُ الْإِخْبَارِ بِالْوَاقِعِ الَّذِي هُوَ أَدَبٌ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ تَرْكِهِ وَإِنْ تَرَدَّدَ فِي أَفْضَلِيَّتِهِ الْإِسْنَوِيُّ، وَأَمَّا حَدِيثُ «لَا تُسَيِّدُونِي فِي الصَّلَاةِ» فَبَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ كَمَا قَالَهُ بَعْضُ مُتَأَخِّرِي الْحُفَّاظِ وَقَوْلُ الطُّوسِيِّ أَنَّهَا مُبْطِلَةٌ غَلَطٌ شَرْحُ م ر اهـ سم عِبَارَةُ شَرْحِ بَافَضْلٍ وَلَا بَأْسَ بِزِيَادَةِ سَيِّدِنَا قَبْلَ محمَّد اهـ وَقَالَ الْمُغْنِي ظَاهِرُ كَلَامِهِمْ اعْتِمَادُ عَدَمِ اسْتِحْبَابِهَا اهـ وَتَقَدَّمَ عَنْ شَيْخِنَا أَنَّ الْمُعْتَمَدَ طَلَبُ زِيَادَةِ السِّيَادَةِ وَعِبَارَةُ الْكُرْدِيِّ وَاعْتَمَدَ النِّهَايَةُ اسْتِحْبَابَ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ اعْتَمَدَهُ الزِّيَادِيُّ وَالْحَلَبِيُّ وَغَيْرُهُمْ وَفِي الْإِيعَابِ الْأَوْلَى سُلُوكُ الْأَدَبِ أَيْ فَيَأْتِي بِسَيِّدِنَا وَهُوَ مُتَّجِهٌ اهـ. قَالَ ع ش قَوْلُهُ م ر لِأَنَّ فِيهِ الْإِتْيَانَ إلَخْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا مِنْ سَنِّ الْإِتْيَانِ بِلَفْظِ السِّيَادَةِ فِي الْأَذَانِ وَهُوَ ظَاهِرٌ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ تَعْظِيمُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِوَصْفِ السِّيَادَةِ حَيْثُ ذَكَرَ . اهـ. (١) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدِّمياطي (المتوفى: بعد ١٣٠٢هـ) : " ويتعيَّن لفظ أشهد، فلا يقوم غيره مقامه لأنَّ الشَّارع تعبَّدنا به.

وقوله: وإنَّ محمَّداً رسول الله الأولى ذكر السِّيادة، لأنَّ الأفضل سلوك الأدب.

وحديث: لا تسوِّدوني في صلاتكم " باطل " (٢) .

وقال العلامة محمَّد بن عبد الله الجرداني الدِّمياطي (١٣٣١هـ) عند قوله في التَّشهُّد : (وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله): " يُغتفَر ... زيادة سيِّدنا قبل محمَّد، بل هو الأفضل هنا وفي الصَّلاة عليه الآتية سلوكًا للأدب؛ خلافًا لمن قال: الأولى ترك السِّيادة؛ اقتصارًا على الوارد، والمعتمد الأوَّل، وأمَّا حديث "لا تسوِّدوني في صلاتكم" بالواو لا بالياء فباطل كما في الباجوري" (٣) .

وقال الإمام أبو الفضل عبد الله بن أبي عبد الله شمس الدِّين محمَّد بن محمَّد الصدِّيق الغماري (١٤١٣هـ) تحت عنوان : " استحباب السِّيادة في الصَّلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وإذا قد ثبت من هذه الأحاديث المتواترة إطلاق لفظ (السيِّد) على أفراد من هذه الأمَّة فالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحقّ وأولى به من كلِّ مخلوف بإجماع

---

(١) انظر : حاشية الإمام عبد الحميد الشرواني على تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٢/ ٨٦) .

(٢) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) (١/ ١٩٨) .

(٣) انظر : فتح العلام بشرح مرشد الأنام (٢/ ١٦٥) .

المسلمين إلَّا أنَّ بعضهم كرهه في حقِّ الوارد عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقوفاً مع اللفظ الوارد ، وبعضهم استحبَّه ، كما أشرنا إليه سابقاً .

فقال الشَّيخ زرُّوق في " قواعد التّصوُّف " : ما خرج مخرج التَّعليم وقف به على وجهه من غير زيادة ولا نقص ، فلقد روي أنَّ رجلاً كان يذكر في دبر كلِّ صلاة سبحان الله والحمد لله والله أكبر مائة مرَّة ، فرأى كأنَّ قائلاً يقول : أين الذَّاكرون أدبار الصَّلوات ، فقام ، فقيل له : ارجع فلست منهم ، إنَّما هذه ازيَّة لمن اقتصر على الثَّلاث والثَّلاثين ، فكلّ ما ورد فيه عدد قصر عليه وكذا كلّ لفظ ، نعم اختلف في زيادة سيِّدنا في الوارد من كيفيَّة الصَّلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والوجـــه أن يقتصر على لفظه حيث تعبَّد به ويزاد حيث ما يراد الفضل بالجملة .

وقال صاحب " مفتاح الفلاح " في كلامه على الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وإيَّاك أن تترك للفظ السِّيادة ففيها سرٌّ عظيم لمن لازم هذه العبادة " أ.هـ

وقال الأُبِّي في شرح صحيح مسلم : وما يستعمل من لفظ السيِّد والمولى حسن وإن لم يرد ، والمستند فيه ما صحَّ من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أنا سيِّد ولد آدم " واتَّفق أنَّ طالباً يُدعى بابن غمرين قال : لا يُزاد في الصَّلاة على سيِّدنا ، قال : لأنَّه لم يرد وإنَّما يُقال على محمَّد ، فنقمها عليه الطَّلبة وبلغ الأمر إلى القاضي ابن عبد السَّلام فأرسل وراءه الأعوان فتخفَّى مدَّة ولم يخرج حتى شفع فيه حاجب الخليفة حينئذ فخلَّى عنه ، وكأنَّه رأى أنَّ تغيُّبه تلك المدَّة هي عقوبته أ.هـ

وقال السَّنوسي في شرحه على مسلم أيضاً مثله . وقال الحافظ السَّخاوي في " القول البديع " : ذكر المجد اللغوي ما حاصله أنَّ كثيراً من النَّاس يقولون : اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد وإنَّ في ذلك بحثاً : أمَّا في الصَّلاة فالظَّاهر أنَّه لا يقال اتِّباعاً للفظ المأثور ووقوفاً عند الخبر الصَّحيح وإمَّا في غير الصَّلاة فقد أنكر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على من خاطبه بذلك كما في الحديث المشهور وإنكاره يحتمل أن يكون تواضعاً منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكراهة منه أن يحمد ويمدح مشافهة أو لأنَّ ذلك كان من تحيَّة الجاهليَّة أو لمبالغتهم في المدح حيث قالوا : أنت سيِّدنا وأنت والدنا ، وأنت أفضلنا علينا فضلاً وأنت أطولنا علينا طولاً وأنت الجفنة الغراء وأنت، وأنت فرد عليهم وقال : قولوا بقولكم ولا تستهوينكم الشَّياطين ، وقد صحَّ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أنا سيِّد ولد آدم " ، وقوله للحسن : " أنَّ ابني هذا سيِّد " ، وقوله لسعد : " قوموا إلى سيِّدكم " ، وورد قول سهل بن حنيف للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يا سيِّدي " في حديث عند النَّسائي في " عمل اليوم والليلة " ، وقول ابن مسعود

: اللهمَّ صلِّ على سيِّد المرسلين ، كما تقدَّم ، وفي كلِّ هذا دلالة واضحة وبراهين لائحة على جواز ذلك ، والمانع يحتاج إلى إقامة دليل سوى ما تقدَّم لأنَّه لا ينهض دليلاً مع حكاية الإحتمالات المتقدِّمة .

قال السَّخاوي : وقرأت بخطِّ بعض محقِّقي من أخذت عنه ما نصَّه، الأدب مع من ذكر مطلوب شرعاً بذكر السيِّد، ففي حديث الصَّحيحين: قوموا إلى سيِّدكم أي سعد بن معاذ وسيادته بالعلم والدِّين ، وقول المصلِّين : اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد فيه الإتيان بما آمرنا به وزيادة الأخبار بالواقع الذي هو أدب فهو أفضل من تركه فيما يظهر من الحديث السَّابق وإن تردَّد في أفضليته الشَّيخ الاسنوي وذكر أنَّ في حفظه قديماً أن الشَّيخ ابن عبد السَّلام بناه على أنَّ الأفضل سلوك الأدب أو إمتثال الأمر ، والله المعين " .

وقال الوَنْشَرِيسي "المعيار " : سُئِل سيدي قاسم العقباني رحمه الله: هل يجوز أن يُقال: (اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد) أم لا؟

فأجاب: الصَّلاة على نبيِّنا سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم من أفضل العبادات، ومن معنى الوارد في الذِّكر؛ لأنَّ ذِكْرَه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم يقارنه أبدًا في القلب وفي اللسان ذِكْرُ مولانا جلَّ جلالُه، وأفضل الأذكار ما جيءَ به على الوجه الذي وَصَفَه صاحب الشَّريعة، ولكن ذِكْر نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بالسِّيادة وما أشبهها من الصِّفات التي تدلُّ على التَّعزير والتَّوقير ليس بممنوع، بل هو زيادة عبادة وإيمان، لاسيَّما بعد ثبوت «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ»؛ إذ ذكرُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بـ"سيِّدنا" بعد ورود هذا الخبر إيمان بهذا الخبر، وكلُّ تصديق بما جاء به المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم فهو إيمان وعبادة، والله الموفِّق بفضله. أ.هـ

وأجاب سيِّدي عبد الله عن مثل هذه فقال: ينبغي أن لا يزاد فيها ولا يُنقص منها، فإن زاد فيها "سيِّدنا" و"مولانا" فجائز؛ لأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم أتَى بها تعليمًا لهم حين قالوا له: إنَّ الله سبحانه أمرنا أن نصلِّي عليك، فكيف نصلِّي عليك؟ وأمَّا الصَّلاة المرتجَلة التي لم تَرِد بلفظه فتزيد فيها "سيِّدنا ومولانا محمد"؛ إذ هو سيِّدنا ومولانا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقد نصَّ على هذه المسألة بعينها الإمام الباخلي في "شرح الحزب الصَّغير" للقطب سيِّدنا ومولانا أبي الحسن الشَّاذلي رضي الله عنه، وبالله التَّوفيق" اهـ.

وقال الحطَّاب في أول شرحه على " المختصر" : بعد نقل ما سبق عن الأُبِّي ما نصّه : "وذكر البرزلي عن بعضهم أنه أنكر أن يقولها -يعني لفظ "السيِّد"- أحدٌ، ثمَّ قال: وهذا إن صحَّ عنه غاية الجهل، قال: واختار شيخ شيوخنا المجد اللغوي صاحب القاموس ترك ذلك في الصَّلاة؛ اتِّباعًا لِلَفظ الحديث، والإتيانَ به في غير الصَّلاة، وذكر الحافظ السَّخاوي في "القول البديع" كلامَه، وذكر عن ابن مفلح الحنبلي نحو ذلك، وذَكَرَ عن

الشَّيخِ عِزِّ الدِّينِ ابنِ عبدِ السَّلامِ أَنَّ الإتيانَ بها في الصَّلاةِ يَنبَنِي على الخِلافِ: هل الأَولَى امتِثالُ الأَمرِ أو سُلُوكُ الأَدَبِ؟ قُلت: واَلذي يَظهَرُ لي وأَفعَلُه في الصَّلاةِ وغيرِها الإتيانُ بلَفظِ "السَّيِّد"، واَللهُ أَعلَمُ" اهـ.

وقال أبو العبَّاس أحمد بن صالح النفجروتي الدِّرعي المالكي في كتابه "تنبيه الغافل عمَّا ظنَّه عالم": "وانظر هل يجوز لأحد أن يزيد لفظ "السِّيادة" قبل "محمد" أو لا؟ فيقتصر على لفظ "محمَّد" خاصَّة كما ورد في الحديث... وكنت أزيدها حيث صلَّيت عليه وأستحي أن أذكر اسم "محمَّد" خاصَّة دون لفظ السِّيادة وأستثقله كثيرًا، مع أنِّي لم أَرَ مِن ذِكْرها كذلك من الأئمَّة المقتدَى بهم، ثمَّ خفت بعد ذلك هل يُقبَل منِّي ذلك لكوني أزيد ما لم يذكره النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ولا ذَكَرَهُ أحدٌ من الأئمَّة، حتى وقفت على كلام الإمام البرزلي رحمه الله في المسائل التي أنكرها أبو عمر الرجراجي على أهل تونس، فذكر منها هذه المسألة، ونصّه (في المسألة السَّابعة): وممَّا سُمِع أيضًا منه أنَّه قال –وأمر به–: لا يقُل أحدكم: "اللَّهُمَّ صلِّ علَى سيِّدنا محمَّد"؛ لأنَّه ما ورد في الحديث إلَّا "اللَّهُمَّ صلِّ علَى محمَّد"، وهذه غاية الجهل؛ لأنَّه خرج منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم مخرج التَّعليم للصَّلاة عليه لا لقصد لفظه، بل لمَّا افتُقِر إلى معرفة منزلته قال: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْرَ» ، وقوله:«آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ» ، ولا خلاف أنَّ كلّ ما يقتضي التَّشريف والتَّوقير والتَّعظيم في حقِّه عليه الصَّلاة والسَّلام أنَّه يقال بألفاظ مختلفة حتى بلغها ابن العربي مائة فأكثر، وقد وقعت في قضاء ابن عبد السَّلام، وهو أنَّ رجلاً ينتحل الطَّلب فقال: من قال "سيِّدنا محمَّد" في الصَّلاة بطلت صلاتُه، فرُفعَت قضيتُه للقاضي ابن عبد السَّلام فوقع الطَّلب عليه، واستخفى ستَّة أشهر حتى شفع فيه للقاضي فعفا عنه، وموجبه الجهل بحقائق الأشياء" اهـ كلام الإمام البرزلي.

ثمَّ رأيتُ أيضًا لبعض الشُّرَّاح: "ويجوز أن يُقال: صلَّى الله على سيِّدنا؛ لأنَّه سيِّد الأوَّلين والآخرين"اهـ، ثمَّ وقفت أيضًا على كلام الإمام ابن عطاء الله رضي الله عنه في كتابه المسمَّى "مفتاح الفلاح" ونَصُّه لما تكلَّم ذكر الصَّلاة التَّامَّة قال: "وإيَّاك أن تترك لفظ "السِّيادة"؛ ففيها سِرٌّ يظهر لمن لازم هذه العبادة"اهـ، فزال عنِّي –والحمد لله– ما كنت أخاف منه" أهـ (١) .

وجاء في فتاوى دائرة الإفتاء الأردنيَّة :

السُّؤال : ما حكم زيادة لفظ سيِّدنا في التَّشهُّد الأخير في الصَّلاة الإبراهيميَّة؟

الجواب : الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا رسول الله .

---

(١) انظر : تشنيف الآذان بأدلَّة استحباب السِّيادة عند ذكر اسمه عليه الصَّلاة والسَّلام في الصَّلاة والإقامة والأذان (ص٤٣ فما بعدها) .

ثبت في الأحاديث الصَّحيحة أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (أنا سيِّد ولد آدم) رواه مسلم، فسيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو سيِّد النَّاس كلّهم من عهد آدم إلى يوم القيامة، بل هو سيِّد الإنس والجنّ والملائكة أيضًا، وقد عاب الله تعالى على الذي ينادون النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسمه المجرَّد، فقال: **﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً﴾** [النور:٦٣] ، وقال تعـــالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِي وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾** [الحجرات:٢]

ولذلك فليس من قبيل الأدب ذكر اسم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجرَّداً عن الصَّلاة والسَّلام عليه، أو من غير ألفاظ التَّبجيل والتَّعظيم .

وأمَّا زيادة لفظ: "سيِّدنا" في الصَّلاة الإبراهيميَّة فقد اختلف فيها الفقهاء على قولين، والمعتمد في مذهبنا استحباب هذه الزِّيادة وإن لم ترد في صيغة الصَّلاة التي علمها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه، وذلك لأنَّ في زيادة لفظ "السِّيادة" الامتثال لما أُمرنا به من الأدب مع النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وامتثال الأدب أفضل من الاقتصار على الوارد في الصِّيغة التي علَّمها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه، ألا ترى كيف رجع أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه عن موقف الإمامة حين تأخَّر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإمامة بسبب الانشغال في الإصلاح بين المتخاصمين، مع أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشار إليه أن يبقى مكانه، ولكنَّه رضي الله عنه قال: " مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّ " متَّفق عليه (١) . وكذلك استدلَّ العلماء على هذه القاعدة: "سلوك الأدب أفضل من الامتثال" برفض علي بن أبي طالب رضي الله عنه محو كلمة "رسول الله" من كتاب صُلح الحديبية.

فقال العلماء: وإن كان النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعلِّم الصَّحابة لفظ: "سيِّدنا" في الصَّلاة الإبراهيميَّة، فنحن نزيدها حرصاً على كمال التَّأدُّب مع النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والتَّغيير اليسير في أذكار الصَّلاة لا يضرُّ في صحَّة الصَّلاة.

ولذلك ذهب جماعة من أهل العلم إلى جواز هذه الزِّيادة، منهم: العزُّ بن عبد السَّلام، والقُرافي، والرَّملي، والجلال المحلِّي، وقليوبي، والشَّرقاوي، والحصفكي، وابن عابدين، والنَّفراوي، وغيرهم.

ينظر: [مغني المحتاج ١/ ٣٨٤] وإن كان نقل عن ظاهر المذهب اعتماد عدم استحباب الزِّيادة، [أسنى المطالب٤/ ١٦٦] لزكريا الأنصاري] و[حاشية تحفة المحتاج٢/ ٨٨] و[الموسوعة الفقهية ١١/ ٣٤٦] .

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٣٧ برقم ٦٨٤) ، مسلم (١/ ٣١٦ برقم ٤٢١) .

والخلاصة : أنَّ من زاد لفظ السِّيادة في التَّشهُّد في الصَّلاة من باب التَّأدُّب مع النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا حرج عليه، ومن تركها التزاماً بما ورد عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا المقام لا حرج عليه أيضاً، فالأوَّل يعظم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذكر سيادته، والثَّاني يعظِّمه بترك الزِّيادة على ما روي عنه، والكلُّ على خير، والمهم أن لا يسيء بعضنا الظَّنَّ ببعض، ونحن متَّفقون على وجوب محبَّة وتعظيم سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد أمرنا الله تعالى بأن يكون صفّنا متراصَّاً، خاصَّة في مثل الظُّروف التي نعيشها، والتي يريد البعض بعثرة الصُّفوف بمثل هذه الخلافات، عملاً بالقاعدة الاستعماريَّة: "فَرِّق تَسُد" ، والله أعلم " (١) .

وكعادتهم يأبى المتمسلفة إلَّا الخلاف في هذه المسألة كغيرها من المسائل التي خالفوا فيها مجموع الأمَّة واتَّهموا من يصلُّون على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التَّشهُّد في الصَّلاة بالبدعة ومخالفة السنَّة... بحجَّة اتِّباع السَّلف ... مع أنَّ الكثير من ترَّهاتهم لا تمتُّ للسَّلف بأدنى صلة ... مع العلم أنَّهم في هذه المسألة متناقضون مع بعضهم البعض ...

فقد جاء في " فتاوى نور على الدَّرب " : " حكم قول: اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد داخل الصَّلاة .

س: الأخ: إ. م. ع. من المملكة المغربيَّة، يسأل ويقول: هل يجوز لنا أن نسيِّد محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داخل الصَّلاة؟ وما حكم من يسيِّده داخل الصَّلاة؟ وما حكم من لم يسيِّده داخل الصَّلاة؟ جزاكم الله خيراً .

ج: المشروع في الصَّلاة عدم التَّسييد؛ لأنَّه لم يرد في النُّصوص، وإنَّما علمهم عليه الصَّلاة والسَّلام أن يقولوا: «اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنَّك حميد مجيد، اللهمَّ بارك على محمَّد وعلى آل محمَّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنَّك حميد مجيد » فالمشروع هكذا، كما علَّمهم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لكن لو أنَّ الإنسان قال: اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد. لا بأس ولا حرج عليه؛ لأنَّ محمَّداً سيِّد ولد آدم عليه الصَّلاة والسَّلام، فمن قال لا حرج عليه، ومن ترك لا حرج عليه، والأفضل التَّرك في التَّشهُّد والأذان، يقول: أشهد أنَّ محمَّداً رسول الله كما علَّم النَّبي أصحابه ذلك، كان بلال يؤذِّن بهذا، وهكذا أبو محذورة، ولو أنَّ مؤذِّناً قال: أشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً رسول الله. صح لكنَّه خلاف السُّنَّة، ما كان النَّبي يقول هكذا، ولا علَّم الصَّحابة ذلك، وإنَّما المشروع أن يقول: أشهد أنَّ محمَّداً رسول الله. في الأذان والإقامة،

---

(١) انظر : فتاوى دائرة الإفتاء الأردنيَّة : اسم المفتي : لجنة الإفتاء ومراجعة سماحة المفتي العام الدكتور نوح علي سلمان ، الموضوع : زيادة لفظ: "سيدنا" في الصلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند التشهد ، رقم الفتوى : ٥١٢ ، التاريخ : ١٤-٠٢-٢٠١٠ ، التصنيف : صفة الصلاة ، نوع الفتوى : بحثية .

لكن لو قال: أنَّ سيِّدنا محمَّداً. هو صادق، هو سيِّدنا، لكن لم يشرع هذا، والمسلمون عليهم التَّقيُّد في العبادات؛ لأنَّها توقيفيَّة، فعلى المسلم أن يتقيَّد بالعبادة بما ورد عن الشَّرع فلا يزيد، ففي التَّحيَّات يقول: «اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد » كما جاء في النُّصوص، وفي الأذان يقول: أشهد أنَّ محمَّداً رسول الله. وفي الإقامة كذلك، وأمَّا في غير هذا إذا قال: أشهد أنَّ سيِّدنا محمداً رسول الله. أو: اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد. فلا حرج في ذلك؛ لأنَّه سيِّد ولد آدم عليه الصَّلاة والسَّلام، قال عليه الصَّلاة والسلام: «أنا سيِّد ولد آدم ولا فخر » .

المقصود هو أفضل الخلق عليه الصَّلاة والسَّلام، لكن علينا أن نتقيَّد بما شرع لنا، لا نزيد ولا ننقص؛ لأنَّ هذا هو الذي ينبغي لنا؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصَّحيح، يقول – اللهمَّ صلِّ عليه وسلِّم –: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ » يقول: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ » فالتَّقيُّد بما علَّمنا إيَّاه وشرعه لنا هو الذي ينبغي لنا، ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إيَّاكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة » ويقول الرَّبُّ عزَّ وجلَّ : **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾** ويقول جلَّ وعلا: **﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّين مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ﴾** فالمشروع للمسلمين التَّقيُّد بما علَّمهم إيَّاه نبيُّهم عليه الصَّلاة والسَّلام، وما شرعه لهم في الأقوال والأعمال " (١) .

وقال ابن عثيمين في " المناهي اللفظيَّة " : " لا يرتاب عاقل أنَّ محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سيِّد ولد آدم ، فإنَّ كلّ عاقل مؤمن يؤمن بذلك، والسيِّد هو ذو الشَّرف والطَّاعة والإمرة، وطاعة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طاعة الله – سبحانه وتعالى **﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللهَ﴾** ، ونحن وغيرنا من المؤمنين لا نشكُّ أنَّ نبيّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سيّدنا، وخيرنا، وأفضلنا عند الله – سبحانه وتعالى– وأنَّه المُطاع فيما يأمر به، صلوات الله وسلامه عليه، ومن مقتضى اعتقادنا أنَّه السيِّد المطاع، عليه الصَّلاة والسَّلام، أن لا نتجاوز ما شرع لنا من قول أو فعل أو عقيدة ، وممَّا شرعه لنا في كيفيَّة الصَّلاة عليه في التَّشهُّد أن نقول: (اللهمَّ صلِّ على محمَّد، وعلى آل محمَّد كما صلَّيت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنَّك حميد مجيد) أو نحوها من الصِّفات الواردة في كيفيَّة الصَّلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا أعلم أنَّ صفة وردت بالصِّيغة التي ذكرها السَّائل وهي (اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى آل سيِّدنا محمَّد) وإذا لم ترد هذه الصِّيغة عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإن الأفضل ألَّا نصلِّي على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بها، وإنَّما نصلِّي عليه بالصِّيغة التي علَّمنا إيَّاها.

---

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٨/ ٣٨٢–٣٨٥) .

وبهذه المناسبة أودُّ أن أنبِّه إلى أنَّ كلّ إنسان يؤمن بأنَّ محمَّداً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيِّدنا فإنَّ مقتضى هذا الإيمان أن لا يتجاوز الإنسان ما شرعه وأن لا ينقص عنه، فلا يبتدع في دينه الله ما ليس منه، ولا ينقص من دين الله ما هو منه، فإن هذا هو حقيقة السِّيادة التي هي من حقِّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا .

وعلى هذا فإنَّ أولئك المبتدعين"!!! لأذكار أو صلوات على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لم يأت بها شرع الله على لسان رسوله محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنافي دعوى أنَّ هذا الذي ابتدع يعتقد أنَّ محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سيِّد، لأنَّ مقتضى هذه العقيدة أن لا يتجاوز ما شرع وأن لا ينقص منه، فليتأمَّل الإنسان وليتدبَّر ما يعنيه بقوله حتى يتَّضح له الأمر ويعرف أنَّه تابع لا مشرِّع.

وقد ثبت عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أنَّه قال: " أنا سيِّد ولد آدم " والجمع بينه وبين قوله: " السيِّد الله " أنَّ السِّيادة المطلقة لا تكون إلَّا لله وحده فإنَّه تعالى هو الذي له الأمر كلّه فهو الآمر وغيره مأمور، وهو الحاكم وغيره محكوم، وأمَّا غيره فسيادته نسبيَّة إضافيَّة تكون في شئ محدود، ومكان محدود، وعلى قوم دون قوم، أو نوع من الخلائق دون نوع " (١) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " السُّؤال الأوَّل من الفتوى رقم (٢٧٥٩)

س١ : أيّهما أصوب: أن نقول عند ذكر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) أو نقول: (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؟

ج١ : الأمر فيه سعة، فيجوز ذكر محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أو سيِّدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّه سيِّد الأوَّلين والآخرين، عليه الصَّلاة والسَّلام، ولكن في الأذان والإقامة لا يقال سيِّدنا، بل يقال كما جاء في الأحاديث: «أشهد أنَّ محمَّدا رسول الله » وهكذا في التَّشهُّد في الصَّلاة لا يقال: (سيِّدنا) بل يقال كما جاء في الأحاديث؛ لأنَّ ذلك أقرب إلى الأدب مع السُّنَّة وأكمل بلا تسييد بالاتِّباع.

وبالله التَّوفيق، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم.

اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء (٢) .

ويقول الشَّيخ الألباني في صفة صلاة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

---

(١) انظر : المناهي اللفظية (ص٧١-٧٣) .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة (٢٤/ ١٤٩-١٥٠) .

" الفائدة الثَّالثة : ويرى القارئ أيضاً أنَّه ليس في شيء منها لفظ: (السيِّادة) ، ولذلك اختلف المتأخِّرون في مشروعيَّة زيادتها في الصَّلوات الإبراهيميَّة ولا يتَّسع المجال الآن لنفصِّل القول في ذلك ، وذكر من ذهب إلى عدم مشروعيَّتها اتِّباعاً لتعليم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكامل لأمَّته حين سئل عن كيفيَّة الصَّلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأجاب آمراً بقوله: (قُوْلُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد ...) ، ولكنِّي أريد أن أنقل إلى القرَّاء الكرام هنا رأي الحافظ ابن حجر العسقلاني في ذلك باعتباره أحد كبار علماء الشَّافعيَّة الجامعين بين الحديث والفقه فقد شاع لدى متأخِّري الشَّافعيَّة خلاف هذا التَّعليم النَّبوي الكريم .

فقال الحافظ محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الغرابيلي (٧٩٠ - ٨٣٥) وكان ملازماً لابن حجر - قال رحمه ومن خطِّه نقلت:

(وسئل (أي الحافظ ابن حجر) أمتع الله بحياته عن صفة الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصَّلاة أو خارج الصَّلاة سواء قيل بوجوبها أو ندبيَّتها هل يشترط فيها أن يصفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسِّيادة كأن يقول مثلاً: اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد أو على سيِّد الخلق أو على سيِّد ولد آدم أو يقتصر على قوله: اللهمَّ صلِّ على محمَّد وأيّهما أفضل: الإتيان بلفظ السِّيادة لكونها صفة ثابتة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو عدم الإتيان به لعدم ورود ذلك في الآثار .

فأجاب رضي الله عنه:

نعم اتِّباع الألفاظ المأثورة أرجح ولا يقال: لعلَّه ترك ذلك تواضعاً منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما لم يكن يقول عند ذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأمَّته مندوبة إلى أن تقول ذلك كلَّما ذكر لأنَّا نقول: لو كان ذلك راجحاً لجاء عن الصَّحابة ثمَّ عن التَّابعين ولم نقف في شيء من الآثار عن أحد من الصَّحابة ولا التَّابعين لهم قال ذلك مع كثرة ما ورد عنهم من ذلك وهذا الإمام الشَّافعي - أعلى الله درجته وهو من أكثر النَّاس تعظيماً للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في خطبة كتابه الذي هو عمدة أهل مذهبه: (اللهمَّ صل على محمَّد) إلى آخره ما أدَّاه إليه اجتهاده وهو قوله: كلَّما ذكره الذَّاكرون وكلَّما غفل عن ذكره الغافلون وكأنَّه استنبط ذلك من الحديث الصَّحيح الذي فيه: (سبحان الله عدد خلقه) فقد ثبت أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأمِّ المؤمنين - ورآها قد أكثرت التَّسبيح وأطالته -: (لقد قلت بعدك كلمات لو وزنت بما قلت لوزنتهن) فذكر ذلك وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعجبه الجوامع من الدُّعاء .

وقد عقد القاضي عياض بابا في صفة الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتاب (الشِّفاء) ونقل فيها أثاراً مرفوعة عن جماعة من الصَّحابة والتَّابعين ليس في شيء منها عن أحد من الصَّحابة وغيرهم لفظ: (سيِّدنا) منها حديث علي أنَّه كان يعلمهم كيفيَّة الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: اللهمَّ داحي المدحوَّات وباري المسموكات اجعل سوابق صلواتك ونوامي بركاتك وزائد تحيتك على محمَّد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق .

وعن علي أنَّه كان يقول: صلوات الله البرّ الرَّحيم والملائكة المقرَّبين والنَّبيين والصدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين وما سبح لك من شيء يا ربّ العالمين على محمَّد بن عبد الله خاتم النَّبيين وإمام المتَّقين ... الحديث .

وعن عبد الله بن مسعود أنَّه كان يقول: اللهمَّ اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على محمَّد عبدك ورسولك إمام الخير ورسول الرَّحمة ... الحديث .

وعن الحسن البصري أنَّه كان يقول: من أراد أن يشرب بالكأس الأروى من حوض المصطفى فليقل: اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وذريَّته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبِّيه. فهذا ما أوثره من (الشِّفاء) ممَّا يتعلَّق بهيئة الصَّلاة عليه عن الصَّحابة ومن بعدهم وذكر فيه غير ذلك .

نعم ورد في حديث ابن مسعود أنَّه كان يقول في صلاته على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهم اجعل فضائل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيِّد المرسلين ... الحديث. أخرجه ابن ماجه ولكن إسناده ضعيف وحديث علي المشار إليه أوَّلاً أخرجه الطَّبراني بإسناد ليس له بأس وفيه ألفاظ غريبة رويتها مشروحة في كتاب (فضل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لأبي الحسن بن الفارس ، وقد ذكر الشَّافعيَّة أنَّ رجلاً لو حلف ليصلينَّ على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الصَّلاة فطريق البرّ أن يصلِّي على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهمَّ صلِّ على محمَّد كلَّما ذكره الذَّاكرون وسها عن ذكره الغافلون. وقال النَّووي: والصَّواب الذي ينبغي الجزم به أن يقال: اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد كما صلَّيت على إبراهيم... الحديث

وقد تعقَّبه جماعة من المتأخِّرين بأنَّه ليس في الكيفيَّتين المذكورتين ما يدلُّ على ثبوت الأفضليَّة فيهما من حيث النَّقل وأمَّا من حيث المعنى فالأفضليَّة ظاهرة في الأوَّل .

والمسألة مشهورة في كتب الفقه والغرض منها أنَّ كل من ذكر هذه المسألة من الفقهاء قاطبة لم يقع في كلام أحد منهم: (سيِّدنا) ولو كانت هذه الزِّيادة مندوبة ما خفيت عليهم كلّهم حتى أغفلوها ، والخير كلُّه في الاتِّباع والله أعلم) .

قلت: وما ذهب إليه الحافظ ابن حجر رحمه الله من عدم مشروعيَّة تسويده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصَّلاة عليه اتِّباعاً للأمر الكريم وهو الذي عليه الحنفيَّة هو الذي ينبغي التَّمسُّك به لأنَّه الدَّليل الصَّادق على حبِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]

ولذلك قال الإمام النَّووي في (الرَّوضة) (١ / ٢٦٥) :

(وأكمل الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهمَّ صلِّ على محمَّد...) إلخ وفق النَّوع الثَّالث المتقدِّم فلم يذكر فيه (السِّيادة) " (١) .

وفي الجواب عمَّا تعلَّلوا به من حجج نقول :

أمَّا عن زعمهم بأنَّ السَّلف لم يقولوا بتسويده ، فدعوى فارغة ... فقد وردت السِّيادة في الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصَّحابيين الجليلين عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ...

وَرَوَى ابْنُ مَاجَة وَغَيْرُهُ بإِسْنَادِهِم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَحْسِنُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ، لَعَلَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَقَالُوا لَهُ: فَعَلِّمْنَا، قَالَ، قُولُوا: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَاتَكَ، وَرَحْمَتَكَ، وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، محمَّد عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، إِمَامِ الْخَيْرِ، وَقَائِدِ الْخَيْرِ، وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ، اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا، يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» (٢) .

قال السُّيوطي في تعليقه على الأثر السَّابق : " وروى ابن ماجه وغيره بسند حسن عن ابن مسعود قال: إذا صلَّيتم على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأحسنوا الصَّلاة فإنَّكم لا تدرون لعلَّ ذلك يفرض عليه، قالوا له: فعلِّمنا قال: قولوا اللهمَّ اجعل فضائل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيِّد المرسلين الحديث، ورواه بعضهم عن ابن مسعود مرفوعاً.

وروى أبو القاسم البغوي في فوائده عن ثوير مولى بني هاشم قال: قلت لابن عمير: كيف الصَّلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قال: اللهمَّ اجعل ، فذكر نحوه.

---

(١) انظر : صفة صلاة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها (ص١٧٢-١٧٦) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٢٩٣ برقم ٩٠٦) ، الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١١٥ برقم ٨٥٩٤) ، البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٢٢ برقم ١٤٥٣) ، الشجري كما في ترتيب الأمالي الخميسية (١/ ١٦٤ برقم ٦١٤) .

فهذه الأحاديث يشهد بعضها بعضاً، وأقواها أوَّلها، ويدلُّ مجموعها على أنَّ للزِّيادة أصلاً " (١) .

وجاء في " المطَالبُ العَاليَةُ بزَوَائِدِ المسَانيد الثّمَانِيَةِ " : " حدَّثنا هُشيم، ثنا " أَبُو بَلْج الْفَزَارِيُّ ، ثنا ثُوير مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ ابن عمر رضي الله عنه: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينِ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينِ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، محمَّد عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، إِمَامِ الْخَيْرِ، وَقَائِدِ الخَيْرِ، اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، وصلِّ عَلَى محمَّد وَعَلَى آلِ محمَّد، كَمَا صَلَّيت عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مجيد" (٢) .

---

(١) انظر : تحفة الأبرار بنكت الأذكار للنووي (ص٨٢) . وقال الحافظ ابن حجر : هذا حديث حسن.

أخرجه عبد بن حميد في التفسير عن أبي نعيم. وأخرجه ابن ماجه من رواية زياد بن عبد الله. والمعمري من رواية الأعمش وإسماعيل بن علية. والدارقطني في الأفراد من رواية وكيع، كلهم عن المسعودي.

واسمه عبد الرحمن بن عبد الله، وهو كوفي صدوق، لكنه اختلط بأخرة، فسماع القدماء منه صحيح، ومنهم الأعمش، فإنه من أقرانه.

وأبو فاختة بفاء وخاء معجمة مكسورة بعدها مثناة، واسمه سعيد بن علاقة بكسر المهملة والتخفيف، وهو ثقة، وكذا سائر رجال الإسناد . انظر : نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار (٤/ ٤٢-٤٣) .

(٢) جاء في هامش المطالب : " الأثر بهذا الإسناد ضعيف، لوجود ثُوير بن أبي فاختة.

وذكره البوصيري في الإتحاف -خ- (٣/ ٢٢ أ) مختصر، ونسبه لأحمد بن مَنيع، ثمَّ قال: وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مسعود، رواه ابن أبي عمر، وأبو يعلى، وابن ماجه موقوفًا، بإسناد حسن، ورواه الحاكم مرفوعًا.

تخريجه: ذكره السخاوي في القول البديع (ص ٦٤)، ثمَّ قال: رواه أحمد بن مَنيع في مسنده، وسبطه البغوي في فوائده عنه، ومن طريقه النُّميري بسند ضعيف.

وأخرجه المحاملي في الأمالي (ص ٢٨٧) قال: ثنا إبراهيم بن مُجَشِّر، ثنا هُشيم به، بلفظ قريب.

ولفظه: "اللهم اجعل صلاتك وبركاتك على سيد المسلمين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، إِمَامِ الْخَيْرِ، وَقَائِدِ الْخَيْرِ، اللَّهُمَّ ابعثه يوم القيامة مقامًا يغبطه به الأولون والآخرون، صلَّى الله عَلَى محمَّد وَعَلَى آلِ محمَّد، كَمَا صَلَّيت على إبراهيم، إنك حميد مجيد".

وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة (ص ٥٨) قال: حدّثنا يحيى الحِمّاني قال: ثنا هُشيم به، بلفظه، وقال: "سيد المسلمين"، بدل: "سيد المرسلين"، ودون: "إنك حميد مجيد". وفي سنده: يونس مولى بني هاشم قال: قلت لعبد الله بن عَمرو، أو ابن عَمرو، أو ابن عمر -على الشك-.

ويشهد له حديث ابن مسعود موقوفًا، أخرجه ابن ماجه (١/ ٢٩٣) واللفظ له، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة (ص ٥٧)، وأبو يعلى (٩/ ١٧٥)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٢١)، والدارقطني في العلل (٥/ ١٥)، وأبو نُعيم في الحلية (٤/ ٢٧١)، والبيهقيُّ في الشعب (٢/ ٢٠٨)، وفي الدعوات (ص ١١٩)، والشجري في الأمالي (١/ ١٢٥)، كلهم من طريق المسعودي عن عون بن عبد الله، عن أبي فاختة، عن الأسود بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ قال: "إذا صَلَّيتم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه"، قال: فقالوا له: فعلِّمنا، قال: "قولوا: اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينِ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينِ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، محمَّد

قال الإمام ابن حجر الهيتمي :" وهو شامل للصَّلاة وخارجها " ، وقد مرَّ كلامه بتمامه ...

ثمَّ إنَّ الاحتجاج على عدم المشروعيَّة بالتَّرك على التَّحريم أو الكراهة لا يجوز ... فليس كلّ ما تركه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو السَّلف يعتبر مكروهاً أو حراماً ... وقد جلَّى هذه المسألة وبما لا مزيد عليه الإمام الغُماري في رسالته الممتعة : " حسن التَّفهُّم والدَّرك لمسألة التَّرك " ... فلتراجع ...

يُضاف لما سبق أنَّ مجموع الأدلَّة الشَّرعيَّة القاضية بوجوب تعظيم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوقيره ، وتعزيره ، وتسويده جاءت عامَّة لا مخصِّصَ لها ... فالتَّسويد لا يتعلَّق بالصَّلاة ، بل هو شامل للصَّلاة وخارجها ،... وهي مشروعة في كلِّ وقت وكلِّ موضع عند ذكر اسمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... فالتَّأدُّب مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطلوبٌ في كلِّ حين ... هذا مع العلم أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرَّ الصَّحابة على أمور عديدة ، منها : إقراره لبلال بزيادة : " الصَّلاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ" في أذان الفجر ...

عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، إِمَامِ الْخَيْرِ، وَقَائِدِ الْخَيْرِ، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صَلِّ عَلَى محمَّد وَعَلَى آلِ محمَّد، كَمَا صَلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمَّد وعلى آل محمَّد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد".

وذكره المنذري في الترغيب (٢/ ٥٠٥)، ثمَّ قال: رواه ابن ماجه موقوفًا بإسناد حسن.

وقال البوصيري في الإتحاف -خ- (٣/ ٢٢ أ) مختصر: رواه ابن أبي عمر، وأبو يعلى، وابن ماجه موقوفًا بإسناد حسن، ورواه الحاكم مرفوعًا.

وذكره السخاوي في القول البديع (ص ٧٤)، ثمَّ قال: وإسناد الموقوف حسن، بل قال الشَّيخ علاء الدِّين مغلطاي: إنه صحيح، لكن قد تعقب بعض المتأخرين على المنذري حيث حسَّنه بما حاصله: كيف يكون حسنًا وفي إسناده المسعودي، وقد قال ابن حبّان: إنه اختلط بأخرة، ولم يتميز حديثه الأوّل من الآخر، فاستحق الترك.

قلت: إسناده صحيح، والمسعودي وإن كان قد اختلط بأخرة، إلَّا أن النُّقَّاد قد ميزوا حديثه، فمن روى عنه قبل الاختلاط، فحديثه صحيح، ومن روى عنه بعد الاختلاط، فحديثه ضعيف والله أعلم، وممن روى عنه قبل الاختلاط جعفر بن عون، كما في رواية البيهقي في الدعوات.

وأخرجه عبد الرزاق (٢/ ٢١٣)، ومن طريقه أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٢٢)، وأبو نُعيم في الحلية (٤/ ٢٧١) من طريق عون بن عبد الله، عن رجل، عن الأسود بن يزيد به، بلفظ قريب.

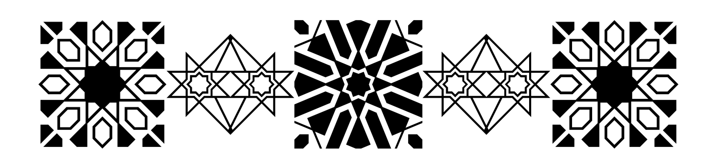
وفيه إبهام شيخ عون بن عبد الله، ولعله أبو فاختة، كما في الطريق الأولى، والله أعلم.

وأخرجه الحاكم (١/ ٢٦٩)، من طريق رجل من بني الحارث، عن ابن مسعود، مرفوعًا، فذكر آخره.

ولفظه: "إذا تشهّد أحدكم في الصلاة، فليقل: اللهم صَلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد، وبارك على محمَّد وعلى آل محمَّد، وارحم محمدًا وآل محمَّد، كما صَلَّيت وباركت وترحّمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد".

فممَّا سبق بيانه يتبيَّن لنا استحباب تسويد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التَّشهُّد في الصَّلاة ، وذلك بتقديم لفظ (سيِّدنا) قبل ذكر اسمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنَّ ذلك لا يُعتبر بدعة لأنَّ البدعة هي كلُّ جديد مخالفٍ ومُضاد لما شرع الله تعالى ...

ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ المسألة برمَّتها استوعبها الإمام أحمد بن محمَّد بن الصدِّيق الغماري في كتابه الطيِّب : " تشنيف الآذان بأدلَّة استحباب السِّيادة عند ذكر اسمه عليه الصَّلاة والسَّلام في الصَّلاة والإقامة والأذان " وبها لا مزيد عليه ...



المَبْحَثُ العَاشِرُ

أَنْكَرُوا تَسْمِيَةَ المَدِيْنَة بِالْمُنَوَّرَةِ وَسَمُّوْهَا بِالمَدِيْنَةِ النَّبَوِيَّة

المدينة المنوَّرة هي مهاجرة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد سُمِّيت في القرآن والسُّنَّة بأسماء عديدة منها :

أَوَّلاً : يثرب ، قال تعالى : **﴿وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾** [الأحزاب:١٣] .

ثَانِياً : المدينة ، قال تعالى : **﴿مَا كانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [التوبة:١٢٠] .

ثَالِثاً : الدَّار والإيمان ، قال تعالى : **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر:٩] .

رَابِعاً : طيبة ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، هَذِهِ طَيْبَةُ لَا يَدْخُلُهَا "، يَعْنِي: الدَّجَّالَ (١) .

خَامِساً : طابة ، فقد جاء في الحديث : " فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى إِذَا أَوْفَى عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: " هِيَ هَذِهِ طَابَةُ " (٢) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٥/ ٦٢ برقم ٢٧١٠٢) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم. حمَّاد بنُ سَلَمة، وداود بن أبي هند من رجاله، وبقية وجاله ثقات رجال الشيخين. الشعبي: هو عامر بن شراحيل.

وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٤٢٥٨) ، وابنُ حبان (٣٧٣٠) و (٦٧٨٩) ، والطبراني في "الكبير" ٢٤/ (٩٦٤) من طرق عن حمَّاد بن سلمة، به.

وأخرجه الطبراني ٢٤/ (٩٦٥) من طريق خالد بن عبد الله، وتمام الرازي في "فوائده " (١٧٣٠) (الروض البسام) من طريق سابق بن عبد الله البربري، كلاهما عن داود، به " .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٩/ ١٧ برقم ٢٣٦٠٤) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. عمرو بن يحيى: هو ابن عمارة المازني المدني.

وأخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٥٣٩، ومسلم ص ١٧٨٦ (١٢) ، وابن الجارود (١١٠٩) ، وابن خزيمة (٢٣١٤) ، وأبو عوانة في الحج والمناقب كما في "إتحاف المهرة" ١٤/ ٨٧، وابن حبان (٤٥٠٣) من طريق عفان، بهذا الإسناد. وروايتا ابن الجارود وابن خزيمة مختصرتان.

سَادِسَاً : دار الهِجرة ، فَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ، إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمْرُرْ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بِرْكَ الْغِمَادِ، لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ، فَقَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ: " قَدْ رَأَيْتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، أُرِيتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ - وَهُمَا حَرَّتَانِ - فَخَرَجَ مَنْ كَانَ مُهَاجِرًا قِبَلَ الْمَدِينَةِ حِينَ ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْضُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ... " [1] .

وقد وصفت بالنُّور لأنَّها نوِّرت بنور المصطفى ونور الوحي ونور النُّبوَّة ، ومنوَّرة لوجوب النَّبي فيها حيث ذكر العلماء أنَّ البُقعة التي دُفن فيها عليه الصَّلاة والسَّلام تُعتبر أشرف بقاع الأرض قاطبة ... فالمدينة هي منبع النُّور والحبور والسُّرور الذي عمَّ الأرض قاطبة وهدى البشريَّة إلى نور الحقِّ المبين ...

وقد شهد الصَّحابة أنَّهم لم يروا يوماً قطّ أنور ولا أحسن من يوم دخل الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة ، قال أحمد :حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: " لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكَبُ وَأَبُو بَكْرٍ رَدِيفُهُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُعْرَفُ فِي الطَّرِيقِ لِاخْتِلَافِهِ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِالْقَوْمِ فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَيَقُولُ: هَادٍ يَهْدِينِي. فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ

وأخرجه مطولاً ومختصراً البخاري (١٤٨١) و (٣١٦١) ، ومسلم ص ١٧٨٦ (١٢) ، وأبو داود (٣٠٧٩) ، وأبو عوانة في الحج والمناقب، وابن حبان (٦٥٠١) ، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٥/ ٢٣٩ من طرق عن وهيب بن خالد، به.

وأخرجه مطولاً ومختصراً الدارمي (٢٤٩٥) ، والبخاري (١٨٧٢) و (٣٧٩١) و (٤٤٢٢) ، ومسلم (١٣٩٢) وص ١٧٨٥-١٧٨٦ (١١) ، وأبو عوانة في الحج والمناقب، والبيهقي في "السنن" ٤/ ١٢٢، وفي "الدلائل" ٥/ ٢٣٨-٢٣٩ من طريق سليمان بن بلال، عن عمرو بن يحيى، به.

[1] أخرجه أحمد في المسند (٤٢/ ٤١٩ برقم ٢٥٦٢٦) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وهو عند عبد الرزاق في "المصنف" (٩٧٤٣) ، ومن طريقه أخرجه مطولاً ومختصراً ابن راهويه (٧٦٠) و (٨٤٩) ، وأبو داود (٤٠٨٣) ، وابن حبان (٦٢٧٧) ، واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (١٤٢٢) و (١٤٣١) ، وأبو نُعيم في "دلائل النبوة" (٢٣٠) .

وأخرجه البخاري (٥٨٠٧) و (٦٠٧٩) من طريق هشام بن يوسف الصنعاني، عن معمر، به.

وأخرجه البخاري (٤٧٦) و (٢٢٩٧) و (٣٩٠٥) و (٦٠٧٩) - ومن طريقه البغوي في "شرح السنة" (٣٧٦٣) - وابن خزيمة (٢٦٥) و (٢٥١٨) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٤٠٧٦) ، والحاكم في "المستدرك" ٣/ ٣-٤، والبيهقي في "السنن" ٩/ ٩، وفي "دلائل النبوة" ٢/ ٤٧١-٤٧٥، من طرق عن الزهري، به. وسيرد نحوه برقم (٢٥٧٧٤) .

وقوله: وهما حرتان، مدرج في الخبر، وهو من تفسير الزهري، أشار إلى ذلك الحافظ في "الفتح" ٧/ ٢٣٤" .

الْمَدِينَةِ بَعَثَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِي أُمَامَةَ وَأَصْحَابِهِ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِمَا فَقَالُوا: ادْخُلَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ، فَدَخَلَا " قَالَ أَنَسٌ: " فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ أَنْوَرَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ يَوْمِ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ الْمَدِينَةَ، وَشَهِدْتُ وَفَاتَهُ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ أَظْلَمَ، وَلَا أَقْبَحَ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ "(١) .

وقال أحمد : " حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: " لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ "، وَقَالَ: " مَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَيْدِي حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا "(٢) .

فلأجل ما سبق وغيره الكثير ... سُمِّيت بالمدينة المنوَّرة ... حيث نُوِّرت بالحبيب وبالإسلام وبالوحي الذي أخذ بالتَّنزُّل في أرضها ...وفُضِّلت بالعديد من الفضائل ، منها :

أَوَّلاً : أنَّها أصبحت مباركة بدعاء النَّبي لها ، فَعَن ابْنَ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا"(٣) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٩/ ٢٦٤ برقم ١٢٢٣٤) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم.

وأخرجه أبو يعلى (٣٤٨٦) من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد.

وأخرجه مقطعاً المصنف في "فضائل الصحابة" (٦٠٥) ، وأبو عوانة في المناقب كما في "إتحاف المهرة" ١/ ٤٩٦، والحاكم في "المستدرك" ٣/ ١٢ و٥٧ من طرق عن حماد بن سلمة، به ... " .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢١/ ٣٣٠ برقم ١٣٨٣٠) ، قال الأرنؤوط : " إسناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير جعفر ابن سليمان- وهو الضُّبَعي- فمن رجال مسلم " .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٠/ ٢٤٤ برقم ٦٠٦٤) ، قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير بشر- وهو ابن حرب الأزدي فقد روى له النسائي وابن ماجه، وفيه ضعف، لكن يعتبر به في المتابعات والشواهد.

وسيأتي بأطول مما هنا برقم (٦٠٩١) من طريق حماد بن سلمة، عن بشر بن حرب. وانظر ما سلف برقم (٥٦٤٢) .

ويشهد له حديث سعد وأبي هريرة، سلف برقم (١٥٩٣) بلفظ:"اللهم بارك لأهل المدينة في مدينتهم، وبارك لهم في صاعهم، وبارك لهم في مدّهم ... ".

ثَانِياً : أَنَّها محفوظة بحفظ الله تعالى ، فمن أرادها أو أهلها بسوء أهلكه الله ، فَعَن سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِدَهْمٍ - أَوْ بِسُوءٍ - أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ " (١) .

ثَالِثَاً : أَنَّها تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد ، فعن عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ قَوْمًا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ مَعَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِهَا مَرَضٌ فَنهَاهُمُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَخْرُجُوا حَتَّى يَأْذَنَ لَهُمْ فَخَرَجُوا بِغَيْرِ إِذْنِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي الْخَبَثَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ " (٢) .

رَابِعَاً : أَنَّها أصبحت حَرَماً يحرُسها الملائكة الأبرار ، فَعَن جَابِرٌ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَثَلُ الْمَدِينَةِ كَالْكِيرِ، وَحَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَأَنَا أُحَرِّمُ الْمَدِينَةَ، وَهِيَ كَمَكَّةَ، حَرَامٌ مَا بَيْنَ حَرَّتَيْهَا، وَحِمَاهَا كُلُّهُ، لَا يُقْطَعُ مِنْهَا شَجَرَةٌ إِلَّا أَنْ يَعْلِفَ رَجُلٌ مِنْهَا، وَلَا يَقْرَبُهَا - إِنْ شَاءَ اللهُ - الطَّاعُونُ، وَلَا الدَّجَّالُ، وَالْمَلَائِكَةُ يَحْرُسُونَهَا عَلَى أَنْقَابِهَا، وَأَبْوَابِهَا " (٣) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٣١ برقم ١٥٥٨) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم. أبو عبد الله القَراظ: اسمه دينار.

وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٤٢٦٧) من طريق يحيى بن سعيد القطان، بهذا الإسناد. وتحرف في المطبوع منه "عمر بن نبيه" إلى: عمر بن بثينة.

وأخرجه الدورقي (١٢١) ، ومسلم (١٣٨٧) (٤٩٤) ، والبغوي (٢٠١٤) من طرق عن عمر بن نبيه، به. وذكره البخاري في "التاريخ الكبير" ١/ ٢٣٨ تعليقاً.

وسيأتي برقم (١٥٩٣) من طريق أسامة بن زيد، عن أبي عبد الله القراظ، عن سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة. بأطول مما هنا.

وسيأتي أيضاً بنحوه برقم (١٦٠٦) من طريق عامر بن سعد، عن أبيه.

وأخرجه بنحوه البخاري (١٨٧٧) من طريق جُعيد بن عبد الرحمن، عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، عن أبيها " .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٣/ ٣٣٧ برقم ١٥١٣٢) ، قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد محتمل للتحسين، الحارث بن أبي يزيد روى عنه اثنان، وذكره ابن حبان في "الثقات" ٤/ ١٣٦.

وأخرجه ابن أبي شيبة ١٢/ ١٨٠ عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن أبي يحيى، بهذا الإسناد. وعلقه البخاري من هذا الطريق مختصراً في ترجمة الحارث بن أبي يزيد من "تاريخه" ٢/ ٢٨٥" .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٣/ ٣٩٣ برقم ١٥٢٣٣) ، قال الأرنؤوط : " صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف من أجل ابن لهيعة، وقد توبع.

وأخرجه عبد بن حميد (١٠٧٦) ، ومسلم (١٣٦٢) ، والنسائي في "الكبرى" (٤٢٨٤) ، وابن خزيمة في الحج كما في "الإتحاف" ٣/ ٤٠١، والطحاوي ٤/ ١٩٢، والبيهقي ٥/ ١٩٨ من طريق سفيان الثوري، عن أبي الزبير، به. ولم يصرح أبو الزبير بالسماع، ولفظه: "إن إبراهيم حرّم مكة، وإني حرّمت المدينة ما بين لابتيها، لا يقطع عِضاهها، ولا يُصاد صيدها، وانظر (١٤٦١٦) .

خَامِسَاً : أنَّ الله تعالى حرَّم على الطَّاعون والدَّجَّال دخولها ، فعن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «عَلَى أَنْقَابِ المَدِينَةِ مَلاَئِكَةٌ لاَ يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ، وَلاَ الدَّجَّالُ»(١) .

سَادِسَاً : أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رغَّب في سُكناها ، فَعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ زَيْدٍ المَازِنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ»(٢) . قال الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث : " فَحَدِيثُ مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى التَّرْغِيبِ فِي سُكْنَى الْمَدِينَةِ "(٣) .

سَابِعَاً : أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعدَ من يصبرُ على لَأْوَائِهَا بالشَّفاعة ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، مَوْلَى الْمَهْرِيِّ، أَنَّهُ جَاءَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ لَيَالِي الْحَرَّةِ، فَاسْتَشَارَهُ فِي الْجَلَاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنْ لَا صَبْرَ لَهُ عَلَى جَهْدِ الْمَدِينَةِ وَلَأْوَائِهَا، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ لَا آمُرُكَ بِذَلِكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا، فَيَمُوتَ، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا - أَوْ شَهِيدًا - يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا»(٤) .

ثَامِنَاً : أنَّ الإيمان يأرزُ إليها بمعنى أنَّ الإيمان يجتمع بعضه لبعض فيها ، فَعَن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى المَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»(٥) ...

وعلى تسميتها بالمدينة المنوَّرة سار العلماء والمصنِّفون من أبناء الأمَّة الإسلاميَّة ... حيث غصَّت مؤلَّفاتهم بنعتها بالمنوَّرة ... سواء منهم المتقدِّمون أو المعاصرون ...

وتالياً طائفة من العلماء الذين نعتوا في مصنَّفاتهم المدينة بالمنوَّرة ...

(١) الإمام أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (١٥٠هـ) (١) .

وأخرج عبد بن حميد (١١٣١) ، والبزار (١١٩٠- كشف الأستار) من طريق يعلى بن عبيد، عن أبي بكر الفضل بن مبشر، عن جابر. ولفظه: "المدينة حرام كحرام مكة، والذي أُنزل على محمد إن على أنقابها ملائكة يحرسونها من الشيطان". ولفظه عند البزار: حرم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة بريداً من نواحيها. قلنا: والفضل لَين " .

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٢ برقم ١٨٨٠) ، مسلم (٢/ ١٠٠٥ برقم ١٣٧٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٦١ برقم ١١٩٥) ، مسلم (٢/ ١٠١٠ برقم ١٣٩٠) .

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤/ ١٠٠) .

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٠٢ برقم ١٣٧٤) .

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ٢١ برقم ١٨٧٦) ، مسلم (١/ ١٣١ برقم ١٤٧) .

(٢) الإمام محمَّد بن عمر بن واقد السَّهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (٢٠٧هـ) [٢] .

(٣) الإمام ابن شبه أبو زيد عمر بن شبه النّميري البصري (٢٦٢هـ) [٣] .

(٤) الإمام يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (٢٧٧هـ) [٤] .

(٥) الإمام أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (٢٧٩هـ) [٥] .

(٦) الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (٤٦٨هـ) [٦] .

(٧) الإمام تقي الدِّين ، أبي محمَّد عبد الغني المقْدِسِيِّ الجُماعيليِّ الحنبليِّ (٦٠٠هـ) [٧] .

(٨) الإمام شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي (٦٢٦هـ) [٨] .

(٩) الإمام كمال الدِّين محمَّد بن عبد الواحد السّيواسي (٦٨١هـ) [٩] .

(١٠) الإمام أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشَّهير بالقرافي (٦٨٤هـ) [١٠]

(١١) الإمام أبو الحسن، نور الدِّين، علي بن موسى بن محمَّد بن عبد الملك بن سعيد العَنْسي المُدلجي المغربي الأندلسي المالكي (٦٨٥هـ) [١١] .

(١٢) الإمام أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدَّواداري (بعد ٧٣٦هـ) [١٢] .

(١٣) الإمام أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ) [١٣] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢٩٩) .

(٢) انظر : فتوح الشام (١/ ١٢) ، (١/ ٦١) .

(٣) كتب كتابه الشَّهير : " كتاب تاريخ المدينة المنوَّرة " .

(٤) انظر : المعرفة والتاريخ (١/ ٣٤٦) .

(٥) انظر : : فتوح البلدان (ص١) .

(٦) انظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٥٤) .

(٧) انظر : عُمدةُ الأَحكامِ من كلامِ خيرِ الأَنامِ عليه الصلاةُ والسلامُ (ص٧) .

(٨) انظر : معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (٣/ ١٣٨٦) .

(٩) انظر : شرح فتح القدير (٢/ ٤٠٣) .

(١٠) انظر : الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) (٢/ ١٤٨) ، (٣/ ١١٣) .

(١١) انظر : نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب (ص١٤٧) ، (ص١٨٨) .

(١٢) انظر : كنز الدرر وجامع الغرر(٣/ ٢٧٤) .

(١٣) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٤٤) .

(١٤) الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (٧٤٨هـ) [١] .

(١٥) الإمام محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) [٢] .

(١٦) الإمام صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله الصَّفدي (٧٦٤هـ) [٣] .

(١٧) الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) [٤] .

(١٨) الإمام شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن حجي السَّعدي الحسباني الدِّمشقي (٨١٦ هـ) [٥] .

(١٩) الإمام أبو العبَّاس أحمد بن علي القلقشندي (٨٢١هـ) [٦] .

(٢٠) الإمام محمَّد بن أحمد بن علي، تقي الدِّين، أبو الطيب المكِّي الحسني الفاسي (٨٣٢هـ) [٧] .

(٢١) الإمام أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي، تقي الدِّين المقريزي (٨٤٥هـ) [٨] .

(٢٢) الإمام شهاب الدِّين محمَّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (٨٥٢هـ) [٩] .

(٢٣) الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) [١٠] .

(٢٤) الإمام أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدِّين العينى (٨٥٥هـ) [١١] .

(٢٥) الإمام كمال الدِّين محمَّد بن عبد الواحد السّيواسي المعروف بابن الهمام (٨٦١هـ) [١٢] .

---

[١] انظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٤١/ ٢٥٢) ، (٤٩/ ٢٦٩) .

[٢] انظر : بدائع الفوائد (٤/ ١٩) ، محمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي، بيروت .

[٣] انظر : الوافي بالوفيات (٢٢/ ٦٥) .

[٤] انظر : النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٩٤) ، (١/ ٩٥) ، (١/ ١٥٢) ، (١/ ١٦١) ، البداية والنهاية (٢/ ١٩٤) ، طبقات الشافعيين (ص٩٢٣)

[٥] انظر : تاريخ ابن حجي (٢/ ٨٣٥) .

[٦] انظر : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (ص١٦) .

[٧] انظر : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (٢/ ٢٦٦) ، (٢/ ٣٠٥) ، (٢/ ٣٧٣) .

[٨] انظر : رسائل المقريزي (ص٢١٠) ، (ص٢١٢) .

[٩] انظر : المستطرف في كل فن مستطرف (ض٣٢٢) .

[١٠] انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١١) .

[١١] انظر : مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار (٣/ ٥٠١) .

[١٢] انظر : فتح القدير (٢/ ٤٠٣) .

(٢٦) الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدِّين (٨٧٤هـ) [١] .

(٢٧) الإمام محمَّد بن فرامرز بن علي الشَّهير بملا - أو منلا أو المولى - خسرو (٨٨٥هـ) [٢] .

(٢٨) الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمـــان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) [٣] .

(٢٩) الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) [٤] .

(٣٠) الإمام أبو العبَّاس أحمد بن يحيى الونشريسي (٩١٤هـ) [٥] .

(٣١) الإمام زين الدِّين عبد الباسط بن أبي الصَّفاء غرس الدِّين خليل بن شاهين الظَّاهريّ الملطيّ ثمَّ القاهري الحنفيّ (٩٢٠هـ) [٦] .

(٣٢) الإمام عبد القادر بن محمَّد النعيمي الدِّمشقي (٩٢٧هـ) [٧] .

(٣٣) الإمام محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي، الشَّهير بـ «بَحْرَق» (٩٣٠هـ) [٨] .

(٣٤) الإمام عبد الرَّحيم بن عبد الرَّحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (٩٦٣هـ) [٩] .

(٣٥) الإمام حسين بن محمَّد بن الحسن الدِّيار بَكْري (٩٦٦هـ) [١٠] .

(٣٦) الإمام أحمد بن مصطفى بن خليل: أبو الخير، عصام الدِّين طاشكبري زاده (٩٦٨هـ) [١١] .

---

[١] انظر : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٣/ ٣٤١) ، (٣/ ٣٤٨) ، (٣/ ٣٥٥) .

[٢] انظر : درر الحكام شرح غرر الأحكام (١/ ١٤٨) .

[٣] انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١/ ١٦٥) .

[٤] انظر : لب اللباب في تحرير الأنساب (ص٢٨٥) .

[٥] انظر : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب (٢/ ٢١) .

[٦] انظر : نيل الأمل في ذيل الدول (١/ ٦٩) ، (١/ ٢١٣) ، (٢/ ٢٨) ، (٢/ ١٨٦) ،(٢/ ٢٤٧)، (٤/ ٢٠٣) ،(٤/ ٢١٣) ، (٤/ ٢٦١) ، (٥/ ٣٣٨)، (٧/ ٢٥٥)، (٧/ ٣١٥) .

[٧] انظر : الدارس في تاريخ المدارس (٢/ ٢٨٦) .

[٨] انظر : حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النَّبي المختار (ص٨٣) .

[٩] انظر : معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١/ ٤٦) ، (١/ ١٨٦) ، (١/ ١٩٣) ...

[١٠] انظر : تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (٢/ ٣٧٢) . ..

[١١] انظر : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية (ص١٥٥) ، (ص٢٢٥) ، (ص٢٥٩) ، (ص٣٥٢) ،(ص٣٨٢)، (ص٣٩٢)، (ص٤١٩)، (ص٤٩١)، (ص٤٩٨)، (ص٥٠١) .

(٣٧) الإمام علاء الدِّين علي بن حسام الدِّين ابن قاضي خان القادري الشَّاذلي الهندي البرهانفوري ثمَّ المدني فالمكي الشَّهير بالمتَّقي الهندي (٩٧٥هـ) [١] .

(٣٨) الإمام شمس الدين، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي (٩٧٧هـ) [٢] .

(٣٩) الإمام أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢هـ) [٣] .

(٤٠) الإمام سراج الدِّين عمر بن إبراهيم بن نجيم الحنفي (١٠٠٥هـ) [٤] .

(٤١) الإمام تقي الدِّين بن عبد القادر التَّميمي الدَّاري الغزِّي (١٠١٠هـ) [٥] .

(٤٢) الإمام علي بن (سلطان) محمَّد، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) [٦] .

(٤٣) الإمام مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى (١٠٣٣هـ) [٧] .

(٤٤) الإمام علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدِّين ابن برهان الدِّين (١٠٤٤هـ) [٨] .

(٤٥) الإمام منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (١٠٥١هـ) [٩] .

(٤٦) الإمام عبد الحق بن سيف الدِّين بن سعد اللهَّ البخاري الدِّهلوي الحنفي (١٠٥٢ هـ) [١٠] .

(٤٧) الإمام نجم الدِّين محمَّد بن محمَّد الغزي (١٠٦١هـ) [١١] .

(٤٨) الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) [١] .

---

[١] انظر : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (١٤/ ١٢٤) .

[٢] انظر : مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١/ ١٥٦) .

[٣] انظر : تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) (١/ ١٩٣) .

[٤] انظر : النهر الفائق شرح كنز الدقائق (٢/ ١٧٢) .

[٥] انظر : الطبقات السنية في تراجم الحنفية (ص١٦٢) .

[٦] انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٤) .

[٧] انظر : الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة (ص٨٣) .

[٨] انظر : السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) (١/ ٢٧٢) .

[٩] انظر : دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات (٢/ ٧١) ، (٣/ ٤٨٠) ، كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٣٩٩) ، (٦/ ٢٨٣) .

[١٠] انظر : لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (١/ ٩٧) ، (٨/ ٦٢٩) ، (٨/ ٦٦٠) .

[١١] انظر : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (١/ ٥٩) ، (١/ ٢١٨) ،(١/ ٢٣٩) ، (٢/ ٢٩) ، (٢/ ٣٦) ، (٢/ ١٤٦) ، (٢/ ١٦٨) ، (٢/ ١٩٧) .

(٤٩) الإمام حسن بن عمار بن علي الشّرنبلالي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) [٢] .

(٥٠) الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عمر الخفاجي (١٠٦٩هـ) [٣] .

(٥١) الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن سليمان المدعو بشيخي زاده، يعرف بداماد أفندي (١٠٧٨هـ) [٤] .

(٥٢) الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (١٠٨٩هـ) [٥] .

(٥٣) الإمام عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) [٦] .

(٥٤) الإمام محمَّد، المعروف بدياب الإتليدي (١٠٩٩هـ) [٧] .

(٥٥) الإمام عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (١١١١هـ) [٨] .

(٥٦) الإمام محمَّد أمين بن فضل الله بن محبّ الدِّين بن محمَّد المحبي الحموي (١١١١هـ) [٩] .

(٥٧) الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدِّين بن محمَّد الزّرقاني المالكي (١١٢٢هـ) [١٠] .

---

[١] انظر : حَاشِيَةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايَةُ القَاضِي وكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي (٤/ ٣٦٣) ، (٧/ ٣٤٥) .

[٢] انظر : مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (ص٧٧) ، (٢٨٣) .

[٣] انظر : ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا (ص٤٤٥) .

[٤] انظر : مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (١/ ٣١٣) .

[٥] انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/ ١٨) ، (١/ ٢٨) ،(١/ ٧٧) ،(٧/ ٦٦٧)، (٨/ ٢٠)، (٨/ ١٢٢)، (٨/ ١٣٠)، (٨/ ١٣١)، (٨/ ٤٠٩) ، (٩/ ١٩٥) ، (٩/ ٤٠٥) ، (١٠/ ٧٣)، (١٠/ ١٤٥)، (١٠/ ٢٧٣) ، (١٠/ ٤٦٤)، (١٠/ ٥٣٩)، (١٠/ ٥٥٨)، (١٠/ ٦٠٠)، (١٠/ ٦١٢)، (١٠/ ٦١٥)، (١٠/ ٦١٦) .

[٦] انظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٢/ ١٥) ، (٤/ ٤٧١)، (٦/ ٢٢٨)...

[٧] انظر : نوادر الخلفاء المشهور بـ «إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس»(ص٤٥) .

[٨] انظر : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٣/ ٤٢٤) ، (٤/ ٩٤) ، (٤/ ١٦٢) ، (٤/ ١٨٦)، (٤/ ١٩١)، (٤/ ٣٧٤)، (٤/ ٣٧٥)، (٤/ ٤٦٠)، (٤/ ٤٨٧)، (٤/ ٥٣١)، (٤/ ٥٤٩) ، (٤/ ٥٧٠) .

[٩] انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١/ ٢٠) ، (١/ ٤٢) ، (١/ ٤٣) ،(١/ ٦١) ، (١/ ١١٠) ، (١/ ٢٨٩) ، (١/ ٣٥٥) ، (١/ ٤٠٢)، (٢/ ١١٦) ،(٢/ ١٢٢)، (٢/ ١٤٩)، (٢/ ١٨٦)، (٢/ ٢١٦)، (٢/ ٢٤٣)، (٢/ ٢٨٧)، (٢/ ٣٦٧)، (٢/ ٤٣٤)، (٢/ ٤٦٩)، (٢/ ٤٧٤)، (٣/ ٢٤٠) ، (٣/ ٤٣٥) ،(٤/ ١١٠)، (٤/ ١٢٥) ،(٤/ ٣٧٧)، (٤/ ٣٨٧)، (٤/ ٣٨٨)، (٤/ ٤٢٢)، (٤/ ٤٤٣) ، (٤/ ٤٥٢) .

[١٠] انظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١/ ١٣٦) ، (٢/ ٨٨) ، (٦/ ٥٤٧) ، (٧/ ٤١٨) .

(٥٨) الإمام أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدِّين النّفراوي الأزهري المالكي (١١٢٦هـ) [١].

(٥٩) الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) [٢].

(٦٠) الإمام محمَّد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدِّين السندي (١١٣٨هـ) [٣].

(٦١) الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد البديري الحسيني، الدِّمياطيّ الأشعري الشَّافعيّ، أبو حامد (١١٤٠هـ) [٤].

(٦٢) الإمام عبد الله بن علي بن أحمد بن محمَّد الحسني، المعروف بالوزير (١١٤٧هـ) [٥].

(٦٣) الإمام محمَّد بن عيسى بن محمود بن كنان (١١٥٣هـ) [٦].

(٦٤) الإمام شمس الدِّين أبو المعالي محمَّد بن عبد الرَّحمن بن الغزي (١١٦٧هـ) [٧].

(٦٥) الإمام عثمان بن سعيد الكماخي (١١٧١ هـ) [٨].

(٦٦) الإمام محمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمَّد الحسني، الكحلاني ثمَّ الصَّنعاني، أبو إبراهيم، عز الدِّين، المعروف كأسلافه بالأمير (١١٨٢هـ) [٩].

(٦٧) الإمام عصام الدِّين عثمان بن علي بن مراد العمري (١١٨٤هـ) [١٠].

---

[١] انظر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٢٧١)، (١/ ٢٧٢)، (٢/ ٢٢١)، (٢/ ٦٤٤)، (٢/ ٦٤٨).

[٢] انظر: روح البيان (٣/ ٣)، (٥/ ٣٦).

[٣] انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه) (١/ ٥٦٠)، محمَّد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدِّين السندي، دار الجيل، بيروت.

[٤] انظر: الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي،)، (ص١٣)، (ص١٨)، (ص٢٠)، (ص٦٢)، (ص٧٥)، (ص٨٢)، (ص١٠٢)، (ص١٠٤)، مخطوط.

[٥] انظر: تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري- السابع عشر الميلادي/ تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى (ص٢٨٧).

[٦] انظر: يوميات شامية (الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية) (ص٣٠).

[٧] انظر: ديوان الإسلام (١/ ٢٣٠).

[٨] انظر: المهيأ في كشف أسرار الموطأ (١/ ١٢٤)، (١/ ٣٧٩)، (١/ ٣٩٥)، (١/ ٤٠١).

[٩] انظر: سبل السلام (١/ ٣٣٧)، التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ (١/ ١٧٩).

[١٠] انظر: الروض النضر في ترجمة أدباء العصر (٢/ ١١٦)، (٢/ ١٤٥).

(٦٨) الإمام شمس الدِّين، أبو العون محمَّد بن أحمد بن سالم السَّفاريني الحنبلي (١١٨٨هـ) [١] .

(٦٩) الإمام عبد الرَّحمن بن عبد الله بن أحمد البعلي الخلوتي الحنبلي (١١٩٢هـ) [٢] .

(٧٠) الإمام عبد الرَّحمن بن عبد الكريم الحنفي المدني الشَّهير بالأنصاري (١١٩٥هـ) [٣] .

(٧١) الإمام محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) [٤] .

(٧٢) الإمام محمَّد خليل بن علي بن محمَّد بن محمَّد مراد الحسيني، أبو الفضل (١٢٠٦هـ) [٥] .

(٧٣) الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي النَّجدي (١٢٠٦هـ) [٦] .

(٧٤) الإمام صالح بن محمَّد بن نوح بن عبد الله العَمْري المعروف بالفُلَّاني المالكي (١٢١٨هـ) [٧] .

(٧٥) الإمام محمَّد بن أحمد بن عرفة الدَّسوقي المالكي (١٢٣٠هـ) [٨] .

(٧٦) الشَّيخ سليمان بن عبد الله بن محمَّد بن عبد الوهَّاب (١٢٣٣هـ) في ترجمته لمحمَّد بن عبد الوهَّاب [٩] .

(٧٧) الإمام عبد الرَّحمن بن حسن الجبرتي المؤرِّخ (١٢٣٧هـ) [١] .

---

[١] انظر : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (١/ ١٠٦) ، كشف اللثام شرح عمدة الأحكام (١/ ٣٨٦) ، (١/ ٥٣٨) ، (٢/ ١٧٦) ،(٣/ ٢٧١)، (٣/ ٥٢٥) ، (٤/ ١٨٢) ، (٤/ ٣٩٧) ، (٦/ ٤٤) ، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (١/ ١٣٦) ، (١/ ٣٣٤) .

[٢] انظر : كشف المخدرات والرياض المزهرات لشرح أخصر المختصرات (١/ ٣١٥) .

[٣] انظر : تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب (ص٧) ، (ص٨) ، (ص٢٣) ... عبد الرَّحمن بن عبد الكريم الحنفي المدني الشَّهير بالأنصاري ، تحقيق: محمَّد العرويسي المطوي ، المكتبة العتيقة، تونس ، الطبعة: الأولى، ١٣٩٠هـ ، ١٩٧٠م .

[٤] انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٣/ ٢٨٣) ، (٤/ ٢٨٥) ، (٤/ ٤٨٩) ، تاج العروس من جواهر القاموس (٦/ ٤٨٧) ، (١١/ ٧٧) ، (١١/ ٢٤٥) ...

[٥] انظر : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (١/ ٥) ، (١/ ٦) ، (١/ ٢٢) ، (١/ ٣٢) ،(١/ ٣٣)، (١/ ٤٢) ، (١/ ٦٨) ، (١/ ٨١) ،(١/ ٨٢)، (١/ ١٤٨)، (١/ ١٥٠)، (١/ ١٧١)، (١/ ٢٢٢)، (١/ ٢٥٥)، (١/ ٢٧٢)، (٢/ ٥٣) ...

[٦] انظر : رسالة في الرد على الرافضة (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب، الجزء الثاني عشر) (ص٤٤) .

[٧] انظر : إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار (ص٦٤) .

[٨] انظر : حاشية الدسوقي على الشرح الكبير(١/ ٣٩٩) .

[٩] انظر : التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب (ص٢٥) ، وانظر : (ص٢٩) .

(٧٨) الإمام عبدالعزيز بن ولي الله بن عبدالرَّحيم العُمري الدّهلوي (١٢٣٩هـ) [٢] .

(٧٩) الإمام عثمان بن عبد اللهَّ بن جامع الحنبلي (١٢٤٠هـ) [٣] .

(٨٠) الإمام أحمد بن محمَّد الصّاوي المالكي الخلوتي (١٢٤١هـ) [٤] .

(٨١) الإمام مصطفى بن سعد بن عبده السُّيوطي شهرة، الرّحيبانى مولداً ثم الدِّمشقي الحنبلي (١٢٤٣هـ) [٥] .

(٨٢) الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) [٦] .

(٨٣) الإمام ابن عابدين، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) [٧] .

(٨٤) الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الكزبري الشَّافعي (١٢٦٢هـ) [٨] .

(٨٥) الإمام شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) [٩] .

(٨٦) الإمام رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطّهطاوي (١٢٩٠هـ) [١٠] .

(٨٧) الإمام محمَّد بن عبد الله بن حميد النجدي ثمَّ المكي (١٢٩٥ هـ) [١١] .

(٨٨) الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ) [١] .

---

[١] انظر : تاريخ عجائب الآثار في التَّراجم والأخبار (١/ ١٣٣) ، (١/ ١٤٢) ، (١/ ٤٣٩) ،(١/ ٤٤٢) ،(١/ ٤٤٥)، (١/ ٥٥١)، (١/ ٥٩٢)، (٢/ ٥٧٧)، (٣/ ٩١)، (٣/ ١٣٤)، (٣/ ٣٥٨)، (٣/ ٣٥٩) ، (٣/ ٥٤٤) .

[٢] انظر : مختصر التحفة الاثني عشرية (ص١١٩) ، (ض١٣٢) ، (ص١٦٥) ، (ص٢٤٠) ، (ص٣٠٦) ، تحقيق : محب الدِّين الخطيب ، المطبعة السلفية، القاهرة ، ١٣٧٣هـ .

[٣] انظر : الفوائد المنتخبات في شرح أخصر المختصرات (١/ ٥٣٧) ، (٤/ ١٠٤٦) .

[٤] انظر : بلغة السالك لأقرب المسالك (١/ ٣٤٧) ، (٢/ ٤٦) ، بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ)(١/ ١٦) ، (١/ ٥٢٩) ، (٢/ ٧١) .

[٥] انظر : مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (١/ ١٧٨) ، (٣/ ١٦٩) ، (٦/ ٤٣٤) .

[٦] انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ٣٦٢) ، (٢/ ٣٦٣) .

[٧] انظر : رد المحتار على الدر المختار (١/ ٤٢٨) ، (٢/ ١٨٦) ، (٢/ ٢٥٥) ، (٢/ ٢٩٦) .

[٨] انظر : انتخاب العوالي والشيوخ من فهارس شيخنا الامام المسند العطار أحمد بن عبيد الله العطار (١/ ٣٣) .

[٩] انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ١٥٥) ، (٣/ ٣٦٣) ، (١١/ ١٥٦)، (١١/ ١٨٨) .

[١٠] انظر : نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز (ص٧٠) ، (ص٢١٠) .

[١١] انظر : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (ص٤١) ، (ص٤٤) ،(ص١٢٩) ...

(٨٩) الإمام عبد الحميد الشّرواني الدّاغستاني المكي (١٣٠١هـ) [٢] .

(٩٠) الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدّمياطي (بعد ١٣٠٢هـ) [٣] .

(٩١) الإمام محمَّد عبد الحي بن محمَّد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبو الحسنات (١٣٠٤هـ) [٤] .

(٩٢) الإمام علاء الدِّين محمَّد بن (محمد أمين المعروف بابن عابدين) بن عمر بن عبد العزيز عابدين الحسيني الدِّمشقي (١٣٠٦هـ) [٥] .

(٩٣) الإمام أبو الطيب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) [٦] .

(٩٤) الإمام شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن خالد بن محمَّد النَّاصري الدرعي الجعفري السّلاوي (١٣١٥هـ) [٧] .

(٩٥) الإمام نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدِّين، الآلوسي (١٣١٧هـ) [٨] .

(٩٦) الإمام محمَّد بن أحمد بن سالم بن محمَّد المالكي المكي المعروف بالصبَّاغ (١٣٢١هـ) [٩] .

(٩٧) الإمام أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمَّد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (١٣٢٧هـ) [١٠] .

(٩٨) الإمام محمَّد جمال الدِّين بن محمَّد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (١٣٣٢هـ) [١] .

---

[١] انظر : منح الجليل شرح مختصر خليل (١/ ٨٧) ، (١/ ٣٤١) ،(١/ ٣٥٣) ، (١/ ٣٦٧) ، (١/ ٣٦٨) ، (٢/ ٢٢٧) ، (٢/ ٣٣٩)، (٣/ ٢٢) ، (٣/ ٢١٦) ،(٣/ ٢٨٧) ،(٣/ ٤٤٠)، (٤/ ٦٣)، (٤/ ٦٧)، (٤/ ٣٨٨)، (٨/ ٦)، (٨/ ٣٧٢)، (٩/ ٨٦)، (٩/ ١٣٢)، (٩/ ١٤٨) ، (٩/ ٢٦٣) ، (٩/ ٦٩٣) .

[٢] انظر : حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج (٢/ ٤٣٥) .

[٣] انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) (٢/ ٣٥٥) .

[٤] انظر : التعليق الممجد على موطأ محمَّد (شرح لموطأ مالك برواية محمَّد بن الحسن) (٣/ ٥٧) ، (٣/ ١٦٣) .

[٥] انظر : قره عين الأخيار لتكملة رد المحتار علي «الدر المختار شرح تنوير الأبصار» (مطبوع بآخر رد المحتار) (٧/ ٤٢٢) ، (٧/ ٤٢٤) .

[٦] انظر : الروضة الندية شرح الدرر البهية (١/ ٧٤) ، (١/ ٢٤٩) ، رحلة الصديق إلى البلد العتيق (ص٧) ، (ص٣٩) ، (ص٧٤) ، (ص٧٥) ، (ص١٦٦) .

[٧] انظر : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٢/ ١٦٣) ، (٣/ ٥٧) .

[٨] انظر : جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص٥٤) ، (ص٥٥) .

[٩] انظر : تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام (ص٤٥٣) ، ،(ص٧٣٠) ،(ص٧٣٧) ...

[١٠] انظر : توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (١/ ٤٣) .

(٩٩) الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) [٢] .

(١٠٠) الإمام محمَّد فريد (بك) ابن أحمد فريد (باشا) ، المحامي (١٣٣٨هـ) [٣] .

(١٠١) الإمام عبد الحي بن فخر الدِّين بن عبد العلي الحسني الطَّالبي (١٣٤١هـ) [٤] .

(١٠٢) الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشَّهير بـ الكتَّاني (١٣٤٥هـ) [٥] .

(١٠٣) الإمام خليل أحمد السّهارنفوري (١٣٤٦ هـ) [٦] .

(١٠٤) الإمام عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرَّحيم بن محمَّد بدران (١٣٤٦هـ) [٧] .

(١٠٥) الشَّيخ سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النَّجدي (١٣٤٩هـ) [٨] .

(١٠٦) الإمام يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَّبْهَاني (١٣٥٠هـ) [٩] .

(١٠٧) الإمام عثمان بن المكي التّوزري الزَّبيدي التُّونسي (بعد ١٣٥٠هـ) [١٠] .

---

[١] انظر : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (ص٩٨) .

[٢] انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص١٤٣) ، (صص١٩٩) ، (ص٢٠١) ، (ص٢١٠) ،(ص٢١٥) ،(ص٢٨٤)، (ص٢٨٥)، (ص٣٠١)، (ص٣٢٣) ، (ص٥١٣) ، (ص٥٧٤) ، (ص٦٣٩)، (ص٦٤٠) ...

[٣] انظر : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، محمَّد فريد (بك) ابن أحمد فريد (باشا) ، المحامي (ص١٩٥) ، (ص٤٠٧) ،(ص٤٠٨) ، (ص٥٦٨) .

[٤] انظر : الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) (١/ ١٢٢) ، (٢/ ١٧٣) ، (٢/ ١٨٥) ، (٣/ ٢٣٩)، (٤/ ٣٣٩) ...

[٥] انظر : رسالة المسلسلات (ص٤٣) ، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة (ص٥٦) ، (ص١٠١) ، (ص١٤٦) .

[٦] انظر : بذل المجهود في حل سنن أبي داود (١/ ١٥٢) ، (١/ ١٥٨) ، (٤/ ٦٠) ، (٥/ ٦٩) ، (١٠/ ٣٤٠)، (١٠/ ٣٦٢) ، (١٠/ ٥٠٢) ، (١١/ ٥٨١) ، (١٢/ ٦٢٧) ، (١٣/ ٦٦٣) .

[٧] انظر : المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ص٤٤٠) ، (ص٤٧٣) .

[٨] انظر : الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق (ص١٤) ، (ص٥٤) ، كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام وبراءة الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب (ص٧) ، (٣٠) ، (٩٦) ، (١٠١) .

[٩] انظر : الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة (مطبوع بهامش كتاب شواهد الحق) (ص١١٢) (ص١٣٣) ، (ص١٣٤) ، (ص١٤٢) .

[١٠] انظر : توضيح الأحكام شرح تحفة الحكام (٣/ ٨٩) .

(١٠٨) الإمام محمود محمَّد خطَّاب السُّبكي (١٣٥٢هـ) [١] .

(١٠٩) الإمام محمَّد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (١٣٥٣هـ) [٢] .

(١١٠) الإمام أبو العلا محمَّد عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم المباركفورى (١٣٥٣هـ) [٣] .

(١١١) الإمام محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشَّنقيطي (١٣٥٤هـ) [٤] .

(١١٢) الإمام محمَّد رشيد بن علي رضا بن محمَّد شمس الدِّين بن محمَّد بهاء الدِّين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (١٣٥٤هـ) [٥] .

(١١٣) الإمام أحمد رافع بن محمَّد الحسيني القاسمي الطَّهطاوي الحنفي (١٣٥٥هـ) [٦] .

(١١٤) الإمام محمَّد بن محمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (١٣٦٠هـ) [٧] .

(١١٥) الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد عوض الجزيري (١٣٦٠هـ) [٨] .

(١١٦) الشَّيخ مبارك بن محمَّد الميلي الجزائري (١٣٦٤هـ) [٩] .

(١١٧) الإمام عبدالله بن محمَّد الغازي المكي الحنفي (١٣٦٥هـ) [١٠] .

(١١٨) الإمام حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (١٣٧٧هـ) [١] .

---

[١] انظر : المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود (٧/ ٧٣) ، الدِّين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق (والمجلد التاسع طبع باسم: إرشاد الناسك إلى أعمال المناسك) (٢/ ١١٣) ، (٩/ ٦٢) ،(٩/ ٣٢٥) ، (٩/ ٣٤١) ، (٩/ ٣٤٧) .

[٢] انظر : العرف الشذي شرح سنن الترمذي (٢/ ١٥) ، (٣/ ١٣١) ، فيض الباري على صحيح البخاري (٣/ ٣٩٥) ، (٥/ ١٤٣) .

[٣] انظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٧/ ٣٧٥) ، (٨/ ٢٣٢) .

[٤] انظر : كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري (١/ ٢١٤) ،(٥/ ٢٤٣) ، (٦/ ٢٩٣) ، (٦/ ٣٠٠) ، (١٤/ ٢٦١) .

[٥] انظر : رسائل السنة والشيعة لرشيد رضا (٢/ ٥٩) .

[٦] انظر : التنبيه والإيقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ (ص٥٠) ، (ص١٢٥) .

[٧] انظر : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ٦٧) ، (١/ ١١٦) ، (١/ ٣١٩) ...

[٨] انظر : الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ١٩) ، (١/ ١٠٩) ، (١/ ١٨٤) ، (١/ ٤٨٨) ،(١/ ٥٧٩) ، (٤/ ٣٩) ، (٥/ ١١٧) .

[٩] انظر : رسالة الشرك ومظاهره (ص٢٠٦) .

[١٠] انظر : إفادة الأنام بذ كر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى: بإتمام الكلام (١/ ٣٢٩) ، (١/ ٣٥٤) ، (٢/ ١٢٢) ، (٢/ ٢٢٥) ، (٢/ ٢٣١) ،(٢/ ٢٣٦)، (٢/ ٢٣٧)، (٢/ ٤٢٨) ،(٢/ ٤٨٣)، (٢/ ٤٨٧)، (٢/ ٤٩٠)،، (٢/ ٤٩١)، (٢/ ٥٣٨) ، (٢/ ٥٤٠) ، (٢/ ٥٦١) ، (٢/ ٥٦٢) ، (٢/ ٧٠٣) ،(٢/ ٧٠٦)، (٢/ ٧٢٧)، (٢/ ٧٢٨) ، (٢/ ٧٢٩) ، (٢/ ٧٣٠)، (٢/ ٧٣١)، (٢/ ٧٣٢)، (٢/ ٧٣٤)، (٣/ ٣١)، (٣/ ١١٨)، (٣/ ٤٢١) ، (٣/ ٥٧٠) ، (٣/ ٦٠٥) ، (٣/ ٦١٠) ،(٣/ ٦١١)، (٣/ ٦٧٨)، (٤/ ٢٦) ...

(١١٩) الإمام محمَّد بن الحسن بن العربيّ بن محمَّد الحجوي الثَّعالبي الجعفري الفاسي (١٣٧٦هـ) [٢] .

(١٢٠) الإمام عبد الرَّحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعدي (١٣٧٦هـ) [٣] .

(١٢١) الإمام أحمد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد البنَّا السَّاعاتي (١٣٧٨ هـ) [٤] .

(١٢٢) الإمام أحمد بن محمَّد بن الصدِّيق بن أحمد، أبو الفيض الغُمَارِي الحسني الأزهري (١٣٨٠ هـ) [٥] .

(١٢٣) الإمام محمَّد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمَّد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (١٣٨٢هـ) [٦] .

(١٢٤) الإمام محمَّد يوسف بن محمَّد إلياس بن محمَّد إسماعيل الكاندهلوي (١٣٨٤هـ) [٧] .

(١٢٥) الإمام محمَّد الطَّاهر بن محمَّد بن محمَّد الطَّاهر بن عاشور التُّونسي (١٣٩٣هـ) [٨] .

(١٢٦) الإمام محمَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (١٣٩٤هـ) [٩] .

(١٢٧) الإمام خير الدِّين بن محمود بن محمَّد بن علي بن فارس، الزّركلي الدِّمشقي (١٣٩٦هـ) [١٠] .

---

[١] انظر : معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (/ ١٠٥٢) ، (٣/ ١٠٧٤) .

[٢] انظر : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (١/ ١٣١) ، (١/ ١٧٣) ، (١/ ٣٧٩) ،(١/ ٤١٣) ،(١/ ٤٩٦) ،(٢/ ٣١٨)، (٢/ ٣٢١) ،(٢/ ٣٣٥) .

[٣] انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٣٥٥) .

[٤] انظر : الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني (٣/ ٢٨٩) ، (٨/ ٧١) ،(١٢/ ١٥) ،(١٧/ ١٦٧) ، (٢٠/ ٢٠٣) ،(٢١/ ١٩١) ، (٢٣/ ٢٤٩) ،،(٢٤/ ٢٨) .

[٥] انظر : المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي (٥/ ٣٥٩) .

[٦] انظر : فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (١/ ٨٥) ، (١/ ٩١) ، (١/ ٩٦) ،(١/ ١٠٢) ...

[٧] انظر : حياة الصحابة (٢/ ٤٦٧) .

[٨] انظر : التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» (١٩/ ٢٨٢) .

[٩] انظر : خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم (١/ ٣٩٠) ، (١/ ٤٣٥) ، (١/ ٤٣٩) ، (١/ ٤٤٢)، (١/ ٤٤٩)، (١/ ٤٥٠) ، (١/ ٤٥١) ، (١/ ٤٥٥) ، (١/ ٤٥٨) ، (١/ ٤٦٠) ، (١/ ٤٦٧) ، (١/ ٤٧٠) ، (١/ ٤٧١) ،(٢/ ٤٧٩) ،(٢/ ٤٨٣)، (٢/ ٤٩٠)، (٢/ ٤٩٤)، (٢/ ٤٩٥)، (٢/ ٤٩٩)، (٢/ ٥٠٠)، (٢/ ٥٠١) ،(٢/ ٥٠٢)، (٢/ ٥١١)، (٢/ ٥٢١) ، (٢/ ٥٢٧) ، (٢/ ٥٢٨) ، (٢/ ٥٢٩)، (٢/ ٥٣٠)، (٢/ ٥٣١)، (٢/ ٥٣٢) ، (٢/ ٥٣٥)، (٢/ ٥٣٨)، (٢/ ٥٤١) ، (٢/ ٥٤٧) ، (٢/ ٥٧٠) ،(٢/ ٥٧٥)، (٢/ ٥٧٦)، (٢/ ٥٧٨)، (٢/ ٥٨٢)، (٢/ ٥٨٣)، (٢/ ٥٨٤)، (٢/ ٥٨٥) ،(٢/ ٥٩٦)، (٢/ ٥٩٧)، (٢/ ٥٩٨)، (٢/ ٥٩٩)، (٢/ ٦٠١) ...

[١٠] انظر : الأعلام (١/ ٤٠) ، (١/ ٤٨) ،(١/ ٥٠)، ....

(١٢٨) الإمام أبو بكر بن حسن بن عبد الله الكشناوي (١٣٩٧ هـ) [١] .

(١٢٩) الإمام حسن بن محمَّد المشاط المالكي (١٣٩٩هـ) [٢] .

(١٣٠) الإمام عبد السَّلام بن عبد القادر بن محمَّد بن عبد القادر بن الطَّالب بن محمَّد -فتحا- ابن سودة (١٤٠٠هـ) [٣] .

(١٢١) الإمام محمَّد بن محمَّد بن سويلم أبو شُهبة (١٤٠٣هـ) [٤] .

(١٢٢) الأستاذ الشَّهيد إحسان إلهي ظهير الباكستاني (١٤٠٧هـ) [٥] .

(١٣١) الإمام عمر بن رضا بن محمَّد راغب بن عبد الغني كحَّالة الدِّمشقي (١٤٠٨هـ) [٦] .

(١٣٢) الإمام سعيد بن محمَّد ديب حوَّى (١٤٠٩هـ) [٧] .

(١٣٣) الإمام علم الدِّين أبو الفيض محمَّد ياسين بن محمَّد عيسى الفاداني المكي (١٤١١هـ) [٨] .

(١٣٤) الإمام عبد الله بن سعيد بن محمَّد عبادي اللّحجي الحضرميّ الشحاري، ثمَّ المراوعي، ثمَّ المكِّي (١٤١٠هـ) [٩] .

---

[١] انظر : أسهل المدارك «شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك» (١/ ٤٩٨) ، (٣/ ٣٧٧) .

[٢] انظر : إنارة الدجى في مغازي خير الورى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم (ص٣٠) ، (ص٩٨) ، (ص١٣٧) ، (ص١٧٠) ، (ص٢٠٨) ، (ص٢٢٨) ،(ص٢٤٧) ،(ص٢٥٣) ،(ص٢٧٥) ،(ص٣١٢)، (ص٤٨٣)، (ص٥٥٤) ، (ص٧١٤) ، (ص٧٦١) ، (ص٧٦٥) .

[٣] انظر : إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (١/ ٤١) ، (٢/ ٥٦٩) ،(٢/ ٥٧٥) ...

[٤] انظر : الوسيط في علوم ومصطلح الحديث (ص٦٥٤) .

[٥] انظر : الرد على الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه بين الشيعة وأهل السنة (ص٦٦) .

[٦] انظر : معجم المؤلفين (٣/ ٢٤٦) ، (٥/ ٣٥) ، (٥/ ٩١) ...

[٧] انظر : الأساس في السنة وفقهها - العبادات في الإسلام (١/ ١٣٣) ، (٣/ ١٣٦١) ، (٤/ ١٦٠٥) ،(٦/ ٢٧٥٥) ،(٦/ ٢٧٦٠) ، (٦/ ٢٨١٨) ، (٧/ ٣٣٩٧).

[٨] انظر : العجالة في الأحاديث المسلسلة (ص١) ، (ص٨٣) .

[٩] انظر : منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم (١/ ٤٧) ، (١/ ١١٢) ، (١/ ٢٥١) ، (١/ ٢٨٢)، (١/ ٤٢١) ،(١/ ٤٣٨) ،(١/ ٤٦٦)، (١/ ٥٠٤) ، (٢/ ١٣٩)، (٢/ ١٦٠)، (٢/ ١٧٦) ،(٢/ ١٧٧)، (٢/ ٢٥٠)، (٢/ ٤٥٦)، (٢/ ٥٣٣)، (٢/ ٥٧٦) ،(٢/ ٥٧٧)، (٢/ ٦٨٧)، (٣/ ١٧) ، (٣/ ٩٣) ، (٣/ ١٣٠)، (٣/ ١٤٠)، (٣/ ٢٠٤)، (٣/ ٢٤٦)، (٤/ ٢٠٦)، (٤/ ٢٨٧)، (٤/ ٢٩٤)، (٤/ ٣١٠)، (٤/ ٣٤١) ، (٤/ ٣٤٤) .

(١٣٥) الإمام أبو الحسن عبيد الله بن محمَّد عبد السَّلام بن خان محمَّد بن أمان الله بن حسام الدِّين الرّحماني المباركفوري (١٤١٤هـ) [١] .

(١٣٦) الشَّيخ أبو عبد الرَّحمن عبد الله بن عبد الغني بن محمَّد خياط (١٤١٥هـ) [٢] .

(١٣٧) الإمام محمَّد الغزالي أحمد السقَّا (١٤١٦هـ) [٣] .

(١٣٨) الأستاذ خالد محمَّد خالد ثابت (١٤١٦هـ) [٤] .

(١٣٩) الإمام محمَّد متولي الشَّعراوي (١٤١٩هـ) [٥] .

(١٤٠) الشَّيخ علي بن مصطفى الطَّنطاوي (١٤٢٠هـ) [٦] .

(١٤١) الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ) [٧] .

(١٤٢) الشَّيخ محمَّد ناصر الدِّين الألباني (١٤٢٠هـ) [٨] .

---

[١] انظر : مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٥٥٧) .

[٢] انظر : ما يجب أن يعرفه المسلم عن دينه (ص١٣٧) .

[٣] انظر : السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (ص٩٠) ، (ص١٠٤) ، (ص١١٢) ، (ص١٦١) ، كنوز من السنة (ص٢١) ، (ص١٠٢) ، (ص١٧٩) ، فقه السيرة (ص٨) .

[٤] انظر : رجال حول الرسول (ص١٦٣) ، (ص٢٣٣) ...

[٥] انظر : الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى (ص٧٧) .

[٦] انظر : ذكريات (٢/ ٣٥٥) ، (٣/ ١٢) ، (٣/ ٩٤) ، (٣/ ١٨٣) ، (٣/ ١٨٥) ،(٣/ ٢٩٤)، (٤/ ١٦٨) ، (٤/ ٣٢٠) ، (٤/ ٣٣٢) ،(٥/ ٢٤) ، (٥/ ٢٥)، (٦/ ١٣٦)، (٦/ ١٣٩) ، (٦/ ١٤٠) ، (٦/ ٢٠٧) ، (٦/ ٢٧٣) ،(٦/ ٢٧٤) ، (٦/ ٣٩١) ، (٧/ ٢١) ، (٧/ ٣٥) ، (٧/ ٢١٠) ،(٧/ ٣١٤) ،(٧/ ٣٢٤)، (٧/ ٣٤٣) ، (٨/ ٦٣) ، (٨/ ١١١) ، (٨/ ١٤٦)، (٨/ ١٤٩)، (٨/ ٢٠٠) .

[٧] انظر : فتاوى نور على الدرب (٢/ ٣٣٢) ، (١٢/ ٢٠) ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز ، (١/ ٢٠٨) ، (١/ ٣٧٧) ، (١/ ٤٠٩) ، (١/ ٤٤١) ، (٢/ ٣٨١) ، (٣/ ١٨٦) ،(٣/ ١٩٩) ،(٣/ ٣١٧) ، (٣/ ٣٨٦) ، (٥/ ٢٥١) ، (٦/ ٣٢١) ،(٦/ ٣٢٢) ،(٦/ ٣٦٣) ، (١٢/ ٣٤٣)، (١٢/ ٣٧٦)، (١٣/ ٢٨٩)، (١٦/ ٢١٢)، (١٧/ ١٩٤)، (١٧/ ٤١٠)،(١٧/ ٤١٥) ،(١٨/ ١٢٢) ،(١٨/ ١٤٠) ،(١٩/ ٣١٢) ،(٢١/ ٣٩٧) ،(٣٠/ ٨٩) .

[٨] انظر : مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي (ص٥٧) ، (ص٨١) ، أحكام الجنائز (ص٢٢٣) ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/ ١٦١) ، (٦/ ٢٥٢) ، الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة (ص٢١) ، تمام المنة في التعليق على فقه السنة (ص٧٥) ، حجة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه (ص٩٩) ، (ص١٣٥) ، دفاع عن الحديث النبوي والسيرة (ص٤) ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٦٠) ، (٣/ ١٦٥) ، (٣/ ١٦٦) ،(٦/ ٢٢٦) ،(٦/ ٥٩٧) ،(٦/ ٦١٠) ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١/ ٦٣٠) ، (١/ ٧٠٣) ، (٢/ ٣٢٩) ، (٢/ ٣٣٨) ،(٢/ ٣٧٥) ، (٢/ ٣٨٥) ، صلاة العيدين في المصلى هي

(١٤٣) الإمام أبو عبد الرَّحمن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن صالح بن حمد بن محمَّد بن حمد البسَّام (١٤٢٣هـ) [١] .

(١٤٤) الدكتور عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي (١٤٣٣هـ) [٢] .

(١٤٥) الإمام محمَّد سعيد رمضان البوطي (١٤٣٤هـ) [٣] .

(١٤٦) الدكتور وهبة بن مصطفى الزُّحيلي الدِّمشقي (١٤٣٦هـ) [٤] .

(١٤٧) وقالها مؤلِّفو الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة [٥] .

(١٤٨) وأخيراً جاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الكتب النَّجديَّة " ذكر المدينة المنوَّرة مرات عديدة ...[٦] .

وبرغم هذا الحشد الكبير من العلماء الذين نعتوا في مصنَّفاتهم المدينة بالمنوَّرة وغيرهم الآلاف ... رأينا البعض من المتمسلفة لا يقبل بنعتها بالمنوَّرة ويدعو بل يصرُّ على نعتها بالمدينة النَّبويَّة ...

فقد جاء في فتاوى الشَّيخ ابن عثيمين : " س ٧٥٧ : سئل فضيلة الشَّيخ- رحمه الله تعالى-: هل إضافة كلمة (المكرَّمة) إلى مكَّة أو (المنوَّرة) إلى المدينة من البدع وهل من الأفضل أن يقال مكَّة المحرمة والمدينة النَّبويَّة؟

السنة (ص٥) ، فتنة التكفير (ص١٢) ، مناسك الحج والعمرة (ص٤٢) ،(ص٥٦) ، (ص٥٧) ، موسوعة الإمام محمَّد ناصر الدِّين الألباني (١/ ١٧١) ، (٢/ ٧٠) ،(٢/ ١٧٧) ،(٢/ ٤١٢) ،(٢/ ٤٤٦)، (٢/ ٥٥٠) ، (٢/ ٥٦٤)، (٣/ ٩١٨) ،(٣/ ٩١٩)، (٤/ ٢٨٠)، ضَعيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (١/ ٥٢) ، صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب(١/ ٩١) .

[١] انظر : تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (ص٩١) ، (ص٢٣٨) ، (ص٣٥٩) ،(ص٣٨١) ،(ص٤٤٣) ، (ص٤٤٤) .

[٢] انظر : الرسل والرسالات (ص١٦٩) ، (ص١٧٠) ، القيامة الصغرى (ص٢٠٢) ، (ص٢١١) ، (ص٢٤٤) .

[٣] انظر : فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (ص٨٩) ، (ص١١٩) ، (ص١٢٥) ، (ص١٢٩)، (ص١٣٩)، (ص١٤١) ، (ص١٤٣)، (ص٣٣٣)، (ص٣٦٤)، (ص٣٦٩) .

[٤] انظر : الفقه الإسلامي وأدلته (٤/ ٢٩٠٨) ،(٦/ ٤٥٦٥)، (٨/ ٦٣٠٣) .

[٥] انظر : الموسوعة الفقهية الكويتية (٢/ ٢٧٤) ، (٢/ ٢٧٥) ،(٢/ ٢٧٧) ، (٢/ ٣٤٨) ، (٣/ ١٣٠) ، (٣/ ٢٨٠) ، (٣/ ٣٠٩) ، (٤/ ٦٧) ،(٧/ ٩٧)، (١٠/ ١٩٩) ،(١٣/ ١٠٤) ، (١٤/ ٦٢)، (١٤/ ٦٩)، (١٤/ ١٧٥)، (١٥/ ١٥٣)، (١٧/ ١٨٥)، (١٧/ ١٩٧)، (١٧/ ٢٠٣)، (١٨/ ١٠٦)، (١٨/ ٢٩٣) ، (١٨/ ٣٠٩)، (١٨/ ٣١٠)، (٢٣/ ٢٩)، (٢٣/ ٨٣)، (٢٤/ ٨٥)، (٢٤/ ٢٥١)، (٢٤/ ٢٥٤)، (٢٤/ ٢٥٥)، (٢٥/ ٤٤)، (٢٥/ ٣٠٩)، (٢٧/ ٨٨)، (٢٨/ ٣٣٤)، (٢٨/ ٣٣٦)، (٢٩/ ٧٩)، (٢٩/ ٨٧)، (٢٩/ ٢٦٣)، (٣٠/ ١٠٩)، (٣٠/ ١٩٠)، (٣١/ ١٥١)، (٣٢/ ١٥٤)، (٣٥/ ١٧٠)، (٣٥/ ٢٦٦)، (٣٦/ ٨٤)، (٣٦/ ١٩٥)، (٣٦/ ٣٠٨)، (٣٦/ ٣١٠)، (٣٧/ ٢٣١)، (٧/ ٣٤٢)، (٣٨/ ٣٧١)، (٣٩/ ٧٨)، (٤٠/ ٢٠١)، (٤٢/ ١٧٨) .

[٦] انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الكتب النَّجديَّة العديد من(١/ ٣٠٢) ، (١/ ٣٩٥) ، (٥/ ٣٨) ، (٦/ ٤٢٢) ، (١٦/ ١٤) ، (١٧/ ٣٣٥) ...

فأجاب فضيلته بقول: لا أعلم أنَّ مكَّة تعرف بمكَّة المكرَّمة في كلام السَّلف، وكذلك المدينة لا توصف بأنها المنوَّرة في كلام السَّلف، وإنَّما يسمُّونها المدينة، لكن حدث أخيراً بأن يقال في مكَّة المكرَّمة وفي المدينة المنوَّرة ومكَّة سمَّاها الله بلداً آمنا، وسماها بلداً محرَّماً، كما قال تعالى: **﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾** وكذلك مباركة.

وأمَّا المدينة فهي لا شكَّ أنَّها المدينة النَّبويَّة وأنَّها طيبة كما سمَّاها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطيبة. لكن النَّاس اتَّخذوا هذا عادة بأن يقولوا: المدينة المنوَّرة، ومكَّة المكرَّمة، وليتهم يقولون: مكَّة فقط، لأنَّنا لسنا أشدّ تعظيماً لهذين البلدين ممَّن سلفنا.

س ٧٥٨: سئل فضيلة الشَّيخ- رحمه الله تعالى-: عن وصف مكة بالمكَّرمة والمدينة بالمنوَّرة هل له أصل من الشَّرع؟

فأجاب فضيلته بقوله: لا أعرف أصلاً من الشرع لوصف مكَّة بالمكرَّمة، ووصف المدينة بالمنوَّرة، وكلتاهما في الحقيقة مكرَّمتان معظَّمتان محرمتان، وكلتاهما منوَّرتان بالوحي مكَّة بابتدائه، والمدينة بانتهائه، وتلك مكان ولادة النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وابتداء دعوته، وهذه مكان وفاته وكمال رسالته، والله لطيف خبير " [١] .

وجاء في فتاوى ابن عثيمين أيضاً : (س١٤٨٥) : سئل فضيلة الشَّيخ- رحمه الله تعالى-: ما حكم قول (المدينة المنوَّرة) ؟ وما العلَّة في ذلك؟

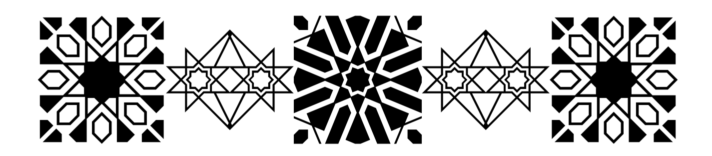
فأجاب- رحمه الله- بقوله: (المدينة المنوَّرة) هذا اسم حادث ما كان معروفاً عند السَّلف، وهم يقولون: إنَّها منوَّرة؛ لأنَّها استنارت بالدِّين الإسلامي، لأنَّ الدِّين الإسلامي ينوِّر البلاد، ولا أدري قد يكون أوَّل من وضعها يعتقد أنَّها نور إلى الآن، أو أنها تنوَّرت بوجود الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها لا ندري ما نيَّته، ولكن خير من هذه التَّسمية أن نقول: المدينة النَّبويَّة، فالمدينة النَّبويَّة أفضل من المدينة المنوَّرة، وإن كان ليمس بلازم أيضاً، لو قلت المدينة كفى، ولهذا تجد عبارات السَّلف: ذهبت إلى المدينة. رجع إلى المدينة، سكن المدينة، والرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "المدينة خير لهم " (١) ، ولم يقل: (المنوَّرة) ولا (النَّبويَّة) ، لكن إذا كان لابدَّ من وصفها فإنَّ النَّبويَّة خير من المنوَّرة، لأنَّ تميُّزها بالنُّبوَّة أخص من تميزها بالمنوَّرة، إذ إنَّنا إذا قلنا المنوَّرة يعني التي استنارت بالإسلام، صار ذلك شاملاً لكلِّ بلد إسلامي فهو منوَّر بالإسلام، فإذا كان لابدَّ أن تصفها بشيء فصفها بالنَّبويَّة.

---

[١] انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢٢/ ٢٤٠-٢٤١) .

س١٤٨٦ : سئل فضيلة الشَّيخ- رحمه الله تعالى-: ما حكم تسمية المدينة المنوَّرة بهذا الاسم؟

فأجاب- رحمه الله- بقوله: اشتهر عند النَّاس المدينة لقب المنوَّرة ولكن هذا حدث أخيراً، فكل كتب السَّابقين يقولون المدينة فقط، أو يقولون المدينة النَّبويَّة، والمدينة المنوَّرة في الواقع ليس خاصَّاً بمدينة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّ كلّ مدينة دخلها الإسلام فهي منوَّرة بالإسلام، وحينئذ لا يكون للمدينة ميزة إذا قلنا المدينة المنوَّرة، لكن مع هذا لا نقول: إنَّه حرام، نقول هذا لقب جرى النَّاس عليه فلا بأس به، لكن الأفضل أن نقول: المدينة النَّبويَّة " (١) . فإلى الله تعالى المشتكى ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ...



(١) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢٣/ ٤٢٣-٤٢٥) .

المَبْحَثُ الحَادِي عَشَر

حَرَّمُوا كِتَابَةَ اسْمِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَانِبِ اسْمِ الجَلاَلَةِ (الله)

يتأفَّف بعض النَّاس من اللوحات التي كُتب عليها « الله – محمَّد » ويأمر بمنعها ، وربَّما امتدَّت يده إليها فمزَّقها ... وإذا سألته عن السَّبب قال : إنَّ العلماء حرَّموا تعليق ذلك في البيوت والمساجد و و و ... والحجَّة دائماً في مثل هذه الأمور : " المحافظة على نقاء العقيدة " ... مع أنَّ الله تعالى قرن اسمه باسم حبيبه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غير ما آية – كما سترى – وقد قال الله تعالى عن حبيبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **﴿وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ﴾** [الشرح:٤] ، والمعنى : أنَّه لا يذكر الله تعالى إلَّا وذكر معه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

قال الشَّافعيُّ : أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: **﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾** [الشَّرح: ٤] : لَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ (١) .

وقال الإمام البغوي في تفسير سورة " الشَّرح " : " وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: **﴿وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ﴾** إِذَا ذكرت ذكرت. وَقَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ وَالتَّشَهُّدَ وَالْخُطْبَةَ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا عَبَدَ اللهَ وَصَدَّقَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَمْ يَشْهَدْ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ، وَكَانَ كَافِرًا. وَقَالَ قَتَادَةُ: رَفَعَ اللهُ ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فليس خطيب ولا مُتَشَهِّدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا يُنَادِي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ إِلَّا بِهِ وَلَا تَجُوزُ خُطْبَةٌ إِلَّا بِهِ، وَقَالَ مجاهد: يَعْنِي بِالتَّأْذِينِ، وَفِيهِ يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ عَبْدَهُ ... بِبُرْهَانِهِ وَاللهُ أَعْلَى وَأَمْجَدُ
أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... مِنَ اللهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ الْإِلَهُ اسْمَ النَّبي مَعَ اسْمِهِ ... إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنَ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو الْعَرْش مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ (٢)

وهذه طائفة من آيات القرآن الكريم التي قرن الله فيها اسمه باسم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

---

(١) أخرجه الشافعي في المسند (ص٢٣٣) ، الآجري في الشريعة (٣/ ١٤١٣ برقم ٩٥٣) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٢٩١) ، البغوي في شرح السنة (١٢/ ٣١٠)، البيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ١٠٤ برقم ٢٨) ، السنن الكبرى (٣/ ٢٩٦ برقم ٥٧٧١)

(٢) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٥/ ٢٧٤-٢٧٥) .

قوله تعالى : ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٩-٢٨٠]

وقوله تعالى : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء:١٣]

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء:١٤]

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:١٠٠]

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣]

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٥-٥٦]

وقوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١]

وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:١٣]

وقوله تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢٠]

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤]

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٢٧]

وقوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]

وقوله تعالى : ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١]

وقوله تعالى : ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:٣]

وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]

وقوله تعالى : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[التوبة:٢٩]

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩]

وقوله تعالى : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٦٢]

وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٦٣]

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [المجادلة:٥]

وقوله تعالى : ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة:٧٤]

وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧]

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[النور:٤٨]

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١]

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور:٥٢]

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢]

وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]

وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآَخِرَةَ فَإِنَّ اللهَّ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا أَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٢٩]

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُّ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧]

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِّ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١]

وقوله تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِّ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨]

وقوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهَِّ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة : ٩١]

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهَِّ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب : ٣١] ...

وفي السُّنَّة الُمطَهَّرة مئات الأحاديث التي قرن فيها الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسم الله تعالى باسمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، منها :

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُّ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا للهَِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُّ، مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ " (١) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ... أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهَِّ وَحْدَهُ» قَالُوا: اللهُّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ... " (٢) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهَِّ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهَِّ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " (١) .

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٣/ برقم ٢١) .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٠ برقم ٥٣) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ " (٢) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ... هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ... " (٣) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا، فَأَغْنَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ... " (٤) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..." (٥) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ... " (٦) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الحَوْضِ " (٧) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ " (٨) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قُرَيْشٌ، وَالأَنْصَارُ، وَجُهَيْنَةُ، وَمُزَيْنَةُ، وَأَسْلَمُ، وَأَشْجَعُ، وَغِفَارُ مَوَالِيَّ، لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ " (٩) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ... يَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، وَيَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... " (١) .

---

(١) أخرجه البخاري (/ ٢٠ برقم ٥٤) .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٧ برقم ١٢٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٣٣ برقم ١٠٣٨) .

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ١٢٢ برقم ١٤٦٨) .

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١٤٢ برقم ٢٥١٠) .

(٦) أخرجه البخاري (٤/ ٦٠ برقم ٣٠٠٩) .

(٧) أخرجه البخاري (٤/ ٩٤ برقم ٣١٤٧) .

(٨) أخرجه البخاري (٤/ ٩٥ برقم ٣١٥٠) .

(٩) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٩ برقم ٣٥٠٤) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الفُقَرَاءُ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَّ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٢) .

ومن يتأمَّل كُتب الصِّحاح والمسانيد والسُّنن يجد أنَّ اسم الله تعالى قرن باسم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مئات المرَّات ...

أمَّا عن الآثار التي جاء فيها اسم الله تعالى مقروناً باسم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحدِّث ولا حرج ... فمنها :

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ: لاَهَا اللهِّ، إِذًا لاَ يَعْمِدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أُسْدِ اللهِّ، يُقَاتِلُ عَنِ اللهَّ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعْطِيكَ سَلَبَهُ (٣) .

وجاء في صحيح ابن حبَّان : " فَأَتَى ابْنُ الدُّغُنَّةِ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي عَقْدِ رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فإني أرد إليه جوارك، وأرضى بجوار الله ورسوله اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٤) .

وقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِّ، قَدْ خَانَ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ (٥) .

وَفِي البُخَارِي : ... خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا سِبَاعُ، يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ، أَتُحَادُّ اللهَّ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٦) .

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهَا، قَالَتْ: خَيَّرَنَا رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاخْتَرْنَا اللهَّ وَرَسُولَهُ، فَلَمْ يَعُدَّ ذَلِكَ عَلَيْنَا شَيْئًا (٧) .

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٧٦ برقم ٣٩٧٦) .

(٢) أخرجه البخاري (/ ٢٥ برقم ٥١٧٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٩٢ برقم ٣١٤٢) .

(٤) أخرجه ابن حبان في الصحيح (١٥/ ٢٨٥ برقم ٦٨٦٨) .

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٧٧ برقم ٣٩٨٣) .

(٦) أخرجه البخاري (٥/ ١٠٠ برقم ٤٠٧٢) .

(٧) أخرجه البخاري (٧/ ٤٣ برقم ٥٢٦٢) .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : اسْتَأْذَنَنِي حُسَيْنٌ فِي الْخُرُوجِ ، فَقُلْتُ : لَوْلاَ أَنْ يُزْرِيَ ذَلِكَ بِي ، أَوْ بِكَ لَشَبَكْتُ بِيَدِي فِي رَأْسِكَ . قَالَ : فَكَانَ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ أَنْ قَالَ : لأَنْ أُقْتَلَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُسْتَحَلَّ بِي حَرَمُ اللهِ وَرَسُولِهِ (١) .

وجاء في " المستدرك " : " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، كَيْفَ أَنْتَ وَمَوْتٌ يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونَ الْبَيْتُ بِالْوَصِيفِ؟» - يَعْنِي الْقَبْرَ - قُلْتُ: مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ " (٢) .

وجاء في " مصنَّف ابن أبي شيبة " : " ... قَالَ حُذَيْفَةُ: " وَإِنْ كُنْتُ فِيهِمْ فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ ، أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ حِزْبُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ... " (٣) .

وعَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِسَهْمٍ، فَمَاتَ فَعَفَا عَنْهُ، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَجَازَ عَفْوَهُ وَقَالَ: " هُوَ كَصَاحِبِ يَاسِينَ " (٤) .

وقَالَ أَبُو قِلاَبَةَ: فَهَؤُلاَءِ سَرَقُوا وَقَتَلُوا، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ (٥) .

قَالَ الضَّحَّاكِ : أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَفْتَحُ ، لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَرْضَ بَعْدَ الأَرْضِ ، أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ؟ بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ هُمُ الْغَالِبُونَ (٦) ....

ومع هذا كلّه وغيره الكثير الكثير ... يأبى الوهَّابيَّة المتمسلفة إلَّا أن يعاندوا ... فمنعوا وحرَّموا كتابة اسمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجانب اسم الجلالة (الله) ...

فقد جاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " فتوى رقم (٨٣٧٧) :

س: أودُّ أن أطرح عليكم سؤالاً كان محض خلاف بين عدد من النَّاس، وهو أنَّه كانت مكتوبة كلمة الله وكلمة محمَّد بشكل متداخل فيما بينهما في أعلى باب أحد المساجد في محافظة أدلب، وهي كما يلي:

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١١٩ برقم ٢٨٥٩) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ١٦٩ برقم ٢٦٦ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " لِأَنَّ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ رَوَاهُ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْمُنْبَعِثُ بْنُ طَرِيفٍ - وَكَانَ قَاضِيًا بِهَرَاةَ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ ، قال الذهبي في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤٤٥ برقم ٣٧١٠٤) .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (٥/ ٤٢١ برقم ٢٧٦٠٤) .

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٥٦ برقم ٢٣٣) .

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في التفسير (٥/ ٤٤١ برقم ١١٧٥) .

فمنهم من قال: بأنَّه لا يجوز كتابتها على هذا الشَّكل، وبرهنوا على قولهم: بأنَّ محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصبح بذلك في مرتبة الله، وهذا غير معقول. ومنهم من قال: بأن كتابتها ليس فيها أية حرمانيَّة؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل اسمه بجانب اسم رسوله محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأرجو منكم الإرشاد الصَّحيح ولكم مني جزيل الشُّكر.

ج: ممَّا جاء في نصوص الشَّريعة القرن بين الشَّهادة لله بالتَّوحيد والشَّهادة لنبيِّه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرِّسالة في مواضع، من ذلك: القرن بينهما في الأذان للصَّلاة وفي الإقامة لها، وفي حديث: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله » ، وغير ذلك، مع بيان ما يجب الإيمان به على المكلَّفين بالنِّسبة لكلٍّ منهما ممَّا هو أهله، كقول المكلَّف: لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله، أمَّا مزجهما كتابة فلم يأت في كتاب الله ولا في سنَّة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومع ذلك ففيه خطر عظيم، إذ فيه مشابهة لعقيدة النَّصارى الباطلة في التَّثليث، وأنَّ الأب والابن وروح القُدُس إله واحد، وفيه أيضاً رمز للعقيدة الباطلة... عقيدة وحدة الوجود، وفيه أيضاً ذريعة إلى الغلو في الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعبادته مع الله سبحانه، وعليه يجب أن يمنع كتابة اسم الله تعالى واسم رسوله محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا الشَّكل: شكل تداخل حروف اسميهما كتابة، وتقاطع حروف اسم كلّ منهما بحروف اسم الآخر، بل لا يجوز كتابة (الله – محمَّد) على باب المسجد ولا على غيره؛ لما في ذلك من الإيهام والتَّلبيس؛ لما ذكر من المحاذير وغيرها.

وبالله التَّوفيق. وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد، وآله وصحبه وسلَّم.

اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء (١) .

وجاء فيها أيضاً : " فتوى رقم (١٧٠٦) :

س: إنَّه إزاء التَّقدُّم الكبير الذي أحرزه العالم في مجال الفكر الإعلامي بالنَّشر والملصقات والمعلَّقات والإذاعات مسموعة ومرئيَّة، فقد استعنَّا بالله في مصنع البلاستيك الذي نتولَّاه لإنتاج نماذج نساهم بها في التَّذكير بكلام الله عزَّ وجلَّ، وقد وفَّقنا الله عزَّ وجلَّ فاستطعنا إخراج نماذج لمعلَّقات تحمل آيات من القرآن الكريم وأسماء الله الحسنى وأحاديث نبويَّة شريفة.

علماً بأنَّ المعلَّقات البلاستيك التي أتقدَّم بها لسماحتكم لا يمكن استخدامها لغير التَّذكُّر والتَّدبُّر، فطبيعتها تجعلها لا تصلح أن يشرب فيها أو يؤكل، وذلك أنَّها مغطاة بطبقة من المعادن الفضيَّة والأحبار التَّلوينيَّة تجعل

---

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٨٠-٨١) .

استخدامها في هذه الأغراض مستحيلاً، وأنَّها صنعت بحيث لا يمكن حملها على الصُّدور أو في اليد ولا يمكن إلقاؤها بإهمال؛ ذلك إنَّ تصميمها جعل لها شرشفة خارجيَّة وتعليقات، وحروفها مدبَّبة تجعل حائزها يعلِّقها في مكان مصون مكرم.

ولقد وجدنا النَّصارى متمكِّنين في فنِّ النَّشر والتَّوعية والإعلام وبثّ ما يريدون من أفكار ومعتقدات باستخدام وسائل حديثة أهمُّها: الملصقات والمعلَّقات تعلَّق في لوحات بالشَّوارع والحافلات والأماكن العامَّة والخاصَّة، يقصد بذلك توالي وتتابع التَّذكير بتكراره أمام العين في كلِّ مكان حتى يقرّ في الصُّدور ما يريدون، وإن كلّ ما يريدون ما هو إلَّا معتقدات صليبيَّة وأفكار إلحاديَّة ومفاسد والعياذ بالله، إلَّا أنَّهم باستخدام الوسائل القويَّة يستطيعون جعل النَّاس يؤمنون بالباطل ويوقرون الإلحاد، وأولى بالمسلمين وأحقّ أن يذكروا النَّاس بكلام الله عزَّ وجلَّ وسنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستخدمين الوسائل الحديثة القويَّة في التَّوعية والإعلام.

وقد وفَّقني الله سبحانه وتعالى أن تحمل منتجاتي كلام الله عزَّ وجلَّ وسنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لتظهر متوالية متتابعة في الأماكن الموقَّرة، مرفوعة أمام الأنظار تذكِّر النَّاس بما أراد لهم الله أن يذكروا به **﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾** ، وبذلك فإنَّني أساهم قدر جهدي في رفع كلمة الله ونشر الفكر الإسلامي منتصراً له فوق كلِّ الأفكار وما توفيقي إلَّا بالله.

ج: أنزل الله تعالى القرآن ليكون موعظة للنَّاس وعبرة، وليكون شفاء لما في الصُّدور من أمراض الشِّرك والانحراف عن الحقِّ، وليهتدي به النَّاس في عبادتهم ومعاملاتهم، وليرحم سبحانه به المؤمنين، الذين يتلونه حقَّ تلاوته، ويسترشدون به في جميع شؤونهم، ويأخذون أنفسهم بالعمل به في كلِّ أحوالهم، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** ، وقال: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾** ، وقال: **﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾** ، كما أنَّ الأحاديث النَّبويَّة الصَّحيحة جاءت بياناً للقرآن وهداية للنَّاس وتفصيلاً للأحكام؛ ليسترشد بها النَّاس في فهم كتاب الله تعالى، ويتدبَّروا آياته لعلَّهم يتفكَّرون، قال الله تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** ، وقال: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾** ، وسمَّى تعالى نفسه بالأسماء الحسنى؛ ليعرف عباده بنفسه فيثبتوها له، ويؤمنوا بما دلَّت عليه من الكمال والجلال، ويثنوا عليه الثَّناء الجميل ويدعوه بها في السَّرَّاء والضَّرَّاء خوفاً ورجاء، ويحصوها عقيدة وعملاً، ويحافظوا عليها لفظاً ومعنى، فلا

يلحدوا فيها ولا يميلوا بها عمَّا قصد منها، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ » (١) ، أي: أحصاها اعتقاداً وقولاً وعملاً ومحافظة على حرمتها ومقتضاها.

وقد أمر الله بالبلاغ والدَّعوة إلى الإسلام، وبيَّن ذلك الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولاً وعملاً، فكان يخطب في أصحابه رضي الله عنهم، ويتعهدهم بالمواعظ والتَّذكير، ويكتب الرَّسائل إلى الملوك والرُّؤساء، ويغشى الكفَّار في نواديهم ومجالسهم؛ ليبلغهم دين الإسلام، ولم يعرف عنه أنه كتب سورة من القرآن أو آية منه أو حديثاً له أو أسماء الله تعالى على لوحات أو أطباق لتعلَّق على الجدران أو في الممرَّات من أجل الزِّينة أو التَّبرُّك، أو لتكون وسيلة للتَّذكير والبلاغ أو للعظة والاعتبار، ودرج على هديه في ذلك الخلفاء الرَّاشدون وسائر الصَّحابة رضي الله عنهم، وتبعهم في هذا أئمَّة الهدى من السَّلف الصَّالح الذين شهد لهم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّهم خير القرون من بعده رضي الله عنهم، فلم يكونوا يكتبون شيئاً من القرآن ولا الأحاديث النَّبويَّة الصَّحيحة ولا أسماء الله الحسنى على ألواح أو على أطباق أو أقمشة؛ ليعلِّقوها على الجدران للزِّينة أو التَّذكير والاعتبار بعد أن انتشر الإسلام، واتَّسعت رقعته وعمَّت الثَّقافة الإسلاميَّة البلاد والأقطار، وكثر الكتاب وتيسَّرت وسائل كثيرة متنوِّعة للإعلام، كما لم يفعلوا ذلك من قبل وهم أفهم للإسلام ومقاصده وأحرص على نشره وإبلاغه، ولو كان ذلك مشروعاً لدلَّنا عليه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأرشدنا إليه، ولعمل به أصحابه واستغله أئمَّة الهدى بعده رضي الله عنهم.

وعلى هذا: فكتابة شيء من القرآن أو الأحاديث النَّبويَّة تعليق ما كتب من ذلك على الجدران ونحوها، ولا يجوز التأسِّي بالكفرة من النَّصارى وغيرهم فيما يخالف شرع الله عزَّ وجلَّ.

ولما ذكرنا فإنَّ اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء ترى عدم السَّماح بدخول مثل هذه الأطباق إلى هذه المملكة، كما ترى أنَّه لا ينبغي للمسلم إنتاج مثل هذه الأطباق من مصنعه؛ محافظة على حُرمة كتاب الله وسنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعلى حرمة أسمائه وصفاته عزَّ وجلَّ.

وبالله التَّوفيق. وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد، وآله وصحبه وسلَّم.

اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء " (٢) .

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٩٨ برقم ٢٧٣٦) .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة (٤/ ٥٤-٦٠) .

وجاء فيها أيضاً : " فتوى رقم (٨٣٧٧) :

س: أودُّ أن أطرح عليكم سؤالاً كان محض خلاف بين عدد من النَّاس، وهو أنَّه كانت مكتوبة كلمة الله وكلمة محمَّد بشكل متداخل فيما بينهما في أعلى باب أحد المساجد في محافظة أدلب، وهي كما يلي:

فمنهم من قال: بأنَّه لا يجوز كتابتها على هذا الشَّكل، وبرهنوا على قولهم: بأنَّ محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصبح بذلك في مرتبة الله، وهذا غير معقول. ومنهم من قال: بأنَّ كتابتها ليس فيها أية حرمانيَّة؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل اسمه بجانب اسم رسوله محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأرجو منكم الإرشاد الصَّحيح ولكم منِّي جزيل الشُّكر.

ج: ممَّا جاء في نصوص الشَّريعة القرن بين الشَّهادة لله بالتَّوحيد والشَّهادة لنبيِّه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرِّسالة في مواضع، من ذلك: القرن بينهما في الأذان للصَّلاة وفي الإقامة لها، وفي حديث: " بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ" (١) ، وغير ذلك، مع بيان ما يجب الإيمان به على المكلَّفين بالنِّسبة لكلٍّ منهما ممَّا هو أهله، كقول المكلَّف: لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله، أمَّا مزجهما كتابة فلم يأت في كتاب الله ولا في سنَّة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومع ذلك ففيه خطر عظيم، إذ فيه مشابهة لعقيدة النَّصارى الباطلة في التَّثليث، وأنَّ الأب والابن وروح القدس إله واحد، وفيه أيضاً رمز للعقيدة الباطلة.. عقيدة وحدة الوجود، وفيه أيضاً ذريعة إلى الغلو في الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعبادته مع الله سبحانه، وعليه يجب أن يمنع كتابة اسم الله تعالى واسم رسوله محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا الشَّكل: شكل تداخل حروف اسميهما كتابة، وتقاطع حروف اسم كلّ منهما بحروف اسم الآخر، بل لا يجوز كتابة (الله - محمَّد) على باب المسجد ولا على غيره؛ لما في ذلك من الإيهام والتَّلبيس؛ لما ذكر من المحاذير وغيرها.

وبالله التَّوفيق. وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد، وآله وصحبه وسلَّم.

اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء " (٢) .

وسئل الشّيخ العثيمين : " ماحكم كتابة القرآن على الجدار أو تعليق آيات من القرآن الكريم؟

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١١ برقم ٨) .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٨١-٨٢) .

فأجاب رحمه الله تعالى: أمَّا تعليق القرآن أو كتابته على الجدران فليس من هدي السَّلف رضي الله عنهم وهذا الذي كتبه يسأل لماذا كتبته أتريد أن يقرأ فإن من المعلوم أنَّ الجالس لا يقرؤه إلَّا على سبيل الفرجة فقط لا يقرؤه تعبُّداً ، وهل هو على سبيل التَّبرُّك فالتَّبرُّك على هذا الوجه بدعة .

وهل هو على سبيل الحماية على أنَّه ورد فكذلك أيضاً لم يرد الاحتماء بالقرآن على هذا الوجه .

وهل هو على سبيل النَّصيحة فإنَّ الغالب أنَّ النَّاس لا يهتمُّون بذلك ، ولنضرب لهذا مثلاً لو كتب آية **﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾** هل الجالس إذا قرأ الآية تهيَّب عن الغيبة ووقف ، ثمَّ هل كلُّ مجلس يكون فيه غيبة إذا كان بعض المجالس ليس فيها غيبة فما الفائدة من كتابة الآية إذا كان أهل المجلس لا يهتمُّون بالغيبة فإن هذه الآية المكتوبة أو المعلَّقة لم تنفعهم ، على كلِّ حال يكفينا في هذا أن نقول : تعليق القرآن الكريم على الجدران أو كتابته على الجدران ليس من هدي السَّلف الصَّالح ، ولن يصلح آخر هذه الأمَّة إلَّا ما أصلح أوَّلها " (١) .

وجاء في فتاوى إسلاميَّة : " حكم تعليق لفظ الجلالة مقروناً به اسم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

س - ما رأيكم في البطاقات واللوحات سواء الورقيَّة أو المصنوعة من الخيوط والتي يكتب عليها لفظ الجلالة مقروناً باسم النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام " الله محمَّد "؟

ج- هذه المسألة كثرت في النَّاس على أوجه متعدِّدة، ووضع لفظ الجلالة وبجانبه اسم الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام لا يجوز، وقد قال رجل للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، " ما شاء الله وشئت " فقال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، " أجعلني لله ندَّاً بل ما شاء الله وحده" (٢) .

وإذا كان الهدف من تعليق لوحه عليها اسم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من قبيل التبرك فهذا غير جائز أيضاً، لأنَّ التَّبرُّك إنما يكون بالتزام سنَّة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والاهتداء بهديه.

وكذلك بالنِّسبة لتعليق اللوحات المكتوب عليها آيات من القرآن الكريم في المنازل، إذا لم يرد في ذلك عن السَّلف الصَّالح - رحمهم الله - ولا عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا عن أَصحابه والتَّابعين، ولا أدري من أين جاءت هذه البدعة، فهي في الحقيقية بدعة لأنَّ القرآن إنَّما نزل ليتلى لا ليعلَّق على الجدران.

---

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (٥/ ٢) .

(٢) أخرجه الطبراني المعجم الكبير(١٢/ ٢٤٤ برقم ١٣٠٠٥)بلفظ: " جَعَلْتَ للهِ نِدًّا بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ " .

ثمَّ أنَّ في تعليقه على الجدران مفسدة، لأنَّ من يفعلوا ذلك قد يعتقدون أنَّه حرزٌ لهم، فيستغنون بذلك عن الحرز الصَّحيح وهو التِّلاوة باللسان، كما قال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عن آية الكرسي، " من قرآها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح" .

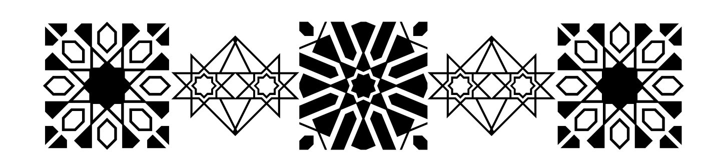
أيضاً قد لا تخلو المجالس غالباً من الأقوال المحرَّمة وربَّما كان فيها شيء من آلات اللهو، ولا يجوز أن يجتمع كلام الله في أماكن كهذه ، لذلك ننصح إخواننا المسلمين بعدم تعليق لوحات تحمل آيات الله أو لفظ الجلالة أو أسم النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام.

الشَّيخ ابن عثيمين " (١) .

وجاء في " مجموع فتاوى ورسائل الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين " : " سئل فضيلة الشَّيخ: كثيراً ما نرى على الجدران كتابة لفظ الجلالة "الله" وبجانبها لفظة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو نجد ذلك على الرِّقاع، أو على الكتب، أو على بعض المصاحف، فهل موضعها هذا صحيح؟

فأجاب قائلاً: موضعها ليس بصحيح؛ لأنَّ هذا يجعل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ندَّاً لله مساوياً له، ولو أنَّ أحداً رأى هذه الكتابة، وهو لا يدري من المسمَّى بهما، لأيقن يقيناً أنَّهما متساويان متماثلان، فيجب إزالة اسم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويبقى النَّظر في كتابة: "الله" وحدها، فإنَّها كلمة يقولها الصُّوفيَّة !!! ويجعلونها بدلاً عن الذِّكر، يقولون: "الله الله الله"، وعلى هذا فتلغى أيضاً، فلا يكتب "الله"، ولا " محمَّد " على الجدران، ولا في الرِّقاع ولا في غيره " (٢) .

وفي كتابنا : " إِنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ بِبَعْضِ البِدَعِ الحَسَنَةِ المُتَعَلِّقَةِ بِالقُرْآن" ، المَبْحَثُ السَّادِسُ وهو بعنوان : " كِتَابَةُ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ وَتَعْلِيْقِهَا عَلَى الجُدْرَان " رددتُ على أغلب ما احتجَّ به من منعوا وحرَّموا كتابة اسم الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجانب اسم الجلالة (الله) ... والحمدُ لله ربِّ العالمين ...



(١) انظر : فتاوى إسلامية (٤/ ٤٧٩-٤٨٠) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٣/ ٧٥-٧٦) .

❁❁❁ المَبْحَثُ الثَّانِي عَشَر ❁❁❁

غَيَّرُوا صِيغَةِ السَّلَام عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التَّشهُّد من : السَّلام عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبي وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، إِلَى صِيغَةِ : السَّلَامُ عَلَى النَّبي

إنَّ ممَّا اجترحه من يزعمون السَّلفيَّة : تغييرهم صيغة السَّلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التَّشهُّد من : السَّلام عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبي وَرَحْمَةُ" اللهَّ وَبَرَكَاتُهُ ، إلى صيغة : السَّلام على النَّبي ، وذلك منهم اقصاء لأيِّ دليل يدلُّ على مخاطبة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبره ، مع أنَّ صيغة السَّلام عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبي وَرَحْمَةُ اللهَّ وَبَرَكَاتُهُ مخرَّجة في الصَّحيحين ، وأمَّا الرِّواية التي اعتمدوها في التَّشهُّد ، فهي رواية شاذَّة ...

فقد روى البخاري ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ ، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهَّ : كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قُلْنَا : السَّلام عَلَى جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ السَّلام عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : " إِنَّ اللهَّ هُوَ السَّلام ، فَإِذَا صلَّى أَحَدُكُمْ ، فَلْيَقُلْ : التَّحِيَّاتُ للهَّ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ، السَّلام عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبي وَرَحْمَةُ اللهَّ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلام عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهَّ الصَّالِحِينَ ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ للهَّ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ " (١) .

وروى مسلم وغيره بسندهم عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَكَانَ يَقُولُ : التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ للهَّ ، السَّلام عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبي وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلام عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله " (٢) . وروي مثله عن عبد الله بن مسعود ، وجابر ...

قال الإمام أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظَّاهري (٤٥٦هـ) : " وَكَذَلِكَ مَا أجمع النَّاس عَلَيْهِ وَجَاء بِهِ النَّص من قَول كلِّ مصلٍّ فرضاً أَو نَافِلَة : السَّلام عَلَيْك أَيهَا النَّبي وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته ، فَلَو لم يكن روحه عَلَيْهِ السَّلام مَوْجُوداً قَائِماً ، لَكَانَ السَّلام على الْعَدَم هدراً " (٣) .

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٦٦ برقم ٨٣١) .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٠٢ برقم ٤٠٣) ، الشَّافعي في المسند (ص٤٢) ، ابن ماجه (١/ ٢٩١ برقم ٩٠٠) ، ابن حبَّان (٥/ ٢٨٤ برقم ١٩٥٤) ، البيهقي في معرفة السنن والآثار (٣/ ٥٤ برقم ٣٦٥٦) .

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٧٦) .

وقال الإمام أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظَّاهري أيضاً : " حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّد بْنِ الْجَسُورِ ، ثنا مُحَمَّد بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي دُلَيْمٍ ، ثنا مُحَمَّد بْنُ وَضَّاحٍ ، ثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، ثنا مُحَمَّد بْنُ جَعْفَرٍ غُنْدَرٌ – ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمن ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى ، قَالَ : كُنْتُ أُصَلِّي فَرَآنِي النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ، فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي ؟ قُلْتُ : كُنْتُ أُصَلِّي ، قَالَ : أَلَمْ يَقُلْ اللهُ تَعَالَى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ**﴾ [الأنفال:٢٤] ثمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ . فَصَحَّ أَنَّ هَذَا بَعْدَ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلاة ، لِامْتِنَاعِ أَبِي سَعِيدٍ مِنْ إجَابَةِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَتَّى أَتَمَّ الصَّلاة ، وَصَحَّ أَنَّ الْكَلَامَ مَعَ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مُبَاحٌ فِي الصَّلاة هَذَا خَاصٌّ لَهُ ، وَفِيهِ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى الْعُمُومِ ، وَإِجْمَاعُ أَهْلِ الإِسْلَامِ !!! الْمُتَيَقَّنِ عَلَى أَنَّ الْمُصَلِّيَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ " السَّلام عَلَيْك أَيُّهَا النَّبي " (١) .

وهذه صاعقة أقضَّت مضاجعهم ، وهدَّت أركانهم ، وهدمت بنيانهم ، فما كان من الألباني إلَّا أن أسعفهم برواية شاذَّة ضعيفة رويت عن ابن عمر وابن مسعود ، بلفظ : " السَّلام على النَّبي ورحمة الله وبركاته " (٢) . فتشبَّث بها المتمسلفون متنكِّرين وجاحدين وشائحين بوجوههم عمَّا روي في الصَّحيحين من مناداته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مغيِّرين صيغة السَّلام في صلاة المسلمين ، من الخطاب إلى الغيبة !

وقد تبع الألباني في ذلك بعض المتمسلفة كالمدعو مشهور حسن ، الذي قال : " غلط قول : " السَّلام عليك أيُّها النَّبي في التَّشهُّد " (٣) .

هذا ما قاله متمسلفة هذا الزَّمان ، وهم في قولهم متنكِّرين لما جاء في الصَّحيحين من حديثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والذي التزمه السَّلف ، كما نقل ابن عبَّاس في رواية مسلم : " كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ... " . فهل تعليم الرَّسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان خاصَّاً بالصَّحابة أم أنَّ قوله تشريع لعموم الأمَّة ؟!!! فلماذا هذا اللِيّ لأعناق النُّصوص أيُّها اللصوص ...

وقد ردَّ على الألباني الإمام عبد الله بن الصدِّيق الغُماري في رسالته :" إرغام المبتدع الغبي بجواز التَّوسُّل بالنَّبي " ، فقال : " ... تواتر عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعليم التَّشهُّد في الصَّلاة ، وفيه السَّلام عليه

---

(١) انظر : المحلى بالآثار (٢/ ٣١٧-٣١٨) .

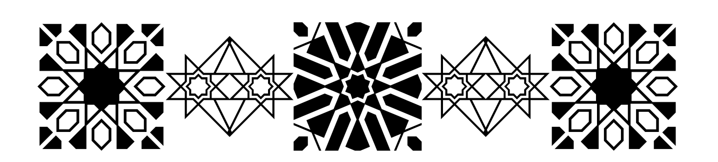
(٢) انظر : تَلخيصُ صِفة صَلاة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم (ص٢٩) ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٢/ ٢٧) .

(٣) انظر : القول المبين في أخطاء المصلين (ص١٥٢) .

بالخطاب ونداؤه " السَّلام عليك أيُّها النَّبي " وبهذه الصِّيغة علمه على المنبر النَّبوي أبو بكر وعمر وابن الزُّبير ومعاوية ، واستقرَّ عليه الإجماع كما يقول ابن حزم وابن تيمية !

والألباني لابتداعه خالف هذا كلّه ، وتمسَّك بقول ابن مسعود ، " فلمَّا مات قلنا : السَّلام على النَّبي " ، ومخالفة التَّواتر والإجماع هي عين الابتداع " [1] ...

والحَمْدُ للهِ ربّ العَالَمِيْن



---

[1] انظر : إرغام المبتدع الغبي بجواز التَّوسُّل بالنَّبي (ص١٩) .

فِهْرِسُ المَوْضُوْعَات

المَوْضُوْع	رَقَمُ الصَّفَحَة

فِهْرِسُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِع

(١) إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء ، عبد الله بن الصدِّيق الغماري ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م .

(٢) إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عبد الصمد بن عبد الوهاب بن أبي الحسن محمَّد بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين أمين الدِّين أبو اليمن بن عساكر الدمشقي نزيل مكة ، تحقيق : حسين محمَّد علي شكري ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، الطبعة : الأولى .

(٣) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين ، محمَّد بن محمَّد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ١٩٩٤م .

(٤) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ، عبد السلام بن عبد القادر بن محمَّد بن عبد القادر بن الطَّالب بن محمَّد -فتحا- ابن سودة ، تحقيق: محمَّد حجي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

(٥) الآثار ، محمَّد بن الحسن الشيباني ، تحقيق : أبو الوفا الأفغاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٦) الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة ، أبو عبد الرَّحمن محمَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة: الطبعة الاولى للطبعة الجديدة ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .

(٧) الآحاد والمثاني ، ابن أبي عاصم ، تحقيق : د. باسم فيصل أحمد الجوابرة ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

(٢١٧) شرح الشفا ، علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ

(٢١٨) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، الطيبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م .

(٢١٩) الشرح الكبير على متن المقنع ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي ، أبو الفرج ، شمس الدِّين ، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع .

(٢٢٠) شَرح المُقَدّمَة الحضرمية المُسمّى بُشرى الكريم بشَرح مَسَائل التَّعليم ، سَعيد بن محمَّد بَاعَليّ بَاعِشن الدَّوْعَنِيُّ الرباطي الحضرمي الشافعي ، دار المنهاج للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

(٢٢١) شرح صحيح البخاري ، ابن بطَّال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .

(٢٢٢) شرح فتح القدير ، كمال الدِّين محمَّد بن عبد الواحد السيواسي ، دار الفكر ، بيروت .

(٢٢٣) شرح مشكل الآثار ، الطحاوي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

(٢٢٤) شرف المصطفى ، الخركوشي ، دار البشائر الإسلامية ، مكة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ .

(٢٢٥) الشريعة ، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

(٨) الأحاديث المختارة ، الضياء المقدسي ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، الطبعة : الثالثة ، ٢٠٠٠م .

(٩) الإحاطة في أخبار غرناطة ، محمَّد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله ، الشهير بلسان الدِّين ابن الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ .

(١٠) أحكام الجنائز ، أبو عبد الرَّحمن محمَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ، المكتب الاسلامي ، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦م .

(١١) إحياء علوم الدِّين ، أبو حامد محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الغزالي الطوسي ، دار المعرفة ، بيروت .

(١٢) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، الفاكهي ، تحقيق : د. عبد الملك عبد الله دهيش ، دار خضر ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤هـ .

(١٣) أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي ، تحقيق: رشدي الصالح ملحس ، دار الأندلس للنشر ، بيروت .

(١٤) الاختيار لتعليل المختار ، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي ، مجد الدِّين أبو الفضل الحنفي ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ ، ١٩٣٧م .

(١٥) الإخنائية (أو الرد على الإخنائي) ، ابن تيمية الحراني الحنبلي ، تحقيق : أحمد بن مونس العنزي ، دار الخراز ، جدة ، الطبعة : الأولى

(٢٢٦) شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ، تحقيق : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .

(٢٢٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، عياض اليحصبي ، دار الفيحاء ، عمان ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٧هـ .

(٢٢٨) شفاء السقام ، السبكي ، مكتبة دار جوامع الكلم ، القاهرة .

(٢٢٩) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، محمَّد بن أحمد بن علي ، تقي الدِّين ، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

(٢٣٠) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، طاش كبري زادة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م .

(٢٣١) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يوسف بن إسماعيل النبهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٢م .

(٢٣٢) صحيح ابن حبان ، ابن حبان ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٢٣٣) صحيح ابن حبَّان في الصحيح ، ابن حبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٢٣٤) صحيح ابن خزيمة ، ابن خزيمة ، تحقيق : د. محمَّد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

(٢٣٥) صحيح البخاري ، البخاري ، تحقيق : محمَّد زهير بن ناصر

، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .
(١٦) الأذكار للنووي ، أبو زكريا محيي الدِّين يحيى بن شرف النووي ، الجفان والجابي ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .
(١٧) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٩م .
(١٨) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، أبو يعلى الخليلي ، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني ، تحقيق : د. محمَّد سعيد عمر إدريس ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٩هـ .
(١٩) إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسُّل بالنَّبي ، عبد الله بن الصدِّيق الغماري ، تحقيق : الأستاذ حسن السقَّاف ، دار الإمام النووي ، عمَّان .
(٢٠) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥م .
(٢١) الأساس في السنة وفقهها – العبادات في الإسلام ، سعيد حوّى ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤م .
(٢٢) الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة (مطبوع بهامش كتاب شواهد الحق) ، يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَّبْهَاني ، المطبعة الميمنية، مصر، على نفقة أصحابها مصطفى البابي الحلبي وأخويه .
الناصر ، دار طوق النجاة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ .
(٢٣٦) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، مكتَبَة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م .
(٢٣٧) صحيح مسلم ، تحقيق : محمَّد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
(٢٣٨) صفة الصفوة ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، تحقيق : أحمد بن علي ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، الطبعة : ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .
(٢٣٩) صفة صلاة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض .
(٢٤٠) صلاة العيدين في المصلى هي السنة ، أبو عبد الرَّحمن محمَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م .
(٢٤١) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، مكتبة الخانجي ، الطبعة : الثانية ، ١٣٧٤هـ ، ١٩٥٥م .
(٢٤٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السخاوي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
(٢٤٣) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق ، سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النجدي ، تحقيق:

(٢٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمَّنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والإختصار ، ابن عبد البر ، تحقيق : عبدالمعطي امين قلعجي ، دار قتيبة ، دمشق ، دار الوعي ، حلب ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .

(٢٤) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن خالد بن محمَّد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي ، تحقيق: جعفر الناصري، محمَّد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء .

(٢٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر ، (تحقيق : علي محمَّد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(٢٦) أسنى المطالب في شرح روض الطالب ، زكريا بن محمَّد بن زكريا الأنصاري، زين الدِّين أبو يحيى السنيكي ، دار الكتاب الإسلامي.

(٢٧) أسهل المدارك «شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك» ، أبو بكر بن حسن بن عبد الله الكشناوي ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الثانية .

(٢٨) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) ، أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدمياطي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

(٢٩) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ، البيهقي ، تحقيق : أحمد عصام الكاتب ، دار

عبد السلام بن برجس بن ناصر بن عبد الكريمنشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٢م .

(٢٤٤) طبقات الحنابلة ، أبو الحسين ابن أبي يعلى ، محمَّد بن محمَّد ، تحقيق : محمَّد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت .

(٢٤٥) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، تقي الدِّين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي ، بلا .

(٢٤٦) طبقات الشافعية ، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، الطبعة : الأولى .

(٢٤٧) طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السبكي ، تحقيق : د. محمود محمَّد الطناحي ، د. عبد الفتاح محمَّد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٣هـ .

(٢٤٨) طبقات الشافعيين ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدِّمشقي ، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمَّد زينهم محمَّد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

(٢٤٩) الطبقات الكبير ، محمد بن سعد بن منيع الزهر ، تحقيق: علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

(٢٥٠) العاقبة في ذكر الموت ، عبد الحق بن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي ، الأندلسي الأشبيلي ، المعروف بابن الخراط ، تحقيق : خضر محمَّد خضر ، مكتبة دار الأقصى ، الكويت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م

(٢٥١) العجالة في الأحاديث المسلسلة ، علم الدِّين أبو الفيض محمَّد ياسين بن محمَّد عيسى الفاداني المكي ، دار البصائر ، دمشق ،

الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠١هـ .

(٣٠) الأعلام ، خير الدِّين بن محمود بن محمَّد بن علي بن فارس، الزركلي الدِّمشقي ، دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر ، ٢٠٠٢م .

(٣١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) ، عبد الحي بن فخر الدِّين بن عبد العلي الحسني الطالبي ، دار ابن حزم ، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م .

(٣٢) أعيان العصر وأعوان النصر ، الصفدي ، تحقيق : الدكتور علي أبو زيد ، ورفاقه ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م .

(٣٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمَّد حامد الفقي ، مكتبة المعارف ، الرياض .

(٣٤) إفادة الأنام بذ كر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى: بإتمام الكلام ، العلامة، المحدّث، المُسنِد، المؤرخ، الشيخ عبدالله بن محمَّد الغازي المكي الحنفي ، دراسة وتحقيق : عبدالملك بن عبدالله بن دهيش .

(٣٥) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : ناصر عبد الكريم العقل ، دار عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة : السابعة ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م ، طبعة أخرى تحقيق : محمَّد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة : الثانية ، ١٣٦٩هـ .

(٣٦) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – والثلاثة الخلفاء ، الحميري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٩٨٥م .

(٢٥٢) العرف الشذي شرح سنن الترمذي ، محمَّد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ، تصحيح: الشيخ محمود شاكر ، دار التراث العربي ، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م .

(٢٥٣) العقد الفريد ، أبو عمر ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٤هـ .

(٢٥٤) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي ، تحقييق : محمَّد حامد الفقي ، دار الكاتب العربي ، بيروت .

(٢٥٥) عُمدةُ الأَحكامِ من كلامِ خيرِ الأَنامِ عليه الصلاةُ والسلامُ ، تقي الدِّين ، أبي محمَّد عبد الغني المَقْدِسِيِّ الجَمَّاعيليِّ الحنبليِّ ، بلا .

(٢٥٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدِّين العينى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٢٥٧) عمل اليوم والليلة ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي ، تحقيق: د. فاروق حمادة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ .

(٢٥٨) غاية السول في خصائص الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ، تحقيق : عبد الله بحر الدِّين عبد الله ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت .

(٢٥٩) غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري، محمَّد بن محمَّد بن يوسف ، مكتبة ابن تيمية ، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر .

الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ .

(٣٧) أمالي أبي الفتح المقدسي(المجلس الحادي والعشرون بعد المائة) ، نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم ابن داود النابلسي المقدسي ، أبو الفتح الشافعي ، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٤هـ

(٣٨) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العباس الحسيني العبيدي ، تقي الدِّين المقريزي ، تحقيق : محمَّد عبد الحميد النميسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

(٣٩) إنارة الدجى في مغازي خير الورى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، حسن بن محمَّد المشاط المالكي ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة: الثانية ، ١٤٢٦هـ .

(٤٠) انتخاب العوالي والشيوخ من فهارس شيخنا الامام المسند العطار أحمد بن عبيد الله العطار ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الكزبري الشافعي ، تحقيق: محمَّد مطيع الحافظ ، دار الفكر المعاصر، دار الفكر ، بيروت ، دمشق سورية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤هـ .

(٤١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عبد الرَّحمن بن محمَّد العليمي الحنبلي ، أبو اليمن ، مجير الدِّين ، تحقيق : عدنان نباتة ، مكتبة دنديس ، عمان .

(٤٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدِّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمَّد الشيرازي البيضاوي ، تحقيق : محمَّد عبد الرَّحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ .

(٢٦٠) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، محمَّد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، تحقيق : محمَّد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،الطبعة : الثانية ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م

(٢٦١) الغنية ، عبد القادر الجيلاني ، بلا .

(٢٦٢) الفتاوى ، محمَّد بن عبد الوهاب ، تحقيق : صالح بن عبد الرَّحمن الأطرم ، ومحمد بن عبد الرزاق الدويش ، مطابع الرياض ، الرياض .

(٢٦٣) فتاوى إسلامية ، لأصحاب الفضيلة العلماء سماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، فضيلة الشيخ: محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، فضيلة الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين ، إضافة إلى اللجنة الدائمة، وقرارات المجمع الفقهي جمع وترتيب : محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند ، دار الوطن للنشر، الرياض ، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

(٢٦٤) فتاوى السبكي ، تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السبكي ، دار المعارف .

(٢٦٥) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٩٨٧م .

(٢٦٦) فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزاق الدويش .

(٢٦٧) فتاوى في العقيدة ، ابن باز ، رسائل إرشادية لرئاسة الحرس الوطني ، ١٩١ .

(٢٦٨) فتاوى نور على الدرب ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ،

(٤٣) الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى (ص٧٧) ، الشيخ محمَّد متولي الشعراوي ، أشرف عليه واعتنى به: أحمد الزغبي
(٤٤) إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار ، صالح بن محمَّد بن نوح بن عبد الله العَمْري المعروف بالفُلَّاني المالكي ، دار المعرفة ، بيروت .
(٤٥) الإيمان ، ابن منده ، تحقيق : د. علي بن محمَّد بن ناصر الفقيهي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٦هـ .
(٤٦) بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمَّد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ، تحقيق : د. محمود مطرجي ، دار الفكر ، بيروت .
(٤٧) البحر المحيط في أصول الفقه ، أبو عبد الله بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، دار الكتبي ، الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .
(٤٨) البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدِّين الأندلسي ، تحقيق : صدقي محمَّد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : ١٤٢٠هـ .
(٤٩) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الفاسي الصوفي ، تحقيق : أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الدكتور حسن عباس زكي ، القاهرة ، الطبعة : ١٤١٩هـ .
(٥٠) بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي) ، الروياني ، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل ، تحقيق : طارق فتحي السيد ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٩م .
(٥١) البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق : علي شيري ، دار إحياء

جمعها : الدكتور محمَّد بن سعد الشويعر ، قدم لها : عبد العزيز بن عبد الله بن محمَّد آل الشَّيخ .
(٢٦٩) فتاوى نور على الدرب ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، بلا .
(٢٧٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .
(٢٧١) فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر ، صَيدَا ، بَيروت ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .
(٢٧٢) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ،أحمد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد البنا الساعاتي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة: الثانية .
(٢٧٣) فتح العلام بشرح مرشد الأنام ، محمَّد عبد الله الجرداني ، مكتبة الشباب المسلم ، حلب .
(٢٧٤) فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ .
(٢٧٥) فتح القدير ، كمال الدِّين محمَّد بن عبد الواحد السّيواسي المعروف بابن الهمام ، دار الفكر .
(٢٧٦) فتنة التكفير ، محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، بلا ، مناسك الحج والعمرة ، أبو عبد الرَّحمن محمَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ، مكتبة المعارف ، الطبعة: الأولى
(٢٧٧) فتوح البلدان ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ١٩٨٨م .

التراث العربي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، طبعة أخرى دار الفكر ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٦م .

(٥٢) بدائع الفوائد ، محمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي، بيروت .

(٥٣) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار المعرفة ، بيروت .

(٥٤) بدعِ القبورِ ، أنواعها ، وأحكامها ، صالح العصيمي ، بلا .

(٥٥) بذل المجهود في حل سنن أبي داود ، الشيخ خليل أحمد السهارنفوري ، نشر: مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦م .

(٥٦) براءة الأشعريين من عقائد المخالفين ، أبو حامد مرزوق ، دار المصطفى ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٧م .

(٥٧) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية ، محمَّد بن محمَّد بن مصطفى بن عثمان ، أبو سعيد الخادمى الحنفي ، مطبعة الحلبي ، الطبعة ، ١٣٤٨هـ .

(٥٨) البعث والنشور ، البيهقي ، تحقيق : الشَّيخ عامر أحمد حيدر ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

(٥٩) بلغة السالك لأقرب المسالك ، أحمد الصاوي ، تحقيق ضبطه وصححه: محمَّد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م ، طبعة أخرى مع حاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَام مَالِكٍ) ، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد

(٢٧٨) فتوح الشام ، محمَّد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

(٢٧٩) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية ، ابن علان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، طبعة أخرى نشر: جمعية النشر والتأليف الأزهرية.

(٢٨٠) فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثمَّ شرحه في شرح منهج الطلاب) ، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل ، دار الفكر .

(٢٨١) الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) ، أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشَّهير بالقرافي ، عالم الكتب .

(٢٨٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الأندلسي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

(٢٨٣) الفصول في السيرة ، ابن كثير ، تحقيق : محمَّد العيد الخطراوي ، محيي الدِّين مستو ، مؤسسة علوم القرآن ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٣هـ .

(٢٨٤) الفقه الإسلامي وأدلته ، وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، سوريَّة ، دمشق .

(٢٨٥) فقه السيرة ، محمَّد الغزالي السقا ، دار القلم ، دمشق ، تخريج الأحاديث: محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ .

(٢٨٦) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، محمَّد سَعيد رَمضان البوطي ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة : الخامسة

الخلوتي، الشَّهير بالصاوي المالكي ، دار المعارف .
(٦٠) البيان في مذهب الإمام الشافعي ، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي ، تحقيق : قاسم محمَّد النوري ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م
(٦١) تاج العروس من جواهر القاموس ، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية .
(٦٢) تاريخ ابن حجي ، شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن حجي السعدي الحسباني الدِّمشقي ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .
(٦٣) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م ، طبعة أخرى تحقيق : الدكتور بشار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٣م .
(٦٤) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، حسين بن محمَّد بن الحسن الدِّيار بَكْري ، دار صادر ، بيروت .
(٦٥) تاريخ الدولة العلية العثمانية ، محمَّد فريد (بك) ابن أحمد فريد (باشا) ، المحامي ، تحقيق: إحسان حقي ، دار النفائس، بيروت ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١م .
(٦٦) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري) ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)دار التراث ، بيروت ، الطبعة: الثانية ، ١٣٨٧هـ .
والعشرون ، ١٤٢٦هـ .
(٢٨٧) الفقه على المذاهب الأربعة ، عبد الرَّحمن بن محمَّد عوض الجزيري ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .
(٢٨٨) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ،محمد بن الحسن بن العربيّ بن محمَّد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة: الأولى ، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م .
(٢٨٩) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، محمَّد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمَّد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة: ٢، ١٩٨٢م .
(٢٩٠) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدِّين النفراوي الأزهري المالكي ، دار الفكر ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .
(٢٩١) الفوائد المنتخبات في شرح أخصر المختصرات ، عثمان بن عبد اللهً بن جامع الحنبلي تحقيق: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم ورفاقه ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .
(٢٩٢) الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة ، مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى ، تحقيق: د. محمَّد بن لطفي الصباغ ، دار الوراق ، الرياض ، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨م .
(٢٩٣) فيض الباري على صحيح البخاري ، محمَّد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي ، تحقيق: محمَّد بدر عالم

(٦٧) تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري- السابع عشر الميلادي/ تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى ، عبد الله بن علي بن أحمد بن محمَّد الحسني، المعروف بالوزير ، تحقيق: محمَّد عبد الرحيم جازم ، دار المسيرة ، بيروت .

(٦٨) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .

(٦٩) تاريخ دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

(٧٠) تاريخ عجائب الآثار في التَّراجم والأخبار ، عبد الرَّحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ ، دار الجيل ، بيروت .

(٧١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، محمَّد بن أحمد بن الضياء محمَّد القرشي العمري المكي الحنفي ، بهاء الدِّين أبو البقاء ، المعروف بابن الضياء ، تحقيق : علاء إبراهيم ، أيمن نصر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،الطبعة : الثانية ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .

(٧٢) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، محمَّد بن أحمد بن الضياء محمَّد القرشي العمري المكي الحنفي ، بهاء الدِّين أبو البقاء ، المعروف بابن الضياء ، تحقيق : علاء إبراهيم ، أيمن نصر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .

(٧٣) تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة الدينوري ، المكتب الاسلامي ، مؤسسة الإشراق ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٩هـ ،

الميرتهي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بدابهيل (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري) ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .

(٢٩٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط١، ١٣٥٦هـ .

(٢٩٥) فيض الوهاب في بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب ، عبد ربه سليمان المشهور بالقليوبي ، دار القومية العربية للطباعة ، ١٩٦٤م .

(٢٩٦) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، تحقيق : ربيع بن هادي عمير المدخلي ، مكتبة الفرقان ، عجمان ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١هـ .

(٢٩٧) قاعدة في المحبة ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : محمَّد رشاد سالم ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

(٢٩٨) قره عين الأخيار لتكملة رد المحتار علي «الدر المختار شرح تنوير الأبصار» (مطبوع بآخر رد المحتار) ، علاء الدِّين محمَّد بن (محمد أمين المعروف بابن عابدين) بن عمر بن عبد العزيز عابدين الحسيني الدِّمشقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت .

(٢٩٩) قوارع الأسنة في الردِّ على أعداء السنة ، عبد العزيز بن يحيى البرعي اليمني ، بلا .

(٣٠٠) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، العز بن عبد السلام ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

(٣٠١) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، محمَّد جمال الدِّين بن محمَّد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ، دار الكتب العلمية ،بيروت .

١٩٩٩م .

(٧٤) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الرابعة .

(٧٥) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، محمَّد الطاهر بن محمَّد بن محمَّد الطاهر بن عاشور التونسي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤هـ .

(٧٦) تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام ، محمَّد بن أحمد بن سالم بن محمَّد المالكي المكي المعروف بالصباغ ، دراسة وتحقيق : أ. د عبد الملك بن عبد الله بن دهيش١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م .

(٧٧) تحفة الأبرار بنكت الأذكار للنووي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السيوطي ، تحقيق: محيي الدِّين مستو ، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

(٧٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، أبو العلا محمَّد عبد الرَّحمن بن عبد الرحيم المباركفورى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٧٩) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ، الكتب العلميه، بيروت ، الطبعة: الاولى ١٤١٤هـ .

(٨٠) تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب ، عبد الرَّحمن بن عبد الكريم الحنفي المدني الشَّهير بالأنصاري ، تحقيق: محمَّد العرويسي المطوي ، المكتبة العتيقة، تونس ، الطبعة: الأولى، ١٣٩٠هـ ، ١٩٧٠م .

(٨١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، القرطبي ، تحقيق : الدكتور: الصادق بن محمَّد بن إبراهيم ، مكتبة دار المنهاج للنشر

(٣٠٢) القَولُ البَدِيعُ في الصَّلاةِ عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرحمن بن محمَّد السخاوي ، دار الريان للتراث .

(٣٠٣) القول المبين في أخطاء المصلين ، مشهور حسن آل سلمان ، دار ابن القيم ، المملكة العربية السعودية ، دار ابن حزم ، لبنان ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٦هـ ، ٩٩٦م .

(٣٠٤) القيامة الصغرى ، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي ، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، مكتبة الفلاح، الكويت ، الطبعة: الرابعة، ١٤١١ هـ ، ١٩٩١م .

(٣٠٥) الكبائر ، الذهبي ، تحقيق : أبي عبد الرَّحمن السلفي ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

(٣٠٦) كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، القرطبي ، دار المنهاج ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٦هـ .

(٣٠٧) كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدِّين علي بن سليمان المرداوي ، محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله، شمس الدِّين المقدسي الرامينى ثمَّ الصالحي الحنبلي ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

(٣٠٨) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي ، تحقيق: كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ .

(٣٠٩) كشاف القناع عن متن الإقناع ، منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى ، دار الكتب العلمية .

والتوزيع، الرياض، الطبعة : الأولى، ١٤٢٥ هـ.
(٨٢) ترتيب الأمالي الخميسية ، يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني ، رتبها: القاضي محيي الدِّين محمَّد بن أحمد القرشي العبشمي ، تحقيق: محمَّد حسن محمَّد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.
(٨٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، المغرب ، ط١ .
(٨٤) التسهيل لعلوم التنزيل ، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي ، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، الطبعة: الأولى ، ١٤١٦هـ
(٨٥) تشنيف الآذان بأدلَّة استحباب السِّيادة عند ذكر اسمه عليه الصَّلاة والسَّلام في الصَّلاة والإقامة والأذان ، أحمد بن محمد بن الصديق الغماري ، دار جوامع الكلم ، القاهرة .
(٨٦) تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) ، أحمد بن حجر آل بن علي ، محمَّد بن سليمان التميمي ، عبد الرَّحمن بن ناصر بن سعدي ، نشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ.
(٨٧) تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد ، محمَّد بخيت المطيعي الحنفي ، ط تركيا ، ١٣٩٧هـ.
(٨٨) التعليق الممجد على موطأ محمَّد (شرح لموطأ مالك برواية محمَّد بن الحسن) ، محمَّد عبد الحي بن محمَّد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبو الحسنات ، تعليق وتحقيق: تقي الدِّين الندوي
(٣١٠) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٧هـ .
(٣١١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس ، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء ، المكتبة العصرية ، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ،٢٠٠٠م ، طبعة أخرى مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥١هـ.
(٣١٢) كشف الشبهات ، محمَّد بن عبد الوهاب ، نشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ.
(٣١٣) كشف اللثام شرح عمدة الأحكام ، شمس الدين، أبو العون محمَّد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، دار النوادر ، سوريا ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م .
(٣١٤) كشف المخدرات والرياض المزهرات لشرح أخصر المختصرات ، عبد الرَّحمن بن عبد الله بن أحمد البعلي الخلوتي الحنبلي ، تحقيق: قابله بأصله وثلاثة أصول أخرى: محمَّد بن ناصر العجمي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .
(٣١٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين ، ابن الجوزي ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن ، الرياض .
(٣١٦) كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام وبراءة الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب ، سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن

أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمارات العربية المتحدة ، دار القلم، دمشق ، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م .

(٨٩) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٩٠) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدِّين علي بن محمَّد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

(٩١) تفسير الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : د. محمَّد عبد العزيز بسيوني ، نشر : كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

(٩٢) تفسير الشعراوي ، الخواطر ، محمَّد متولي الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم .

(٩٣) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، الطبري ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

(٩٤) تفسير القرآن ، أبو المظفر ، منصور بن محمَّد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثمَّ الشافعي ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

(٩٥) تفسير القرآن العزيز ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن عيسى بن محمَّد المري ، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة ، محمَّد بن مصطفى الكنز ، الفاروق الحديثة ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .

مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النجدي ، أضواء السلف ، الطبعة : الأولى .

(٣١٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق ، تحقيق : الإمام أبي محمَّد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .

(٣١٨) كفاية النبيه في شرح التنبيه ، أحمد بن محمَّد بن علي الأنصاري ، أبو العباس ، نجم الدِّين ، المعروف بابن الرفعة ، تحقيق : مجدي محمَّد سرور باسلوم ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٩م .

(٣١٩) كنز الدرر وجامع الغرر، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، عيسى البابي الحلبي .

(٣٢٠) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، المتقي الهندي ، تحقيق : بكري حياني ، صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الخامسة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

(٣٢١) كنوز الذهب في تاريخ حلب ، أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل، موفق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي ، دار القلم، حلب ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ .

(٣٢٢) كنوز من السنة ، محمَّد الغزالي ، دار نهضة مصر ، الطبعة : الأولى .

(٣٢٣) الكنى والأسماء ، الدولابي ، تحقيق : أبو قتيبة نظر محمَّد الفاريابي ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ،٢٠٠٠م .

(٣٢٤) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، الكرماني ،

(٩٦) تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم الرازي ، تحقيق : أسعد محمَّد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٩هـ .

(٩٧) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدمشقي ، تحقيق : سامي بن محمَّد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

(٩٨) تفسير القرآن العظيم ، أبو محمَّد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن إدريس بن المنذر التميمي ، الحنظلي ، الرازي ابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد محمَّد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٩هـ .

(٩٩) تفسير الماوردي (النكت والعيون) ، أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(١٠٠) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدِّين النسفي ، تحقيق : يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

(١٠١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمَّد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة ، القاهرة ، ط١ .

(١٠٢) تفسير سعيد بن منصور ، سعيد بن منصور ، تحقيق : سعد بن عبد الله آل حميد ، دار الصميعي ، الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م .

(١٠٣) تفسير عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، طبعة : أولى ، ١٣٥٦هـ ، ١٩٣٧م .

(٣٢٥) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، نجم الدِّين محمَّد بن محمَّد الغزي ، تحقيق: خليل المنصور ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

(٣٢٦) كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري ، محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥م .

(٣٢٧) كيف نفهم التوحيد ، محمَّد بن أحمد باشميل ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ .

(٣٢٨) لامع الدراري في شرح البخاري ، الكنكوهي ، المكتبة الإمدادية ، مكة المكرمة .

(٣٢٩) لب اللباب في تحرير الأنساب ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السيوطي ، دار صادر ، بيروت .

(٣٣٠) لسان العرب ، ابن منظور ، دار لسان العرب ، المفردات القرآنية ، الراغب الأصفهاني ، (ص٤١) ، دار الفكر ، بيروت .

(٣٣١) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح ، عبد الحق بن سيف الدِّين بن سعد اللهَّ البخاري الدِّهلوي الحنفي ، تحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور تقي الدِّين الندوي ، دار النوادر، دمشق ، سوريا ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤ م .

(٣٣٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، شمس الدين، أبو العون محمَّد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها ، دمشق ، الطبعة: الثانية ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

الحميري اليماني الصنعاني ، دار الكتب العلمية ، تحقيق : د. محمود محمَّد عبده ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ .

(١٠٤) تفسير مقاتل بن سليمان ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى ، تحقيق: عبد الله محمود شحاته ، دار إحياء التراث ، بيروت ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٣ هـ .

(١٠٥) تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة ، ونبذ مذهبية نافعة ، محمَّد بن علي بن شعيب ، أبو شجاع ، فخر الدِّين ، ابن الدَّهَّان ، تحقيق : د. صالح بن ناصر بن صالح الخزيم ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

(١٠٦) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، محمَّد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع ، أبو بكر ، معين الدِّين ، ابن نقطة الحنبلي البغدادي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(١٠٧) تَلخيصُ صِفة صَلاة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة : الخامسة ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

(١٠٨) تلخيص كتاب الاستغاثة ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمَّد علي عجال ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤١٧هـ .

(١٠٩) تمام المنة في التعليق على فقه السنة ، أبو عبد الرَّحمن محمَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ، دار الراية ، الطبعة: الخامسة .

(١١٠) التنبيه والإيقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ ، أحمد رافع بن

(٣٣٣) ما يجب أن يعرفه المسلم عن دينه ، أبو عبد الرَّحمن عبد الله بن عبد الغني بن محمَّد خياط ، نشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ .

(٣٣٤) مباحثة السائرين بحديث اللهمَّ إني أسألك بحق السائلين ، محمود سعيد ممدوح ، ط١ ، ١٩٩٥م .

(٣٣٥) المبدع في شرح المقنع ، إبراهيم بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد ابن مفلح ، أبو إسحاق ، برهان الدِّين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

(٣٣٦) مجلة الأزهر ، الجزء الخامس ، المجلد الثاني ، جمادى الأول سنة ١٣٥٠هـ .

(٣٣٧) مجلسان لأبي سعد البغدادي ، أَبُو سَعْدٍ أَحْمَدُ بنُ محمَّد بنِ أَحْمَدَ بنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ بنِ أَحْمَدَ بنِ سُلَيْمَانَ البَغْدَادِيُّ الأَصْل ، الأَصْبَهَانِيُّ ، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٤هـ .

(٣٣٨) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن سليمان المدعو بشيخي زاده، يعرف بداماد أفندي ، دار إحياء التراث العربي .

(٣٣٩) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيثمي ، تحقيق : حسام الدِّين القدسي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

(٣٤٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيثمي ، تحقيق : حسام الدِّين القدسي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

(٣٤١) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم ، نشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة

محمَّد الحسيني القاسمي الطهطاوي الحنفي ، مطبعة الترقي ، ١٣٤٨ هـ .

(١١١) تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : الدكتور مصطفى عطار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م .

(١١٢) تهذيب الكمال ، المزي ، ، تحقيق : الدكتور بشار عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م .

(١١٣) تهذيب اللغة ، الأزهري ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ٢٠٠١م .

(١١٤) التوسل ، الألباني ، ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٦م .

(١١٥) التوصُّل إلى حقيقة التوسل ، محمَّد نسيب الرفاعي ، رئاسة البحوث العلمية ، السعودية ، ط٤ .

(١١٦) توضيح الأحكام شرح تحفة الحكام ، عثمان بن المكي التوزري الزبيدي ، المطبعة التونسية ، الطبعة: الأولى، ١٣٣٩ هـ .

(١١٧) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمَّد بن حمد بن عبد الله بن عيسى ، تحقيق: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦هـ .

(١١٨) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب ، سليمان بن عبد الله بن محمَّد بن عبد الوهاب ، دار طيبة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ ،١٩٨٤م .

(١١٩) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ، أبو عبد الرَّحمن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن صالح بن حمد بن محمَّد بن حمد البسام ، المنورة ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

(٣٤٢) المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) ، النووي ، دار الفكر .

(٣٤٣) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، أشرف على جمعه وطبعه : محمَّد بن سعد الشويعر .

(٣٤٤) مجموع فتاوى ورسائل الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين ، محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين ، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، دار الوطن ، دار الثريا ، الطبعة : الأخيرة ، ١٤١٣ هـ .

(٣٤٥) مجموعة الرسائل والمسائل ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : السيد محمَّد رشيد رضا ، محمَّد الأنور أحمد البلتاجي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(٣٤٦) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانى ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ .

(٣٤٧) المحلى بالآثار ، ابن حزم الأندلسي ، دار الفكر ، بيروت .

(٣٤٨) مختصر التحفة الاثني عشرية ، تحقيق : محب الدِّين الخطيب ، المطبعة السلفية، القاهرة ، ١٣٧٣هـ .

(٣٤٩) مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، حققه واختصره: محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٢هـ،١٩٩١م .

(٣٥٠) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمَّد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب

تحقيق: محمَّد صبحي بن حسن حلاقمكتبة الصحابة، الأمارات – مكتبة التابعين، القاهرة ، الطبعة: العاشرة، ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٦ م .

(١٢٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ ،٢٠٠٠م .

(١٢١) الثقات ، ابن حبان ، طبع بإعانة : وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، تحت مراقبة : الدكتور محمَّد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية ، نشر : دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، الطبعة : الأولى ، ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م

(١٢٢) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري ، تحقيق : أحمد محمَّد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .

(١١٢٣) جامع الرسائل ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : د. محمَّد رشاد سالم ، دار العطاء ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

(١٢٤) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، تحقيق : أبو الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي، العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

(١٢٥) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، القرطبي ، تحقيق : أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م ، طبعة أخرى تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة : ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .

(١٢٦) جزء فيه ما انتقى أبوبكر أحمد بن موسى ابن مردويه على أبي

العربي ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م .

(٣٥١) المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي ، أحمد بن محمَّد بن الصدِّيق بن أحمد، أبو الفيض الغُمَارِي الحسني الأزهري ، دار الكتبي، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م .

(٣٥٢) المدخل ، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م ، طبعة أخرى دار التراث .

(٣٥٣) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ،عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمَّد بدران ، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ .

(٣٥٤) مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح ، حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي ، المكتبة العصرية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٥م .

(٣٥٥) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، أبو الحسن عبيد الله بن محمَّد عبد السلام بن خان محمَّد بن أمان الله بن حسام الدِّين الرحماني المباركفوري ، نشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء ، الجامعة السلفية ، بنارس الهند ، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م .

(٣٥٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .

(٣٥٧) المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين ، ابن الفراء ، تحقيق : د. عبد الكريم بن محمَّد اللاحم ، مكتبة المعارف ، الرياض ،

القاسم الطبراني من حديثه لأهل البصرة ، أبو القاسم الطبراني ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، أضواء السلف ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .

(١٢٧) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي ، قدم له: علي السيد صبح المدني ، مطبعة المدني ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

(١٢٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : علي بن حسن ، عبد العزيز بن إبراهيم ، حمدان بن محمَّد ، دار العاصمة ، السعودية ، ط٢ ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .

(١٢٩) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، أبو زيد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف الثعالبي ، تحقيق : الشَّيخ محمَّد علي معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ .

(١٣٠) الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي ، مخطوط ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد البديري الحسيني، الدمياطيّ الأشعري الشافعيّ، أبو حامد .

(١٣١) حاشية أحمد بن قاسم العبادي على تحفة المحتاج في شرح المنهاج ، ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمَّد ، ١٣٥٧هـ ، ١٩٨٣م .

(١٣٢) حاشية الإمام عبد الحميد الشرواني على تحفة المحتاج في شرح المنهاج ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمَّد ، ١٣٥٧هـ ، ١٩٨٣م .

(١٣٣) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمَّد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي ، دار الفكر .

ط١، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

(٣٥٨) مستخرج أبي عوانة ، أبو عوانة ، في المستخرج ، تحقيق : أيمن بن عارف الدمشقي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

(٣٥٩) المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م .

(٣٦٠) المستطرف في كل فن مستطرف ، شهاب الدِّين محمَّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ .

(٣٦١) المستوعب ، نصير الدِّين محمَّد بن عبد الله السامري الحنبلي ، تحقيق : أ. د عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكة المكرمة ، ١٤٢٤ه ، ٢٠٠٣م .

(٣٦٢) مسند الروياني ، الروياني ، تحقيق : أيمن علي أبو يماني ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٦هـ .

(٣٦٣) مسند أبي يعلى الموصلي ، أبو يعلى الموصلي ، تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

(٣٦٤) مسند أحمد ، تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م ، طبعة أخرى مؤسسة الرسالة .

(٣٦٥) مسند البزار ،البزار ، في المسند ، تحقيق : محفوظ الرَّحمن زين الله ، ورفاقه ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة :

(١٣٤) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجهـ) ، نور الدِّين السندي ، دار الجيل ، بيروت .

(١٣٥) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي ، دار النشر: دار صادر ، بيروت .

(١٣٦) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني ، أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي ، تحقيق : الشَّيخ علي محمَّد معوض ، الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .

(١٣٧) الحاوي للفتاوي ، السيوطي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .

(١٣٨) حجة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه ، محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة: الخامسة ، ١٣٩٩هـ .

(١٣٩) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النَّبي المختار ، محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي ، تحقيق : محمَّد غسان نصوح عزقول ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ .

(١٤٠) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، السعادة ، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م .

(١٤١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، عبد الرزاق بن

الأولى ، ٢٠٠٩م .

(٣٦٦) مسند الشافعي ، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي ، دار الكتب العلمية، بيروت .

(٣٦٧) مسند الشهاب ، الشهاب القضاعي ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٧ه ، ١٩٨٦م .

(٣٦٨) مسند الطيالسي في المسند ، الطيالسي ، تحقيق : الدكتور محمَّد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .

(٣٦٩) مسند عبد الله بن وهب ، عبد الله بن وهب ، تحقيق : أبو عبد الله محي الدِّين بن جمال البكاري ، دار التوحيد لإحياء التراث ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٧م .

(٣٧٠) مسند عبد بن حميد ، عبد بن حميد ، تحقيق : صبحي البدري السامرائي ، محمود محمَّد خليل الصعيدي ، مكتبة السنة ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨ه ، ١٩٨٨م.

(٣٧١) المشبِّهة والمجسِّمة ، عبد الرَّحمن خليفة بن فتح الباب الحناوي ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٩م .

(٣٧٢) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة ، الرحيبانى مولدا ثمَّ الدمشقي الحنبلي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

(٣٧٣) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيبانى مولدا ثم الدِّمشقي الحنبلي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي ، تحقيق : محمَّد بهجة البيطار ، دار صادر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

(١٤٢) حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج ، عبد الحميد الشرواني ، دار الفكر ، بيروت .

(١٤٣) حول الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف ، محمَّد بن علوي المالكي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

(١٤٤) حياة الصحابة ، محمَّد يوسف بن محمَّد إلياس بن محمَّد إسماعيل الكاندهلوي ، تحقيق : الدكتور بشار عوّاد معروف ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

(١٤٥) خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، محمَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ١٤٢٥ هـ .

(١٤٦) الخصائص الكبرى ، السيوطي، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(١٤٧) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي الحموي الأصل، الدِّمشقي ، دار صادر ، بيروت .

(١٤٨) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي ، تحقيق : د. محمَّد الأمين محمَّد محمود أحمد الجكيني ، طبع على نفقة السيد : حبيب محمود أحمد ، وجعله وقفاً لله تعالى .

(١٤٩) الدارس في تاريخ المدارس ، عبد القادر بن محمَّد النعيمي الدِّمشقي ، تحقيق: إبراهيم شمس الدِّين ، دار الكتب العلمية ،

(٣٧٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمردار ابن القيم ، الدمام ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

(٣٧٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ، البغوي ، تحقيق : محمَّد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م ، طبعة أخرى تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ .

(٣٧٦) معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجَّاج ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٣٧٧) معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٣٧٨) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص عبد الرحيم بن عبد الرَّحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي ، تحقيق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت .

(٣٧٩) معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٣٨٠) معجم ابن المقرئ ، ابن المقرئ ، تحقيق : أبي عبد الحمن عادل بن سعد ، مكتبة الرشد .

(٣٨١) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ، شهاب

الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م .
(١٥٠) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .
(١٥١) الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود ، أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدِّين شيخ الإسلام، أبو العباس ، عني به: بوجمعة عبد القادر مكري ومحمد شادي مصطفى عربش ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٦هـ .
(١٥٢) الدرة الثمينة في أخبار المدينة ، محب الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار ، تحقيق : حسين محمَّد علي شكري ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم .
(١٥٣) الدرّة المضية في الردِّ على ابن تيمية ، تقي الدِّين السبكي ، مطبوع ضمن التوفيق الربَّاني في الردِّ على ابن تيمية الحراني لجماعة من العلماء ، بلا .
(١٥٤) درر الحكام شرح غرر الأحكام ، محمَّد بن فرامرز بن علي الشَّهير بملا – أو منلا أو المولى – خسرو ، دار إحياء الكتب العربية
(١٥٥) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، علماء نجد الأعلام ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم ، الطبعة : السادسة ، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م .
(١٥٦) الدرر السنية في الردِّ على الوهابية ، أحمد زيني دحلان ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ، ط٦ ، ١٩٨٩م .
(١٥٧) الدُّرر السَّنيَّة في الكتب النَّجديَّة ، علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا ، دراسة وتحقيق: عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم ، السادسة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م .
الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م .
(٣٨٢) المعجم الأوسط ، الطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمَّد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة .
(٣٨٣) معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، دار صادر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م .
(٣٨٤) معجم الشاميين ، الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥ه ، ١٩٨٤م .
(٣٨٥) معجم الشيوخ ، ابن عساكر ، تحقيق : الدكتورة وفاء تقي الدِّين ، دار البشائر ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م
(٣٨٦) معجم الشيوخ الكبير ، الذهبي ، تحقيق : الدكتور محمَّد الحبيب الهيلة ، مكتبة الصديق ، الطائف ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م .
(٣٨٧) المعجم الكبير ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة: الثانية، ١٩٨٣م ، طبعة أخرى مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة: الثانية .
(٣٨٨) معجم المؤلفين ، عمر بن رضا بن محمَّد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق ، مكتبة المثنى ، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت .
(٣٨٩) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون ، دار الفكر ،

(١٥٨) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمَّد عبد المعيد ضان ، نشر : مجلس دائرة المعارف العثمانية ، صيدر اباد ، الهند ، الطبعة : الثانية ، ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م .

(١٥٩) الدعوات الكبير ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، غراس للنشر والتوزيع ، الكويت ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٩ م .

(١٦٠) دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ، محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، بلا ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، أبو عبد الرَّحمن محمَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، الطبعة: الأولى، مكتبة المعارف .

(١٦١) دفع شبه من شبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيِّد الجليل الإمام أحمد ، التقي الحصني ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

(١٦٢) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، ابن تيمية ، تحقيق : د. محمَّد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٤هـ .

(١٦٣) دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات ، منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى ، عالم الكتب ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م

(١٦٤) دلائل النبوة ، البيهقي ، تحقيق : الدكتور عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(١٦٥) الدِّين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق (والمجلد التاسع طبع باسم: إرشاد الناسك إلى أعمال المناسك) ، محمود محمَّد خطاب السّبكي ، تحقيق: أمين محمود خطاب ، المكتبة المحمودية

١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

(٣٩٠) معرفة السنن والآثار ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ، تحيقق: عبد المعطي أمين قلعجي ، نشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق - بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة) ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

(٣٩١) المعرفة والتاريخ ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف ، تحقيق: أكرم ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ ،١٩٨١م .

(٣٩٢) معونة أولى النهى ، شرح المنتهى منتهى الإرادات ، محمَّد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى الحنبلى الشهير بابن النجار ، تحقيق : أ. د عبد الملك بن عبد الله دهيش .

(٣٩٣) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب ،خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمَّد حجي ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

(٣٩٤) مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار ، أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدِّين العينى ، تحقيق: محمَّد حسن محمَّد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م

(٣٩٥) المغني ، أبو محمَّد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثمَّ الدمشقي الحنبلي ، الشهير بابن قدامة المقدسي ، مكتبة القاهرة ، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .

السبكية ، الطبعة: الرابعة، ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م .

(١٦٦) ديوان الإسلام ، شمس الدِّين أبو المعالي محمَّد بن عبد الرَّحمن بن الغزي ، تحقيق: سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ ،١٩٩٠م .

(١٦٧) الذخيرة ، أبو العباس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشهير بالقرافي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٤م .

(١٦٨) ذكريات ، علي بن مصطفى الطنطاوي ، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة ، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م .

(١٦٩) رجال حول الرسول ، خالد محمَّد خالد ثابت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م .

(١٧٠) رحلة الصديق إلى البلد العتيق ، أبو الطيب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ .

(١٧١) رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(١٧٢) الردُّ المحكم المتين على كتاب القول المبين ، عبد الله بن الصدِّيق الغماري ، ، مكتبة القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٦م

(١٧٣) الرد على البكري ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : محمَّد علي عجال ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ .

(٣٩٦) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، شمس الدين، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

(٣٩٧) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدِّين الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٠هـ .

(٣٩٨) مفاهيم يجب أن تصحَّح ، محمَّد بن علوي المالكي ، ط١٠ ، ١٩٩٥م ، طبعة أخرى نشر : الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دبي .

(٣٩٩) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ، تحقيق: محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥م .

(٤٠٠) مقالات الكوثري ، الكوثري ، مطبعة الأنوار ، القاهرة .

(٤٠١) الممتع في شرح المقنع ، زين الدِّين المنجي بن عثمان بن أسعد ابن المنجي ،تحقيق : أ. د عبدالملك بن عبدالله بن دهيش .

(٤٠٢) مناقب أبي حنيفة ، الإمام الموفق بن أحمد المكي (٥٦٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٤٠٣) مناقب الإمام أحمد ، ابن الجوزي ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٩هـ .

(٤٠٤) المناهي اللفظية ، محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين ، جمع وإعداد: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، دار الثريا للنشر والتوزيع ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ .

(٤٠٥) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، تحقيق : محمَّد عبد القادر عطا ،

(١٧٤) الرد على الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه بين الشيعة وأهل السنة ، إحسان إلهي ظهير الباكستاني، نشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور ، باكستان .

(١٧٥) الردُّ على المنطقيين ، ابن تيمية الحراني ، دار المعرفة ، بيروت

(١٧٦) رسالة الشرك ومظاهره ، مبارك بن محمَّد الميلي الجزائري ، تحقيق وتعليق: أبي عبد الرَّحمن محمود ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الطبعة: الأولى (١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

(١٧٧) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة ، محمَّد بن جعفر الكتاني ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٦م، ١٤٠٦هـ .

(١٧٨) رسالة المسلسلات ، أبو عبد الله محمَّد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشَّهير بـ الكتاني ، تخريج وتعليق: أبي الفضل بدر بن عبد الإله العمراني الطنجي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م .

(١٧٩) رسالة في الرد على الرافضة (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب، محمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي ، تحقيق: ناصر بن سعد الرشيد ، نشر: جامعة الإمام محمَّد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية .

(١٨٠) رسائل السنة والشيعة لرشيد رضا ، محمَّد رشيد بن علي رضا بن محمَّد شمس الدِّين بن محمَّد بهاء الدِّين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني ، دار المنار، القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٦٦ هـ ، ١٩٤٧ م .

(١٨١) رسائل المقريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي، تقي الدِّين المقريزي ، دار الحديث، القاهرة ، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م ، طبعة أخرى دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٨هـ .

(٤٠٦) المنتقى من مسموعات مرو ، ضياء الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن عبد الواحد المقدسي، مخطوط .

(٤٠٧) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، عبد الله بن سعيد بن محمَّد عبادي اللّحجي الحضرميّ الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .

(٤٠٨) منح الجليل شرح مختصر خليل ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش، أبو عبد الله المالكي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٩هـ،١٩٨٩م .

(٤٠٩) المنقذ من الضلال ، أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي ، دار الكتب الحديثة ، مصر .

(٤١٠) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق : محمَّد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ .

(٤١١) منهاج الفرقة الناجية ، محمَّد بن جميل زينو ، الطبعة : الثامنة عشر .

(٤١٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدِّين يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٣٩٢هـ ، طبعة أخرى دار مناهل العرفان .

(٤١٣) منهج السلف في فهم النصوص ، محمَّد بن علوي المالكي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ .

الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ .
(١٨٢) الرسل والرسالات ، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م .
(١٨٣) رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة ، محمود سعيد ممدوح ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .
(١٨٤) روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء ، دار الفكر ، بيروت .
(١٨٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ .
(١٨٦) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، السهيلي ، تحقيق : عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .
(١٨٧) الروض النضر في ترجمة أدباء العصر ، عصام الدِّين عثمان بن علي بن مراد العمري ، تحقيق: الدكتور سليم النعيمي ، نشر: المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، الطبعة: الأولى، ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م .
(١٨٨) الروضة الندية شرح الدرر البهية ، أبو الطيب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، دار المعرفة .
(١٨٩) الرياض النضرة في مناقب العشرة ، أبو العباس ، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدِّين الطبري ، ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الثانية .
(٤١٤) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدِّين ، تحقيق : دكتور محمَّد محمد أمين ، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب .
(٤١٥) المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود ، محمود محمَّد خطاب السبكي ، عني بتحقيقه وتصحيحه: أمين محمود محمَّد خطاب ، مطبعة الاستقامة، القاهرة ، مصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٥١ ، ١٣٥٣هـ .
(٤١٦) المهيأ في كشف أسرار الموطأ ، عثمان بن سعيد الكماخي ، تحقيق وتخريج: أحمد علي ، دار الحديث، القاهرة ، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م .
(٤١٧) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، الهيثمي ، تحقيق : محمَّد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية .
(٤١٨) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي ، دار الفكر ، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .
(٤١٩) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العباس، شهاب الدِّين ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .
(٤٢٠) المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية ، الجزء الرابع، القسم الأول) .
(٤٢١) موسوعة الإمام محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، أبو عبد الرَّحمن محمَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري

(١٩٠) ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عمر الخفاجي ، تحقيق: عبد الفتاح محمَّد الحلو ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، الطبعة: الأولى، ١٣٨٦هـ ، ١٩٦٧م
(١٩١) زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ .
(١٩٢) الزهد والرقائق ، عبد الله بن المبارك ، تحقيق : حبيب الرَّحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
(١٩٣) سبل السلام ، محمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمَّد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير ، دار الحديث .
(١٩٤) سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، الصالحي ، تحقيق : الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشَّيخ علي محمَّد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .
(١٩٥) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ، مطبعة بولاق (الأميرية) ، القاهرة ، ١٢٨٥هـ .
(١٩٦) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، أبو عبد الرَّحمن محمَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ، دار المعارف، الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ ، ١٩٩٢م .
(١٩٧) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، محمَّد خليل بن علي بن محمَّد بن محمَّد مراد الحسيني، أبو الفضل ، دار البشائر
الألباني ، صَنَعَهُ: شادي بن محمَّد بن سالم آل نعمان ، نشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء ، اليمن ، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠م .
(٤٢٢) الموسوعة الفقهية الكويتية ، صادر عن : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت .
(٤٢٣) الموطأ ، مالك بن أنس ، تحقيق : محمَّد مصطفى الأعظمي ، نشر : مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية ، أبو ظبي ، الإمارات ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .
(٤٢٤) ميزان الاعتدال ، الذهبي ، تحقيق : الدكتور علي محمَّد البيجاوي ، دار الفكر ، بيروت .
(٤٢٥) نتائج الأفكارفي تخريج أحاديث الأذكار ، ابن حجر العسقلاني تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ، دار ابن كثير ، الطبعة: الثانية ١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م
(٤٢٦) نسخة الزبير بن عدي ، الزُّبَيْرُ بنُ عَدِيٍّ أَبُو عَدِيٍّ الهَمْدَانِيُّ اليَامِيُّ الكُوْفِيُّ، قَاضِي الرَّيِّ ، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٤م ،
(٤٢٧) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، ابن سعيد الأندلسي ، تحقيق: الدكتور نصرت عبد الرَّحمن ، مكتبة الأقصى، عمان ، الأردن .
(٤٢٨) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن ، أحمد بن محمَّد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشرواني ، مطبعة التقدم العلمية ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٣٢٤هـ .
(٤٢٩) نهاية الأرب في فنون الأدب ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمَّد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري ، شهاب الدِّين النويري ، دار

الإسلامية، دار ابن حزم ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(١٩٨) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمَّد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م .

(١٩٩) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، محمَّد الغزالي ، دار نهضة مصر ، الطبعة : الأولى .

(٢٠٠) سنن ابن ماجه ، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي .

(٢٠١) سنن أبي داود ، تحقيق : محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

(٢٠٢) سنن الترمذي ، الترمذي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨م .

(٢٠٣) سنن الدارمي ، تحقيق : حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني للنشر والتوزيع ، السعودية ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، ٢٠٠٠م .

(٢٠٤) السنن الصغير ، البيهقي ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي ، ط١ ، ١٤١٠هـ .

(٢٠٥) السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٣، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م .

(٢٠٦) السنن الكبرى ، النسائي ، تحقيق : حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .

(٢٠٧) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق : مجموعة من المحققين

الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ .

(٤٣٠) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، أبو العبَّاس أحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق: إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب اللبنانين، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .

(٤٣١) نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز ، رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي ، دار الذخائر ، القاهرة ، الطبعة: الأولى ، ١٤١٩هـ .

(٤٣٢) نهاية الزين في إرشاد المبتدئين ، محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً ، التناري بلداً ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ .

(٤٣٣) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج في الفقه على مذهب الإمام الشافعي ، شمس الدِّين محمَّد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدِّين الرملي ، دار الفكر ، بيروت ، اطبعة الأخيرة ، ١٩٨٤م

(٤٣٤) النهاية في الفتن والملاحم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدِّمشقي ، تحقيق: محمَّد أحمد عبد العزيز ، دار الجيل، بيروت ، الطبعة: ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٤٣٥) النهر الفائق شرح كنز الدقائق ، سراج الدِّين عمر بن إبراهيم بن نجيم الحنفي ، تحقيق: أحمد عزو عناية ، دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .

(٤٣٦) نوادر الأصول في أحاديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الحكيم الترمذي ، تحقيق : عبد الرَّحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢م .

(٤٣٧) نيل الأمل في ذيل الدول ، زين الدِّين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدِّين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثم القاهري الحنفيّ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية للطباعة

بإشراف الشَّيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

(٢٠٨) السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) ، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدِّين ابن برهان الدِّين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة: الثانية ، ١٤٢٧هـ .

(٢٠٩) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، محمَّد بن محمَّد بن سويلم أبو شُهبة ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة: الثامنة ، ١٤٢٧هـ .

(٢١٠) السيرة النبوية من البداية ، ابن كثير ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة، بيروت ، ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٦م .

(٢١١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، محمَّد بن محمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف ، علق عليه : عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

(٢١٢) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، محمَّد بن محمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف ، دار الكتب العلمية، لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

(٢١٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح ، تحقيق: محمود الأرناؤوط ، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير، دمشق ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

(٢١٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، اللالكائي ، تحقيق : أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ، دار طيبة ، السعودية ، الطبعة : الثامنة ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .

(٢١٥) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدِّين بن

والنشر ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .

(٤٣٨) نيل الأوطار ، الشوكاني ، تحقيق : عصام الدِّين الصبابطي ، دار الحديث ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

(٤٣٩) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه ، أبو محمَّد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثمَّ الأندلسي القرطبي المالكي ، تحقيق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الشارقة ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الشارقة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .

(٤٤٠) هذه مفاهيمنا ، صالح بن عبد العزيز بن محمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ ، إدارة المساجد والمشاريع الخيرية ، الرياض ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

(٤٤١) الوافي بالوفيات ، صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م .

(٤٤٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

(٤٤٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، الواحدي النيسابوري ، تحقيق : الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود ، ورفاقه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

(٤٤٤) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمَّد بن محمَّد بن

محمَّد الزرقاني المالكي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .
(٢١٦) شرح السنة ، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، تحقيق:شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، دمشق، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .
سويلم أبو شُهبة ، دار الفكر العربي .
(٤٤٥) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السمهودي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ .
(٤٤٦) يوميات شامية (الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية) ، محمَّد بن عيسى بن محمود بن كنان ، بلا .

مِنْ أَعْمَالِ المؤلِّف الأُسْتَاذ الدُّكْتُوْر عَلِي مِقْدَادِي الحَاتِمِي ضِمْنَ سِلْسِلَةِ : " ضِمْنَ سلْسِلةِ (فَتبَينُوا أَنْ تُصِيْبُوا قَوْمَاً بِجَهَالَة) :

(٤١) التَّفْوِيْضُ فِي صِفَاتِ الله تَعَالَى بَيْنَ السَّلَفِ وَالخَلَف .

(٤٢) التَّرْوِيْضُ فِي تِبْيَانِ حَقِيْقَةِ التَّفْوِيْض .

(٤٣) تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِعُمُوْمِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّة .

(٤٤) كَشْفُ الخَفَاءِعَنْ عَبَثِ الوهَّابيَّة بِكُتُبِ العُلَماءِ .

(٤٥) الإِتْحافَاتُ القُدُسِيَّة فِي نُصْرَةِ السَّادَةِ الصُّوْفِيَّةِ والرَّدِّ عَلَى الوَهَّابيَّة .

(٤٦) نُبُوَّةُ النِّسَاءِ بَيْنَ المَانِعِيْنَ وَالمُجِيْزِيْن .

(٤٧) حَادِثَةُ سِحْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤٨) المُحْكَمُ وَالمُتَشَابِهُ وَعَلاقَتُهُ بِالصِّفَاتِ الإِلَهِيَّة .

(٤٩) مَسْأَلَةُ التَّنَاكحِ بَيْنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ بَيْنَ الحَقِيْقَةِ وَالخَيَال .

(٥٠) صِفَاتُ الحوْرِ العِيْنِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّة .

(٥١) الجَوَابُ المُخْتَارُ فِي مَسْأَلَةِ فُتُوْرِ الوَحْي وَمَا نُسِبَ لِلنَّبِيِّ مِنْ مُحَاوَلَةِ الانْتِحَار .

(٥٢) كَشْفُ الخَفَا فِي مَصِيْرِ وَالِدَيّ المُصْطَفَى .

(٥٣) مَصِيْرُ أَبْنَاءِ المُشْرِكِيْن يَوْم الدِّيْن .

(٥٤) مسألة التبرك بالأنبياء والصَّالحين في الإسلام .

(٥٥) أَقْوَالُ العُلَماءِ المَنْثُوْرَةِ فِي تَنْزِيْهِ الله عَنِ الصُّوْرَة .

(٥٦) مَشْرُوْعِيَّةُ الاحْتِفَالِ بِمِيْلَادِ خَيْرِ البَرِيَّة وَالرَّدّ عَلَى الوَهَّابِيَّة .

(٥٧) مَسْأَلَةُ الاحْتِجَاجِ بِالقَدَرِ عَلَى المعْصِيَة .

(٥٨) إِرْشَادُ الفُحُوْلِ إِلَى مَا قَالَهُ أَسَاطِيْنُ العِلْمِ فِيْ تَنْزِيْهِ الله عَنِ الحَرَكَةِ وَالنُّزُوْل .

(٥٩) إِعْلَامُ الخَلَفِ بِتَأْوِيْلَاتِ السَّلَف .

(٦٠) خبر الآحاد ومدى حجيَّته في العقيدة .

(٦١) العُلوُّ لِلْعَلِيِّ الغَفَّار عُلُوّ مَكَانَةٍ لَا عُلُوّ مَكَان .

(٦٢) كَشْفُ الغِطَاءِ عَنْ مَسْأَلَةِ الاسْتِوَاء .

(٦٣) إِعْلَامُ الحُذَّاقِ بِحَقِيْقَةِ السَّاق .

(٦٤) إِعْلَامُ العَبْدِ الأَوَّاه بِحَقِيْقَةِ الوَجْهِ المُضَافِ إِلَى الله .

(٦٥) جَلَاءُ العَيْن بِحَقِيْقَةِ مَا أُضِيْفَ إِلَى الله مِنْ لَفْظِ العَيْن .

(٦٦) المَوْرِدُ العَذْب فِي تَوْضِيْح مَا أُضِيْفَ إِلَى الله مِنْ لَفْظِ الجَنْب .

(٦٧) رَفْعُ السَّارِيَةِ فِي الكَلَام عَلَى حَدِيْثِ الجَارِيَة .

(٦٨) بَرْدُ الأَكْبَادِ فِي تَنْزِيْهِ الله تَعَالَى عَنِ اليَدِ وَالأَيَاد .

(٦٩) رَفْعُ الصَّوْتِ بِمَا جَاءَ عَنِ المَوْت .

(٧٠) كِفَايَةُ العَبْدِ الأَوَّاه بِمَا جَاءَ عَنْ قُرْبِ الإِلَه .

(٧١) الشَّفَاعَاتُ الخَاصَّةُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٧٢) إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوَسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن .

(٧٣) إِنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ بِمَا أُضِيْفَ إِلَى الله مِنَ المَكْرِ وَالخِدَاع وَالاسْتِهْزَاءِ وَالنِّسْيَان .

(٧٤) إِتْقَانُ الصَّنْعَةِ فِي تَحْقِيْقِ مَعْنَى البِدْعَة / وصل إلى الآن تسعة مجلَّدات .

(٧٥) الإِتْحَافَات المِقْدَادِيَّة بتَرَاجِمِ السَّادَةِ الصُّوْفِيَّة / وصل إلى الآن خمسة وأربعين مجلَّداً بحمد الله تعالى .

(٧٦) تَشْنِيْفُ الآذَان بِبَعْضِ البِدَعِ الحسنة المُتَعَلِّقَةِ بِالقُرآن .

(٧٧) تبصير الهُداة بِبَعْض البِدِعِ الحَسَنَة المُتعلِّقَة بِالصَّلَاةِ .

(٧٨) تَنْوِيْرُ ذَوِيْ الأَلْبَابِ بِبَعْضِ البَدَعِ الحَسَنَةِ المُتعلِّقَة بِالسُّلُوكِ وَالآدَابِ .

(٧٩) رَفْعُ الصَّوْت بِبَعْضِ البِدَعِ الحَسَنَة المُتعلِّقَة بالمَوْتِ .

(٨٠) تَذْكِيْرُ الأَكْيَاس بَعْضِ المَسَائِلِ المُتَعلِّقة بِالزِّيْنَةِ وَاللِّبَاس .

(٨١) إِعْلَامُ الأَنَامِ بِبَعْضِ البِدَعِ الحَسَنَةِ المُتعلِّقَة بِالصِّيَام .

(٨٢) إِعْلَامُ البَرِيَّةِ بِبَعْضِ البِدَعِ العَقَدِيَّةِ التِيْ ابْتَدَعَهَا مُدَّعُو السَّلَفِيَّةِ .

(٨٣) إِتْحَافُ النُّجبَاء بِبَعْضِ البِدَعِ التِيْ ابْتَدَعَهَا مُدَّعُو السَّلَفِيَّةِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالعِلْمِ وَالعُلَمَاءِ .

(٨٤) الإِفْصَاحُ عَنْ مَعْنَى السُّنَّةُ وَالبِدْعَة فِي اللُّغَةِ وَالاصْطِلَاح .

(٨٥) غَايَةُ المَرَام بِبَعْضُ البِدَعِ الحَسَنَةِ التِي اسْتَحْدَثَهَا السَّلفُ الصَّالِحُ فِيْ زَمَانِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَام

(٨٦) مِسْكُ الخِتَام بِبَعْضِ البِدَعِ الحَسَنَةِ المُتَعلِّقَة بِالرَّسُوْلِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَام .

(٨٧) إِقَامَةُ البَرَاهِيْن عَلَى أنَّ مُحَمَّداً أَفْضَلُ المُرْسَلِيْن .